دور المرأة في بناء الأمة

تأليف

الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المكتب الإسلامي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دور المرأة في بناء الأمة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دور المرأة في بناء الأمة

تأليف
الدكتور محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. منْ يهده الله فلا مضلَّ له، ومنْ يضللْ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾.

أما بعد،

فهذا الكتاب يبحث دور المرأة في بناء الأمَّة وهو موجه لأخواتنا وبناتنا وزوجاتنا، ويتحدث عن مكانتهنّ ودورهنّ المهم في بناء الأمّة من منظور إسلامي، فالنساء شقائق الرجال، وهن نصف المجتمع أو أكثر، ويشاركن الرجال المسؤولية، وعليهنّ أن يتحملن هذه المسؤولية. ويعرض الكتاب نماذج من الرائدات في هذا المجال.

إنّ دور المرأة في بناء الأمّة كبير جداً، وإنَّ تأثيرها كبيرٌ جداً في الأولاد، وفي الزوج، والمجتمع، وهي عماد الأسرة.

ونحن اليوم في أشدّ الحاجة إلى بناء أمتنا البناء السليم القويم؛ لأننا ضعفنا بعد قوة، فعدا علينا الكفرة وعملوا على إسقاط دولة الإسلام .. حتى

أسقطوها وا أسفاه .. واحتلوا بلادنا .. واستعبدوا أبناءنا، وعملوا على إفسادهم وإدخال الشبه عليهم في دينهم .. وكان من أسلحتهم إفساد التعليم والعبث بمناهجه .. والإعلام الهابط الذي يهدم الأخلاق والقيم.

ولم يبق للمسلمين من الحصون إلّا الأسرة، وهنا يظهر عِظَم دور المرأة في بناء أمتها.

وقد كان سيدي الوالد رحمه الله وغفر له وأنزله منازل الصديقين قد أعدَّ هذا الكتاب للطبع من سنوات، وراجع تجارب الطباعة الأولى ولم يُفسح له في الأجل لينظر في تجارب الطباعة الأخيرة. فأكملت مراجعة الكتاب وتجهيزه للطباعة. وساعدتني في ذلك أختي غُنية جزاها الله خيراً. وكذلك فقد أفدت كثيراً في إخراج هذا الكتاب من الدكتور عمر بن سليمان الحفيان الذي كان يقابل استفسارتي بصدر رحب وجواب شاف جزاه الله خيراً.

نسأل أن يلهمنا رشدنا وأن ينفعنا بما علمنا .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه لطفي بن محمد الصبّاغ
الرياض في ٢١ محرم ١٤٤٠هـ
الموافق ٣٠ أيلول ٢٠١٨م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دور المرأة في بناء الأمّة

إنَّ من عوامل النهضة والتقدم للأمّة أن يعي أبناء المجتمع وبناته كلٌّ دوره في بناء أمته، وليس من شك في أنّ منهم من يكون تابعاً، ومنهم من يكون متبوعاً، ولكن لكلٍّ دورٌ مهما يكن صاحبه، ولكلِّ دورٍ وزنه وأثره، وباجتماع هذه الأدوار وتكاملها يتحقق الهدف المرجوّ إن شاء الله.

وللمرأة من حيث هي دور كبير في بناء الأمة، كما أنّ للرجال دوراً كبيراً في هذا المجال. وسنتكلم في هذا الكتاب عن دور المرأة في البناء من منظور إسلامي، ونعرض لنماذج من الرائدات في هذا المجال من نساء السلف الصالح.

نعم. «إنَّ النساء شقائق الرجال» كما جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والدارمي.[(١)] فهنَّ يشاركن الرجال المسؤولية، وعليهنّ أن يتحملن هذه المسؤولية. وليس صحيحاً ان يتخلين عن حملها، ويلقين المسؤولية على الرجال وحدهم.

إنَّ رسول الله ﷺ يحمّل المرأة المسؤولية بنص صريح في قوله ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته: الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».[(٢)]

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٢٥٦، والترمذي (١١٣)، وأبو داود (٢٣٦)، والدارمي ١/ ١٩٥.

(٢) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨)، والترمذي (١٧٠٥)، وأحمد ٢/ ٥.

إذن فالرجل والمرأة مسؤولان، ولن يُعْفَى واحدٌ منهما من تحملها لأن الآخر مسؤول، إنّ لكل منهما مجالاً، ربّما لا يتأتى للآخر أن يقوم به، وبالتعاون يكون التكامل والنجاح.

ومعلومٌ أنّ المسؤولية تعظم كلما عظمت إمكانيات الإنسان وقدراته ومنزلته في المجتمع.

إنّ دور المرأة في بناء الأمّة كبير جداً، وإن تأثيرها كبير جداً في الأولاد، وفي الزوج، وفيمن تعاشر من القريبات والصديقات والزميلات. ويؤسفني أنْ أقرر أنّ بعض النساء يتخلين عن القيام بهذا الدور، ويرضين لأنفسهنّ أن يكنّ مهملات لا يسهمن في بناء.

إنّ لها دوراً في غرس العقيدة وتأصيلها وترسيخها، وفي إصلاح الخلل الذي قد يعروها.

وإنّ لها دوراً في التربية: تربية من حولها على الأسس الإسلامية السليمة والأخلاق الإسلامية الفاضلة.

وإنَّ لها دوراً في اقتصاد الأسرة، التي هي اللبنة الأولى في كيان الأمَّـة، ويبدو الفرق جليـًا بين امرأة صالحة مدبرة مقتصدة تجعل أسـرتها في بحبوحة واكتفاء، وبين امرأة مبذرة مسرفة تجعل زوجها وأسرتها في فاقة وضنك.

وإنَّ لها دوراً في التوجيه والتقويم والإصلاح. وهذا الدور جليّ واضح بالنسبة للأولاد إذ يتلقى الطفل معلوماته الأولية، وقيمه وفكره من أمّه أول ما يتلقى، وسنخصّ هذا الجانب بشيء من التفصيل فيما نستقبل إن شاء الله تعالى. وكذلك فإنّ لها دوراً في كثير من الأحيان في إصلاح الزوج وإسعاده إن كانت من الصالحات.

ولقد ذكر سيدنا رسـول الله ﷺ أنّ النسـاء على ضعفهنّ يغلبن الرجل العاقل

ذا اللبّ. يقول ﷺ: «... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرجل الحازم من إحداكن»[(١)]. هذه رواية البخاري، وفي رواية مسلم: «أغلب لذي لبّ منكنّ».

أجل .. إنّ المرأة الصالحة - إذا شعرت بمسؤوليتها - لتستطيع بما لها من الأثر الفعّال أن تغيّر سيرة زوجها فتجعله من الصالحين.

أعرف مجموعة من الرجال كانوا ناساً يغلب عليهم التقصير في أداء الواجبات، ويقعون في بعض المحرمات .. وهدى الله أزواجهم بفضل استماعهنّ لمواعظ مؤثرة، فتغير حالهنّ والتزمن طريق الهدى .. وما لبثن أن أثّرن في أزواجهنّ، فتغيرت سيرتهم، وأصبحوا يؤدون الواجبات على أتمّ وجه، ويبتعدون عن المحرمات ابتعاداً تامّاً، وتبنَّوا الفكر الإسلامي الذي يلتزم بالكتاب والسنة، وصاروا يحاكمون الأمور كلها على ضوئهما.

ولو نظرنا في أحداث التاريخ لوجدنا أنَّ للمرأة في كثير من الأحيان دوراً كبيراً في حركة تلك الأحداث: إن كانت صالحة حركت الأحداث إلى الصلاح والخير، وإن كانت سيئة حركت الأحداث إلى الفساد والشر. وقد نلم ببعض هذه الأخبار فيما نستقبل من الفصول إن شاء الله.

- إنّ الدور العظيم للمرأة في الإصلاح والبناء لا يمكن أن يتحقق وتُلمس آثاره إلا إذا وجدت رائداتٌ من الفضليات يتقدمن الصفوف ضاربات بسلوكهنّ وبيانهنّ أمثلة حيّة للفضيلة والقيم المثلى .. رائداتٌ للأمة وللأجيال المقبلة .. رائداتٌ آمنّ بالله عن معرفة ويقين، وقمن بما أوجب الله عليهنّ من الواجبات، والتزمن بكل ما أمرهن الله به من الحجاب والزيّ الشرعي في اللباس وطاعة

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٢)، وأبو داوود (٤٦٧٩)، وابن ماجه (٤٠٠٣)، والترمذي (٢٦١٣)، وأحمد ٢/ ٣٧٣.

الزوج ونحو ذلك، والبعد عمّا حرّم الله، وكنّ بسلوكهنّ داعيات الى دين الله والفضيلة.

- وإني لأرجو أن تظهر دراسات ومؤلفات تناقش المطلوب من المرأة في عملية البناء والأسلوب الناجع في ذلك بتفصيل مدعوم بالأدلة والبراهين، وأن تعقد ندوات ومحاضرات في هذا الموضوع لعل ذلك يسهم في إلقاء الضوء على المنهج السليم الذي ينبغي سلوكه.

إنّ حضارة الغرب المادية الكافرة الغازية دخلت علينا فأفسدت تصور كثير منا للكون والحياة والإنسان والعقيدة، وأفسدت سلوكهم، وجعلت اللذة والمصلحة المادية مطلبين مقدّمين ولو كانا من طريق الحرام .. وإنا لله وإنا اليه راجعون.

ولا بُـدّ من مواجهة هذا الواقع بأمور إيجابية تتجلّى بفكر ملتزم، وسلوك ملتزم، تحمله طلائع من المؤمنين والمؤمنات، الداعين والداعيات، الصالحين والصالحات.

والمرأة في نظري هي العنصر الذي يعطي للمرء الوافد على بلدٍ ما صورة أولية صادقة عن هذا البلد، وهذا المجتمع:

فإنْ كانت ملتزمة بالإسلام في زيّها وحجابها وملابسها وخلقها وفكرها دلّت على أن هذا البلد ملتزم بالدين والخلق القويم، ودلّت على أن هذا المجتمع متماسك متميز لم يذب في المجتمع الأوربي.

وإن كانت فاسدةً مستهترةً منحرفةً في زيّها وحجابها وملابسها وخلقها وفكرها دلّت على أن هذا البلد بلد فاسد منحرف، ودلّت على أن هذا المجتمع منهزم أمام ذاك الغزو الكاسح.

إننا بحاجة إلى أنْ نرى هذه الطلائع من الروّاد المسلمين الصالحين، والرائدات المسلمات الصالحات اللاتي يعتززن بالإسلام، ويعملن على الدعوة إليه بالقول والعمل.

* * *

دور المثقفات في دحر خطر المؤتمرات الهدامة والإعلام الفاسد

قضت إرادة الله سبحانه أن يتفاوت الناس في العلم والذكاء، والمقدرة والإدراك، والتأثير في الآخرين، وهذا عام في الرجال والنساء.

فهناك فريق أهّلتهم مواهبهم، وظروف معيّنة أحاطت بهم إلى أنْ يكونوا قادة فكر، وأئمة متبوعين، ودعاة مؤثرين.

وهناك فريق لم يُؤتوا مثل ذلك من المواهب، ولم تتح لهم مثل تلك الظُروف، ولكنّهم أوتوا المقدرة على التنفيذ. وكلٌّ ميسر لما خلق له، ولكل وجهة هو موليها.

وعملية البناء تحتاج إلى الفريقين .. فريقٌ يخطط وينظم ويقود، وفريقٌ يعمل وينفذ، ويشير وينصح؛ لأن الواقع العملي قد يفرض تعديلاً في الخطط يدركه العاملون المنفذون.

والدور المطلوب أن تقوم به المرأة في البناء ينبغي أن يشترك فيه الفريقان كلٌّ حسب استعداده.

إنَّ على الأخوات المثقفات الداعيات المؤثرات أن يتقدمن لهذا الواجب المتعيّن بهمة لا تعرف الكلل، ولا بُـدّ من أنْ يكون عملهنّ ذا شقين:

شق يتضمن فضح شياطين الأنس والجن الذين يعملون على هدم عقيدة الأمة وخلقها، وإنكار هذا المنكر.

وشق يتضمن أمراً إيجابيا يتمثل في التربية العملية والتوعية وإنشاء جيل مسلم.

مطلوبٌ من كل أختٍ ولا سيّما إذا كانت مثقفة أن تعمل على رفع مستواها العلمي والفكري والدعوي، وأن تستمر في تحصيل المزيد من المعرفة، وهي إن شاء الله بالغة كثيراً مما تريد إن هي أحسنت الإفادة من كل دقيقة في حياتها.

إن عليها أن تشعر بمسؤوليتها أمام الخطر الداهم الذي يهاجم أمتنا: خطر التبذل والتعرّي، والإباحية الجنسية، وخطر القضاء على الأسرة .. فإن أعداء الله يجندون كل قواهم ووسائلهم للوصول إلى هدم الأسرة بنشر الإلحاد والإباحية في أوساط المسلمين.

إنهم في بلادهم وصلوا إلى الإباحية الجنسية، وزلزلوا مكانة الأسرة، وهم يريدون أن ينقلوا إلينا هذا الوباء المدمر .. لقد أدركوا أنّ الأسرة المسلمة خطر عليهم؛ لأنها تخرج رجالاً ونساء ملتزمين بالدين، وهؤلاء لا يمكن أن يكونوا تابعين لهم ولا خدماً يحققون مصالحهم .. من أجل ذلك فهم يسخرون الفن والمسرحيات، ووسائل الإعلام والفضائيات، والكتب والنشرات والمؤتمرات لهدم الأسرة.

إنّ كلمة قوية محكمة من المرأة في إنكار هذا العدوان أبلغ في الرد من كلمة من الرجل .. لأنها هي الضحية، وهم يدّعون زوراً أنهم يعملون لمصلحتها .. إنها هي المعرضة الأولى للخطر ثم الأسرة فالمجتمع، وعندئذ يكون الدمار.

إنّ مؤتمرات تعقد في إثر مؤتمرات يراد منها تفكيك الأسرة، والقضاء على مؤسسة الزواج، وترك الناس كالبهائم لا يضبط تصرفاتهم الجنسية ضابط، ومن ثم تضيع هوية الأمة، ويُقضى على الفضائل والقيم المثلى، وتسود الفاحشة والرذيلة، ويحارب الدين الذي يعدّونه عقبة يحول دون نشر فسادهم. والذي يهمنا من ذكر هذه المؤتمرات أن نتنبه على الخطر الذي يستهدف أمتنا.

إنّ هذا الخطر لا بُدّ من مواجهته من قبل الرجل والمرأة .. إنه والله خطر محقق يتهدد وجودنا كله.

ألم يأتكم نبأ (مؤتمر لاهاي) الذي عقد في لاهاي من هولاندا في شهر شباط (فبراير) من العام ١٩٩٩م، وقد دعي إليه شباب من بلاد المسلمين وغيرها،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان هؤلاء الشباب تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والثامنة عشرة، وكان الهدف الأول استماع صوت شباب العالم فيما يخصّ وثيقة مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة عام ١٩٩٤م.

وهذه الوثيقة مملوءة بالخزي والتدمير للأخلاق والدين، وقد هاجمها علماء المسلمين في جميع أقطار الأرض، وهاجمتها أيضا جهات غير إسلامية من أتباع الأديان الأخرى. ثم في عام ١٩٩٥م عقد (مؤتمر المرأة) في بكين في الصين، وخرجت من رحاب هذا المؤتمر سبعة آلاف امرأة ومعهم بعض الشباب في صفوف متراصة يطالبون بإقرار الشذوذ والإباحية.

وكان من توصيات مؤتمر لاهاي الأخير تشجيع الفتيان والفتيات على تعاطي الفاحشة واتخاذ الوسائل الواقية من الحمل دون الرجوع الى الأبوين، وعلى تشجيع الإجهاض والإقدام عليه دون استئذان الأبوين، وعلى دعوة الحكومات أن تقرّ هذا الحق وتسهّل إجراءه، ومن توصيات هذا المؤتمر إقرار الشذوذ واعتباره أمراً مسموحا به والاعتراف به قانونياً.

ثم عقد في شهر (آذار) سنة ١٩٩٩م مؤتمر في نيويورك للتصديق على الوثائق والتوصيات، وعقد في الشهر ذاته في نيويورك أيضاً مؤتمر عالمي حول العنف ضد النساء في سبيل تأجيج العداوة بين الرجل والمرأة.[١]

إنّ ذلك عدوان على الفطرة السليمة، والقيم الفاضلة، وعلى حكم الدين.

وإنه انتكاس في سلوك الإنسان ما عرفته البشرية على هذا النحو الفاجر قبل

---

(١) جريدة الشرق الأوسط العدد رقم ٧٣٨٤ بتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٩هـ (١٩٩٩/٢/١٥م)، ومجلة المجتمع العدد رقم ١٣٤٣ بتاريخ ١٤١٩/١٢/٥هـ (١٩٩٩/٣/٢٣م).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذه الأيام.

إنّ هذا العدوان وهذا الانتكاس يبغي أعداء الله ان يتسللوا به إلى بلادنا، وينشروه بين أولادنا، لتدمير أمتنا. إنّ هذه المؤتمرات يراد بها المسلمون، لأن كل هذه التوصيات التي تصدرها محققة في بلاد الغرب، فالإباحية قائمة هناك، والشذوذ معترف به هناك، وإباحة الإجهاض قائمة هناك .. إنهم يريدون تدمير حياتنا بالقضاء على الأسرة كما دمرت حياتهم قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [النساء:٨٩]. يخبرنا ربنا أنهم يودون لو نكون مثلهم، وحذرنا من اتباعهم. نسأل الله سبحانه أن يصون المسلمين من مكرهم، وأن يرد كيدهم في نحورهم.

من الذي يقف أمام هذا العدوان الصارخ إلا الفضلاء والفضليات من المسلمين؟

إننا نريد إيقاف هذا العدوان الذي يستند إلى قوى خارجية، ولا ينفع في هذا المجال التألم والنقد والإنكار فقط، وإن كان كل ذلك مطلوباً .. بل نريد أن يقوم تيار إسلامي تقوده مؤمنات فاضلات، يقوم على منهج وخطة مدروسة وعلى فكر يعيش العصر الحالي واتجاهاته، ويدرك أبعاد القضية المطروحة، ولكي يكون البناء محكماً وقائماً لا بد من إيقاف عمليات الهدم المتمثلة بما ذكرنا ونحوه. ولله در القائل:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
فكيف بناء خلفه ألف هادم ... وإلف وألف ثم ألف وأعظم[1]

(١) "أقوال مأثورة وكلمات جميلة" ١/ ١٤١.

دور الأم في غرس العقيدة الصحيحة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة. فأبواه يهوّدانه وينصّرانه، كما تنتجون البهيمة، هل تجدون فيها من جدعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها» ثم قال أبو هريرة: واقرؤوا إنْ شئتم ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]. وفي رواية: (ويشرّكانه)، وفي رواية: (ويمجسانه).

وفي رواية لمسلم: «... ما من مولود يولد إلا وهو على الملة».(١)

هذا الحديث العظيم أصل مهمّ يبين أهمية الدور الذي يقوم به كل من الأبوين في رعاية عقيدة الأولاد ووظيفتهم التي يجب أن يقوموا بها.

إن كل مولود يولد على الفطرة، لكن الأبوين هما اللذان يشوّهان تلك الفطرة، فهما اللذان يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، أو يجعلانه مشركا، أو يجعلانه ملحداً.

إن كون كلِّ إنسان يولد على الفطرة عونٌ للأبوين على غرس العقيدة الصحيحة فلا يجدان عسراً ولا صعوبة، لأنهما ينمّيان هذه الفطرة، ويحوطانها بالوقاية والحماية من جراثيم الضلال والانحراف.

وما دمنا نتكلم عن دور المرأة في بناء الأمة فهذا الحديث الشريف يقرر حقيقة ملموسة يجب أن تكون منطلقا في العملية التربوية التي يجب أن تقوم بها المرأة.

إنَّ على المرأة أن تدرك أهمية المهمة التي هي مكلفة بها.

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٨- ١٣٥٩- ١٣٨٥- ٤٧٧٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، والترمذي (٢١٣٨)، وأحمد ٢/ ٢٥٣-٢٧٥-٢٨٢-٣٤٦-٣٩٣-٤١٠-٤٨١.

إنَّ الأساس الذي تقوم عليه هوية الأمة هو عقيدتها ونظرتها إلى الحياة والكون والإنسان .. أجل إنَّ العقيدة تمثل الركن الأول والأهم في هوية الإنسان وفي هوية الأمة .. وتأتي بعد ذلك الشريعة والسلوك .. وكذلك التأريخ والتوقيت واللباس وطراز السكن .. إنها جميعًا هي العناصر التي تميز أمة عن أمة.

فإذا أضاعت أمة عقيدتها وتخلت عنها، وتنكرت لشريعتها ونبذتها وراء ظهرها، وخالفت قواعد السلوك المنبثقة عنها، وقلدت أعداءها وتشبهت بهم، وأرّخت بتأريخهم، واستعملت توقيتهم، وقلدتهم في ملابسهم وفي طراز سكناهم، فإنها تكون قد حكمت على نفسها بالفناء. يقول ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم».(١)

يجب على الأبوين أن يعطيا هذا الموضوع حقه من الاهتمام والرعاية.

إنَّ الإيمان بالله تعالى وبصفاته العلا من الوحدانية، والقدرة، والرحمة، والعدالة، والرزق، والإحياء، والإماتة، والعظمة، والحكمة، وأنه سريع الحساب، وأنه عزيز ذو انتقام، .. إنَّ الإيمان بذلك يأتي في أوليات العقيدة.

وإنَّ الإيمان باليوم الآخر .. وسائر أركان الإيمان المعروفة من العقيدة التي يجب أن يؤمن بها كل مسلم، والتي يجب أن نربي عليها أولادنا ومن يكون تحت أيدينا. وقد جاء حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي نقل إلينا الحوار الذي جرى بين جبريل عليه السلام وبين النبي ﷺ إذ قال جبريل: أخبرني عن الإيمان. قال ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره».(٢)

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١) وهو حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١)، وأحمد ٨/ ٢٧، وغيرهم.

يجب أن تلقن الأمُّ الطفلَ في أول مراحل وعيه وإدراكه ذلك كلَّه .. ويجب أن تلقيه عليه باللغة التي يفهما الطفل، وتلح على هذه الأمور مرات ومرات، وتوضحهما بما تستطيع من توضيح.

وكذلك فإنّ عليها أنْ تشرح له معنى الأذكار التي يسمعها مثل (الله أكبر) و(الحمد الله) و(لا إله إلا الله محمد رسول الله) وأمثال ذلك.

ونحمد الله تعالى أنَّ العقيدة الإسلامية ميسورة الفهم، تتجاوب مع الفطرة وتتماشى معها، ويقبلها العقل. والمهم أن تقوم الأمّ بهذه المهمة، وينبغي أن يكون بينها وبين الأب تعاون في ذلك، فكل منهما يكمل الآخر.

وعلى المرأة أن تبلّغ هذه العقيدة أيضاً كلَّ من تلقاه من النساء مهما كانت أعمارهنّ وأوضاعهنّ ومستوياتهنّ، ولتذكر قول سيدنا رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».(١)

إننا بحاجة ماسة إلى أن نجد عدداً من الداعيات إلى الله يقمن بمهمة التبليغ، والوسائلُ اليوم ميّسرة عن طريق الصحف والنشر والهاتف والبريد والانترنت، والكلمة الطيبة، ولتغتنم الزيارات والمناسبات.

وعلى كلّ امرأة مثقفة أن تزداد علماً بالإسلام، وأن تخصص وقتاً يومياً تلتزم فيه بالقراءة المنهجية الهادفة، وعليها أن تحضر مجالس العلم.

وعليها أن تعنى بالعقيدة عناية خاصة حتى تتضح معالمها في ذهنها وتستوعب قضاياها .. إنها إذا بلغت ذلك كانت أقدر على نقل قضايا العقيدة إلى الأخريات بشكل مؤثر وواضح.

ودراسة العقيدة في كتب السنة أفضل؛ لأنّ قراءتها في تلك الكتب تربط

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).

العقيدة بالحياة، فلا تبقى قضايا العقيدة أموراً مجردة قائمة في الذهن .. بل تكون موصولة بالحياة.

ولننظر إلى هذا الحديث الصحيح الجميل:

«الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة: أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».(١)

وقد قام الإمام البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ رحمه الله بتأليف كتاب قيم في شرح هذا الحديث وهو "الجامع لشعب الإيمان" وقد طبع في عشرين مجلداً. وسبقه إلى هذا الموضوع بالتأليف آخرون.

والناظر لعناوين أبواب الإيمان في كتب السنة التي عقدت للإيمان أبواباً يرى هذا المعنى واضحاً كل الوضوح.

* * *

(١) رواه مسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والنسائي (٥٠٠٥).

على المرأة تثقيف نفسها وأن تلم بما حولها

إنَّ دور المرأة في غرس العقيدة فيمن حولها من أولادٍ وقريباتٍ وجاراتٍ وزميلاتٍ وصديقاتٍ دورٌ كبير، وكذلك تصحيح هذه العقيدة والدفاع عنها، وهذا هو العنصر الرئيسي في بناء الأمّـة.

ومن الطبيعي أنَّ أداء هذه المهمة العظيمة يقتضي أنْ تكون المرأة ملمّة بأصول العقيدة، فعلى كلّ من وقف على أمر أساسي في العقيدة أن يبلّغه من يحيط به أو يتصل به. وقد أشرنا إلى أنّ العقيدة الإسلامية ميسورة الفهم يستطيع أنْ يدركها بسهولة الصغير والكبير، والمثقف والأمي.

وقلنا: إنّ دراسة أمور العقيدة في كتب السنة يربط العقيدة بالحياة، ذلكم لأن المشكلة التي يعاني منها المجتمع المعاصر هي الفصام والانقطاع بين مفردات العقيدة وبين حياة الناس وسلوكهم.

إنَّ الإيمان مرتبط بالعمل، وإننا لنقرأ في كتاب الله تعالى اقتران الإيمان بالعمل، وتكرر هذا في الكتاب الكريم في أكثر من سبعين آية.

والإيمان له بضع وسبعون شعبة من نحو الحياء وإماطة الأذى عن الطريق .. كما جاء في الحديث الصحيح.[1]

إنَّ اتخاذ المرء عقيدة صحيحة يرفعه إلى مستوى كريم جدير بمن يكون إنساناً كريماً .. وإنسان بلا عقيدة إنسان تافه، إذ يكون قد رضي لنفسه أن يكون بمنزلة البهيمة التي لا تعقل، بل يكون أضل منها؛ لأنه عطّل العقل الذي وهبه الله إياه، وعطّل سمعه وبصره اللذين بهما يتعلم الإنسان ويزداد معرفة وهداية.

---

(١) رواه مسلم (٣٥) بلفظ (بضع وسبعون شعبة)، وأبو داود (٤٦٧٦)، وغيرهما. ورواه البخاري (٩) بلفظ (بضع وستون شعبة). قلت: وانظر "السلسلة الصحيحة" للألباني ٤/ برقم: ١٧٦٩.

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

إنّ كل شيء في هذا الوجود يدل على الخالق وعلى صفاته الكريمة.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

بل لو تأمل الإنسان في ذاته وأعضائه وأجهزته لتبين له إحكام خلق الله قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١]. وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

إنّ على الأخت الفاضلة التي تريد أن تسهم في بناء أمتها .. إنّ عليها عندما تريد تقرير العقيدة السليمة أن تكون على معرفة تامة بالعصر الذي نعيش فيه .. هذا العصر الذي تقوم فيه حضارة مادية ضخمة متنكرة للدين أي دين، معادية للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .. عاملة على تشويهها وهدمها .. وهي الحضارة الغربية .. وهذا الواقع خطير لأنه يمكن أن يسوق الإنسانية إلى الدمار.

يقول أحد المفكرين: [خط الحياة الحالي يمضي يوماً بعد يوم في تدمير خصائص الإنسان وتحويله إلى آلة من ناحية، وإلى حيوان من ناحية أخرى .. وإذا كان هذا الخط لم يصل إلى نهايته بعد؛ وإذا كانت آثار هذه النهاية لم تتضح اتضاحاً كاملاً .. فالذي ظهر منها حتى اليوم في الأمم التي وصلت إلى قمة الحضارة المادية، يشي بتناقص الخصائص الإنسانية وضمورها وتراجعها. بقدر ما يشي بنمو الخصائص الآلية والحيوانية فيها وتضخمها وبروزها .. وهذا يكفي لتقرير أنّ خط الحياة الحالي يمضي يوماً بعد يوم في تدمير خصائص الإنسان، ولتقرير أن الحياة الإنسانية لا يمكن -إذن- أن تمضي مع هذا الخط إلى نهايته .. ما لم يكن مقرراً تدميرها نهائياً .. والأمل في رحمة الله يمنع من

توقع هذا المصير البائس].

ويقول: [وحين نتلفت من حولنا في الماضي والحاضر .. لا نجد الحلّ المقترح لتجنيب البشرية ذلك الدمار، وللخروج بها من هذه الأزمة الحادة، وللاحتفاظ بالإنسان عن طريق الاحتفاظ بخصائصه الإنسانية – احتفاظاً نامياً متجدداً – إلا في العقيدة الإسلامية والمنهج الإسلامي والحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامي].

يجب أن يعلم الداعي والداعية أنه لا خلاص من هذا الخطر إلا بالرجوع إلى الله .. ومن هنا يتبين الدور الذي ينبغي أن يقوم به الرجل والمرأة في البناء.

إنّ الانهيار الخلقي .. والأزمة الروحية .. وسيطرة النزعة المادية .. والاستغراق في تتبع اللذائذ من أي طريق كان .. إنّ ذلك كله عدوان على فطرة الإنسان ومحاولة لمسخها وتدميرها .. وهنا تبدو المهمة الكبرى لمن يتصدى للإصلاح والبناء.

هذا من ناحية. وهناك هجوم شرس على الإسلام الذي يبدو أنه هو المنقذ الوحيد، وقد قامت بهذا الهجوم كلٌ من الصليبية العالمية واليهودية وبذلتا جهوداً جبارة في تشويه صورة هذا الدين .. ثم عملتا على حصره في دائرة الاعتقاد الوجداني والشعائر التعبدية، ومنعه من التدخّل في نظام الحياة والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية، ومنعه من السيطرة الكاملة على كل نشاط واقعي في الحياة.

وقالوا بخبث ومكر: لا ضير في أن يكون المسلم موحداً بلسانه وضميره، مؤدياً للصلوات والنوافل كاملة .. فهذا لا مانع منه .. أما في الجوانب الأخرى فينبغي أن يخضع لأنظمة جديدة تمليها المعاصرة، وأن يكون التحاكم إلى القوانين الأجنبية وبذلك تتعطل أحكام الشريعة، فتباح المحرمات، وتنطلق

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشهوات.

يقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٤٩]. وأنكر سبحانه على بني إسرائيل أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض فقال: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

ثم تلت هذه الخطوات خطوات .. وقد حذرنا ربنا في أكثر من آية فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

هـذا أمرٌ مهم أن تكون الأخت المسلمة وهي تبلغ العقيدة على علم بالواقع وبخطط الأعداء.

* * *

عناية الداعيات المثقفات بغيرهن من بنات الأمـة وإعدادهن ليكن داعيات بدورهن.

ولتقوم المرأة بتبليغ العقيدة هذه المهمة العظيمة على الوجه الأمثل ينبغي أن تقوم المؤسسات المتعددة من بيت ومدرسة وإذاعة وصحافة وتلفاز بإعدادها الإعداد العلمي والسلوكي.

لقد كان المجتمع في الماضي يسمح بأن يصل صوت الإسلام ومبادئه وأحكامه إلى المرأة؛ ذلك لأنّ المجتمع يومذاك في أصقاع العالم الإسلامي كلّه كان قائمًا على الشريعة الإسلامية في شتّى جوانب الحياة، ولأنّ الشخصية المسلمة كانت ما تزال متماسكة وقوية ومتميزة، ولأن الثقافة الإسلامية من فقه وتوحيد وتفسير وحديث وأخلاق كانت الإطار الثقافي الوحيد الذي تقع ضمنه عقول الناس جميعًا من عامة ومثقفين، وكان تأثّر المرأة متحققًا عن طريق البيت الإسلامي وعن طريق الكتاتيب التي كانت هي المدارس وعن طريق الرجل أبًا كان أو زوجًا، وكان هذا التأثر عظيمًا جداً.

ومن ثم لم يشعر الدعاة وأهل العلم بالحاجة الماسّة إلى أن يولوا موضوع إعداد المرأة الإعداد الذي يمكنها من القيام بهذه المهمة .. إلى أن يولوا هذا الموضوع الأهمية البالغة التي نشعر بضرورتها اليوم.

وجاء هذا العصر الحاضر فكان فيه أمران خطيران هما:

تسميم مناهج التعليم، وتضليل أدوات التوجيه في كثير من بلاد المسلمين

- أما مناهج التعليم فقد وضعت في معظم بلاد المسلمين في القرن الماضي من قبل أعداء الأمة ودينها .. وضعت ليتخرج بها الذكور والإناث على حد سواء، فأصبحت المرأة معرّضة إلى مخاطر الشك والزيغ والعياذ بالله تعالى.
- وأما أدوات التوجيه في كثير من بلاد المسلمين .. هذه الأدوات التي استطاعت

التقنية الحديثة أن توصل تأثيرها إلى كل بيت، وتنفذ بها إلى كل وسط، فقد كانت في معظمها معاول تهدم صرح الخلق الإسلامي النظيف، وتزلزل أركان العرف الإسلامي القويم، ولاسيما بعد أن غزتنا هذه الفضائيات.

* * *

إنّ مناهج التعليم وأدوات الإعلام أوجدت قطاعاً من أبناء المسلمين وبناتهم في الكثير من البلاد يجهلون كثيراً من أسس العقيدة الإسلامية الصحيحة ومن أحكام الدين، ودخلت عليهم شبه عديدة.

ينبغي أن نعترف بالواقع وأن نواجهه بالإصلاح، إنّ التهرب من الحقيقة لا يصنع شيئاً.

وقد كان للعلماء العاملين، والدعاة المخلصين فضل في معالجة هذا الواقع الأليم بالنسبة إلى الذكور، ولكن المرأة كانت بمعزل عن هذه العناية لأسباب عدة لا مجال لتعدادها.

وبذلك فقد حُرمت المرأة في بعض بلاد المسلمين من سماع صوت الإسلام الذي كان المجتمع في الماضي متكفلاً بإيصاله إليها؛ لأن المجتمع قد تغيّر، وخضعت المرأة في الوقت نفسه لمؤثرات طاغية من التضليل والإغواء.

ولم يصب المرأة ما أصاب الرجل – كما قلنا – من اهتمام أهل العلم، فلم تكن تحضر المحاضرات، ولم تكن تدرس في الكليات الدينية، لأنه لم يكن ذلك مسموحا به .. بينما نجد الرجل يحضر دروس العلم والمحاضرات، ويدرس في الكليات الدينية و .. و ..

أفليس من المؤسف أن يبقى نصف المجتمع بعيداً عن سماع صوت الحق، ويبقى حقلاً خصباً لأعداء الإسلام، لا يجدون فيه منافسا.

إنّ المرأة بالنسبة لكل مسلم أم أو أخت أو بنت أو زوجة .. أوليس من

الواجب أن تحظى أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا وزوجاتنا بالعناية فيما يعود عليهن وعلى أسرهن وأمتهن بالخير والسعادة في الدنيا والاخرة؟

ونحن نرى أنّ المرأة أصبحت ذات تأثير على المجتمع من جوانب متعددة فهي أمٌ تخرّج الأجيال، وهي زوج تؤثّر على الرجال، وهي عملياً تشغل كثيراً من المناصب والوظائف في التعليم والطب ونحو ذلك.

فهل يجوز أن نسقط من حسابنا كل هذه الطاقات نحن معشر المسلمين؟

إنّ الشاب المسلم المتدين كان يعاني في كثير من الأحيان أزمة مستحكمة عندما كان لا يجد الزوجة التي تكون له عوناً على المصاعب التي يلاقيها الرجال، تذكره إن نسي وتشد من عضده إن ذكر، وتكون له عونا على سلوك الطريق المستقيم مهما لقي فيه من العقبات.

وكم سمعنا من مآسي كثير من الشباب المؤمنين بسبب الزواج .. مآسٍ تجعلهم في شقاء دائم عندما لا يجد أحدهم شريكة الحياة التي تشاركه في منطلقاته الفكرية ولا تعاونه على الخير.

إنّ كل ما تقدّم يوضح الحاجة الملّحة إلى العناية بالمرأة .. وعلى العاملين في الدعوة الإسلامية أن يفكروا في الوسائل العملية إلى هذه العناية. وعليهم أن يفيدوا من ثمرات التقنية الحديثة.

وهنا تأتي مهمّة الأخوات الصالحات القادرات على الكتابة والمحاضرة والخطابة .. إنّ عليهنّ أن ينشطن في هذا المجال، ويعدّدن الوسائل الكافية لإعداد الداعيات بكل الأساليب الممكنة .. وأن يشعرن بالمسؤولية الضخمة..

إنَّ عليهن أن يرجعن الى العلماء يسترشدن بارائهم .. وإننا لنحمد الله سبحانه أنّ كثيراً من البشائر قد أضحت حقائق واقعة، فقد قامت صحافة نسائية

ملتزمة بالإسلام .. وأنشئت الإذاعات للقران الكريم وفق الله المسؤولين فيها الى المزيد من الخير..

وكذلك فقد أصبح الهاتف وسيلة جيّدة لمعرفة حكم الله، وذلك عن طريق الاتصال بالعلماء وسؤالهم.

إنّ ذلك كله موجود في بعض البلاد الإسلامية، ولكننا نريد أن يكون هذا عاماً في بلاد المسلمين كلها، وأن يكون ذلك صادراً عن خطة متكاملة.

* * *

إنّ على المرأة الداعية – وهي تبلغ دين الله – أن تكون عارفةً عصرها، واعيةً لواقع المسلمين الذي فيه الجهل بالدين، والبعد عن الالتزام بأحكام الشريعة، في كثير من البلاد، مدركةً لكيد الكفار وفتكهم بأخلاقنا وقيمنا وفق مخططات مدروسة. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وأول ما تهتم بتبليغه العقيدة .. ومن فضل الله علينا وعلى الناس أن حفظ علينا عقيدة التوحيد كما أنزلها سبحانه.

إنّ عقيدة التوحيد الخالص هي الأساس الذي يقوم عليه بناء الأمة الفكري والتعبدي، وعقيدة التوحيد عقيدة عظيمة تميّز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات؛ ذلك لأنه لا توجد هذه العقيدة في أمة من أمم الأرض إلا عند المسلمين.

ولنتبين فضل الله علينا بعقيدة التوحيد ينبغي أن نتذكر أن هناك مجتمعات تقوم على عبادة الأوثان أو البقر .. أو النجوم .. أو ما الى ذلك.

وهناك مجتمعات تقوم على القومية والعنصرية، وهذه العقيدة مجافية للحق والواقع، وتحرم من يؤمن بها الخير والنبوغ الذي يكون عند غيرها. إنّ الخير

والموهبة موزعة بين الناس، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، العقيدة العنصرية سبب الحروب والنزاع والنكبات التي عمّت الدنيا. وما نبأ الحرب العالمية الثانية عنا ببعيد.

وهناك مجتمعات تقوم على عقيدة الوطنية وتقديس التراب، وهذه في سقوطها مثل ما سبقها. فالأرض كلها أرض الله، ورضي الله عن سلمان الذي كتب إلى أبي الدرداء ﷺ: (إن الأرض لا تقدّس أحداً، وإنما يقدّس المرءَ عمله) كتب له ذلك عندما دعاه لسكنى الأرض المقدسة في الشام.

وهناك مجتمعات تقوم على المصلحة الاقتصادية، وهذا يؤدي أيضاً إلى النزاع وإلى الحرب الباردة بين المتنافسين، وإلى قيام الأزمات الاقتصادية في العالم، إذ تعمد بعض القوى الاقتصادية إلى القيام بعمليات تهز اقتصاد الآخرين، كما حصل من مدة قريبة في البلاد التي في جنوب شرقي آسيا.

وهناك مجتمعات تقوم على الاشتراكية والشيوعية وهما يشربان من مورد واحد وهو النزعة المادية التي تنكر وجود الله، وهذه العقيدة تقوم على الحقد على شريحة من أبناء الأمة، وهي تسلخ الفرد من الإيمان وتجعله كالدابة في القطيع.

وهناك أنظمة تقوم على تقديس الفرد والخضوع له. ومَنْ يُؤمنُ بها يرضى لنفسه بالذل، وبالعبودية والمهانة، ويتنازل عن حريته وكرامته، وهذا سقوط بالإنسان وأي سقوط، وانحدار إلى مستوى الحيوان، والله تبارك وتعالى قد كرّم بني آدم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ولم يرضَ رسول الله ﷺ أن يُسجد له وقال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لزوجها».[١]

قال محمد محمود الزبيدي (ت: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م):

سأمضي عنيداً فلا أنثني ... وأحيا كريماً فلا أنحني
وأرفع نحو السما جبهتي ... كما ارتفعت جبهة المؤمنِ

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

إنّ عقيدة التوحيد تحرر الانسان من كل عبودية لغير الله .. فمسكينٌ حقاً من يرضى أن يكون عبداً لبشر مثله ابتغاء منفعة كبيرة أو حقيرة .. إنها فتنة نعوذ بالله منها .. إنها تنتهي بصاحبها إلى النار. قال ﷺ: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا».[٢]

إنَّ عقيدة التوحيد تقيم مجتمعاً فاضلاً متعاوناً على البر والتقوى، تسود فيه العدالة والأخوة والحب والإحسان والكرامة والتحرر من قيود الذل والشهوة.

أما العقائد الأخرى الباطلة فقد كانت سبباً في ظلم الإنسان للإنسان، وكانت تهدد الأمن، وتزهق الأرواح، وتدمر المدنية، وتهلك الحرث والنسل، وتؤصّل الفساد في الناس ومعاملة بعضهم لبعض.

ودراسة حياة الناس قبل الإسلام في مختلف بقاع الأرض تنبئ عن مدى

---

(١) رواه الترمذي (٣٠١٣).

(٢) رواه مسلم (١١٨)، والترمذي (٢١٩٥)، وأحمد ٢/ ٢٠٣- ٣٧٢- ٥٢٣.

الشقاء الذي كانوا يعانونه بسبب تلك العقائد، سواء في ذلك العرب في جزيرتهم أو الروم في مملكتهم، أو الفرس في بلادهم أو الهنود في ديارهم. وقد بسط حال هؤلاء جميعاً قبل الإسلام الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه القيم: "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" وكذلك فان دراسة حياة الناس المعاصرين لنا في ظل أنظمة الكفر المعاصرة تنبئ عن الشقاء الذي يعاني منه الناس، من القلق المدمر، ومن الامراض النفسية والجسمية، ومن التعرض إلى التعذيب والإبادة في بعض البقاع.

إنّ الموازنة بين هذه الحياة البائسة التي يصلى نارها الناس في الماضي والحاضر، وبين تلك الحياة الفاضلة السعيدة التي كان ينعم بخيراتها الناس في المجتمع الإسلامي، بعد أن كرم الله الإنسانية بالإسلام، وأقام الملمون حياتهم على عقيدته ومبادئه .. إنّ هذه الموازنة لتبين فضل هذه العقيدة العظيمة.

وأخاطب الأخوات فأقول:

ليكن نشاطكنَّ كبيراً في إيصال هذه العقيدة إلى أكبر عدد ممن حولكنّ من نساء قريبات وأجنبيات لتسعدنهن في الدنيا وتحققن لهنّ الفوز بالجنة في الآخرة.

إنها عقيدة يقبلها العقل ويستريح إليها، وتتجاوب معها الفطرة، وتسعد بها النفس، وتستمتع بسببها بالأمن والطمأنينة، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فله الحمد والمنّة لا نحصي ثناء عليه، تبارك وتعالى.

وهذه العقيدة موجهة إلى الناس كلهم يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ويقول عزّ من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] .. بل هي موجهةٌ إلى الإنس والجن .. تنادي المكلفين جميعاً أن يقبلوا على الحقّ، ويتأملوا آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق، وأن ينظروا في ملكوت السموات

والأرض وما خلق من مخلوقات برية وبحرية.

واعلمي أيتها الأخت الفاضلة أنك إن قمت بهذه المهمة واستجاب لك عدد ولو واحدة أحرزت ثواباً عظيماً. يقول ﷺ لعلي رضي الله عنه: «فوالله لأنْ يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».[1]

* * *

(١) رواه البخاري (٣٧٠٢- ٤٢١١)، ومسلم (٢٤٠٦).

المرأة عامل أساسي من عوامل الإصلاح

إنّ مجتمعاتنا بحاجة إلى إصلاح، ولا بُدّ أن تتعاون القوى مجتمعة على عملية الإصلاح هذه .. فلا الدولة وحدها .. ولا الفرد وحده .. ولا الرجل وحده .. ولا المرأة وحدها .. ولا البيت وحده .. ولا المدرسة وحدها .. ولا النظام الرسمي للدولة وحده .. ليس واحد من هؤلاء بمفرده يستطيع أن يحقق الإصلاح المنشود أو البناء.

بل لا بُدّ أن تتعاون هذه المؤسسات والأفراد جميعهم على إقامة أسس الإصلاح ورعايته حتى يؤتي أكله.

والمرأة عاملٌ أساسي من عوامل الإصلاح، عادية كانت أو مثقفة، ومن الطبيعي أن المسؤولية تعظم بقدر الإمكانيات والمواهب والطاقات.

إنّ المرأة الفاضلة المتدينة - ولو لم يتح لها أن تتلقى نصيباً من الثقافة - تستطيع أن تعمل الكثير بالتعاون مع الرجل، إن هي شعرت بمسؤوليتها .. وكثير من رجالات المسلمين اليوم بَنَتْ شخصياتهم أمهات فضليات مستواهن الثقافي محدود.

الأمر جدٌّ لا هزل فيه، ونحن في سباق مع الزمن، ومع الاتجاهات الهدامة التي أضحت تطلّ علينا من نوافذ متعددة، ولم نعدْ نستطيع أن نبقي بمنجاة من تأثيرها.

إنَّ الحدث الذي يقع في بقعة ما من هذا العالم الفسيح يعمُّ خبره الدنيا كلها بعد ثوانٍ من وقوعه، ولم يعدْ بالإمكان فرض العزلة عن العالم الذي نعيش فيه، ولا أن ننحي عن أذهان أبنائنا وبناتنا ما يقوم فيه من أفكار، ولذا فلا بد من أن نحقق الحصانة من تلك الأفكار.

إنَّ علينا أن نتقدم رجالاً ونساء بحمل المسؤولية بكل جرأة وتصميم، وأن

نقدم لأبنائنا وبناتنا أولاً، ثم إلى الدنيا كلها هذا الإسلام العظيم ليكون الأساس الذي تُبْنَى عليه حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية.

إن المسؤولية أمام الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. إنّ علينا أن نواجه الواقع الذي يحتاج إلى إصلاح بالمستوى المطلوب، وأن نكون مندفعين في تلك المواجهة كاندفاعنا في علاج مرض خطير أصاب واحداً منا أو من أولادنا.

يجب أن يكون سعينا للمحافظة على سلامة العقيدة وحمايتها همّنا الأول لا يفارقنا التفكير في الوسائل الناجعة المفيدة لتحقيق الغرض المطلوب لحظة واحدة، وبمقدار ما نخلص في هذا السعي يتحقق كثير مما نريد.

إنّ الإخلاص أمر مهمّ جداً في محاولة الإصلاح وعملية البناء .. يجب ألا يكون في عملنا حظّ لأنفسنا أبداً .. لا من الناحية المادية ولا من الناحية المعنوية.

يجب أن نبذل ونصبر، وأن نعمل ونستشير .. لابُدّ من تحقق هذه الأمور: الإخلاص والعمل والبذل والصبر .. إن نجاح من نجح من دعاة الإصلاح كان يرجع إلى إخلاصهم في عملهم وابتغائهم ما عند الله..

إن شعورنا بمسؤوليتنا أمام الله يحملنا على مضاعفة الجهد والبعد عن التقصير .. إن اللامبالاة التي نجدها عند نفر من الناس الطيبين سبب من أسباب التخلف. عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

يا أيها النَّاس. إنكم لتقرؤون هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ النّاس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» وفي رواية: «إنّ الناس إذا رأوا المنكر ولا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يغيرونه أوشك الله أن يعمهم بعقابه».[١]

ما أعظم فقه الخليفة الأول الصديق رضي الله عنه وأرضاه، ويبدو أنه سمع ناساً يقرؤون الآية ويسوّغون لأنفسهم ترك الدعوة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس لهم في الآية حجة إذا كان فعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممكنا .. بل إنهم مهددون بعقاب يعمهم إن هم لم يفعلوا ذلك. والآية تأمر المؤمنين أن يصلحوا أنفسهم، ويفعلوا الخير بجهدهم وطاقتهم، ويعملوا الأعمال التي ترضي الله ثم بعد ذلك لا يضرهم انحراف المنحرفين.

عن أبي أميه الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له:

- كيف تصنع في هذه الآية؟

- فقال: أية آية؟

- قلت: قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾.

- فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى اذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم».

وفي رواية : قيل: يا رسول الله. أجر خمسين رجلاً منهم أو منا؟

قال: «بل أجر خمسين منكم».[٢]

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨- ٣٠٥٧)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وأحمد ١/ ٥.

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وانظر "أحاديث القصاص" بتحقيقنا.

وقال سعيد بن المسيب: (إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، فلا يضرك من ضلّ إذا اهتديت).[١]

أرسل أحد الخلفاء كتابا إلى عالم كبير يسأله فيه عن سبب التخلف والخلل الطارئ على شؤون الناس وأمور الدولة.

فأخذ العالم هذا الكتاب وكتب تحته: (الجواب: مالي ولهذا الأمر) ووقع باسمه.

فغضب الخليفة أشدّ الغضب، واغتاظ أعظم الغيظ، فطلبه للمثول بين يديه في الحال، فحضر وأخذ الخليفة يعاتبه مرّ العتاب ويقول له: أنت إمام من أئمة المسلمين وأنا أسأل عن سبب التخلف الواقع في الأمة فتتهرب من الجواب وتقول: وانا مالي ولهذا الامر. ولا تجيب.

قال العالم: لا يا سيدي .. بل أجبت على سؤالكم أدق إجابة .. إنّ السبب في التخلف والخلل هو هذه الكلمة التي أضحت واقعاً عند كثير من الناس .. لا يفكر المرء إلا بنفسه وذاته ومصالحه ويقول: مالي وللآخرين.

إن هذا يدعو إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويمكّن للفساد أن ينمو، قد عظمت البلية وعمت المصيبة لانصراف كل إنسان إلى منافعه الشخصية دون مراعاة المنفعة العامة.

فسر الخليفة بهذا الجواب[٢]. وهذا هو الحق.

* * *

(١) "تفسير ابن كثير" الآية ١٠٥ من سورة المائدة.

(٢) "المقالات" للكوثري ص ٥١٩.

يجب أن تكون حياة الأمة مبنية على القرآن

إنَّ من نعم الله على الأمّة، أنْ قلّت فيها الأمّية حتى كادت أن تنمحي .. فأصبح الرجال والنساء يقرؤون ويكتبون، ومن شكر هذه النعمة أن تُستعمل فيما يرضي الله، فلا ينبغي أن يقرأ أحد شيئًا إلا إذا كانت هذه القراءة تعود عليه بالنفع المادي أو المعنوي. ذلك أن العمر أثمن من أن نضيعه بالتافه من القراءات **فضلاً** عن تضييعه بالضار منها .. سواء كان هذا الضرر في الجسم أو الدين أو المال أو الخلق.

فعلى الأخت الفاضلة التي تريد أن تتصدى لعملية البناء في الأمة أن تزيد صلتها بكتاب الله الكريم، فكتاب الله هو الهدى والنور، وهو الحبل المتين، من تمسّك به أفلح وهُدي إلى صراط مستقيم، وحيزت له السعادة الدنيوية والأخروية. ومن أعرض عنه فإنّ له معيشة ضنكا، ويُحشر يوم القيامة أعمى. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

إنَّ التلاوة اليومية للقرآن أمر مهم في حياة المسلم والمسلمة، وهو أكثر أهمية في حياة الدعاة والداعيات، وينبغي أن تكون التلاوة مقرونة بالتدبر وحضور القلب، لأن الله تبارك وتعالى أنزل هذا الكتاب للناس فلابدَّ من فهمه وتدبره للعمل به. قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد قرر رسول الله ﷺ الخيرية لمن يتعلم هذا القرآن ويعلمه الناس.

فعن عثمان رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «خيركم من تعلم القران

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعلمه».[١]

وهذه الخيرية متحققة في دنيا الواقع الملموس؛ لأنّ هذا الكتاب شمل كل صنوف الخير، وجاء بالعلاج الناجع لأمراض الإنسانية المادية والمعنوية. فمن تعلمه وعلمه وعمل به حاز صنوف الخير ووجد فيه طُلبته من السعادة التامة.

والقراءة نافعة بكل أنواعها سواء تدبر معانيها أم لا، فإنه لا يُحرم من الأجر إن شاء الله، ولكن أفضل هذه الأنواع القراءة المقرونة بالتدبر الذي هو الخطوة الأولى للفهم والعمل.

وبالقراءة الواعية والمدارسة لآيات القرآن تتنزل السكينة والرحمة كما جاء.

- عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».[٢]

وفي هذا الحديث إشارة إلى فائدة الاجتماع على تلاوة كتاب الله، لأن في ذلك تعاونًا على الخير، فالمرء قد يكسل لو بقي وحده، وقد يداهمه النوم أو الانشغال .. أما عندما يكون في جماعة فإنه يضمن الاستمرار على التلاوة. هذا وقد يجد المرء عند أخيه من الرأي عند المدارسة ما لا يخطر له ببال.

إنّ علينا أن نربط حياة الناس بالقرآن، ونيسر لهم سبل فهمه، في زحمة الصوارف والشهوات التي تباعد بين الناس وبين القرآن، وننصح بالإفادة من إذاعة القران الكريم ففيها خيرٌ كثير، وباستعمال المسجلات التي تيسر سبل سماع القرآن وتلاوته وتدبره، والقرآن ميّسر الفهم قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا

---

(١) رواه البخاري (٥٠٢٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٨)، وابن ماجه (٢١٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

إنَّ القراءة الواعية وإدراك أن هذا الكتاب الكريم إنما جاء ليحكم حياة الناس الدينية والدنيوية مطلب مهم جداً في ربط حياة الناس بهذا الكتاب.

وإنَّ تصحيح النظرة إليه عند كثير من الناس الذين حصروا مهمة القرآن في أنه يقرأ على الموتى وفي المناسبات أمر مطلوب من الدعاة والداعيات أن ينبهوا إليه.

ومما يساعد على التدبر القراءة في المصاحف التي أثبت على هوامشها تفسير للآيات، فعلى القارئ والقارئة أن يتوقف عند الآيات التي استغلق عليه فهم معناها، ويقرأ ما جاء في تفسيرها، فإن قرأ وفهم، فليحمد الله، وإنه سيشعر بلذة للقراءة كبيرة، وإن قرأ التفسير ولم يصل إلى الفهم فليسأل العلماء عن طريق الهاتف، ولا يؤجل محاولة الفهم لوقت آخر، لأن التسويف سيحرمه من الخير والعلم، وسينسى الموضع الذي كان بحاجة إلى فهمه.

وينبغي أن يعقب الفهمَ العملُ ثم نشر العلم الذي وقف عليه. يقول رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».(١)

والقرآن نور للمسلم في الدنيا يبصره بالطريق المستقيم الذي يضمن له السعادة، ويبيّن له جوانب العقيدة وأحكام الشريعة. وذخر له في السماء بما حصل من الأجر في تلاوته وتعلمه وتعليمه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله. أوصني. قال: «عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء».(٢)

وننصح إخواننا وأخواتنا الذين يعملون أعمالاً يدوية تمكنهم من السماع ولا

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).

(٢) رواه ابن حبان ٢/ ٧٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعوق عملهم أن يسمعوا قراءة القرآن من إذاعة أو مسجلة تكون قريباً منهم، وأن يتابعوا القارئ في قراءته بقدر ما يستطيعون لأن للسامع أجرا. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنةٌ مضاعفة، ومَنْ تلاها كانت له نوراً يوم القيامة».(١)

والذي يداوم على القراءة والسماع يكسب الأجر وتكون آيات القرآن معروفة عنده، ويسهل عليه الحفظ لو أراد أن يحفظ، وتصبح معانيها التي استطاع أن يتوصل إليها حاضرة في ذهنه.

إنّ أول خطوة في بناء الأمة المسلمة أن تبني حياتها على هذا الكتاب الكريم.

إنّ من الأسس التي ينبغي أن تعتمد عليها أخواتنا وبناتنا الداعيات في بناء الأمة: دعوة الناس إلى كتاب الله الكريم علماً وعملاً، وحكماً واحتكاماً.

وذكرنا أن هذا يقتضي الإلمامَ بفهم هذا الكتاب واستيعابَ منهجه في تثبيت العقيدة والأحكام والأخلاق. ويقتضي ان تعمل الداعيات بمقتضاه. وهذه خطوة مهمة في بناء الأمة.

أجل أيها الأخوات لا تستطعن أن تحققن بغيتكن في أن يتحقق الإصلاح المنشود ما لم يتمثل الإسلام العظيم في واقع .. في مجتمع .. في أمة.

فالناس لا يستمعون - ولاسيما في هذا الزمان - إلى عقيدة مجرّدة لا يرون مصداقها الواقعي في حياة مشهودة.

إننا نتطلع من المرأة المسلمة الداعية أن تعمل على إيجاد الواقع الإسلامي الفاضل في نفسها وفيمن حولها، وأن تعمل على إقناع الآخرين بضرورة استئناف الحياة الفاضلة التي كانت قائمة في العهد الأول أيام الصحابة.

---

(١) رواه أحمد ٢/ ٣٤٠.

وأنا أعلم أنّ هذا مطلب ليس بالسهل .. ولكنّه ممكن .. لأنّ عنصر الرغبة في الخير أصيل في النفس البشرية .. فالفطرة الإنسانية فطرة خيرة .. لو استطعنا أن ننقيها من الشوائب .. وأن نخلصها مما ران عليها وعطّل وظائفها، وأن ننقذها من التشويه الذي دخل عليها بسبب شياطين الإنس والجن وكان سلاحهم الشهوات. لو استطعنا ذلك لاقتربنا من هدفنا المنشود، ومما يجعل هذا المطلب ممكنًا ما تعاني منه الإنسانية من المتاعب والمظالم والمآسي .. وقد أثبتت التجربة إخفاق الأنظمة البشرية في تحقيق السعادة للإنسان .. ولن ينقذ الإنسانية من هذا كله إلا الإسلام.

ولا بُدّ من أن تستحضرن - وأنتن تعملن على بناء الأمة أو إعادة هذا البناء - أن تستحضرن الصعوبات التي تعترض طريقكن، وأن تكنَّ على استعداد لمواجهتها وتخطِّيها. ومن أهم هذه العقبات قيام النزعة المادية التي دعت اليها الحضارة الغربية .. فلقد جردت العلم من روح الإيمان. وجردت الثقافة من تلك الروح .. وأقامت فنونها وآدابها بعيداً عن الإيمان بالله، وقد أصبح للعلم سلطان ضخم بسبب التقدم التقني المعاصر.

إنَّ تلك الحضارة أفرزت نظريات وفلسفات تسرّبت إلينا .. وخدع بها نفر من أبنائنا وبناتنا .. لا بُدّ أن يكون هناك موقف محدد إيجابي لمواجهة هذه العقبات. إنَّ تجاهل العقبة لا يزيلها من الطريق .. بل قد يعرض المرء إلى الاصطدام بها والتوقف عن متابعة المسير.

إنَّ علينا أن نتقدم بالعقيدة كما يعرضها القرآن .. هذه العقيدة التي توّفر للإنسان الكرامة، وتحقق لمجتمعه العدالة والسعادة.

إنَّ الناس اليوم - في ظل الأنظمة الكافرة - يخضعون إلى ألوان من المهانة والعبودية لينالوا بعض مطالبهم المادية.

إنَّ العقيدة التي تضمنها القرآن تقيم نظاماً اجتماعياً يحرر الناس جميعاً من كل ألوان العبودية لغير الله .. ذلك بعبادة الله وحده، والخضوع لله وحده.

إذن لا بُدّ من أن تتضح معالم العقيدة الإسلامية كما يعرضها القرآن الكريم في أذهان الداعيات الى الله .. ولا بُدّ من أن يعرفن الواقع المعاصر، ويعرفن حقيقة الحضارة القائمة وخصائصها .. ولا بُدّ أيضاً من أن يعرفن كيف يُخاطب من تأثر بهذه الحضارة وبأفكارها المخالفة للإسلام؟ ولا بُدّ كذلك من أن تتسع صدورهن لحوار المخالفين، وتبيين مزايا هذه العقيدة كما نجدها في كتاب الله الكريم نقية صافية .

ومن المفيد جداً أن تضعن أمام أعينكن الواقع العملي الذي كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم وكيف كان تعاملهم مع القرآن .. هؤلاء الصحابة الذين حملوا دين الله ونشروه في الدنيا المعمورة بكل نجاح .. لقد كانوا يقرؤون القرآن للعمل بمقتضاه ولتنفيذ أحكامه في خاصة أنفسهم وفيمن حولهم .. كانوا يتدبرون القرآن .. وكان تدبرهم خطوة للعمل به. قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

كانوا لا يجاوزون آية إلى أخرى حتى يعملوا بما فيها فتعلموا العلم والعمل جميعاً. عن ابن مسعود ﷺ قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.(١)

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبيّ ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى

(١) "تفسير الطبري" ١/ ٨٠ ط شاكر.

يعملوا بما فيها من العمل. فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

إنَّ كثيراً من المسلمين في زماننا أعرضوا عن هذا القرآن فلا يقرؤون شيئاً منه، وإنّ قليلا منهم يقرؤون القرآن ولا يفهمون منه إلّا النزر اليسير .. والذي فهموه وعرفوه يكون في واد وحياتهم في واد آخر.

إنَّ مهمة المرأة المسلمة التي تريد أن تتصدى لبناء الأمة أن تكون هي قدوة حسنة ورائدة .. تُحكم صلتها بهذا الكتاب الكريم فهماً وعملاً ثم تدعو إلى الاستمساك به والعمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه، وأن تدعو الناس ليقيموا حياتهم على هداه. يقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]. ويقول سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]. ويقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

إنه كتاب يخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأُنزل ليُتَّبع، وهو نورٌ يهدي المؤمنين، وأُنزل ليحكم حياة الناس.

قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [المائدة: ٤٩].

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينبغي أن تكون حياة الأمة قائمة على السنة أيضاً

لابد لمن يتصدى لعملية بناء الأمّة المسلمة من أن يكون ملمـًا إلمامًا جيداً بسنة رسول الله ﷺ وبعلم أصول الحديث ونعني به علم مصطلح الحديث.

والإلمام بالسنة يعني الإلمام بالكتب الستة، ذلك لأن السنّة هي المصدر الثاني للشريعة الإسلاميّة، ولها قوة تشريعيّة ملزمة، وعليها يقوم جزء ضخم من كيان الشريعة، وليس للمسلم إلا اتبّاع أوامرها والوقوف عند حدودها. ونستطيع أن نتبيّن مكانتها فيما يأتي:

١- السنة مُبينة للقرآن: فقد كُلف الرسول العظيم ﷺ بمهمة تبيين ما نزل إلى الناس. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقد قام ﷺ بهذه المهمة خير قيام، فأدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة، وبيّن المراد من آيات القرآن.

٢- والسنة مفصّلة لمجمل القرآن: ففي القرآن آيات تأمر بالصلاة والزكاة أمراً مجملاً، من نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦]. وتأتي السنة المطهرة فتفصّل عدد الصلوات وأوقاتها، وعدد ركعاتها، ومبطلاتها، وتدلّ على شروطها وأركانها، كما تفصّل ذكر الأموال التي فيها زكاة والتي لا زكاة فيها، وتفصّل النصاب الذي تجب فيه الزكاة ومقدارها ونسبتها..

وورود آيات القرآن مجملة أمرٌ طبيعي؛ لأنّ القرآن بالنسبة للمسلمين الدستور الذي يقرّر لهم الأسس الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة والروحيّة التي يجب أن يقيموا مجتمعهم عليها، ويترك التفصيلات الجزئيّة للسنة. على أنّ القرآن الكريم في بعض الأمور الهامة يذكر التفصيلات لأهميتها في حياة الناس:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كالإرث، واللعان، والطلاق .. وما شابهها، حتى لا يدع مجالاً للفرقة في المجتمع الاسلامي. ولا بُدّ من الإشارة إلى أن السنّة في تفصيلها مجمل القرآن تسير في هداه، وتنطلق من مبادئه وأسسه.

٣- وفي السنّة أحكام عليها جمهور المسلمين لم تأت في القرآن كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وذلك في الحديث المتفق عليه: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها».(١)

٤- وفي السنة تخصيص لعموم محكم القرآن ومن ذلك تخصيص الحديث «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» الآية ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٢].

٥- والقرآن الكريم نفسه يرد إلى السنّة ويوجب على المسلمين أن يطيعوا الرسول، ويَعُدّ طاعة الرسول طاعة لله قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وأوجب الله في القرآن النزول على حكم النبيّ في كل خلاف، وأقسم الله تبارك وتعالى على نفي الإيمان عن كلّ مَنْ لا يحكّمه ولا يرضى بحكمه حتى يحكّمه ويرضى بحكمه فقال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٦- والأحاديث الثابتة الكثيرة تصرح بمكانة السنة في الشريعة فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون

(١) رواه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجنّـة إلّا من أبى». قالوا: يا رسول الله. من يأبى؟
قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».(١)

٧- ولقد كان السلف الصالح من الجيل المثالي من أصحاب رسول الله ﷺ يفقهون هذه المكانة للسنّة تمام الفقه، ويحققون ذلك في حياتهم، ويَعُدّون اتبـاع النبيّ ﷺ شرطـًا لا بُدّ منه ليكون المرء مسلمـًا.

أخرج البخاري ومسلم عن عابس بن ربيعة قال: «رأيت عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقبّل الحجر الأسود ويقول: أعلم انك حجر ما تنفع ولا تضرّ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».(٢)

٨- وكانت ضرورة تطبيق الشريعة وتطبيق ما جاء في القرآن ملزمة بالرجوع إلى السنّة كما رأينا في كون السنّة مفصلة لمجمل القرآن، وفي أن فيها من الأحكام التي عليها جمهور المسلمين ما ليس في القرآن.

٩- وإذا كانت السنّة في معظمها وحيـًا من الله إما ابتداءً، وإما إقراراً من الله لرسوله فمن الطبيعي أن تكون للسنّة هذه المكانة السامية في الشريعة، ومن أجل ذلك فقد قرّر العلماء أنه لا فرق بينها وبين القرآن من ناحية وجوب العمل بمقتضاها بالنسبة للمسلمين إذا ثبتت لديهم، ومن هنا كان القرآن والسنّة في حق الصحابة الذين يتلقون أقوال النبي ﷺ كان القرآن والسنّة في حقهم سواء من حيث وجوب الامتثال، بينما يختلف هذا الموضوع في حقّ من جاء في الأعصر المتأخرة من جماهير المسلمين، إذ أن هذه الأحاديث لم تصل إليهم كلها عن طريق متواتر يقيني الثبوت كما هو شأن القرآن.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٢) رواه البخاري (١٦١٠)، ومسلم (١٢٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠- قال ابن حزم في "الإحكام":

[ولو أنّ امرأً قال: لا نأخذ إلّا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمّة][(١)].

وقال الشاطبي في "الموافقات"[(٢)]:

[إنَّ الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خَلاق لهم خارجين عن السنّة .. فأدّاهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله].

وأما الإلمام بعلم المصطلح فلأنّه يتضمن شيئًا من أصول الفكر الإسلامي التي استطاع علماء المسلمين أن يقعّدوها ويتوصلوا إليها من غير أن يقتبسوها عن الأمم الأخرى، فهي تعبّر عن الأصالة الإسلامية الحقيقة.

إنّ علم أصول الفقه وعلم المصطلح يشكّلان المرتكزات الأساسية لطرائق التفكير والنقد والاستنباط عند المسلمين.

وإنني لأرجو أن ينطلق الواعون والواعيات من أهل العلم في الإفادة من هذين العلمين في هذه الحقبة، وأن تنتهي تلك الحالة الشاذة التي كانت سائدة في العصور المتأخرة من تعطيل للاجتهاد.

إنّ علم المصطلح يساعد على تكوين العقلية الإسلامية التي تستطيع أن تواجه الأحداث، وأن تجد لها الحكم الإسلامي؛ ذلك لأن النصوص محدودة والاحداث غير محدودة، فينبغي أن تكون عند الأخت الداعية العقلية الإسلامية التي تجد الجواب لمعظم الأسئلة التي تطرح عليها.

* * *

(١) "الإحكام" لابن حزم ٢/ ٨٠.

(٢) "الموافقات" للشاطبي ٤/ ١٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذكرت أنَّ الاتصال في السنّة يكون في مجالين:

أحدهما الاتصال الوثيق بكتب السنة من أصول ومراجع ومختارات وفهارس.

وثانيها الاتصال: بكتب مصطلح الحديث.

إنَّ كتب السنة أنواع عديدة منها: الجوامع كصحيح البخاري، والمسانيد كمسند أحمد، والسنن كسنن النسائي، والمستدركات كمستدرك الحاكم، والمستخرجات كمستخرج أبي عوانه، والأجزاء كجزء قيام الليل للمروزي، والأطراف كتحفة الأشراف للمزي، والرجال كتهذيب التهذيب لابن حجر، والتهذيب هو تهذيب الكمال للحافظ المزي، والكما في أسماء الرجال للحافظ عبد الغني المقدسي، ومنها كتب المختارات، وكتب أدلة الأحكام، وكتب الفهارس، وكتب الموضوعات وغير ذلك.

إنَّ اتصال الأخت الداعية بالمصادر الأمهات كالكتب الستّة أمر مهم وضروري ولكن لا بُدّ من وضع خطة تسلك فيها سبيل التدرج، ذلك لأن تلك الكتب لها اصطلاحات وخصائص ينبغي أن تعرف حتى تتحقق الإفادة من القراءة فيها، وسنبسط هذا الكلام فيما نستقبل من أبواب إن شاء الله تعالى.

ويحسن أن تبدأ الأخت الفاضلة بكتب المختارات. ويأتي في رأس القائمة كتاب رياض الصالحين للإمام النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ)، وأذهب إلى أنه أحسن كتاب في المختارات الحديثية فيما أعلم. وقد دل هذا الكتاب على ذوق مؤلفه في اختيار أدقّ الروايات وأجمعها لموضوع الباب، ودلّ على تمكّنه من هذا العلم الشريف واطلاعه الواسع.

وقد أشار الإمام النووي في المقدمة إلى الخطة التي اتّبعها في تأليفه الكتاب. ونستطيع أن نوجزها فيما يأتي:

١- قرّر أنه لن يذكر في كتابه إلّا حديثاً صحيحاً، وقد وفى بذلك، وإن كان العلماء

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ناقشوه في عدد قليل جداً من الأحاديث ذهب إلى تحسينها أو تصحيحها وخالفوه في ذلك[1]. وقد ضمّ هذا الكتاب ما يقرب من ألفي حديث. (بلغت الأحاديث حسب ترقيم طبعة الشيخ ناصر ١٩٠٥، وبلغت حسب ترقيم الشيخ شعيب ١٨٩٤).

أقول: إنَّ كتابا فيه هذا العدد الكبير من الأحاديث لا ينال من تصحيح المؤلف أن تُنتقد أربعون حديثا فيه. ولا يفاجأ طالب العلم بأن يرى بعض العلماء ينتقد هذا العدد القليل من الأحاديث؛ لأنَّ أحكام العلماء قد تختلف في بعض الأحاديث، فهذا أمر متوقع.

ونستطيع أن نطمئنّ إلى أنّ ما اشترطه المؤلف قد وفى به حسب ما انتهى إليه اجتهاده، وليست العصمة لأحد غير الأنبياء.

٢- وذكر في المقدمة أيضاً أنه سيذكر الواضحات من الأحاديث، وهذه مزية عظيمة، لأنّ في الأحاديث بعض الأحاديث المشكلة التي يصعب على العامّة إدراكها، وقد أُلّفت مؤلفات في شرح أحاديث هذا النوع من الحديث مثل كتاب "مشكل الآثار" للطحاوي، وكتاب "تأويل مختلف الحديث" للشافعي ولابن قتيبة كتاب في ذلك.

٣- وذكر أنه سيعزو الأحاديث التي يوردها إلى كتب الأصول التي أخذها منها، وهذه خاصة مهمة جداً ومزية عظيمة تتيح لطالب العلم إمكانية الرجوع إلى المصدر والتحقق من سلامة النقل والنسخ، وتحقق الطمأنينة لصحة الحديث لدى العامة من القراء والسامعين، فإذا علم المسلم أن الحديث مثلاً أخرجه البخاري أو مسلم عرف يقيناً أنه صحيح.

---

(١) انظر مقدمة الشيخ ناصر الألباني لكتاب "رياض الصالحين".

٤- كثيراً ما يذكر المؤلف درجة الحديث إن كان الحديث في الكتب الأخرى غير الصحيحين؛ لأنّ تلك الكتب فيها الصحيح وغيره.

٥- ومن خواص هذا الكتاب أنّ المؤلف يصدّر معظم الأبواب بآيات من القرآن الكريم تتعلق بموضوع الباب، وقد يكون في استشهاده بالآية تنبيه لمعنى من المعاني الدقيقة العميقة التي لا يدركها إلّا الراسخون من أهل العلم.

٦- ومن خواص هذا الكتاب أنّ المؤلف يشرح الكلمات التي تحتاج إلى شرح، ويضبط ما يحتاج إلى ضبط، وقد يعمد أحياناً إلى شرح معنى الحديث بإيجاز.

٧- ومن خواص هذا الكتاب أنّ مؤلفه قد يذكر بعض الفوائد الفقهية المهمة كما فعل في باب بيان ما يُباح من الغيبة فقال: [إعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلّا بها، وهو ستة أسباب...] ثم ذكرها وذكر دلائلها من الأحاديث الصحيحة.

٨- ومن خواص هذا الكتاب أنّ مؤلفه عُني بذكر أحاديث الزهد وتهذيب الأخلاق ورياضات النفوس.

وما أشد حاجة الإنسان في هذا العصر إلى هذا النوع من التذكير والإرشاد بسبب طغيان النزعة الماديّة على كثير من الناس اجتماعياً وفكرياً وإنا لله وإنا إليه راجعون، ويؤسفني أن أقرر أن عدداً من الدراسات الإسلامية الحديثة قد تأثرت بهذه النزعة.

إنّ علينا أن نذكر أنّ الدنيا ليست بدار بقاء ولا خلود وأنّ الآخرة خير وأبقى.

من أجل هذا أُوصي بالرجوع إلى هذا الكتاب واستيعاب أحاديثه فإنّ ذلك

خطوة أولى للاتصال الوثيق بالسنّة، وهو في الوقت نفسه مُعينٌ لكنَّ يا أيتها الأخوات في متابعة الدعوة الى الله.

وليست هذه الوصية خاصة بالدعـاة من الإخوة والأخوات بل أُوصى كل مسلم ومسلمة يعرفـان القراءة أن يرجعا إلى هذا الكتاب ويعملا بما فيـه.

* * *

إذا كنـا نريد بنـاء المجتمع على أساس مبادئ الإسلام فلا بُدّ من معرفة حقيقة هذا الدين، وهذا يدعونا حتمـاً إلى التعرف على المصدرين اللذين يقوم عليهما شرع الله، وهما الكتاب والسنة.

وكنت ذكرت أنّ الإلمام بسنّة المصطفى ﷺ ينبغي أن تكون في مجالين: في معرفة الأحاديث وحفظ مقدار منها، وفي معرفة قواعد علم المصطلح الذي وضعه علماؤنا رحمهم الله ولم يأخذوه من غيرهم، وبفضل تطبيقه صينت السنّة ونُقّيت من الشوائب، واستطعنا بذلك ان نتوثق من صحة ما رُوي عن رسـول الله ﷺ.

وذكرت أن الخطوة الأولى التي ننصح بها فيما يتعلق بالاتصال بالسنّة هي الإلمام بطائفة من الأحاديث الصحيحة، وذكرت أنّ كتاب "رياض الصالحين" للأمام النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ) يحقق هذه الغاية. ويليه في الأهمية كتاب "الترغيب والترهيب" للإمام المنذري عبد العظيم بن عبد القوي، الإمام الثبت شيخ الإسلام زكي الدين المنذري الشامي ثم المصري، ولـد سنة ٥٨١هـ، وكان عديم النظير في علم الحديث، عالمـاً بصحيحه وسقيمه ومعلوله، متبحراً في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله، كان إمامـاً حجة ثبتـاً ورعـاً متحريـاً فيما يقوله. توفي سنة ٦٥٦هـ.

وكتابه "الترغيب والترهيب" كتاب نافع جداً، ولكن الإمام المنذري لم يلتزم

بإيراد الصحيح، ففي هذا الكتاب الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة والضعيفة جداً، وقد ذكر – بحق – أنّ هذا الكتاب على صغر حجه عظيم الفائدة فقال: [وأمليت – أي على الطالب الذي يسأله أن يكتب كتاباً في الترغيب والترهيب – هذا الكتاب صغير الحجم، غزير العلم، حاوياً لما تفرق في غيره من الكتب، مقتصراً على ما ورد صريحا في الترغيب والترهيب].

والترغيب والترهيب من وسائل التربية التي جاءت في الكتاب والسنة، والتي يعتمدها المربون والمعلمون والوعاظ والدعاة والحكام والموجهون.

ولذا فقد ألف العلماء في هذا الموضوع كثيراً من الكتب الحديثية ومنهم:

الحافظ حميد بن زنجوية النسائي المتوفى سنة ٢٥١هـ .

ومنهم الحافظ: أبو حفص عمر بن شاهين المتوفى سنة ٢٨٥هـ.

ومنهم الحافظ: أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي الشافعي المتوفى سنة ٤٤٧هـ.

ومنهم الحافظ: أبو موسى المديني المتوفى ٤٨٣هـ

ومنم الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد القرشي التيمي الطلحي الأصفهاني المتوفى سنة ٥٣٥هـ .

وقد عني العلماء بكتاب المنذري عناية كبيرة في القديم والحديث وخدموه خدمات جلّى فقد لخصه الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ (وحققه حبيب الرحمن الاعظمي)

وعلق عليه أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد الشافعي الدمشقي المشهور بالناجي المتوفى سنة ٩٠٠هـ (ومخطوطته في الجامعة الإسلامية في المدينة)

وشرحه الفاضل الفيومي وشرحه أيضاً محمد حياة بن إبراهيم السندي المدني المتوفى سنة ١١٦٣هـ.

وخدمه من المعاصرين الشيخ أحمد بن حجر القاضي الشرعي في قطر، والشيخ ناصر الألباني، وبلغني أن عدداً من المعاصرين قدّم خدمة لهذا الكتاب ولا يسمح المجال بتعدادها وتقويمها، والفائدة التي يقدمها هذا الكتاب لطالب العلم أنّه يوقفه على مجموعة كبيرة من الأحاديث في الموضوع الذي يهمه؛ ذلك لأنّ المنذري جمع فأوعى.

وبذلك يتمكن طالب العلم من الرجوع إلى المصادر الأصيلة مستعيناً بما ذكر المؤلف من نصّ الحديث ومن ذكر راويه من الصحابة.

وقد أشار المؤلف رحمه الله في المقدمة أنه عني بتمييز الصحيح من الضعيف واستعمل لذلك إشارات هي مفيدة بعمومها، وهذه الإشارات تدل القارئ على حكم الإمام المنذري على الحديث فقال:

[... فأذكر الحديث، ثم أعزوه إلى من رواه من الأئمة أصحاب الكتب المشهورة التي يأتي ذكرها، وقد أعزوه إلى بعضها دون بعض طلباً للاختصار، لاسيما إن كان في الصحيحين أو في أحدهما. ثم أشير إلى صحة إسناده وحسنه أو ضعفه ونحو ذلك، إن لم يكن من عزوته إليه ممن التزم إخراج الصحيح، فلا أذكر الإسناد كما تقدم، لأن المقصود الأعظم من ذكره إنما هو معرفة حاله من الصحة والحسن والضعف ونحو ذلك، وهذا لا يدركه إلّا الأئمة الحفاظ أولو المعرفة التامة والإتقان، فإذا أشير إلى حاله أغنى عن التطويل بإيراده ..] إلى أن قال: [... وقد أشبعنا الكلام على حال كثير من الأحاديث الواردة في هذا الكتاب، وفي غيره من كتبنا.

١- فإذا كان إسناد الحديث صحيحاً أو حسناً أو ما قاربهما صدّرته بلفظة

(عن).

٢- وكذلك إنْ كان مرسلاً أو منقطعاً أو معضلاً أو في إسناده راوٍ مبهم، أو ضعيف وُثّق، أو ثقه ضُعّف وبقية رواة الإسناد ثقات، أو فيهم كلام لا يضر، أو رُوي مرفوعاً والصحيح وقفه، أو متصلاً والصحيح إرساله أو كان إسناده ضعيفاً لكن حسنه أو صححه بعض من خرجه أصدّره أيضاً بلفظة (عن) ثم أشير إلى إرساله وانقطاعه أو عضله أو ذلك الراوي المختلف فيه فأقول: رواه فلان من رواية فلان..].

٣- [.. وإذا كان في الإسناد من قيل فيه: كذاب أو وضاع .. صدّرته بلفظة (روي)..].

* * *

فعلى الأخت الداعية العاملة في بناء الأمة أن تكون عندها الملكة العلمية التي تجعلها تنظر في متن الحديث الذي أشار إلى ضعفه، فإن كان فيه ما لا يقبل من الناحية الشرعية فلتصرف النظر عنه، وإني أفضّل أن يكون اهتمامها بالأحاديث الصحيحة كثيراً.

نعم أجاز جمهور العلماء رواية الحديث الضعيف في مجال الترغيب والترهيب، بل أجازوا العمل به في فضائل الأعمال بشروط ثلاثة:

١- ألّا يكون ضعفه شديداً.

٢- أن يندرج تحت أصل عام تدعو إليه الشريعة.

٣- أن لا يعتقد من يعمل به بثبوته عن النبي ﷺ بل يعمل به للاحتياط.

* * *

القرآن مرة أخرى

هذا الكتاب الكريم تضمّن العقيدة وهي الأساس الذي تنطلق منها الأمور الأخرى. وتضمّن أيضاً الأنظمة الأساسية التي تقوم عليها الحياة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، ففيه أسس النظام الروحي، والنظام الأخلاقي، والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي والسياسي.

إنَّ اتصال المجتمعات الإسلامية بالحضارة الغربية في القرن الهجري الماضي (أي القرن الرابع عشر) هزَّ كثيراً من الأوضاع في حياتنا، وأحدث تشوهاً في نظرة كثير من الناس إلى أمور الحياة.

ولا بُدّ – يا أيتها الأخوات – وأنتنّ تحاولن إعادة البناء أن تدركن هذه الحقيقة .. إنّ القرن الرابع عشر الهجري المنصرم كان قرناً مملوءاً بتطورات ضخمة في حياة المسلمين وفكرهم وعاداتهم، وكان مترعاً بالمآسي والكوارث الفظيعة.

وليس من شك في أن هذا الاهتزاز يتفاوت من بلد إلى بلد، ولكن لم يخل منه بلد، والتفاوت إنما كان في الوقت، فبعضها كان سابقاً والآخر كان لاحقاً.

إنَّ أجيال هذه الأمة كانت تتخرج في هذا الكتاب الكريم تعلماً وثقافة .. وظلّت كذلك إلى وقت قريب، وبدأ التحول في القرن الماضي.

لقد كان الفتى أو الفتاة إذا أراد أن يتعلم القراءة والكتابة كان سبيله إلى ذلك أن يتعلم القرآن، ويدخل الكُتّاب.

والكتاتيب مدارس أولية قائمة على القرآن وعلى القرآن فحسب، وكانت منتشرة في كافة أقطار العالم الإسلامي. ولما جاءت المدارس الحديثة تورع كثير من الآباء من إلحاق أبنائهم فيها وآثروا الكتاتيب عليها. وكان هذا التصرف

موقفا سلبيا لم يلبث أن توارى واختفى، وكان ينبغي لهؤلاء الآباء الواعين أن يصلحوا أوضاع الكتاتيب ويطوروها لتبلغ في الأداء ما كانت عليه المدارس الحديثة من الوسائل والنظام، ولو فعلوا ذلك لبقيت الأجيال متصلة بالقرآن.

لقد كان تعلّم القراءة والكتابة في الكتاتيب محصوراً بالقرآن .. ثم زاحمت المدارس الحديثة تلك الكتاتيب حتى قضت عليها وبدأت بالانقراض. وخسر الناس بانقراضها خسارة كبرى.

لقد كان في الكتاتيب عيوب، ما في ذلك شك، فكان المنطق يقضي أن تصلح هذه العيوب، لا أن يقضى على الكتاتيب.

لقد كان من نتائج التعلم في هذه الكتاتيب أن ينطبع في نفس الطفل وهو في مرحلة التكوين الثقافي هذا القرآن ومعانيه بالقدر الذي يستطيع أن يدركه الطفل، وأن يكون في تصوره أن القرآن هو مصدر الثقافة الأول، وأنه كلام الله الذي يستحق التعظيم.

وكان من نتائج التعلم فيها أن تيسر للمسلم الذي يريد أن يلازم القرآن ويتلوه .. تيسر له بغيته وما يريد.

ولما كان المجتمع قائماً على التديّن، وكان كثير من الناس في هذا المجتمع راغبين في تحصيل الثواب كان من الأمر المعتاد أن يقوم الرجل في الصباح ويقرأ جزءاً من القرآن، وكذلك المرأة التي تعرف القراءة. وقد أدركت جدتي رحمها الله التي كانت تقرأ ولا تكتب كانت تلتزم بقراءة جزء من القرآن يومياً فلا ينقضي شهر حتى تختم القرآن، وكذلك كانت أمي رحمها الله التي كانت تختم القرآن كل أسبوع وهي أيضا كانت تقرأ ولا تكتب.

وكنت ترى التجار في أسواقهم يستقبلون يومهم بقراءة مقدار من القرآن

فرضوه على أنفسهم .. ويعمدون إلى المصحف يقرؤون كلما أتيح لهم تفرغ من العمل. يفعلون ذلك وهم ناس عاديون، وكان الواحد منهم يختم القرآن مرة في الشهر على الأقل .. بينما لا نجد مثل هذا السلوك مع القرآن اليوم في عدد من الشباب والشابات الذين يزعمون أنهم دعاة إلى الله وأنهم مثقفون. وكان من نتائج ذلك أنك ترى الرجل العادي إذا سمع آية يكملها، وإذا تحدث في موضوع استشهد بآيات من القرآن؛ ذلك لأنه يقرأ القرآن كل يوم .. وبهذا يرتفع مستوى عامة الناس.

أما الآن فلا بُدّ من أن نعترف بأنّ الحال قد تغير ، لقد أضحى المسلمون لا يتلقون القرآن وفق منهج الصحابة ﷺ الذي تحدثنا عنه آنفاً والذي كان يعني التنفيذ الفوري لمضمون الآيات القرآنية. ولم يعد القرآن هو النبع الوحيد الذي يستقون منه، ولم يعد القرآن المادة التي يكون تعلم القراءة من خلالها كما كان الوضع في الكتاتيب.

عرضت بشيء من التفصيل هذا الواقع ليكون ذلك الوضع في تصوركنّ وأنتنّ تحاولن إعادة بناء الأمة، ولأنتهي إلى تقرير حقيقة مهمة جداً وهي:

إنَّ من الضروري أن تقوم الأسرة بتلافي هذا الوضع إما بأن يقوم الوالدان بتخصيص حصة للقرآن في البيت تلاوة إن كانا يحسنان التلاوة ولديهما الفراغ لملء هذه الحصة، وإما بأن تلحق الأسرة ابنها أو ابنتها في حلقة من حلقات القرآن الموجودة الآن في بعض البلاد الإسلامية، وجزى الله الرجال الذين أتاحوا لجمعيات تحفيظ القرآن مجالاً للعمل وقدموا لهم مساعدات طيبة. وكان من ثمرات ذلك كثرة الحافظين والحافظات لكتاب الله تعالى.

إنَّ مما يتصل بعملية البناء أن ندعو إلى الإفادة من هذه الجمعيات، وأن يقوم البيت بواجبه في متابعة الأولاد بنين وبنات في الحفظ والتلاوة اليومية.

لماذا نُلحّ على أن نجعل القرآن الأساس في عملية البناء؟

والجواب عن ذلك السؤال أن اعتبارنا القرآن أساساً بديهية من البديهيات ومُسَلَّمة من المُسلّمات إذا كنا نريد أن نقوم بعملية البناء على أساس الإسلام. وما نقرر هذه البديهية إلّا لتتضح معالم الطريق أمام البانيات، والمدعوات أيضاً .. ذلك لأنّ للقرآن رصيداً عظيماً جداً في نفوس المسلمين على الرغم من غفلة كثير منهم وبعد كثير منهم عن أحكامه .. ولكن يبقى لهذا القرآن حرمته وتعظيمه في نفوس هؤلاء المدعوين.

إنك أيتها الأخت عندما تقومين بالدعوة معتمدةً على آيات من القرآن، وتواجهين بها من تلقين من المسلمات، تجدين الاستجابة المطلوبة إن كان في عرضك وأسلوبك حكمةٌ وتلطف وحُسن تأتٍّ .. وليس الشأن معهن كمن يدعوهن إلى مبادئ قررها فلان وفلان مهما كان وزن هؤلاء من الشهرة والمعرفة .. لأنهم بشر يخطئون ويصيبون، أما القرآن فهو كلام رب العالمين.

وأي كتاب أو مبدأ أسمى من هذا القرآن.

القرآن هو كلام الله تعالى خالق الإنسان والعالِم بما يصلحه .. كلام الله المعجز ووحيه المنزل على محمد بن عبد الله خير خلق الله وأشرف رسله .. نزل به الروح الأمين على قلبه ﷺ بلسان عربي مبين، وهو الكتاب المتعبد بتلاوته، والمنقول إلينا بالتواتر جيلا عن جيل .. وليس هناك كتاب أوثق منه، وليس ذلك غريباً ما دام الله قد تكفل بحفظه. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ويعجبني حديثٌ فيه وصف رائع للقرآن، ولكن هذا الحديث ضعيف وسبب ضعفه وجود الحارث بن عبد الله الأعور في سنده فقد جاء فيه: «كتاب الله فيه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١-٢]، مَنْ قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومَنْ حَكَم به عَدَل، ومن دُعي إليه هُدي إلى صراط مستقيم».(١)

والقرآن هو سبب الهداية .. وبشارة للمؤمنين بالأجر الكبير: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وهذه الآية تقرر أن هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، ولا يمنح كنوزه ومزاياه إلا لمن يُقبل عليه بالإيمان والعمل الصالح، أما الظالمون والكافرون فلا يزيدهم سماع هذا القرآن إلا خساراً وبعداً عن الحق وتكذيباً وكفراً وهذا المعنى الذي تقرره هذه الآية ورد في القرآن في آيات عدة، منها قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ

(١) رواه الدارمي ٢/ ٤٣٥، والترمذي (٢٩٠٦) طبعة "تحفة الاحوذي" الهندية ٤/ ٥٢.

رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وهو السبيل المؤدية الى السعادة والتذكرة لخشية الله ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ١-٥].

فعلى الأخوات الداعيات أن يتدبرن ما يقرأن ليكنّ قادرات على الإبلاغ والتوجيه، والتدبر لما يُقرأ أمرٌ طبيعي في كل كتاب يريد قارئه الانتفاع منه .. فإذا كان إنسان يقرأ كتاباً في الطبّ أو في الحساب ولم يفهم منه شيئاً .. ما فائدة قراءته إذا لم يفهمه، وإذا لم يطلب شرحاً لما عَسُر فهمه عليه في هذا الكتاب؟

إن قراءة شيء وعدم محاولة فهمه أمرٌ غير طبيعي في حياة الناس العادية. فما القول إذا كان هذا الكتاب من الله رب العالمين، أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، وليحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: [وذلك أنّ الله تعالى قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢] و[محمد: ٢٤]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وتدبر الكلام بدون فهم معانية لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وعقل الكلام متضمن لفهمه.

ومن المعلوم أنّ كلّ كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرّد ألفاظه فالقرآن أولى بذلك. وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه. فكيف لكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم] انتهى.

وهذا كلام نفيس وهذا يقودنا إلى تحديد الطريقة في هذا التدبر وذكر المراجع

التي تعيننا في ذلك.

فما الطريقة التي تساعد على تدبر القرآن؟

من المعروف أن القرآن معجز في أسلوبه، وهو في قمة البيان العربي، ولا يتقدّمه في الفصاحة والبلاغة كلامٌ على الإطلاق، وهو في الوقت نفسه سهلٌ ميسّر. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وقد أنزله الله قرآنًا عربيًا فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]. فلا بُدّ لمن يريد فهمه وتدبره من أن يكون عارفًا للغة العربية، وأن يكون ملمًا إلماماً جيداً بعلوم اللغة العربية.

ومعلومٌ أنّ هذه العلوم لم توجد إلّا لخدمة الكتاب والسنة.

إنّ الكيد الذي يوجه اليوم للعربية إنما هو كيدٌ للإسلام، وليس في الأرض لغة تهاجم ويُكاد لها غير هذه اللغة الشريفة. لماذا؟ الجواب: لأنها مرتبطة بالإسلام ارتباطًا عضويًا، وقد بلغني أنّ انتشار اللغة العربية في بقاع من أفريقيا يتبعه مباشرة دخول هؤلاء الذين صاروا يتكلمون العربية في الإسلام.

ويحسب أعداء الإسلام أنهم إن نجحوا في إبعاد هذه الأمة عن هذه اللغة استطاعوا أن يقطعوها عن فهم مصدري شريعتها وهما الكتاب والسنة، ثم أن يبعدوها عن دينها.

وأعداء الإسلام أنواع:

- فمنهم من يواجه المسلمين صراحة بأنه يريد أن يعمل على إخراجهم من دينهم ويهاجم الإسلام بإسفاف ووقاحة.
- ومنهم من يهاجم المسلمين بالقوة العسكرية ويحملهم على ترك دينهم وإن لم يفعلوا تعرضوا للقتل أو النفي.

- ومنهم من لا يواجه المسلمين بشيء من ذلك بل يأتي اليهم بخطط منوّعة ليس فيها الهجوم الصريح على الدين.

ومن ذلك أن يهاجم اللغة العربية ويصفها بالجمود والتخلّف والعجز عن مسايرة الحياة، وينادي باستعمال العامية وبتطويرها ووضع قواعد لها .. ولو أن ذلك وقع لكانت الكارثة .. إذ لا يمضي وقت طويل حتى تصبح هذه اللغة العامية بعيدة عن العربية بُعد اللغة الفرنسية عن اللغة اللاتينية التي انحدرت منها ويومئذٍ لا يستطيع أبناء هذه الأمّة أن يقرؤوا كتاب الله، ولا أن يتدبروه .. إنها دعوة هدامة خطيرة جداً .. وإني لأنصح بحرارة وإلحاح أن تقرأ الداعيات العاملات في بناء الأمة كتاب "تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر" للأستاذة الفاضلة الدكتورة نفوسة زكريا رحمها الله، فهو كتاب نفيس في بابه يبين مدى خطورة هذه الدعوة.

- ومنهم من يدعو إلى نبذ الحرف العربي واستخدام الحرف اللاتيني، فيتحقق للأعداء - لو كان ذلك - أن يحولوا بين هذه الأمة وبين تراثها العلمي والفكري الغني الذي تعتز به أية أمة يكون لها .. تراث ألف وأربعمائة سنة .. يريدون أن يفعلوا كما فعل أتاتورك الذي قطع أمته عن الاتصال بكتاب الله، وقطعها عن الاتصال بتراثها وفكرها المكتوب بلغتها وبالحرف العربي.

- ومنهم من يحاول أن ينسف النحو بدعوى التجديد والإصلاح هذا النحو الذي بلغ من الدقة والإتقان منزلة عالية.

وليس من شك في أن هذه المحاولات الهدامة تتفاوت في وضوح خطورتها ولكنها جميعاً تلتقي في الكيد للغة العربية. (وأنا لا أعلم أنّ لغة من لغات أهل الأرض تلقى من الهجوم والكيد ما تلقاه هذه اللغة الشريفة. وتفسير ذلك هو ما قدمنا من الكيد للإسلام.)

إنّ علماء اللغات يحاولون الآن إحياء بعض اللغات الميتة، ويحاولون قراءة النقوش التي بقيت على الآثار، ويضعون لتلك اللغات معاجم لمفرداتها ويحاولون اكتشاف طرائق التعبير فيها ويضعون لذلك القواعد.

إنّ على الأخت الداعية التي تريد الإسهام في بناء أمتها أن تُلمَّ إلماماً جيداً بعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم التي سنذكرها إن شاء الله تعالى مهما كان تخصصها الأصلي؛ ذلك لأنه لا يمكن أن يفهم القرآن حق الفهم دون دراية بهذه العلوم. وعندما نقول الإلمام لا نريد به البحث المتعمق المفصل. لا .. وإنما نريد أن تكون لدى الأخت ملكة تستطيع أن تقرأ قراءة سليمة وأن تعرف المصطلحات النحوية والصرفية التي يطالعها المرء في كتب التفسير .. بل في كل كتب التراث، إذ لا يخلو كتاب من تلك الكتب من إشارة إلى هذه المصطلحات.

أوّل هذه العلوم علم مفردات اللغة، فمعرفة معاني المفردات ضرورية لفهم معنى الآية فهماً دقيقاً، وقد شبّه الإمام الراغب الأصفهاني هذه الضرورة بما يأتي فقال:

[فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللَّبِنِ في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه] أي فكما أن الدار لا تبنى إلا بأن يتوافر لدى الباني اللبِن، فكذلك إدراك معاني الآيات لا يتحقق إلا بإدراك معاني المفردات.

وأهم المراجع في هذا الموضوع الكتب الآتية:

١. كتاب "المفردات" للراغب الأصبهاني وهو كتاب قيم في شرح ألفاظ القرآن .

٢. "مختار الصحاح" و"المصباح المنير"، وأي معجم من المعجمات الموثوقة.

٣. "كلمات القرآن" لحسنين محمد مخلوف.

إنّ عليك أيتها الأخت أن ترجعي إلى المعجم دائماً لتتأكدي من معنى الكلمة في الآية حتى ولو كنت تظنين أنك تعرفين معناها.

يؤسفني أنّ كثيراً من الشباب الدعاة والشابات الداعيات لا يوجد في مكتباتهم معجم، بينما لو سألناهم عن معجم إنجليزي لوجدناه عند أكثرهم.

هذا وإنّ علينا ان نحيي الكلمات القرآنية باستعمالاتنا لها في الكتابة والكلام، ذلك لأنّ ألفاظ القرآن – كما يقول الراغب – [لبُّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمة].

وأضرب مثلاً: لماذا لا نستعمل كلمة (الأثقال) وهي كلمة قرآنية وردت في قوله تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٧] بدل كلمة (العفش). فالكلمة القرآنية أجمل وألطف.

إنَّ عملية بناء الأمة على أساس الإسلام تقتضي – كما سبق أن ذكرنا – الاعتماد على الكتاب والسنة.

نعم. لا بُدّ للأخت الداعية إلى الله من أن تمرّ بالكتاب الكريم كله فهماً واستيعاباً لمعاني آياته.

وقد ذكرنا أن هذا يقتضي معرفة اللغة العربية، وذكرنا أن الخطوة الأولى معرفة معاني المفردات، ونود أن نضيف أنه لا بُدّ من تذوق ما تقرؤه الأخت من الآيات .. تذوق جمال النصّ البياني الذي اتصفت به آيات الكتاب المعجز.

وليصل المرء إلى هذا المستوى ينبغي أن يقرأ عدداً كبيراً من النصوص البليغة .. وما أكثرها في لغتنا الجميلة.

فعليك أيتها الأخت الداعية أن تخصصي جزءاً من دراستك لدراسة قدر من

النصوص الشعرية والنثرية دراسة أدبية، وأن تحفظي مقداراً منها.

ولا بأس في أن تبدئي بقراءة ما كتبه الكتّاب المجيدون من المعاصرين.

وما نظمه الشعراء المجيدون المعاصرون. أقول: المجيدون، فليس كل من نظم شاعراً.

ثم تتدرجين بقراءة ما كتبه الكتّاب المتقدمون من أمثال ابن المقفع والجاحظ وبديع الزمان وما نظمه الشعراء المتقدمون من أمثال أبي تمام وأبي العتاهية والبحتري والمتنبي.

وهناك كتب المختارات لمؤلفين قدامى، وهناك مختارات لمؤلفين متأخرين.

ومن أجود كتب المختارات "ديوان الحماسة" لأبي تمام و"المفضليات" للمفضل الضبّي و"الأصمعيات" للأصمعي.

ومع هذا الاهتمام بالنصوص وتذوقها وحفظها ينبغي أن تراعي النصيحة الآتية وهي ذات شقين:

أولهما أن تحرصي على أن تتكلمي بالفصحى .. الفصحى من غير تقعر وإغراب. لا تكلمي أولادك وزوجك ومن تعاشرين إلّا بالفصحى، واحرصي على استعمال المفردات القرآنية في كلامك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

وهناك تجربة واقعية فقد التزم زوجان ألّا يتكلما أمام ابنهما إلا بالفصحى المعربة، فنشأ هذا الطفل يتكلم ولا يقع في لحن أبداً.

وثانيهما أن تكتبي كل يوم موضوعاً وتحاولي أن يكون بلغة متينة جميلة، وإن ضاقت عليك الموضوعات فاكتبي مذكرة بما حصل معك من الأحداث وبما خطر ببالك من أفكار.

- ومن علوم العربية التي لا بُدّ من الإلمام بها علم النحو والصرف، فلا غنى لمن يريد أن يفهم القرآن من العناية بدراسة هذين العلمين.

ومما يعين على الفهم الإعراب، فالإعراب يوضح المعنى أتم توضيح، ومن أجل ذلك اهتمّ علماؤنا رحمهم الله – على مدى العصور – بإعراب القرآن.

فهناك كتب لمؤلفين قدامى في إعراب القرآن، وهناك كتب لمؤلفين محدثين في ذلك.

إن الإلمام بهذا العلم يعصم اللسان من الغلط في قراءة القرآن، ويعين على الفهم التام لمعنى الآية.

- ومن علوم العربية المهمّة علم البلاغة بفروعه من معان وبيان وبديع، وأنصح بدراسة كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني، وكتاب "التصوير الفني في القرآن" لسيد قطب، وكتابي عبد القاهر الجرجاني: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة".

- وينبغي أن تُلم الأخت الفاضلة بعلم (علوم القرآن)، ذلك لأنّ هذا العلم من أهمّ الأدوات التي تعين على فهم كتاب الله:

- فمعرفة أسباب النزول تساعد كثيراً على فهم الآيات الفهم الصحيح الدقيق، وتجنب الأخت الداعية الوقوع في أغلاط كان من المحتمل أن تقع فيها، ولكن يجب أن نذكّر هنا بالقاعدة الأصولية المهمة في هذا المجال وهي أن العبرة بعموم النصّ لا بخصوص السبب، ويجب أن لا نقبل من الروايات في أسباب النزول إلا ما صحّ منها.

- وكذلك فإنّ معرفة الناسخ والمنسوخ لها أهميتها في الفهم الدقيق للآيات التي تقرر حكمين مختلفين في موضوع واحد.

- وكذلك فان معرفة المحكم والمتشابه تجعل المتدبر لكتاب الله يتخلص من عناء الدخول في متاهات المتشابه، ويردد قول الراسخين في العلم: آمنّا به كل من عند ربنا .. ويصرف جهده وطاقته في فهم المحكم والعمل به والدعوة له.
- وهكذا بقية أبواب علوم القرآن.
- ومن أجمع كتب علوم القرآن كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للأمام السيوطي، ولكن يجب أن ننبه الأخت الفاضلة إلى أن عليها إذا قرأت فيه أن تقرأ بحذر، وأن لا تقبل كلّ ما فيه، ذلك لأن السيوطي رحمه الله جمع في هذا الكتاب كل ما وقف عليه من كلام العلماء، ففيه الغث والسمين، وفيه القول الصحيح والقول الضعيف. وهناك كتب عدة في هذا العلم لمتقدمين ومحدثين.
- وينبغي أن تكون الأخت الداعية وهي تتدبر كتاب الله على معرفة تامة بعلم التوحيد، وذلك لأن هذا الكتاب الكريم يتضمن العقيدة الإسلامية ويتضمّن نظرة جديدة إلى الكون والحياة والإنسان متمثلة في العقيدة الإسلامية فإدراك أصول العقيدة يساعد مساعدة تامة في فهم آيات العقيدة، وما أكثرها في القرآن المكي.
- وعلى الأخت الداعية أن ترجع إلى كتب الحديث وهي تتدبر كتاب الله لترى هل نقل عن رسول الله ﷺ في تفسير الآية حديث، فهو ﷺ أعلم الناس بكلام الله، وقد كلفه الله تبارك وتعالى بذلك فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فهناك في صحيح البخاري كتاب واسع عن التفسير أورد رحمه الله فيه الأحاديث الواردة في تفسير القرآن ورتبها على ترتيب المصحف بادئًا بسورة الفاتحة منتهيًا بسورة الناس.

- وعلى الأخت الداعية أن تكون مستحضرة أحداث السيرة، ذلك لأنّ كثيراً من أحداث السيرة قد وردت في القرآن.

وإتقان السيرة أمر مهم للداعيات إلى الله، لأنّ طبيعتها طبيعة القصة، والقصة محببة عند الناس بشكل عام فإذا كانت القصة متعلقة بخير خلق الله كلهم وبأشرف الأنبياء كان إصغاء الناس لها ومتابعتهم لها أشد.

ولرسول الله ﷺ مكانة عظمة في نفوس المسلمين.

- ومما يعين على التدبر الإلمام بعلم أصول الفقه، وهذا العلم من أعظم العلوم التي وضعها المسلمون ولم يأخذوها عن غيرهم، وكان من أكثر العلوم فائدة، وبهذا العلم نستطيع أن نعرف كيفية الاستنباط: استنباط الأحكام من النصّ، ووجه الاستدلال على الأحكام، ويعرفه العلماء بأنه العلم بالقواعد والأدلة الإجمالية التي يتوصل بها إلى استنباط الفقه.

وإني أقول: إنّ هذا العلم وعلم أصول الحديث علمان تحتاج إليهما الداعية إلى الله أعظم الاحتياج، لأنهما يساعدان على تكوين الملكة العلمية وعلى تكوين العقلية الإسلامية التي تنظر للأمور الطارئة التي لا نصّ فيها عند الفقهاء نظرة إسلامية، فتستطيع أن تجد الجواب السديد عن كثير من هذه الأمور بعون الله. وينظمان فكر المسلم، ولذلك فإني أرى من الضرورة بمكان أن يدرس الدعاة والداعيات إلى الله هذين العلمين وأن يفيدا منهما في تكوين شخصية الداعي والداعية.

- ومما يعين الأخت الداعية إلى الله على التدبر أن يكون عندها تصور عام لمسائل الفقه، ويعرفه العلماء بأنّهُ العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية. أو هو هذه الأحكام نفسها.

ولا تطالب الأخت الداعية بالاحاطة بجميع الأحكام الشرعية، فهذا أمر

متعذر، بل يكفي أن تقف على جملة منها ولا سيما ما يتعلق بما يتصل بحياة الفرد من أحكام العبادة والمعاملة. ومن المفيد أن تتقن الأخت دراسة متن من المتون الموجزة، ثم بعد ذلك تتوسع بدراسة كتب أدلة الأحكام.

- ومما يعين الأخت الداعية إلى الله على التدبر وقوفها على علم أصول التفسير، ومن أشهر الذين افردوه من المتقدمين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة خاصة طبعت بعنوان "مقدمة في أصول التفسير" وقد ذكر معظمها ابن كثير في مقدمة تفسيره. وأفرده بالتأليف من المتأخرين العلامة الشيخ عبد الحميد الفراهي من علماء الهند وترك رسالة موجزة عنوانها "التكميل في أصول التأويل". وفي هذا العلم قواعد مهمّة ينبغي الوقوف عليها من نحو ذكر الخطوات في التفسير التي تتدرج كما يأتي.

فيجب على المتدبر أولاً أن ينظر في تفسير الآية إلى ما ورد في موضع آخر من كتاب الله عز وجل، وهذا ما يدعونه تفسير القرآن بالقرآن. لأننا نجد ما أُجمل في موضع قد فُصِّل في موضع آخر، وقد أجمع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلّها تفسير كتاب الله بكتاب الله؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جلّ وعلا من الله سبحانه وتعالى، ويدخل في تفسير القرآن بالقرآن أن تفسر قراءة بقراءة صحيحة ثابتة كما أجمع العلماء على تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢]. أجمعوا على أنها في الإخوة لأم معتمدين على قراءة سعد بن أبي وقاص (وله أخ أو أخت من أم).

ثم يعمد المفسر إلى تفسير القرآن بما ثبت عن رسول الله ﷺ لأن السنة هي الشارحة للقرآن.

ثم ينظر المفسر بما قاله الصحابة رضوان الله عليهم، لأنهم شاهدوا من القرائن والأحوال التي رافقت نزول القرآن ما يجعل فهمهم أدق وأتم، ولأن لغة القرآن هي لغتهم يدركون من أسرارها بالفطرة ما لا يدركه المتأخرون بالتعلم.

وللعلماء تفصيل في الموقف من أقوال الصحابة، فقد ذهبوا إلى أن القول المنقول عنهم بإسناد صحيح إذا كان مما لا يتوصل إليه بالاجتهاد والاستنباط فهو ملزم، لأنه عندئذ له حكم الحديث المرفوع.

وكذلك فقد قالوا إذا كان هذا القول المنقول عنهم بإسناد صحيح متعلقاً بأسباب النزول أو متعلقاً بتفسير لغوي فانه ملزم، وكذلك فإن قول الصحابة ملزم إذا كان مما اتفقوا عليه ولم ينقل عن واحد منهم خلافه.

أما إذا نقل عنهم أقوال عدة في تفسير آية فللعالم أن يتخير منها ما يراه أقرب للصواب.

- ومما يعين على تدبر آيات القرآن أن تكون الأخت على معرفة بعصرها وتياراته الفكرية وبخصائص الحضارة الغربية، وأن تكون مزودة بثقافة عامة تتصل بعدد من العلوم الاجتماعية كالتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع، وبالعلوم الكونية كعلم الفلك ونحو ذلك.

إن كلّ هذه العلوم مما يساعد على تدبر القرآن أولاً، ثم تفسيره للناس تفسيراً يتصل بحياتهم.

- ومما يعين الأخت الداعية على التدبر أن تكون حاضرة القلب وهي تقرأ القرآن، وأن تكون مؤدية الواجبات الدينية بإخلاص، وموضوع الإخلاص هذا موضوعٌ مهم جداً، وأن تكون مقبلة على الله بخشوع، وملتزمة الآداب والأخلاق الإسلامية، بعيدة عن التعصب لرأي أو مذهب أو جماعة، وأن

تكون محررة من سلطان الهوى شديدة الخشية لله تعالى.

إنّ ما ذكرناه من هذه الوسائل المعينة على التدبر يحتاج إلى وقت والتنظيم كفيلٌ بتحقيق ذلك إذا صدقت العزيمة.

* * *

العلم .. وبناء الأمة

يجب أن تقوم مؤسسات الأمة المختلفة من اقتصادية وعسكرية وإدارية واجتماعية ودعوية على العلم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وعلى الأخت الداعية أن تعي هذه الحقيقة وتنطلق منها وهي تحاول الإسهام في بناء الأمة.

هذا وقد دعت آيات الكتاب المبين، وأحاديث النبي الكريم ﷺ إلى التعلم وتحصيل العلم. وقد استجاب المسلمون الأوائل من الصحابة والصحابيات ومن التابعين والتابعيات وتابعيهم إلى تلك الدعوة، استجابوا لها بحماسة وجدّ ودأب دائم.

ولو نظرنا إلى الواقع التاريخي الذي نقف عليه في كتب الطبقات والتراجم لوجدنا أن المرأة أسهمت بقدر وافر في النشاط العلمي والفكري.

وما أحوجنا اليوم إلى أن نجد عدداً من العالمات الملتزمات يعملن على بناء أمّتهنّ، وإني لأحمد الله أن عدداً من البشائر تتراءى في الأفق تتمثل في الداعيات العاملات العالمات اللائي يحفظن كتاب الله ويتخصصن في علوم الشريعة المتعددة، وأرجو أن تنمو هذه البشائر، وأن يحقق الله على أيدي هؤلاء الداعيات ما نصبو إليه من الخير والتقدم والسعادة.

ومما يدل على فضل العلم قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]. قال الإمام أبو حامد الغزالي:

[فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنّى بالملائكة وثلّث بأهل العلم،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وناهيك بهذا شرفًا وفضلاً وجلاءً ونبلاً].[١] وقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال ﷺ: «العلماء ورثة الانبياء».[٢]

والنساء شقائق الرجال،[٣] وتعليمهن يرفع من مستوى الوسط الذي يكنّ فيه. وأما حرمانهن من العلم في بعض الأزمان والأقطار فهو من تصرف الناس متأثرين بعادات محلية وتصورات فاسدة.

وأحبّ أن اقرر حقيقتين:

أما أولاهما فهي وجوب التفريق بين نظرات المجتمعات الإسلامية إلى المرأة وتعليمها ويبين نظرة الدين الإسلامي العظيم إليها.

إنّ الإسلام لم يمانع في تعلم المرأة .. بل كان يدعو إلى تعليمها.

روى البخاري في صحيحه في باب (هل يجعل للنساء يومًا على حدةٍ في العلم) من كتاب العلم عن أبي سعيد الخدري قال:

قال النساء للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يومًا من نفسك، فوعدهنّ يومًا، لقيهنَّ فيه، فوعظهنّ وأمرهنّ، فكان فيما قال لهنّ: «ما منكنّ امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار».

---

(١) "إحياء علوم الدين" ١/ ١١.

(٢) أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، والدارمي ١/ ٩٨، وأحمد ٥/ ١٩٦.

(٣) انظر "المسند" ٦/ ٢٥٦، والترمذي (١١٧)، وأبو داود (٢٣٦)، والدارمي ١/ ١٩٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: «واثنين».[١]

لقد كان ﷺ يخص النساء بجلسة علمية يتحدث اليهنّ ويعظهنّ ويحاورنه.

وقال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجة وغيره.[٢] ويدخل في قوله: «كل مسلم» المسلمة أيضا، وكان منهنّ عالمات وواعظات، والامثلة على ذلك كثيرة في عهد الصحابة والتابعين فقد كان لأمهات المؤمنين دور في تعليم وفي نشر السنة وروايتها للناس، وكان لأم المؤمنين السيدة عائشة الصديقة بنت الصدّيق القِدْح المعلَّى في ذلك وسنخصّها - إن شاء الله - بحديث واف.

إنَّ النصوص الآمرة بالتعلم والحاضّة على تحصيل العلم ليست مقصورة على الرجال دون النساء، فالقاعدة الشرعية أنّ كل ما يطلب فعله من الرجال يطلب فعله من النساء ما لم يكن هناك مانع من ذلك تدل عليه نصوص شرعية؛ فقوله تعالى: ﴿ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ موجّه للرجال وتدخل النساء فيه. وكذلك قوله ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة» يشمل الرجال والنساء.

وكانت نساء الصحابة يحضرن مجالس الخير ويستمعن إلى خطب النبي ﷺ، وكنّ يسألنه عن أمور دينهن والأمثلة على ذلك كثيرة، فمن ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم أنّ زينب زوجة عبد الله بن مسعود جاءت تسأل رسول الله ﷺ عن حكم إنفاقها على زوجها وعلى أيتام في حجرها: هل يكون ذلك له أجر الصدقة؟ فلما جاءت بيت النبي ﷺ وجدت امرأة من الأنصار

---

(١) رواه البخاري (١٠١).

(٢) انظر "مختصر المقاصد الحسنة".برقم: ٦١٤. وهو حديث صحيح.

جاءت للغرض نفسه.

ويبدو أنّ نساء الأنصار كنّ حريصات جداً على أن يعرفنّ أمور دينهنّ حتى قالت السيدة عائشة عنهنّ: نعم نساء الأنصار لم يمنعهنّ الحياء أن يتفقهن في الدين.(١)

إنَّ لها أن تتعلم .. وإنَّ لها ان تعلم .. وإنّ لها أن تذهب إلى المساجد وتصلي مع جماعة المسلمين. وقصة عبدالله بن عمر ﷺ مع أحد أولاده قصة مشهورة واردة في الصحاح من كتب السنة، وهي مهمة جداً في التفريق بين الأعراف والأمزجة وبين الحكم الشرعي.

واليكم الحديث الذي يُوردها:

روى أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمر ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها» وفي رواية: «لا تمنعوا النساء من الخروج إلى المساجد بالليل» قال: فقال بلال بن عبدالله: والله لنمنعهن.

قال فأقبل عليه عبد الله يسبه سباً سيئاً ما سمعته سبّه مثله قط قال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن. وفي رواية: فقال ابن لعبد الله ابن عمر: لا ندعهنّ يخرجنّ، فيتخذنه دغلاً (أي خداعاً يخدعن به أزواجهن) قال: فزبره ابن عمر (أي: نهره وأغلظ له في القول والردّ) وقال: أقول لك قال

(١) رواه البخاري معلقاً في عنوان الباب الذي هو (باب الحياء في العلم) بعد الحديث ١٢٩، قال الحافظ في الفتح ١/ ٢٢٩: وصله مسلم .. قلت وهو موجود في صحيحه برقم ٣٣٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسول الله. وتقول: لا أدعهن.[١]

إنّ مقولة ذاك الولد هي التي سادت في كثير من بلاد المسلمين بالحجة نفسها التي أوردها الولد والتي لم يقره عليها أبوه، بل سبه ونهره، وهي: سدّ الذريعة.

لا بُدّ من التفريق بين ما توارثه الناس من عادات وتقاليد، وبين ما جاء عن الله ورسوله، ويؤسفني أن كثيراً من الآراء والأحكام المتصلة بالمرأة هو من العادات والتقاليد التي ألِفها الناس .. فراحوا يلتمسون لها سنداً من القواعد الشرعية كقاعدة سدّ الذرائع وقاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمان وما إلى ذلك .. وهذا غير صحيح.

إنّ أقوال الفقهاء يجب أن ننتفع بها وأن ندرسها ولكن على أنها ليست نصوصاً شرعية ملزمة .. إن صفة الإلزام إنما تكون للنصوص الصحيحة الثابتة في الكتاب والسنة.

* * *

إنَّ موضوع تعليم المرأة خضع للتأثر بالعادات والتقاليد في بعض البلاد الإسلامية، حتّى ألّف النعمان بن محمود الألوسي البغدادي (المتوفى سنة ١٣١٧هـ) رسالة بعنوان "الإصابة في منع النساء من الكتابة".[٢] وقد شغل

---

(١) رواه مسلم (٤٤٢)، وأحمد ٢/ ٧- ٩- ٥٧- ١٠٤- ١٤٣- ١٥٦.

(٢) وقد ذكر لي الأستاذ عبد الرحمن الباني رحمه الله أنه اطلع على مخطوطة لهذه الرسالة بتأليف نعمان بن محمود الألوسي، وهي في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وقد أوقفني أخي الأستاذ وليد عتمة الخبير بشؤون المكتبات والمخطوطات جزاه الله الخير على صورة هذه المخطوطة وطالعتها فوجدت أنها جواب عن سؤال ورد من الهند، والرسالة من فصلين وخاتمة، أما الفصل الأول فهي أدلة المجوزين، والفصل الثاني في أدلة المانعين والخاتمة في الحكم على أدلة الفريقين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا الموضوع اهتمام عدد من العلماء في القرنين الماضيين بين مانع ومجيز، فقد ألّف العلامة المحدث شمس الحق العظيم أبادي[١] رسالة قيمة عنوانها: "عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان"[٢] وكان ذلك في سنة ١٣٠٧هـ، وبيّن في هذه الرسالة أنّ الأحاديث التي تنهى عن تعليم المرأة أحاديث موضوعة تالفة واهية، ثم أورد أحاديث صحيحة تدل على جواز تعليم النساء الكتابة.

ثم كتب الدكتور تقي الدين الهلالي رسالة بعنوان "تعليم الإناث وتربيتهنّ"[٣] جرى فيها على ما جرى الشيخ العظيم أبادي من ردّ تلك الأحاديث الباطلة، وبيّن أن تعليمهن بالشروط الإسلامية أمر لا يمانع منه الدين بل يؤيده.

تلك حقيقة وهي أن الدين براء مما يزعمه بعض الناس استجابة لتقاليد وعادات معينة، وهناك حقيقة أخرى يجب التنبيه عليها وهي براءة العلم من كل نقيصة، ذلك أن بعض المتشددين الذين يعارضون تعليم المرأة يوردون أخباراً تدل على أن انحرافاً وفساداً في صفوف النساء رافق انتشار هذا التعليم، ونقول لهؤلاء: إننا بغضّ النظر عن البحث في صحة هذه الأخبار نقرر أنّ العلم ليس مسؤولاً عن ذلك، بل المسؤول عنه إن كانت هذه الدعوى صحيحة إنما هو المناهج وطرائق التربية والتوجيه في البيت والمدرسة ونوعية المعلمات ووسائل الاعلام.

إنَّ العلم نورٌ وهداية وخيرٌ سواء كان المتعلم ذكراً أم كان أنثى.

إننا لا نستبعد وقوع بعض الانحرافات عند بعض الشباب والشابات، ونرى أنه ينبغي دراسة هذه الدعوى دراسة موضوعية، والكشف عن أسبابها القريبة

---

(١) وهو مؤلف كتاب "عون المعبود شرح سنن أبي داود".

(٢) طبعت في المكتب الإسلامي بدمشق سنة١٣٨١هـ (١٩٦١م).

(٣) وهي من مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي بدمشق سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٣م).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والبعيدة.

ويجب أن نذكر ان المناهج التعليمية في أكثر البلاد العربية وضعها المستعمرون الذين كانوا يحرصون على أن يتخرج أبناء الأمة وبناتها منسلخين من الإيمان ومن القيم الإسلامية والسلوك المستقيم، إن كرومر (١٨٤١-١٩١٧)[١] الذي عُيّن عقب الاحتلال الإنكليزي لمصر سنة ١٨٨٣م وكيلاً بريطانيًا وقنصلاً عامًا في مصر أسند أمر التعليم ووضع المناهج الى قسيس مبشر خبيث هو (دوجلاس دنلوب) وعيّنه سكرتيراً عامًا لنظارة المعارف، وشرع دنلوب بعد الاتفاق مع كرومر في هدم الدراسة وتفريغها من كل المعاني الإسلامية، وكُلّف بأن يُحِلَّ الثقافة الإنكليزية محل الثقافة الفرنسية التي كانت من آثار حملة نابليون على مصر. قال الأستاذ محمود محمد شاكر[٢]: [ووضع (دنلوب) أسس التفريغ الكامل لطلبة المدارس المصرية، أي تفريغ الطلبة من ماضيها المتدفق في دمائها مرتبطًا بالعربية والإسلام، ومهّد الى ملئه بماضٍ آخر بائد في القدم والغموض، لم يبق من ثقافته شيء البتة، ليزاحمَ هذا الماضي الفارغُ بقايا الماضي المتدفق الحيّ .. ويجعل أجيال طلبة المدارس في حيرة مدمرة بين انتماءين، بين الانتماء إلى الثقافة العربية الإسلامية الواضحة في كتب أسلافهم، وبين الانتماء إلى الفرعونية التي بادت وبادت ثقافتها، ولم يبق منها إلا أطلال من الحجارة، مهما بلغت في العظمة والجلال فهي فارغة من ثقافة حية تتدفّق في القلوب والعقول والألسنة، إنما هي آثار لا تغني شيئًا ولا تؤتي ثمرة.

وأيضًا فإنّ هذا التفريغ سوف ينشئ أجيالاً من تلاميذ المدارس تتهتك علائقها التي تربطها بثقافتها العربية الإسلامية اجتماعيًا وثقافيًا ولغويًا، حتى

---

(١) "الموسوعة العربية الميسرة" ٢/ ١٤٥٦ .

(٢) رسالة "في الطريق إلى ثقافتنا" ص ١٤٨.

يتم تفريغها تفريغًا كاملاً من ماضيهم كلّه، ثم يَملأُ هذا الفراغَ علوم وآداب وفنون لا علاقة لها بما ضيهم، وإنما هي علوم الغزاة، وتاريخ الغزاة، وآداب الغزاة، ولغات الغزاة...].

ومثل هذا حصل في بلاد الشام والعراق وغيرهما فلقد عمل المستعمرون على إحياء ثقافات ميتة، وعنوا بالآثار القديمة، وأرادوا أن تحل هذه الحضارات الوثنية الميتة القديمة محل الحضارة الإسلامية الحية الغنية المتأصلة في أعماق النفوس.

هذا من جهة المناهج، وتبع ذلك طرح كتب مدرسية هدامة بين أيدي الطلبة والطالبات، وجاء بعد ذلك المعلمون والمعلمات الضعفاء علمياً، فبينما كان المعلمون علماء في العربية والعلوم الإسلامية، ملتزمين بأداء الواجبات متخلقين بالأخلاق الإسلامية الكريمة، حلّ محلهم خليط فيهم الصالح والطالح .. وفيهم المؤمن والملحد .. فهل نستغرب بعد كل هذا ظهور انحراف في افراد من الجيل الذي يتخرج على أيديهم؟

لقد كانت المدرسة في ماضينا القريب والبعيد (كُتّابا) يتلقى الطالب فيها مبادئ القراءة والكتابة، وكانت مدرسة قائمة على القرآن .. ثم تقلصت الدروس الدينية في المدارس العصرية في بعض البلاد إلى نصف ساعة في الأسبوع!!

إذن فالعلم من حيث هو غير مسؤول عما يذكرون.

إنَّ على الأخوات الفاضلات المدعوات إلى الإسهام في بناء الأمة على أساس الإسلام أن يعرفن واقعهنّ وجذوره التي صدر عنها.

إنَّ المؤسسات التعليمية هي التي تصوغ عقلية الأجيال، وتغرس في نفوسها المثل العليا، فيجب أن تكون هذه المؤسسات بمناهجها ورجالها ونسائها

وطرائق التربية والتوجيه فيها قائمة على أساس من الإسلام.

إنَّ معاول الهدم عاملة ليل نهار ومنذ زمن بعيد، فلا بُدّ من إدراك هذا الواقع والعمل على درء ما نستطيع من الخطر.

قد تقول قائلة من بعض البلاد الإسلامية التي اقتبست مناهج التعليم فيها من مناهج الكفار: ماذا نستطيع ان نصنع ولا حيلة لنا ولا طول.

أقول: هذا صحيح بصورة عامة .. ولكن يمكن أن يكون للبيت المسلم دور بنّاء إيجابي، البيت الذي يقوم على أبوين مسلمين واعيين.

ويمكن أن يكون لحلقات العلماء والعالمات الذين يتطوعون لتدريس العلوم الإسلامية المختلفة دور فعال. وكذلك يمكن أن يكون للمسجد دور هام بإقامة حلقات العلم والموعظة فيه، ويمكن أن يستعان بالمجلات الإسلامية والكتيبات الهادفة والشرائط التي تقوّم الانحراف، وتقرر المبادئ والقيم الإسلامية بأسلوب جذاب معاصر.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

النموذج المثاليّ للمرأة العالمة الجادّة التي يقلّ نظيرها في الرجال والنساء، هي أمُّنا أمُّ المؤمنين عائشةُ الصديقةُ بنتُ الصديق حبيبةُ رسول الله ﷺ وزوجتُه في الدنيا والآخرة. رضي الله عنها وأرضاها.

كانت من أكثر الصحابة رواية، فقد ذكر العلماء[١] أنّه رُويَ لها عن رسول الله ﷺ (٢٢١٠) ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث، اتفق بخاري ومسلم على (١٧٤) مائة وأربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين (٥٤) ومسلم بثمانية وستين حديثا (٦٨).

- قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشةُ أفقهَ الناس، وأعلمَ الناس، وأحسنَ الناس رأيًا في العامّة[٢].
- وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة[٣].
- وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمرٌ فسالنا عنه عائشة إلّا وجدنا عندها فيه علمًا[٤].
- وقال الزهري: لو جُمع علمُ عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء؛ لكان علم عائشة أفضل.

---

(١) "تهذيب الأسماء واللغات" ٢/ ٣٥١، و"سير أعلام النبلاء" ٢/ ١٣٥- ٢٠١.

(٢) "الإصابة" ٤/ ٣٤٩، و"سير أعلام النبلاء" ٢/ ١٨٥.

(٣) "الإصابة" ٤/ ٣٤٩، و"سير أعلام النبلاء" ٢/ ١٨٢.

(٤) "الإصابة" ٤/ ٣٤٩، و"سير أعلام النبلاء" ٢ / ١٧٩- ١٨٢.

- قال أبو الزناد: ما رأيت أحداً أروى لشعرٍ من عروة. فقيل لعروة: ما أرواك!! فقال عروة: ما روايتي في رواية عائشة؟ ما كان ينزل بها شيءٌ إلا أنشدت فيه شعراً.

وهكذا فقد اتفقت هذه الروايات المتقدمة على تبحّر السيدة عائشة رضي الله عنها في العلم وتضلعها فيه، وقدرتها على حل المشكل من مسائله بعد أن يعجز عن حلّها الرجال، كما جاء في رواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

والذي يلفت النظر في هذه الروايات ويستحق التسجيل مقولةُ عروة ابن أخت السيدة المصون رضي الله عنها، هذه المقولة التي تشير الى كمية المحفوظ الهائلة عندها من الأشعار، وإلى قوة استحضارها واستشهادها بالأشعار المناسبة في الوقت المناسب. يقول: ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً.

إن حفظَها لآيات القران الكريم، وللأحاديث التي سمعتها ووعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبليغَها للناس فضيلةٌ من أعظم فضائلها، وما أكثر فضائلها رضي الله عنها وهي في ذلك تمتثل التوجيه الربّاني الموجَّه لأمهات المؤمنين، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وأمّا اطلاعها على الأدب العربي وروائع نصوصه، وحفظُها لكثير من عيون أشعار العرب فذلك ممّا يزيد من قدرتها على فهم كلام الله تعالى واستنباط الأحكام والحكم التي فيه.

أقول: إذا كانت هذه السيدة الفاضلة رضي الله عنها أدركت هذه الحقيقة، وهي في عصر ازدهار اللغة العربية .. عصر الاحتجاج بكلامها وكلام معاصريها؛ لسلامة اللغة في ذاك العصر من اللحن والشوائب والدخيل، فما بال الذين جاؤوا من بعد في العصور التي تلت والتي تأثرت بالعجمة ففسدت السلائق وكثر اللحن؟ إنّ في

ذلك لدرسًا وعبرة للأخوات الداعيات .. نعم لا بُدّ من التمكن في اللغة العربية وآدابها لمن يريد أن يتذوق جمال القرآن ويريد أن يغوص في أعماق معانيه، ويريد أن يدعو له.

ويحسُن بي أن أورد كلمة الإمام النوويّ في ذلك قال رحمه الله:

[أمَّا بعد، فإنّ لغة العرب لمّا كانت بالمحلّ الأعلى، والمقام الأسنى، وبها يُعرف كتابُ رب العالمين، وسنةُ خير الأولين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، صلواتُ الله عليه وعلى سائر النبيين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اجتهد أُلو البصائر والأنفس الزاكيات، والهمم المهذبة العاليات، في الاعتناء بها، والتمكن من إتقانها، بحفظ أشعار العرب وخطبهم ونثرهم، وغير ذلك من أمرهم، وكان هذا الاعتناء في زمن الصحابة رضي الله عنهم مع فصاحتهم نسبًا وداراً، ومعرفتهم باللغة استظهاراً، لكن أرادوا الاستكثار من اللغة التي حالها ما ذكرنا، ومحلّها ما قدّمنا، وكان ابنُ عباس وعائشةُ وغيرهما رضي الله عنهم يحفظون من الأشعار واللغات، ما هو من المعروفات الشائعات.

وأمَّا ضرب عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما أولادهما لتفريطهم في حفظ العربية فمن المنقولات الواضحات الجليّة.

وأمّا المنقول عن التابعين ومن بعدهم في ذلك فهو أكثر من أن يحصر، وأشهر من أن يذكر]. ويتابع الإمام النووي:

[وأمّا ثناء الإمام إمامنا الشافعيّ رحمه الله وحثُّه على تعلم العربية في أول رسالته فهو مقتضى منصبه وعِظَمِ جلالته. ولا حاجة إلى الإطالة في الحثِّ عليها، فالعلماء مجمعون على الدعاء إليها، بل شرطوها في المفتي والإمام الأعظم والقاضي لصحة الولايات، واتفقوا على أن تعلمها وتعليمها من فروض

الكفايات] انتهى كلامه.[١]

- ولدت رضي الله عنها بعد المبعث بأربع سنين أو خمس.[٢]
- وذكر أبو بكر بن خيثمة في تاريخه عن ابن اسحاق أنّ عائشة رضي الله عنها أسلمت صغيرة بعد ثمانية عشر إنساناً ممن أسلم.[٣]
- عقد عليها رسول الله ﷺ وهي بنتُ ستّ سنين، وبنى بها بعد الهجرة في شوال سنة اثنتين وهي بنت تسع سنين وقبض رسول الله ﷺ وهي بنت ثماني عشرة سنة.
- وقد جمعت صفاتٍ كريمةً قلّ أن تجتمع في امرأة من الذكاء النادر، والشخصية القوية، والإيمان الصادق، والورع الكامل، والنظر البعيد، والكرم الواسع، والبيان البليغ، والبديهة الحاضرة، والذهن الجوال، والعلم الواسع، والمرح والحيوية، والمشاركة في الحياة الفكرية والاجتماعية، وتبليغ ما كان عندها من العلم بأمانة وجرأة وثقة بنفسها ورأيها.
- توفيت سنة ٥٨ ثمان وخمسين في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها.

إنَّ السيدةَ عائشةَ الصدّيقةَ بنت الصدّيق زوجَ النبي ﷺ وحبيبتَه أمَّ المؤمنين من الرائدات في التعلّم والتعليم وفي الدعوة والتربية والتوجيه.

لقد نشأت رضي الله عنها في بيت سيدنا أبي بكر العظيم أفضل الخلق بعد الأنبياء رضوان الله عليه .. بيت الصدق والاستقامة، بيت الفداء والسخاء، بيت الطهر

---

(١) "تهذيب الأسماء واللغات" ١/ ٢- ٣.

(٢) "الإصابة" لابن حجر.

(٣) "تهذيب الأسماء واللغات".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والإباء، ولقد اقتبست من أبيها البيان والصدق، وقوة الحجة والاستقامة، والحماسة في نشر الدعوة والجهاد في سبيل الله.

ثم انتقلت إلى بيت النبوة وهي بنت تسع سنين في وقت التلقي والاستعداد للحفظ وتحصيل العلم، وكانت رضي الله عنها شديدة الذكاء، متوقّدة الذهن، تُحسن الاستفادة من وقتها.

لقد أحبّت رسول الله ﷺ وأحبّها رسول الله ﷺ، واستطاعت أن تدخل السرور عليه، وأن تهيء له في بيتها حياة زوجية سعيدة. ملتزمة بالخلق الرضي، قائمة بما أوجب الله عليها من الواجبات، متصفة بكريم السجايا، مؤدية ما يقربها إلى الله من النوافل والأذكار المستحبات، لم يشغلها ذلك كلُّه عن تحصيل العلم الشرعي وحفظِ عيون الأخبار والأشعار والخطب. وههنا تبدو القدرة العظيمة التي وهبها الله إلى عائشة، فالجمع بين ما ذكرنا يدل على تلك القدرة.

وقد جمعت بين الحب الشديد لرسول الله ﷺ وبين الصبر على شظف العيش، فرسول الله سيّدُ الزاهدين.

تقول رضي الله عنها: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض.(١)

وفي رواية: ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البُر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض.

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا بن أختي إن كنّا ننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات

(١) رواه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رسول الله ﷺ نار.

قلت: يا خالة! فما كان يعيشكم؟

قالت الأسودان: التمر والماء، إلّا أنّه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح (أي شياه ونوق) وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا.(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

إنَّ رسول الله ﷺ جاءها حين أمر الله أن يُخيّر أزواجه فبدأ بي رسولُ الله ﷺ فقال: «إنّي ذاكرٌ لك أمراً فلا عليك أن تستعجلي حتى تستأمري أبويك – وقد علم أنّ أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه – ثم قال: «إن الله جلّ ثنائه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]».

قالت عائشة: قلت له: ففي أي هذا استأمر أبوي؟ – وفي رواية: أفيك استأمر أبوي؟– فإني أختار الله ورسوله والدار الآخرة.

ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت.(٢)

كلّ الناس يتعرضون إلى هذا الامتحان .. إلى الموازنة بين زهرة الحياة الدنيا وبين الآخرة .. والإقدام على أحد الأمرين .. سواء كانوا رجالاً أم نساءً، تجاراً أم صناعاً أم موظفين .. والسعيد من وفق في الاختيار.

---

(١) رواه البخاري (٢٥٦٧)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٢) رواه البخاري (٤٧٨٦- ٤٧٨٧) وهذه روايته، ومسلم (١٤٧٨- ١٤٧٩). وروى النسائي في "السنن الكبرى" برقم: ٩٢٠٨، و"المسند" لأحمد ٣/ ٣٢٨ نحوه من طريق أبي الزبير عن جابر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا بُدّ للدعاة والداعيات من أن يؤثروا ما عند الله على الدار الفانية .. وقد جاءت الموازنة بين الدنيا والآخرة في كتاب الله في مواضع كثيرة:

- من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].
- ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٤-١٥].
- ومن ذلك قوله عزَّ من قائل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٨-٣٩].
- ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٠-٢١].

لقد أُمر رسول الله ﷺ أن يُخيّر أزواجه بين البقاء مع رسول الله ﷺ وهو في العيشة التي ذكرنا بعض سماتها كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة وبين أن يسرحهن سراحاً جميلاً إن كُنّ يردن الحياة الدنيا وزينتها .. وبدأ بعائشة .. فلم تتردد تلك الفتاة التي كانت في مقتبل العمر في إيثار ما عند الله والدار الآخرة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والبقاء مع الرسول الزاهد العظيم ﷺ، وأبت أن تستأمر أبويها وأبت أن تنتظر لتفكر في الأمر .. بل سرعان ما أعلنت قرارها دون إبطاء وقالت: بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وهذا الموقف يدل على سداد رأيها وبعد نظرها.

لقد اجتمعت في السيدة أمّ المؤمنين عائشة فضائل وصفات قلَّ أن تجتمع كلها في امرأة واحدة .. لقد اجتمع فيها: الإيمان الصادق، ووفرة العلم، وبعد النظر، وسداد الرأي، ورجاحة العقل، وحسن العشرة، وكريم الخلق، وجمال الخلقة، وكريم المنبت وشرف النسب، وبلاغة اللسان، وحضور البديهة، والسخاء وفعل المعروف .. وغير ذلك من الفضائل.

لـذا كانت حبيبة رسول الله ﷺ.

سأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ:

- أيُّ الناس أحب إليك يا رسول الله؟
- قال ﷺ: «عائشة».
- قال: فمن الرجال؟
- قال: «أبوها»[(١)].

قال الذهبي: [وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحبّ إلا طيباً، وقد قال: «لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام أفضل».[(٢)]

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) هذا الحديث صحيح ورد بعدة روايات وقد أخرجه مسلم برقم: ٢٣٨٣، وأحمد والبخاري برقم: ٣٦٥٦-٥٧-٥٨ ففي رواية البخاري: «لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه اخي وصاحبي»، وفي رواية مسلم: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله» انظر "صحيح الجامع الصغير".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأحبّ أفضلَ رجل من أمته، وأفضلَ امرأةٍ من أمته، فمن أبغض حبيبيْ رسول الله ﷺ فهو حريٌّ أن يكون بغيضـًا إلى الله ورسوله.

وحبُّه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمراً مستفيضـًا، ألا تراهم كيف كانوا يتحرّون بهداياهم يومها تقربـًا إلى مرضاته، فاجتمعت أزواج النبيّ ﷺ إلى أم سلمة وقلنّ لها: إنَّ الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة، وإنّا نريد الخير كما تريده عائشة، فقولي لرسول الله يأمر الناس أن يُهدوا له أينما كان. فذكرت أم سلمة له ذلك، فسكت ولم يردّ عليها، فعادت الثانية فلم يردّ عليها، فلما كانت الثالثة قـال:

«يا أم سلمة! لا تؤذيني في عائشـة؛ فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحافِ امرأةٍ منكنّ غيرِها».[(١)]

وهذا الجواب منه دالّ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبّه لها، وأنّ ذلك الأمر من أسباب حبه لها. متفق على صحته].[(٢)]

- ومن خصائصها رضي الله عنها أنّ جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سَرَقة من حرير وقال للنبيّ ﷺ: هذه زوجتك.

  وروي أنه أتى بصورتها في راحته.
- ومن ذلك أن النبيّ ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.
- ومن ذلك أنه صلوات الله وسلامه عليه قُبض ورأسه في حجرها.
- ومن ذلك أنه دفن في بيتها.
- وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافها.

---

(١) رواه البخاري (٣٧٧٥)، ومسلم(٢٤٤١- ٢٤٤٢).

(٢) "سير أعلام النبلاء" ٢/ ١٤٢.

- ومن خصائصها أنها نزلت براءتها من السماء.
- وأنها بنت خليفة رسول الله وصديقه.
- وأنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقًا.
- وأنها رأت جبريل. فقد أخرج أحمد وابن سعد عن عائشة أنها قالت: رأيتك يا رسول الله وأنت قائم تكلم دحية الكلبي.

  قال: «وقد رأيته؟». قالت: نعم.

  قال: «فإنه جبريل وهو يقرئك السلام».

  قالت: وعليه السلام ورحمة الله، جزاه الله من زائر ودخيل، فنعم الصاحب ونعم الدخيل[1]. والدخيل: الضيف.

  وجاء في صحيح البخاري أنه قال لها يومًا: «يا عائش؛ هذا جبريل يقرئك السلام». فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته. ترى ما لا أرى.

- كان مسروق اذا روى عن عائشة قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق، حبيبة رسول الله، المبرأة في السماء.
- وفي الصحيحين[2] عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «... فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».
- ومن خصائصها أن رسول الله ﷺ كان حريصًا على أن يُمرّض في بيتها فقد اخرج البخاري[3] أنّ رسول الله ﷺ لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: «أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟» حرصًا على بيت عائشة. قالت عائشة: فلما كان يومي سكن.

---

(١) رواه أحمد ٦/ ٧٤- ٧٥- ١٤٦، و"طبقات ابن سعد" ٨/ ٦٧- ٦٨.

(٢) رواه البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٤٦).

(٣) رواه البخاري (٣٧٧٤).

- ومن فضائلها – وما أكثر فضائلها ﵂ – أنها كانت إذا بدأت بعمل طيب لزمته واستمرت عليه، وقد روت عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه مسلم وغيره أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ».(١) وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته.(٢)

وهذه الخصلة التي كانت عائشة متصفة بها من أكرم الخصال التي يجب التحلّي بها من قبل الدعاة والداعيات إلى الله، وهي مهمة جداً في مجال البناء.

إنّ العمل المستمر يترك أثراً كبيراً في الناس، وينفع صاحبه عند الله. ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة للتوضيح.

أراد فريق من التجار والموظفين أن يتعلموا ما ينفعهم في أمور دينهم، فالتقوا على عالم، وجعل لهم موعداً أسبوعياً، يقرؤون عليه نصف صفحة من المصحف، يضبط لهم قراءتهم، ويشرحها لهم، ويطالبهم بحفظها، ثم في الأسبوع المقبل يستمع إلى حفظهم. واشترط عليهم الاستمرار .. واستمروا، ولم تمضي عليهم سنوات حتى حفظوا ثلثي القرآن ووقفوا على تفسير ما حفظوا، وهم ماضون.

إنَّ هذا الصنيع أفضل من أن يكلفوا بحفظ سبع صفحات في الأسبوع .. إنهم لو وافقوا فسرعان ما ينفضُّ جمعهم ويهرب معظمهم بعد أسبوعين.

وهكذا فعلى الداعيات إلى الله العاملات في بناء الأمة أن يكون عملهنّ مستمراً، ولا يمكن أن يكون مستمراً إلّا بأن يكون هذا العمل في حدود الطاقة.

---

(١) لفظ هذا الحديث أخرجه البخاري برقم: ٦٤٦٤ عن عائشة بلفظ: «سددوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ».

(٢) رواه مسلم (٢١٨- ٧٨٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن من يصلي كل ليلة أربع ركعات من قيام الليل أو ركعتين ويستمر على ذلك خيرٌ ممن صلّى الليل كله أياماً معدودة ثم انقطع.

أخرج ابن ماجه[١] عن عائشة أنها قالت: كانت عندي امرأة، فدخل عليّ النبيُّ ﷺ فقال: «مَنْ هذه؟».

قلت: فلانة، لا تنام - تذكر من صلاتها -

فقال النبي ﷺ: «مَهْ. عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملّ الله حتى تملوا».

قالت عائشة: وكان أحب الدين إليه الذي يدوم عليه صاحبه.

والعامة تقول: ساقية جارية خيرٌ من نهر مقطوع.

لقد بلغت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في العلم منزلة عالية جداً، إذ أُتيحت لها ظروف لم تتح لكثيرٍ من نساء عصرها، وأوتيت مواهب نادرة ما اجتمعت كلها في امرأة سواها، فكانت تلك الظروف والمواهب سبباً في بلوغها تلك المنزلة السامية في العلم.

فلقد مرَّ بنا حديث أبي موسى رضي الله عنه الذي يقول فيه: (ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة إلّا وجدنا عندها فيه علماً) وكفى بها شهادة عظيمة.

يقول أستاذنا العلّامة الشيخ سعيد الأفغاني رحمه الله: [سلختُ سنين في دراسة السيدة عائشة رضي الله عنها، كنتُ فيها حيال معجزة لا يجد القلم إلى وصفها سبيلاً، وأخصُّ ما يبهرك فيها علمٌ زاخر كالبحر بُعْدَ غور، وتلاطم أمواج، وسعة آفاق، واختلاف ألوان، فما شئت إذ ذاك من تمكنٍ في فقهٍ، أو حديث، أو تفسير، أو علم بشريعة، أو آداب، أو شعر، أو أخبار، أو أنساب، أو مفاخر، أو طبّ، أو تاريخ .. إلّا أنت واجد منه ما يروعك عند هذه السيدة، ولن تقضي عجباً من

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اضطلاعها بكل أولئك وهي لا تتجاوز الثامنة عشرة].[1]

وقال أيضا: [من خصائص المرء ذي الطبيعة العلمية أن يكونَ طُلَعةً كثير السؤال، لا يهدأ له بال حتى يُرضي طمأنينته، ويجلو لنفسه كل خفيّ مما يحيط به. وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها بهذه الصفة، ساعدها على بلوغ ما بلغت من المعرفة أنها رُبِّيتْ في حجر أبي بكر الصدّيق أعلمِ الناس بأنساب العرب وأخبار قبائلها وميزات بطونها، فحازت من ذلك علماً كثيراً، ثم انتقلت إلى بيت الرسول ومهبط الوحي، فكانت أقرب الناس من معين العلم، فغرفت منه ما لم يتيسر لأحد غيرها، لمكانها منه زوجة، ولِما تفرّدت به من ذكاء نادر وفكر واسع، وكلما عظم حظ الإنسان من المعرفة كثر تطلعه إلى ما فوقه. أما الجاهل فليس بمعنيّ أن يبحث أو يسأل، فإذا أصاب من المعرفة حظاً ما بطريق العَرَضِ كان أبعد الناس عن أن تطلب نفسه مزيداً أو تثير له شكوكاً أو تحدثه بسؤال يسأله.

وقد أوردت السيدة رضي الله عنها على الرسول ﷺ من الأسئلة في كل ما يمر بها من موضوعات: في الفقه والقرآن والأخبار والمغيبات وأمور الآخرة ، وفيما يعرض له من أحداث وخطوب، وما يفد عليه من وفود.

وبعد انتقال النبي ﷺ كان علم عائشة رضي الله عنها قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج في كل ما يتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه ..

وبقيت المدينة - لأسباب أهمها وجود عائشة - دار الحديث ومنبع العلم، فحين يُشكل على أهل الأمصار أمرٌ من الأمور يكتبون إلى أصحاب رسول الله ﷺ في الحجاز يسألونهم عن حكم الله فيه، فكان هؤلاء اذا فاتهم علم شيء رجعوا الى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه كعبد الله بن عمر، وأبي

---

(١) مقدمة الأستاذ سعيد الأفغاني لكتابه "الإجابة لإيراد ما استدركنه عائشة على الصحابة" ص٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هريرة، وعبدالله بن عمرو، وعروة وعبدالله ابنيْ الزبير .. تُروى عنهم الأحاديث، وتنشر الأحكام حتى صاروا مقصد الرواد. ومقام السيدة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذه، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يحيل عليها كل ما تعلّق بأحكام النساء أو بأحوال النبي ﷺ البيتية، لا يضارعها في هذا الاختصاص أحد من الرجال ولا النساء.

ويصل إلى مسمع السيدة ﷺ عن أولئك العلماء روايات وأحكام على غير وجهها، فتصحح لهم ما أخطؤوا فيه أو خفي عليهم، حتى عرف ذلك عنها .. ومن هنا طار لها ذلك الصيت في التمكن من العلم، ورجع إلى قولها كبار الصحابة كأبيها أبي بكر وعمر وابنه وأبي هريرة وابن عباس][(١)].

وقد استدركت على كثير من الصحابة ما أوردوا من أحاديث [وكان الناس يقعون منها في كل ذلك على علم غزير، وفهم حصيف، ورأي صائب، ولا غرو فقد كانت السيدة عائشة ﷺ الملجأ الأخير الذي ترفع إليه مسائل الخلاف والروايات وأحكام الشريعة لتمحيصها والقضاء فيها بالقول الفصل.

ومن هنا توقن أن حياة السيدة عائشة ﷺ بنت مجداً باذخاً لتاريخ المرأة العلمي في الإسلام، بل إنَّ عبقريتها وحدها كفيلة بملء تاريخ كامل .. ولتعلم بعد هذا سيداتنا أنَّ امرأة منهن في صدر الإسلام تتلمذ عليها مَشْيَخَةُ المهاجرين والأنصار من كل حَبْر وعالم وفقيه وقارئ وراوية، وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك].[(٢)]

وما عساني أذكر لكنّ من فضائلها ﷺ، وفضائلها كثيرة كثيرة، ولقد عقد

---

(١) "الإجابة" للزركشي. مقدمة الأستاذ الافغاني ص٤-٥.

(٢) "الإجابة" للزركشي. مقدمة الأستاذ الافغاني ص٦.

الإمام الزركشي في كتاب "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" فصلاً ذكر فيه أربعين فضيلة لها، ووثق كلامه بالأحاديث النبوية، والروايات التاريخية.

هذا وقد جمع الزركشي في هذا الكتاب المسائل التي استدركت فيها عائشة على الصحابة والذي يدرس هذا الكتاب الممتع المفيد يخرج بفكرة واضحة عن آرائها، وبصورة معبّرة عن استقلالها الفكري وعن ثقتها بنفسها واعتزازها بآرائها.

إننا مع إعجابنا الشديد بشخصية أمنا أمّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، وبسداد رأيها في كثير من هذه المسائل التي استدركتها على الصحابة نقرر أنها ليست معصومة لأنّ العصمة عند أهل السنة والجماعة ليست لأحد من الخلق سوى الرسل فيما يبلغون عن الله تبارك وتعالى.

وإنما بسطنا طرفًا من أخبار حياتها المباركة لتكون القدوة لبناتنا وأخواتنا الناهضات العازمات على بناء أمتهن .. لقد تركت السيدة عائشة رضي الله عنها دويًا في التاريخ لم تتركه معاصرة لها، ولقد نفع الله بعلمها.

إنّ الذي ينظر في مسند عائشة من "مسند أحمد" يجد أحاديث كثيرة في شؤون مختلفة من أمور الدين .. في العقيدة، والتفسير، والفقه، والفرائض، والآداب الاجتماعية العامة.

كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلّا راجعت فيه رسول الله ﷺ:

من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عنها رضي الله عنها قالت:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حوسب يوم القيامة عُذّب» فقالت: قلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

فقال ﷺ: «ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض. من نوقش الحساب يوم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القيامة عُذّب».[١]

ولقد كان رسول الله ﷺ يكرمها ويكرم صواحبها من الفتيات الصغيرات: أخرج البخاري ومسلم وأحمد وابن سعد عن عائشة أنها قالت: كُنتُ ألعبُ بالبنات – تعني اللُّعَب – فيجيء صواحبي، فينقمعن من رسول الله ﷺ – أي يتغيبن منه ويدخلن وراء الستر – فيخرج رسول الله ﷺ فيدخلن عليّ، وكان يُسرّبهنّ إليّ فيلعبن معي[٢].

وقالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد، وإنه ليسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقف من أجلي، حتى أكون أنا التي أنصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن التي تسمع اللهو[٣].

- وكانت رضي الله عنها كريمة جداً، فقد أخرج ابن سعد وغيره من طريق أم درّة أنها قالت: أُتيتْ عائشة بمائة ألف، ففرقتها، وهي يومئذ صائمة، فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟

فقالت: لو كنت أذكرتني لفعلت.

- لقد جمعت إلى تلك المزايا المعنوية العظيمة أنها كانت على درجة عالية من الجمال، وكان ﷺ يتوددّ إليها فناداها مرة: يا حميراء.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٦- ٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) رواه مسلم (٢٤٤٠)، وأحمد ٦/ ٢٣٤، وابن سعد ٨/ ٦١.

(٣) رواه البخاري (٤٥٤) في المساجد: باب أصحاب الحراب في المسجد، وفي العيدين: باب الحراب والدرق يوم العيد برقم: ٩٥٠، وفي النكاح: باب نظر المرأة إلى الحبش وغيرهم برقم: ٥٢٣٦، ومسلم برقم: ٨٩٢ (١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١)، وأحمد ٦/ ٨٤-١٦٦- ١٨٥ -٢٧٠، والنسائي ٣/ ١٩٥.

وهنا فائدة علمية: فقد جـاء في "الأسرار المرفوعة" للقاري:

[٦٠٨- حديث يا حميراء. قال المزي: كل حديث فيه يا حميراء فهو موضوع].

وقلت في التعليق على ذلك: [يبدو أن على هذا القول استدراكـًا، لاسيما وأن الكلام المروي عن الحافظ المزي فيه استثناء. فقد ذكر الزركشي في "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" ص٥٨ ما يأتي: [جاء في حقها «خذوا شطر دينكم عن الحميراء» وسالت شيخنا الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله عن ذلك فقال:

كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي رحمه الله يقول: كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلّا حديثـًا في الصوم في "سنن النسائي". قلت – القائل ابن كثير –: وحديثـًا آخر في "النسائي" أيضـًا: عن أبي سلمة قال: قـالت عائشـة: دخـل الحبشة المسجد يلعبون فقـال لي: «يـا حميراء ! أتحبين أن تنظري إليهم؟» الحديث، وإسناده صحيح.

وروى الحاكم في "مستدركه" حديث: ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة فقال: «انظري يا حميراء ألّا تكوني أنت». ثم التفت إلى علي فقال: «إن وليت من أمرها شيئـًا فارفق بها» وقال: صحيح الاسناد].

قلت: وتعقب الذهبيُّ الحاكمَ بأنَّ البخاري ومسلمـًا لم يخرجا لعبد الجبار، وعبد الجبار هو ابن الورد ترجم له الذهبي في "الميزان"[(١)] ونقل عن البخاري أنه يخالف في بعض حديثه.

إذن فقوله: «خـذوا شـطر دينكم عن الحميراء» باطلٌ لا أصل له، إنه ﷺ قد

(١) "ميزان الاعتدال" ٢/ ٥٣٥.

يتحبب إلى زوجه فيذكر لها أنها جميلة، والنساء يعجبهنّ أن يُثنى عليهن ولاسيما بما يتصل بالحسن، أما أن يخاطب الناس ويقول لهم: «خذوا دينكم عن الحميراء» فهذا مستبعد حتى من الناس العاديين؟

- توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ٥٧هـ وقيل سنة ٥٦ وقيل سنة ٥٨، وصلّى عليها أبو هريرة، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً، فدفنت من ليلتها بعد الوتر. رحمها الله ورضي عنها وأرضاها.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زينــة المــرأة

إنَّ عليكنَّ أيتها الداعيات أن تعرفنّ واقع أمّتكن بوجهيه المشرق والمظلم، وأن تدركنّ أنَّ أعداءنا استطاعوا أن يخدعوا فريقًا منّا وأن يفتنوهم، وقد ركزّوا قسمًا كبيراً من جهودهم على المرأة المسلمة؛ لأنهم يعلمون أنَّ فساد المرأة يقود إلى فساد المجتمع.

واتخذوا لغايتهم الهدامة هذه وسائلَ عدةً: فكريةً ونفسيةً واجتماعية، ومن ذلك أنهم أغروا المرأة بالمبالغة في الزينة على اختلاف أنواعها.

وهذا يشغلها عن متابعة الأمور الفكرية، ويشغلها عن القيام بشؤون الزوج والأولاد، ويستنزف مال الأسرة .. ويسبب متاعب ومشاكل أسرية لا حصر لها.

لقد عرفوا أن المرأة بطبيعتها تميل إلى الزينة. قال تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف: ١٨]. فالرغبة في الزينة خُلُق رُكب في المرأة كما قال الشاعر(١):

خُـلُقٌ رُكّـب فيهـنَّ كبـاراً وصغـارا
تسبق الشـمطاءُ ذاتُ العقل في ذاك العذارى
يسـتعرن الحسن شرُّ الحسن ما كان معـارا
كلـما أمعـنَّ في الزينـة جانبـن الوقـارا

ثم أغروها بالخروج إلى الشـوارع والتـبرج وهي في أبهى زينتها.

وقد لَمَسـتْ هـذا الخطر المدمر سـيدة عالمـة فكتبت كلمة تحـذّر المرأة المسلمة مما انساقت إليه من تقليد وميوعة وذل، وكان ذلك منذ بضع وأربعيـن

(١) عزيز آباطه: "مسرحية العباسة" ص ١٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سـنة[١]، قالت:

[ولقد يبدو – أول وهلة – أن الزيّ الإنسانيّ عَرَض خارجيّ لا يرتبط بأعماق الإنسان، غير أنني لست من أنصار هذا المذهب، وإنما أدين بأنَّ كل مظهر من حياة الإنسان مرتبط بصميم روحه.

فالحياة مترابطة موحدة لا يمكن تجزئتها، والملبس يؤثر في العقل، ويحدث تغييراً في روح الإنسان، وعندما تختار المرأة العربية اليوم لنفسها أن تكون متبرجة مبالغة في الأناقة، فهي بذلك تُصدر على ذهنها وروحها حكمًا قهاراً يزجّ بها في ظلمات فلسفية وفكرية لا حصر لها].

ثم تعرضت إلى نقد المجلات النسائية في تلك الحقبة فقالت:

[ولعل خير بداية نفتتح بها دراستنا لحياة المرأة العربية أن ننظر في المجلات التي تسمى نفسها نسائية.

فماذا سنجد فيها؟ إنها في أغلب الحالات مجلات أزياء، لا تجعل للمرأة هدفًا أبعد من ملابسها وحقائبها وأحذيتها. وهذه المجلات تعامل المرأة الحديثة معاملة جواري ألف ليلة وليلة، فتكتب لهن أمثال هذه العناوين المهينة: "سيدتي. ماذا تلبسين في رحلة بحرية؟" أو "فساتين الصباح" أو "تسريحات للشعر بعد الظهر" أو "بأي ملابس تظهرين في حفلة العشاء؟". فما تلبسه المرأة في الصباح يختلف عما يلبس في المساء .. ولضفاف البحر ملابس خاصة .. وعلى المرأة المتوسطة أن تكون لها ملابس لكل هذه المناسبات، وأن يكون لها أكثر من واحد لتستطيع التغيير والتبديل، ولكل ثوبٍ عِقدٌ خاصّ به وأقراط، وأحمر شفاه

---

(١) هذه السيدة هي الشاعرة نازك الملائكة وألقت هذا الكلمة في جامعة البصرة في ٥/ ٣/ ١٩٦٨م وقد طبعها محمد عيد عباسي في دمشق بأذن من الدكتورة بعنوان "مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية".

ينسجم معه، وحذاء وحقيبة .. إن معنى ذلك أنّ الجمال الإنساني أصبح من التكلّف والتعقيد بحيث لا يمكن تحقيقه إلا بتبديد الوقت وهدر الطاقة وقتل الروح (وإضاعة المال) .. إن الجمال ملك للوردة الحمراء المشتعلة بالحرارة واللون والخصوبة على غصنها اللدن، والوردة لا تتأنق. الجمال ملك للفراشة التي وهبها الله ألوانها، ولم تضع على شفتيها أحمر الشفاه، ولم تزجج حاجبها بالقلم الأسود. الجمال ملك لفتاه ذكية العينين بسيطة المظهر، يشع وجهها عطفاً وحناناً وكأنها تريد أن تحتضن الوجود كله وتغمره بمشاعرها الكريمة.

وهذا الجمال المرهف العذب مبذولٌ زهيد الثمن، تملكه كل فتاة دون أن تضيع وقتها في سوق الملابس، وعند الخياطة الجاهلة. إنه جمال ينبع من الروح الكبيرة المستوعبة، والذهن الحرّ المرن، والقلب النابض الرقيق، وهو جمال الخلق الكريم والعذوبة والخشوع لله تبارك وتعالى والنزاهة وكبر نفس.

وهذا الجمال لا علاقة له بالملابس والحلّاق؛ لأنه يتألق على وجه كريم، وعيون حنون معطاء. وهو يلمع على الشعر المسترسل الذي لا يهينه الحلاق بالعبث به .. وأما التأنق فما أتفهه! وما أشدّ إذلاله لروح الإنسان! ... التأنّق هو الجمال المزيّف .. فبدلاً من أن تعتمد الفتاة على مرونة ذهنها وسعة ثقافتها، وجمال روحها .. نجدها تعتمد على كثرة ملابسها والتصنع في شعرها، وبدلاً من أن توسع آفاق فكرها بالمعرفة والعلم، تلجأ إلى التبرج والملابس القصيرة الضيقة التي تبرز أعضاء الجسم كما تبرز أجسام الجواري في سوق النخاسين].[1]

---

(١) هذا كلام أستاذة جامعية بينت أن هذا الوضع القائم له مخاطره الكبيرة على الاسرة والمجتمع، وقد كان هذا قبل أكثر من خمسين سنة، وربما يكون الوضع الآن أكثر تدهوراً وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أقول: إنَّ الإسلام لا يمانع من أن تتزين المرأة لزوجها أو للنساء المسلمات، ولكن على أن يكون ذلك ضمن الحدود الشرعية وذلك:

١- بأن تكون الزينة بعيدة عن الإسراف والتكبر لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كلو واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة» رواه الطيالسي والحارث بن ابي أسامة[١] وزاد: «فإنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» ورواه البخاري تعليقًا.[٢]

وعن ابن عباس قال: (كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: إسراف ومخيلة) رواه البخاري تعليقا.

والواقع أنّ الزينة عند كثير من النساء لا تخلو من التكبر والإسراف.

ونقل ابن حجر عن الموفق عبد اللطيف البغدادي التعليق الآتي عن حديث ابن عمرو. قال:

[هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه، وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة، فإن السرف في كل شيء يضرّ بالجسد، ويضرّ بالمعيشة فيؤدي إلى الإتلاف، ويضر بالنفس إذ كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال.

والمخيلة: تضر بالنفس حيث تكسبها العجب، وتضر بالآخرة حيث تكسب الإثم، وتضر بالدنيا حيث تكسب المقت من الناس].[٣]

وقد يكون السرف في ذلك سببًا في تحميل الزوج ما لا يطيق من النفقة، فيحمله تأمين المبالغ المطلوبة على سلوك سبل محرمة في تحصيل المال.

---

(١) الطيالسي ص ٢٩٩، و"بغية الباحث عن زوائد الحارث" ٢/ ٦٠٧.

(٢) "صحيح البخاري" قبل رقم: ٥٧٨٣.

(٣) "فتح الباري" ١٠/ ٢٥٣.

٢- بأن تُجتنب المنهيات في الزينة كالتنمص وهو أخذ شيء من شعر الحاجب، والتفلج وهو برد الأسنان ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً، والوشم لحديث عبدالله بن مسعود قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله .. وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ» متفق عليه.(١)

٣- وبأن لا تكون الزينة تقليداً للكفار أو الرجال أو الساقطات من النساء.

٤- وبأن تكون القائمةُ بالتزيين امرأةً مسلمة، فلا ينبغي أن تكشف المرأة عن شعرها أمام الكافرة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١]. أما أن تكشف شعرها ووجهها أمام الرجل فهذا أشد حرمة والعياذ بالله.

٥- وبأن لا تكون الزينة غايةً بحدّ ذاتها، بحيث تشغل وقت المرأة، فلا يبقى لها وقت للقيام بواجباتها نحو أولادها وزوجها ونحو عقلها وقراءتها، ونحو قلبها من صلاة نفل أو ذكر.

٦- وأن يكون التزين في الحدود المعروفة، فلا يكون مبالغًا فيه، لأن المبالغة فيها تسيء الى صاحبتها، وتجلب لها المقت والاستنكار وقد تجلب الشناعة.

ولا بُدّ أن يكون في خططكنّ وأنتن تقمن بالدعوة والبناء كيف تعالج هذه الشريحة التي انساقت في تيار الزينة المبالغ فيه.

وأنا أعترف أنّ الأمر فيه صعوبة، لأنّ الزينة أمر أساسي عند المرأة كما

---

(١) رواه البخاري (٥٩٣٩)، ومسلم (٢١٢٥)، وأبو داود (٤١٦٩)، والترمذي (٢٧٨٣)، والنسائي ٨/ ١٤٦.

ذكرنا. فكيف نكفكف هذا الأمر حتى لا يغدو مرضاً عائقاً عن القيام بالواجب.

ولكن التخطيط المحكم والإخلاص وحسن التأتي يحقق ما نريد أو أكثر ما نريد والله المستعان.

تلك تصرفات وفدت إلينا من الغرب، وهي المبالغةُ في الزينة، والتبرجُ، وما يتبع ذلك من إغواء الشباب ولو كان عن غير قصد من المتبرجة المتزينة، وقد أوردنا كلمة السيدة الجامعية في إنكار الواقع الذي انحدر إليه عدد من النساء في بلادنا مقلدات لأعدائنا.

ولابُدّ من أن نضيف إلى تلك التصرفات تصرفات منحرفة لبست لبوس الدين، والدين منها براء، وقد انخدعت بهذه التصرفات المنحرفات نساء كثيرات، إذ يقوم دجّالون يوهمونهن بأنّ لهم أعواناً من الجن، يستطيعون عن طريقهم أن يأتوا بالشفاء العاجل إن كانت المرأة مريضة مرضاً جسمياً أو نفسياً، وأن يأتوا كذلك عن طريق هؤلاء الجن بأسباب الحمل إن كانت المرأة عاقراً.

وقد حصلت بسبب هذا التصرفات مآس أخلاقية فظيعة، حيث كان هذا الدجال يرى من المرأة ما لا يجوز أن يرى، ويلمس منها ما لا يجوز أن يلمس، وقد تقود الخلوة بها الى الوقوع في الجريمة الكبيرة، كيف يكون هذا باسم الدين؟!! سبحانك ربي هذا بهتان عظيم!! ورسول الله ﷺ يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما».

وهؤلاء الدجالون يأكلون أموال هؤلاء النساء بالباطل .. ويقترفون المنكرات، ويشيعون الأكاذيب، ويشوهون دين الله. حتى أصبحت مهنة الرقية وإخراج الشياطين من جسم الناس مهنة رائجة يلجأ إليها كل من ضاقت عليه موارد الرزق.

فلنتق الله، ولنبعد عن دين الله ما ليس منه.

وقد رأيت في بلدة عربية مركزاً لواحد من هؤلاء تفد عليه النساء زرافات ووحدانا، ويبدو على كثير منهنّ مظهر الثراء والوجاهة، يرقي هذا الدجال المرأة ويعطيها قارورة من الماء وقارورة أخرى من الزيت ويأخذ لقاء ذلك ما يطلب من المال، ويمرُّ يده على مواضع من جسدها، ولا تمضي مدة من الزمن حتى يصبح هذا الدجال من كبار الأثرياء وإنا لله وإنا إليه راجعون.(١)

* * *

(١) من ذلك أنّ فراشاً في المدرسة كان ذا عيال وهو جاهل لا يعرف شيئاً فأشارت عليه قريبة له أن يعلن أنه منسوب إلى النبيّ ﷺ، وأنه يرقي ويكتب الحجب، فما لبث أن أصبح مقصوداً ودرت عليه هذه المهنة الأموال، فتفرغ لها وترك العمل في المدرسة.

إسهام المرأة في البناء يقتضي اهتمامها بالجانب الفكري

إنَّ بناء الأمة عمل ضخم، يجب أن تتعاون عليه قوى المجتمع كلها، ويجب أن تسير هذه القوى في طريق متكامل، يكمّل بعضها بعضاً، وينحصر حديثنا في دور المرأة في عملية البناء هذه. وإنه لدورٌ مهمّ وذو تأثير كبير. وأحداث التاريخ القديم والحديث تؤكد أهميته.

إنَّ مجالات البناء للمرأة المسلمة متعددة الأنحاء: منها المجال الفكري، ومنها المجال التربوي، ومنها المجال الاقتصادي، ومنها المجال الاجتماعي.

أما المجال الفكري فإنه الأساس الذي يقوم عليه بناء الأمة، ولن يكون للمرأة أن تعمل في هذا المجال مالم تكن قد نالت من العلم نصيباً كبيراً، وما لم تكن عندها الملكة العلمية التي تمكنها من معرفة حكم الله في أكثر أمور العبادات والمعاملات، أو تمكنها من القدرة على البحث، إذ لا يستغني طالب العلم ولا طالبته عن الرجوع إلى المصادر. هذا والقدرة على العثور على المسألة في كتب العلم أمر ليس سهلاً ولا ميسوراً لكل طالب علم.

وهذا يوجب على الأخت الداعية لتصل إلى هذا المستوى أن تضاعف جهدها لتحصيل العلم .. وقد تتعيّن إحدى الأخوات للقيام بخدمة الجانب الفكري لخلو الساحة في الوسط الذي تعيش فيه، فيجب عليها حينئذ أن تستزيد من العلم.

وتستطيع المرأة العالمة أن تسهم في عملية البناء الفكري للأمة عن طريق تنظيم دروس ومحاضرات للنساء .. وعن طريق نشر بعض الشرائط الجيدة لبعض العلماء وتوزيعها، وعن طريق الكتابة في الصحف اليومية والمجلّات الأسبوعية والشهرية وفي المجلّات النسائية.

وعن طريق كتابة رسائل موجزة ونشرها بين الناس.

وعن طريق التأليف في الموضوعات الفكرية. وهذا سينتفع منه الرجال والنساء المعاصرون والمقبلون؛ لأن الكلمة المكتوبة لها تأثير وبقاء دائم، ونفعها مرجوّ إن قيلت بالشكل المناسب وبالأسلوب المقنع المدعوم بالأدلة النقلية والعقلية.

ولقد سرّني أن شرعت عدد من الأخوات في الكتابة إلى الصحف والمجلّات، وقامت أخوات أخريات بالتأليف في الموضوعات الإسلامية من الأمور التعبدية والتربوية وغيرها. وأرجو أن ينطلقن في هذا المجال وأن يزدن من قدراتهن.

- والدراسات الإسلامية التي تكتبها أخواتنا وبناتنا الراغبات في بناء الأمة والتي نتطلع إليها ينبغي أن تكون دراسات ناضجة علمياً، بحيث لا نرى فيها رأياً ضعيفاً أو قولاً باطلاً .. ذلك لأننا في الآونة الأخيرة صرنا نرى دراسات كتبها قوم جهلة، يقررون فيها أموراً باطلة بجرأة على الحق مذمومة .. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

يجب أن تشعر الأخت بمسؤوليتها عمّا تكتب بين يدي الله تعالى. ولله در القائل:

وكل كاتب سوف يبلى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

يجب أن نقول الحق بحكمة وتعقل، لا نحاول استرضاء الطواغيت ولا الكفرة .. إنهم لن يرضوا عنا مهما فعلنا كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ويجب أن تكون موضوعاتنا الفكرية المرتقبة متصلة بحياة المخاطبين.

- وكذلك فإنني أرى أن تتجنب أخواتنا إثارة القضايا الخلافية في الأمور الفرعية

فيما يكتبن ويتحدثن؛ لأن إثارتها تُبعد عنا كثيراً ممن يخالفننا في الرأي. إننا بحاجة ماسة إلى جمع الناس على العقيدة الصحيحة والسلوك المستقيم، وإلى بيان عظمة هذا الدين الذي أكرمنا الله به، ودحض ما يورده أعداؤنا من افتراءات وأباطيل، إذ أنهم يقلبون محاسن الإسلام العظيم إلى عيوب ومآخذ وشبهات قاتلهم الله أنى يؤفكون.

- وكذلك يجب أن تكون هذه الأفكار معروضة بلغة سليمة واضحة، لا لحن فيها ولا غموض، ولا تقعّر فيها ولا إغراب.

إنّ الفكرة الصحيحة عندما تعرض بالأسلوب الجميل الجذّاب تجد تجاوباً من قبل المخاطبين .. والإسلام دين الفطرة .. فإذا عُرضت مبادئه كما ذكرنا سرعان ما تتقبله الفطرة.

إنّ للمرأة قدرة على التأثير في زميلاتها وبناتها بل وعلى زوجها وأبيها وأخوتها. وهذا أمرٌ مشاهد في حوادث واقعية جرت لبعض السيدات والداعيات في عصرنا هذا.

والدعوة الناجحة هي التي تكون مبنية على الفكر القويم، ولا تكون معتمدة على العاطفة فقط. ومن هنا قلنا: إنّ الجانب المهم في بناء الأمة الإسلامية هو الجانب الفكري.

إنّ التركيز على المجال الفكري في إسهام المرأة في عملية بناء الأمة أمرٌ أساسي من حيث النظرة الموضوعية المجردة، ذلك لأنّ أي بناء لا بُدّ أن يقوم على أساس، وفكر الأمة المتمثل في عقيدتها ومُثلها العليا هو الأساس الذي تعتمد عليه الأمور الأخرى.

ولكن الاهتمام بهذا المجال الآن بعد الغزو الفكري الذي تتعرض له أمتنا عن طريق مناهج التعليم وأدوات الإعلام، وعن طريق وسائل مؤثرة هيأتها التقنية

الحديثة أضحى أمراً لازماً لا بُدّ منه .. تلك الوسائل من الفضائيات والإذاعات وغيرها التي أصبحت تدخل كل بيت، ولا ينجو من تأثيرها إلا القليل.

لقد جرب الدعاة إلى الله التحذير من هذه الوسائل بالترغيب والترهيب، فلم يكن لهذا التحذير أثر كبير.

إذن لا بُدّ من التحصين، وهذا الذي يجب أن تقوم به الأم ويشاركها في ذلك الأب.

إنَّ هذا الغزو الفكري يتعرض للعقيدة عن طريق تحطيم الأخلاق واستباحة المحرمات، ومعلومٌ أن استباحة المحرمات كفر.

والأم بما آتاها الله من عاطفة وحنان تستطيع أن تقوم بهذا التحصين.

إنّ أثمن ما تملك الأمة عقيدتها، وإذا استطاع الغزو عن طريق إثارة الشهوات تحطيم العقيدة قُضي على الأمة ذاتها .

هذا المعنى يجب أن يعيه الناس جميعاً.

من أجل ذلك رأينا أن المجال الفكري من أهم المجالات التي يجب على المرأة أن تقوم به بالنسبة إلى من تعيش معهم سواء كانوا أبناءها أم كانوا ناساً آخرين.

* * *

إسهام المرأة في البناء يقتضي اهتمامها بالجانب التربوي

الجانب التربوي الذي يتضمن العبادة والسلوك والأخلاق المبنية على العقيدة..

إنَّ هذا الجانب هو الجانب الذي تستطيع المرأة أن تبلي فيه البلاء الحسن .. البلاء الذي تتميز به عن الرجل. وذلك لما آتاها الله من العاطفة الفياضة، والصبر، والحنان، وقوة التأثير.

والجانب التربوي الذي يمكن للمرأة أن تسهم به في بناء الأمة نستطيع أن نذكر له مسارات عدة. من أهمها المسارات الثلاثة الآتية:

المسار الأول: في مجال الأطفال، سواء كانوا أولادها، أو أولاد أقاربها، أو أولاد جيرانها ومعارفها. ونعني بالأولاد ما تدل عليه اللغة من البنين والبنات لا كما يستعملها العامة ويخصونها بالذكور. قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١].

لقد أثبتت الدراسات التربوية الحديثة أنّ أثر الأم على الطفل أثر كبير، يبقى في أعماق نفسه وفي ذهنه إلى آخر أيام حياته.

إنَّ الطفل صفحة بيضاء يملؤها من حولها، وأول هؤلاء أمه، فهو يلتقط الكلمات والمعاني وتنقش في هذه الصحيفة الأفكار والمعارف، والنصيب الأكبر في ملء هذه الصحيفة إنما هو للأم التي تقوم بهذه المهمة .. فاختلاطها بالأطفال، وملازمتها لهم أكثر من اختلاط أبيهم بهم بكثير.

إنَّ الطفل يقتبس من أمه الأخلاق والتصرفات، ويأخذ منها عندما ينضج وعيه العقيدة التي تملأ نفسه.

إنّ للكلمة والنظرة والبسمة والعبوس والحركة.. إن لكل ذلك التأثير الكبير في نفسية الطفل وفكره ومزاجه.

فإذا كانت المرأة مدركة لهذا الدور العظيم راقبت تصرفاتها وكلماتها، فلا تنطق أمام أولادها بكلمة بذيئة، ولا تأتي أمامهم بأمر مكروه، ولا تقترف أمامهم محرمًا من الغيبة والكذب، ولا تملأ صدورهم بالغيظ والكراهية لأحد من الناس.

وتغرس في نفوسهم حبّ الله، والخوف منه، وحب رسول الله ﷺ، والرغبة في معرفة سيرته المباركة وفي اتباعه، وتحدثهم عن الجنة التي أعدها الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، وما فيها من الثمرات والأنهار والجنات .. وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وتخوفهم من النار التي أعدها الله للكافرين الخالدين فيها أبداً، وللعصاة يعذبون بسبب مخالفتهم أوامر الشرع ونواهيه.

ويجب أن تعرض هذه الأمور باللغة التي يفهمها الطفل، وأن تقرب لذهنه مسائل العقيدة وتبسطها له، وذلك بضرب الأمثال من واقعه الذي يحياه.

وللسيرة النبوية دور عظيم في تحقيق هذه المقاصد، وعليها أن تعرض أحداث السيرة بأسلوب مشوق .. بأسلوب القصة الممتع؛ لأن الأطفال يحبون سماع القصص، وكلما كانت الداعية إلى الله بارعة في عرض أحداث السيرة كان تأثيرها في الأطفال أكبر.

ولي تجربة شخصية في ذلك، فقد كنت أعقد لأطفالي جلسة يومية في سيرة النبيّ ﷺ أقصّ عليهم أحداثها باللغة التي يفهمون، فتعلقوا بهذه الجلسة، وصاروا ينتظرون ميعادها بلهفة وتشوق وتطلع. حتى كانت عقوبة المذنب منهم حرمانه من حضور هذه الجلسة، وكان الطفل المحروم يبكي البكاء الحارّ، ويعلن توبته، ويعطي المواثيق أنه لن يعود إلى ارتكاب الذنب، ويطلب من أمه أن تشفع له لحضور الجلسة.

كانت التجربة ناجحة جداً، وكان أثرها في نفوسهم كبيراً جداً ولله الحمد وا لمنه.

وبهذه المناسبة أقول: ما أشدّ حاجتنا إلى قصاصين مسلمين ملتزمين، يسخرون القصة لخدمة الفكرة الإسلامية.

وإني لأرجو أن تبرز مواهب في هذا الميدان عند الشباب الصالحين والشابات الصالحات.

إنّ القصة المؤثرة الناجحة تجعل قارئها يتبنى الفكرة التي يريد كاتب القصة أن يوصلها إلى القراء.

وللجنيد كلمة يقول فيها: القصة جند من جند الله .. وأنه ليؤسفني أن أقرر الحقيقة المرة المؤلمة وهي أن هذا الفن المؤثر أكثر الذين يكتبون فيه قوم لا يقيمون للدين ولا للفضيلة وزنا .. وقصصهم – في الغالب – قصص قائمة على الحب والغرام وتزيين المعصية للقراء.

إنها مسؤولية المربين والعلماء والأدباء الصالحين .. إنّ عليهم أن يشجعوا الطاقات الشابة ويقوموها ويوجهوها، ويأخذوا بأيديها لتعمل في هذا الميدان المهم بعد أن يكونوا استكملوا وسائل اتقان هذا الفن.

إن موضوع قصص الأطفال يدخل في المجالين: الفكري والتربوي.

والمسار الثاني: هو العمل في مجال التلميذات، ولا نعني بهنّ من كنَّ على مقاعد الدراسة فقط .. لا .. فالطالبات اللائي على مقاعد الدراسة داخلات ضمن التلميذات، ولكن يدخل أيضاً في مفهوم هذه الكلمة كل من يتردد على الأخت الداعية من الشابات سواء كنّ طالبات أو موظفات أو ربات بيوت.

إنّ تربية هؤلاء الناشئات والفتيات واجب على الداعيات القادرات .. وتبدأ هذه التربية كما هو معلوم بالإقناع الفكري ثم بالتعليم، تعليم العقيدة وما يجب على المكلف فعله ثم التوجيه فالمتابعة.

وليس من شك في أن القدوة لها أثر كبير في عملية التربية.

والمسار الثالث: هو العمل في مجال أفراد الأسرة الكبار من إخوة وأخوات وخالات وعمات وزوج وأب وكذلك العمل في مجال الصديقات.

إن الأخت الداعية عندما تكون قوية الشخصية، وافرة العلم تستطيع بما أوتيت من الحكمة والبيان أن تقنع من حولها بما ترى من أفكار، وأن تحملهم وتحملهنّ على العمل بمقتضاها.

إن ذلك يمثل المهمة العظمى التي تقدم المرأة الفاضلة الواعية الداعية من خلالها الخدمة الجليلة لدينها وأمتها..

إن على الداعيات أن يتقدمن إلى حمل هذه المسؤولية فقد يكون فيمن يربين من البنين والبنات من يحقق الله على يديه الآمال الكبيرة لأمة الإسلام المنكوبة في هذا الزمان.

* * *

الأخـــلاق

إنَّ من أعظم مقومات الأمة الأخلاق، ولا تقوم لأية أمة قائمة ما لم تكن متصفة بالأخلاق الكريمة، ولله در القائل:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد شهدتْ بصحة هذه الحقيقة أحداث التاريخ القديم والحديث .. إننا بأخلاقنا فتحنا الدنيا المعمورة .. فاندنوسيا إنما دخلها الإسلام بسبب مشاهدة أهلها أخلاق التجار الحضارمة المسلمين، الذين جاؤوا إلى تلك البلاد بقصد التجارة.

وهناك أحداث كثيرة تدل على هذه الحقيقة نعم .. إنَّ كثيراً من النّاس يدخلون في الإسلام عندما يرون المُثل العليا الخلقية محققة في هؤلاء المسلمين، وسأذكر لكنّ حادثة واحدة في ذلك. إنها قصة فتح سمرقند.

إن من المعلوم أن الإسلام يطالب المجاهدين أن يدعوا النّاس أولاً إلى الإسلام، فإن أبوا خيروهم بين دفع الجزية والخضوع لنظام الدولة الإسلامية أو القتال.

ويبدو أن المسلمين عندما فتحوا سمرقند لم يدعوا أهلها إلى الإسلام ولم يخيروهم. فأرسل كاهنهم الأكبر رسولاً إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يشكو قتيبة ورجاله.

وذهب الرسول إلى الخليفة وشكا إليه قتيبة[1] وأنه دخل سمرقند غدراً من غير دعوة إلى الإسلام ولا منابذة ولا إعلان.

فقال الخليفة: والله ما أمرنا نبينا بالظلم ولا أجازه لنا، وإن الله أوجب علينا العدل في المسلمين وغير المسلمين .. فكتب رسالة وختمها وقال للرسول: خذها إلى عامل البلد.

فحمل الكتاب مختوماً إلى العامل، فإذا فيه أمر الخليفة بأن يُنصب قاضٍ يحتكم إليه كهنة سمرقند وقتيبة، فما قضى به نفذ قضاؤه ..

وأطاع العامل ونصب لهم قاضياً جميع بن حاضر الباجي، وعين موعد المحاكمة، وجاء اليوم الموعود، واحتشد أهل سمرقند من كل قاصٍ منها ودانٍ .. وكانت المحكمة في المسجد.

وجاء الكهنة .. وجاء القائد الفاتح الذي خلف قتيبة .. كانت القلوب تخفق ارتقاباً لأعجب محاكمة سمعت بها أذنا التاريخ .. وكانت الأبصار شاخصة إلى باب المسجد الذي يدخل منه القاضي الفرد الذي وضعت في عنقه أعظم أمانة وضعت في عنق قاض، والذي أُلقي بين حجري الرحى، فهاهنا مصلحة أمته،

---

(١) قتيبة بن مسلم (٤٩هـ - ٩٦هـ): فاتح من مفاخر العرب. ولي الري في أيام عبد الملك، وخراسان في أيام الوليد، غزا ما وراء النهر وافتتح كثيراً من المدائن كخوارزم وسجستان وسمرقند، وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية. واستمرت ولايته ثلاث عشرة سنة، وهو عظيم المكانة مرهوب الجانب. كان مع بطولته دمث الأخلاق داهية رواية للشعر عالماً به.

مات الوليد واستخلف سليمان وكان هذا يكره قتيبة، فأراد قتيبة الاستقلال بما في يده، وجاهر بنزع الطاعة، واختلف عليه قادة جيشه فقتله وكيع بن حسان التميمي بفرغانة. قال أحد الأعاجم: يا معشر العرب قتلتم قتيبة ووالله لو كان فينا لجعلناه في تابوت واستفتحنا به غزونا.

وسيادة دولته .. وهناك الحق.

وتكلّم القاضي .. فقال للكاهن: ما تقول؟ قال: إن القائد المبجل قتيبة بن مسلم قد دخل بلدنا غدراً من غير منابذة ولا دعوة إلى الإسلام.

- قال القاضي للأمير: ما تقول؟
- قال: أصلح الله القاضي. إن الحرب خدعة، وهذا بلد عظيم قد أنقذه الله بنا من الكفر وأورثه المسلمين.
- قال القاضي: أدعوتم أهله إلى الإسلام، ثم إلى الجزية، ثم إلى القتال؟
- قال: لا.
- قال: إنك قد أقررت. وإنّ الله ما نصر هذه الأمة إلا باتباع الدين واجتناب الغدر. وإنا والله ما خرجنا من بيوتنا إلا جهاداً في سبيل الله. ما خرجنا لنملك الأرض، ولا لنعلو فيها بغير الحق. حكمتُ بأن يخرج المسلمون من البلد، ويردوه إلى أهله، ثم يدعوهم إلى الإسلام وينابذوهم ويعلنوا الحرب عليهم.

ورأى الكهنة وأهل سمرقند وسمعوا، ولكنّهم كذّبوا عيونهم وآذانهم، وظنوا أنهم في حلم، ولبثوا شاخصين، حتى أن أكثرهم لم يلحظ أن المحاكمة قد انتهت وأن القاضي والأمير قد انصرفا.

ومرت ساعات، واذا الجوّ يموج بصليل الأبواق، ويرتجف من إرعاد الطبول ونظروا فإذا الرايات تلوح على حواشي الأفق القريب، فسأل الناس: ما هذا؟

قالوا: لقد نفذ الحكم وانسحب الجيش.

هذا الجيش الذي لم يقف في وجهه شيء من مدينة يثرب إلى سمرقند، والذي اكتسح جيوش كسرى وقيصر وخاقان، ردته كلمة من شيخ خافت الصوت، ليس معه إلّا غلام، بعد محاكمة لم تستمرّ إلّا دقائق، ولكنه سينذر وسيعود إلى القتال.

فلما رأى الناس ذلك شرعوا يدخلون في الإسلام ويقول قائلهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. وقال الكاهن أيضاً كلمة الشهادتين .. وتتزلزل سمرقند بالتكبير .. ويعود الجيش إلى البلد المسلم .. وصار الجميع إخواناً في الله، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لقوي على ضعيف، إلا بالتقوى والصلاح وخلال الخير. ودخلت سمرقند كلها في الإسلام فلن تخرج منه أبداً[1].

لقد كان لهذا الحكم العادل في خروج الجيش المنتصر من البلد المفتوح الأثر الكبير في دخول الناس في دين الله أفواجا.

إنّ الغدر خلق لا يعرفه الإسلام في أبنائه، ولا يرتضي أن يكون في مجتمعه.

لقد كان هذا الحكم العادل والجرأة في الحق من القاضي، والانضباط والسمع والطاعة، والمسارعة الى تنفيذ حكم القاضي من العامل .. لقد كان ذلك كله سبباً لتعلق أهل سمر قند بالإسلام والمسلمين.

أيتها الاخوات الفاضلات.

إن واقع الأمة واقع بحاجة إلى إصلاح .. وللمرأة دورٌ كبيرٌ في هذا الإصلاح المنشود .. فهي التي ترسخ في نفوس أبنائها وبناتها القيم الأخلاقية التي جاء بها القرآن، ذلك لأن الطفل ينطبع في نفسه ما يرى حوله وما يسمع ممن حوله.

إننا بحاجة إلى الأم التي تكون قدوة صالحة في تصرفاتها، وأن يكون لسانها لا ينطق إلا بخير .. إنها عندئذ تستطيع أن تصنع الكثير وأن تبني نفوس الرجال الذين تحتاج أمتنا إليهم.

وكذلك فإن سلوكها الملتزم بدين الله، ولسانها الذي يقول الحق بالأسلوب المحبب دعوة إلى التزام الخلق الكريم.

---

(١) من كتاب "قصص من التاريخ" لعلي الطنطاوي من ص ١٩٧-٢٠٣

إن الأمم المنهارة خُلقياً لا تستطيع أن تصمد في مواجهة المصاعب والنكبات، ولا أن تقف في وجه العدو الغاشم تصدّه عن حماها .. بل سرعان ما يعتريها الضعف والتخاذل، وتحل بها الهزيمة، ويؤول أمرها إلى الذل والسقوط والفناء.

ولا نريد بالأخلاق الجانب المعنوي منها فحسب، بل نريد بها الجانبين معاً: المعنوي والمادي. فالصدق، والاستقامة، والورع، والحلم، والإيثار، والأمانة، والوفاء، كل ذلك مطلوب من المسلم المكلف أن يتصف به.

وكذلك فإن إتقان العمل، والبعد عن الغش، وأداء الواجب، وضبط المواعيد مطلوب من المسلم المكلف أن يتصف بهذه الأخلاق.

إن أمّة الإسلام في عصر صدر الإسلام كانت أمة متماسكة ملتزمة بالحق، متصفة بمكارم الأخلاق ولذلك فقد استطاعت بسبب ذلك وغيره من الأسباب أن تفتح العالم المعمور في ذاك الوقت في مدة وجيزة.

لقد سجل التاريخ بحروف من نور وفخار مواقف المسلمين في فتوحاتهم التي تتصف بالرحمة والعدل والأمانة، فكانوا في ذلك رواداً .. لم يعرف التاريخ نظيراً لهم لا في العصور التي سبقت، ولا في العصور التي تلت .. فكانت هذه المواقف هي المفتاح الذي فتح مغاليق قلوب الناس الى الحق، وقادهم إلى الإسلام.

ومن ذلك أنّ المسلمين الفاتحين فتحوا مدينة حمص في السنة السابعة عشرة من الهجرة وطبقوا فيها النظام الإسلامي، وأخذوا من أهلها من المال ما يقضي به ذاك النظام العادل، ولكنهم عندما علموا أن هرقل أقبل بجيوشه عليهم لقتالهم في اليرموك، اضطروا إلى الخروج من البلدة لملاقاة جيوش الروم في اليرموك، وعند ذاك ردُّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا: قد

شُغلنا عن الدفاع عنكم وعن نصرتكم إذا حلّ بكم مكروه، فابقوا أنتم على أمركم ونحن خارجون.

فقال أهل حمص: لوِلَايتُكم وعدلُكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغَشْم، ولندفعنّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم(١).

إن هذا ما كان ليكون لولا ما رأوا من عدلهم وحسن معاملتهم.

لقد أوصى رسول الله ﷺ أمراء الجيوش والسرايا بتقوى الله. ومن التقوى ألا يُظلم أحدٌ من الناس.

أخرج مسلم في صحيحه وأبو داود عن بريدة رضي الله عنه أنه قال:

كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش او سريّة أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال:

«أغزوا باسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله. أغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً»(٢) فقد نهاهم عن الغدر والتمثيل بالقتلى، وقتل الأطفال.

وأخرج مالك في "الموطأ" أن أبا بكر رضي الله عنه قال يوصي يزيد بن أبي سفيان قائد الجيش الذي وجهه إلى الشام أيام خلافته. قال: (إنّك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا انفسهم له .. وإني موصيك بعشر: لا تَقتلَنّ امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعنّ شجراً مثمراً، ولا تخربنّ عامراً، ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقنّ نخلاً، ولا تفرقنه،

---

(١) "خطط الشام" ١/ ١٢٧ من الطبعة الأولى سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٥م) نقلاً عن "فتوح البلدان" للبلاذري، والحادثة مذكورة فيه ص ١٤٣ من الطبعة التي حققها رضوان محمد رضوان.

(٢) رواه مسلم (١٧٣١)، وأبو داود (٢٦١٣).

ولا تغلل ولا تَجْبُن).[١]

إننا نريد من أخواتنا الداعيات أن يكون سلوكهن دعوةً حية متحركةً، وأن يكنّ داعيات بلسان الحال قبل أن يكنّ داعيات بالمقال، وأن يعددن من استرعاهنّ الله إياهم الإعداد الصالح، عسى أن يكون فيهم دعاة إلى الله بتصرفاتهم وأفعالهم ومعاملاتهم وأقوالهم.

أنّ الأمة - في أزمتها المتمثلة في بعدها عن دينها وتكالب الأعداء عليها - تنتظر الرجال الأكفاء القادرين الموهوبين الذين يصلحون ما فسد من أوضاعها.

ومن سنة الله في أمتنا أنه سبحانه يبعث فيها مجددين للدين بين الحين والحين، وكلما اشتد ظلام الليل توقع الناس انبلاج الفجر.

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج

قال إبراهيم الصولي:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج[٢]

وإنَّ البشائر لتتراءى للمتأمل في جوانب الأفق تنادي .. إن المستقبل للإسلام دون شك، المسؤولية تقع على الواعين من المسلمين رجالاً كانوا أو نساءً .. وإني لاحسب أنّ المرأة تستطيع أن تقوم بدور فعّال في هذا المجال، ولاسيما في نطاق الأسرة التي يخطط أعداء الله لهدمها عن طريق وسائل فعالة مؤثرة.

أيتها الأمهات .. أيها الإباء.

اعلموا أن هؤلاء الأولاد من بنين وبنات الذين استرعاكم الله إياهم أمانة في

---

(١) "الموطأ" ٢/ ٤٤٨.

(٢) "أقوال مأثورة" ١/ ٩٤ - ٩٥.

أعناقكم .. وإنكم مسؤولون عنهم .. فقد يكون فيهم - إن أحسنتم ترتيبهم - من يحقق آمال الأمة في النهضة والسيادة والعزة ونشر دين الله.

من هم المصلحون؟ لقد كانوا في أول أمرهم أطفالاً .. أتيح لهم منْ يربيهم وينشئهم على دين الله ومحبة رسوله وتبني رسالة الإسلام، وكانوا أصحاب مواهب وطاقات فكان منهم ما كان.

إنّ الشافعي وأحمد .. وإن نور الدين الشهيد وصلاح الدين وابن تيمية وأمثالهم على مرّ العصور كانوا أطفالاً .. ثم لما كبروا أصبحوا أبطالا نفع الله بهم، وأحدثوا نهضة في الأمة.

ما يدريك يا أختي .. وما يدريك يا أخي .. أن يكون هذا الطفل الصغير الذي أكرمك الله به في الغد من الدعاة المصلحين؟

أيتها الأخوات الفاضلات إنكنّ مطالبات بالإصلاح .. إصلاح الأوضاع الفاسدة .. ما دامت رغبتكنّ في بناء الأمة قائمة وإن صلاح الأمة إنما يكون بصلاح أفرادها، كما قال ذاك القائل:

لا تصلح الأمة في مجموعها ما لم تكن تصلح في أفرادها.

وتأثير الأم المسلمة الواعية في الإصلاح على طفلها تأثير كبير؛ لأنه يرضع مع اللبن من ثديها يرضع الخلق الزكي، والطبع الأبي، واللغة السليمة، والمشاعر النبيلة، والقيم العليا.

والأمر على عكس ذلك إن كانت الأم غير واعية ولا ملتزمة.

ولو أنّ كل أمّ شعرت بمسؤوليتها في تربية أولادها بنين وبنات، وقامت بواجبها في تلك التربية والرعاية، لا محت مظاهر الفساد، وحلّت محلّها القيم الفاضلة والأخلاق الكريمة، ولأدّى هذا الأمر إلى سيادة الأمة وعزتها، وتحريرها من آثار الذلّ والمهانة وتسلّط الأعداء عليها.

إنّها والله مهمة ضخمة .. وأمانة ثقيلة.

وأود أن أشير إلى أمرين من الأمور التي تبني شخصية الطفل بناءً محكماً، وتجعله أهلاً لحمل المسؤولية، والقيام بالإصلاح المنشود، وأعني بالطفل جنس الطفل، فيدخل في ذلك الذكر والأنثى.

أما أولهما: فهو احترام شخصية الطفل، والشرع المطهّر رتّب أحكاماً سوّى فيها بين الطفل والطفلة[1] من جهة ،وبين الرجل الكبير والمرأة الكبيرة والطفل في الميراث من الأب أو الأم إن كانوا إخوة، وكذلك جعل دية الطفل والطفلة مثل دية الكبير من جهة ثانية.

إنّ كثيراً من الناس يخلطون بين التودّد والمداعبة، وبين السخرية. فالتودّد للطفل أمر مطلوب، ومداعبة الأطفال أمر مطلوب أيضاً .. ولكن مع احترام شخصية الطفل.

ذلك لأنّ كثيراً من الناس يظنون أنّ الطفل الصغير لا يفهم كثيراً من التصرفات التي تجري أمامه .. وهذا خطأ محض .. إنه يدرك أموراً كثيرة وإن كان لا يستطيع الإفصاح عنها، وقد أوضحتْ هذه الحقيقة البحوثُ الكثيرة في علم النفس والتجارب العملية. فكلما تقدم به العمر كان أكثر إدراكاً واستيعاباً.

إنّ الطفل إنسان له مشاعره، واحترام هذه المشاعر ينمي شخصيته، ويشعره بإنسانيته، ويتجلى احترام الطفل بأن لا تسخري منه ولا تستهزئي به، وأن لا تسمحي لأحد بأن يسخر منه، وأن تصدقي معه إذا وعدته، وأن تصغي لحديثه إذا تكلم، وأن تجيبيه على أسئلته مهما كانت هذه الأسئلة تافهة، إذ هي في نظر الطفل مهمة جداً.

---

(١) جاء في المصباح المنير: [قال ابن الانباري: ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع. قال تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ ويجوز المطابقة في التثنية والجمع والتأنيث، فيقال: طفلة وأطفال وطفلات].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنَّ هذا الاحترام يؤكد الودّ والحبّ بين الطفل وبين من يحترمه، ويجعل الطفل مستعداً لقبول التوجيه والعمل بمقتضاه، وعندئذ سيكون تأثير أبويه عليه كبيراً.

إذن فاحترام الطفل وسيلة ناجحة لغرس المثل العليا، والفضائل الإسلامية في نفسه بيسر وسهولة .. وحينئذ يشعر بأن تبنيه لهذه المثل والفضائل كان عن اختيار منه، ولم تفرض عليه فرضاً. وهو بهذا سيكون أكثر تمسكاً بها، وأكثر دفاعاً عنها، وأشدّ حماسةً للدعوة إليها.

وأما ثانيهما: فهو الحرص على أن تكون الأمُّ خاصة، والأب أيضاً، قدوة حسنة له، فلا يرى الطفل من أبويه إلا المعاملة الحسنة معه، ومع الآخرين الذين يحيون معهم، أو مع الذين يراهم يترددون على أهله، ولا يرى منهما الكذب على أحد، ولا يسمع منهما إلا الكلام الجميل، فلا يكذبان ولا ينطقان بالفحش، ولا يشتمان أحداً من الناس، ولا يغتابان ولا يحتقران أحداً من الأقارب والجيران والأصدقاء.

ومن المعاملة الحسنة الرفقُ في دعوتهم إلى العمل بما يأمر به الدين، وسلوكُ سبيل الإقناع.

إنَّ المعاملة الحسنة تجعل العدوّ صديقاً. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

أقول: إذا كان هذا بالنسبة إلى من بينك وبينه عداوة، فما القول إذا كان الذي تحسن إليه ابنك أو بنتك وهما بمثابة فلذة كبدك كما قال حِطَّانُ بن المعلّى:

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا ... أكبادنا تمشي على الأرض

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن هبت الريح على بعضهم تمتنع العين من الغمض[1]

ولا بُدّ أن يكون مع هذه المعاملة الحسنة الحزم الذي ينبغي أن يكون في محله.

إنَّ كثيراً من الأسر تحتاج إلى هذه التوعية بهذين الأمرين من قبلكنّ: احترام طفولته، وأن يكون أهله القدوة الحسنة.

أوليس هناك بيوت لا يأتي ربّ الأسرة إلا بعد منتصف الليل، فلا يرى أولاده ولا يرونه، ويكون يوم الإجازة مملوءاً بالمواعيد والارتباطات؟

أوليس هناك بيوت تعمل الأم سحابة النهار، وترجع عندما ترجع منهوكة القوى، لا تقوى على عمل شيء بل ولا على الكلام، وتسارع إلى السرير تأخذ قسطها من الراحة. وقد تكون عندها مواعيد أو زيارات تذهب إليها بعد صحوها.

أين الوقت الذي ننصرف فيه إلى أبنائنا وبناتنا؟ إن أولى الناس بالرعاية والعناية هم فلذات أكبادنا. قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]. وقال سبحانه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

إنَّ بناء الأمة ينطلق من بناء الأسر المتماسكة الملتزمة بالكتاب والسنة وبالأخلاق الكريمة .. فإلى العمل على تحقيق ذلك، فإنها أمانة وإننا جميعاً لمسؤولون.

إنَّ الاهتمام بالطفل - والطفل يطلق على الذكر والأنثى والمفرد والجمع - ورعايتَهُ، ومتابعةَ هذا الاهتمام وتلك الرعاية في كل مراحل نشأته وصباه واجبٌ على الوالدين، ولاسيما إن كان أحدهما أو كلاهما من الدعاة إلى الله الذين يهمهم شأن أمتهم والذين يحرصون على إعادة بناء هذه الأمة على أساس العودة الى الإسلام، هذا الإسلام الذي أعزنا الله به بعد ذلة، وأغنانا به بعد

(١) "الحماسة" ١/ ١٦٧ رقم المقطوعة ٨٧ ط عسيلان.

فقر. ورضي الله عن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب الذي كان يقول: (نحن العرب قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).

- ومن أهم مظاهر الاهتمام بأطفالنا الاهتمام بعقيدتهم وعبادتهم وسلوكهم، ويجب أن تعرض قضايا العقيدة والعبادة والسلوك بالأسلوب الذي يفهمه الطفل ويستوعبه، وأن تقرّب له المسائل وتبسط حتى يعيها تمام الوعي.

- ويجب – إلى جانب ذلك – أن نحرص على ألا يرى الطفل في واقعه ما يخالف ما ربّيناه عليه، سواء كان في محيطنا أم في الخارج. وإذا رأى شيئًا يخالف ما علمناه خارج نطاقنا فيجب أن يكون منا تعليق عليه يتضمن إنكار هذا الشيء، وتقرير أن فاعله مخطئ وسيلقى جزاء عمله يوم القيامة في جهنم.

- ومن الأمور التي يجب أن تغرس في قلب الطفل وهو في المرحلة الأولى من وعيه حب الله ﷻ، وذلك بأن نبيّن للطفل أنّ هذه النعم الكثيرة التي نتقلّب فيها هي من الله، فهو الذي يطعمنا ويسقينا، وإذا مرضنا فهو الذي يشفينا، وهو الذي يحمينا ويمدنا بالخيرات .. وأنه سبحانه جدير بأن نحبه حبًا جمًا.

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

- وكذلك فإن من الواجب على الأبوين أن يغرسا في قلوب أولادهم حبّ رسول الله ﷺ ، ويكون ذلك عن طريق عرض سيرته الشريفة بالأسلوب المفهوم، وبيان فضله علينا وعلى الإنسانية، وعرض شمائله الكريمة ﷺ.

إنَّ العناية بالسيرة النبوية في بيوتنا مع أولادنا أمر في غاية الأهمية، ونفعه نفع محقق.

وعلينا أن نتبع ذلك بالدعوة إلى اتّباعه فهو القدوة والأسوة الحسنة. قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

إنَّ استخدام القصة في عملية التربية والتوجيه أمرٌ مهم؛ ذلك لأن الأطفال يرغبون في سماع القصص رغبة شديدة، فينبغي أن تُستَغَلَّ هذه الرغبة عندهم لتأصيل المعاني التي نريد أن يعتقدوها وينشؤوا عليها .. إننا نستطيع أن نصل إلى كل ما نريد أو إلى أكثر ما نريد عن طريق القصة بشكل غير مباشر ودون أن يشعر الأطفال أن شيئًا يملى عليهم.

وكلّما كانت الأخت الداعية بارعة في إيراد أحداث القصة وفي التشويق إلى المعرفة حلّ العقدة التي في القصة كان تأثيرها أكبر، إذ أنّ من المعروف أنّ في كلّ قصة عقدة.

إنَّ تفاعل الطفل مع أحداث القصة ومغزاها يثبّت المعنى الذي نريد تقريره في نفسه، وسيحسب هذا الطفل أنه قد وصل هو إلى هذا المعنى بنفسه دون تدخل منا، وهذا شيء مهم جداً في الدعوة .. أجل إن القصة الناجحة الهادفة فنيـًا وفكريـًا تجعل قارئها وسامعها يتبنى الفكرة التي تدور أحداث القصة حولها دون

أن يصرح الكاتب بها.

وإني لأرجو أن تبرز مواهب في هذ المجال عند الشباب الدعاة والشابات الداعيات فما أحوجنا إلى قصاصين ملتزمين بالإسلام يسخّرون هذا الفنَّ لخدمة الإسلام والدعوة إليه.

وللجنيد رحمه الله كلمة يقول فيها[1]: (الحكاياتُ جندٌ من جند الله يُقوّي بها قلوب المريدين)، فسئل على ذلك شاهداً فقال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠].

وإنه ليحزنني أن يكون أكثر الذين يكتبون القصص في هذه الأيام من الذين لا يقيمون للدين ولا للقضية وزنا .. فتراهم يشيعون الرذيلة في قصصهم تحت عنوان الحب والفن وما إلى ذلك وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إنَّ على العلماء والدعاة والمفكرين أن يواجهوا هذه المشكلة وهي: حاجتنا إلى قَصَصٍ هادفة نضعها بين أيدي الناشئة .. إنّ عليهم أن يضعوا الخطة لمعالجة هذا النقص، لأنّ أعداءنا يستغلون إهمالنا وضعفنا في هذا المجال، ويمضون في طريقهم الهدّام.

هناك تجربة من المفيد ذكرها ونحن في صدد تقويم مكانة القصة وضرورتها في التوجيه والتربية: قام نفر من المنحرفين – من نحو خمسين سنة – في بلد إسلامي متدين بأنشاء مكتبة في طرف البلد، وشرعوا يترجمون القصص عن اللغة الروسية أيام حكم الشيوعية ويطبعونها وينشرونها بثمن بخس، فهوّن من صنيعهم فريق من أهلُ العلم والدعاة، ونظروا إلى عملهم نظرة ازدراء وأنّه شيء لا قيمة له ولا أثر .. ولكن لم يمض زمن طويل حتى استطاعت هذه

(١) انظر "طبقات الشافعية" ٢/ ٢٦٥.

القصص أن تمكن للفكر المنحرف وتجعل له أتباعاً تكاثروا يوماً بعد يوم.

لا تحقرن صغيراً في مخاصمة إنّ البعوضة تدمي مقلة الأسد

وقال آخر:

كلُّ الحوادث مبداها من النظرِ ومعظم النار من مستصغر الشررِ

إنّ على الداعيات والدعاة أن يعيشوا عصرهم، وأن يستخدموا كل أداة فعّالة من أدوات التأثير، والقصة من أدوات التأثير كما رأينا.

إنّ الحياة معركة يصطرع فيها الحق والباطل، والفائز في هذه المعركة منْ أعدَّ العدة وصبر وصابر. قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الانفال: ٦٠].

والقتال ألوان، ولقد أضحى الإعلام والاقتصاد والفكر من ألوان القتال المتعددة. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

إنَّ الأخت الداعية تستطيع أن تقوم بهذا الواجب العظيم نحو إخوتها وأخوانها لاسيما إن كانوا أصغر منها سنًا، وتستطيع أن تؤثر على أمها وأبيها، ولقد سمعت أخباراً سارة كثيرةً عن تأثير بعض البنات على والديهن.

ومن أحدث ما سمعت أنّ فتاة هداها الله والتزمت طريق الإسلام، بعد أن كانت مقتصرة في أداء ما أوجب الله عليها. فدرست هذه الفتاة أحكام الدين، وحفظت شيئًا من كتاب الله ومن سنة رسوله، وأخذت نفسها بالحزم في الاستقامة على شرع الله، ثم اتجهت إلى أمها تدعوها إلى الله .. وما زالت تتلو

عليها آيات من كتاب الله فيها ترغيب وترهيب، وتقرأ عدداً من أحاديث النبيّ ﷺ حتى استطاعت ان تقنعها بضرورة أداء الصلوات في أوقاتها، وبالقيام بجميع الواجبات، والابتعاد عن المحظورات .. ثم اتجهت إلى أبيها تنصحه وترغبه في الاستقامة على شرع الله، وتخوفه من الوقوع فيما يسخط الله .. حتى استجاب لها.

وما زالت تنصح أباها وأمها بترك سماع الموسيقى، وكانا متعلقين بها أشدّ التعلق حتى نجحت في ذلك. وتحوّل البيت من بيت قائم على المخالفات الشرعية إلى بيت تسود فيه طاعة الله سبحانه ويسود فيه الالتزام بما جاء عنه سبحانه وعن الرسول ﷺ.

إنّ الفتاة الصالحة إذا كانت قوية الشخصية تستطيع أن تقوم بهذا كله وأكثر.

إنّ أحق الناس بنصحنا وتقويمنا أقرباؤنا سواء كانوا آباءً أم أمهات أم أبناء أم بناتٍ أم أخوة أم أخوات أم أعماماً أم عمات أم أخوالاً أم خالات. يقول الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢]. ويقول سبحانه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٥].

إنَّ مجال المرأة الداعية مجال أوسع من أن يكون مقصوراً على أطفالهن وأقاربهن .. إنه مجالٌ يتناول المجتمع بأسره.

إنّ الأمل معقود على الجيل المقبل .. على الناشئة التي تتعرض لهجمة شرسة من أعداء الله، يستخدمون في هذه الهجمة أحدث ما وصل إليه العلم والتقنية، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]. وهم عندما يحاربون الإسلام والخلق إنما يعملون ذلك لأنهم يريدون أن يزيلوا بذلك

العقبة الصامدة التي تقف دون سيطرتهم على بلاد المسلمين ومصادر الثروة عندهم.

وهذا الجيل الذي نعقد الآمال عليه في إعادة بناء الأمة جيل مستهدف من قبل هؤلاء الأعداء الذين يملكون ما ذكرنا من أدوات التأثير والسيطرة .. وعلى الدعاة والداعيات إلى الله أن يواجهوا هذا الواقع القائم المؤلم.

إنّ عملية البناء المرجوة إنما تتطلع إلى هؤلاء الناشئين والناشئات .. فتيان اليوم وفتياته ورجال الغد ونسائه.

إنّ العمل في صفوفهم يتحقق في نطاقين:

نطاق مهم وأصيل وهو نطاق الأسرة وهو ما أشرنا إليه آنفاً.

ونطاق أوسع يتحقق عن طريق التعليم؛ ذلك لأنّ أبناء المجتمع وبناته جميعاً سيدخلون المدارس بشكل حتمي .. ومن هنا كان على الصالحين والصالحات أن يؤثروا مهنة التعليم على أية مهنة أخرى.

إنها مهنة ليست سهلة، ولكنها مهنة شريفة .. وهي من أكثر الوسائل تحقيقاً لآمال الصالحين من الدعاة والداعيات.

إنّ المعلمة التي لها رسالة كبيرة، والتي لها قضية ملأت جوانب قلبها تستطيع أن تترك أثراً عظيماً فيمن تعلمهن.

إنّ التعليم من أشرف المهن ويكفينا في الدلالة على ذلك أن رسول الله ﷺ قال: «إنما بعثت معلماً»[(١)].

وقال ﷺ: «إنّ الله لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً».[(٢)]

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٩).

(٢) رواه أحمد ٣/ ٣٢٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد كان ﷺ معلماً رفيقاً بمن يعلمهم رؤوفاً رحيماً بهم كما وصفه ربه سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وكما وصفه معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: يرحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم.

فقلت: وا ثكل أمياه!! ما شأنكم تنظرون إلي؟

فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلمّا رأيتهم يصمتونني سكتُّ.

فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني.

قال: «إنّ هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الناس. إنما هو التسبيح وقراءة القرآن..» إلى آخر الحديث.(١)

هذا الحديث الجميل يعرض لنا الطريقة المثلى في الدعوة .. ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة للمؤمنين. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويقول رسول الله ﷺ: «إنّ الله رفيقٌ يحبُ الرفق في الأمر كلّه».(٢)

ويقول: «إنّ الله يحبُ الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف».(٣)

ويقول: «إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه».(٤)

---

(١) رواه مسلم (٥٣٧) واللفظ له، وأبو داود(٩٣٠)، والدارمي(١٥١٠)، والنسائي ٣/ ١٤، وأحمد ٥/ ٤٤٧-٤٤٨.

(٢) رواه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كلّه».(١)
ويقول: «يسروا ولا تعسرا وبشروا ولا تنفروا».(٢)

إنَّ على الدعاة والداعيات أن يقتدوا بسيد الدعاة ﷺ فيترفقوا بمن يدعون، إنهم ان فعلوا ذلك استجاب الناس لدعوتهم، فكسبوا الأجر وتحقق لهم ما يريدون.

لقد كان موقف الرسول ﷺ موقفه الرفيق من معاوية بن الحكم ﷺ الذي أخطأ وتكلم في الصلاة ويبدو أنه لم يكن قد علم أنّ إباحة الكلام في الصلاة قد نسخت، فقد روى مسلم عن عبد الله ﷺ قال: كنّا نسلّم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فيردّ علينا، فلما رجعنا من الحبشة سلّمنا فلم يردّ علينا.(٣)

وروى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. فأُمرنا بالسكوت ونُهينا عن الكلام.(٤)

فلما عطس رجل من القوم وشمّته معاوية أي: قال له: يرحمك الله، فما كان من الصحابة إلا أنْ رموه بأبصارهم، ونظروا إليه نظرة ملؤها الإنكار، ولم يعرف خطأه. فقال لهم: ما شأنكم تنظرون إليّ، فزادوا في الإنكار، وصاروا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فتعجب من صنيعهم، ولما رأى أنهم يسكتونه سكت.

ولمّا انتهت الصلاة أقبل عليه الرسول ﷺ بكل رفق وقال له: «إنّ هذه

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٢)، وأبو داود (٤٨٠٩).
(٢) رواه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).
(٣) رواه مسلم (٥٣٨).
(٤) رواه البخاري (٤٥٣٤)، ومسلم (٥٣٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح وقراءة القرآن».

فترك هذا التصرف في نفس معاوية أحسن الأثر، يصور ذلك قولُه:

بأبي هو وأمي. ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه. فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني.

إنّ الداعية ينبغي أن تحمل في قلبها الإشفاق على من تدعوهن، والحبَّ الخالص لهن، ولا ينبغي لها أن تكون عوناً للشيطان على أختها أو بنتها من المسلمات.

وانظرن يا أيتها الأخوات إلى هذا الحديث الذي رواه مسلم[1] وغيره. يقول ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهنّ عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي».

صورة فنية رائعة تعتمد على مشهد يتكرر كثيراً في حياة القوم ويرونه كل مساء، وهو في عمقه ودقته فاق حدّ التصور، فالمعاصي والشرك ومخالفة أمر الله نارٌ محرقة، والمقبلون عليها فراش لا عقول لها، وجنادب لا تعي، والرسول العظيم يدفع الناس ويشدهم كيلا يقعوا في الهلاك وهم ماضون في تقحم النار والوقوع فيها. إنه مشفق على هؤلاء القوم يريد لهم الخير.

إنّ التعليم أداة لإنشاء الجيل المسلم، وأمام الداعيات مجال واسع للدعوة والتأثير ..

إنّ على المعلمات أن يشعرن بالمسؤولية العظيمة التي وضعهن فيها عملهن .. إنّ على هؤلاء الأخوات أن يمتلكن قلوب الطالبات، بالإخلاص في تدريسهن، وبالتلطف معهنّ إذا سألن، وبمساعدتهن إذا كنّ بحاجة إلى المساعدة،وبتقديم الحلول لما يعانين من مشاكل دراسية أو عائلية أو نفسية أو

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨٥).

مادية. وسيكون ذلك السلوك معيناً لهؤلاء المعلمات الداعيات على غرس العقيدة الصافية، والخلق الإسلامي الزكي في قلوب طالباتهنّ وسلوكهنّ.

ولتذكري يا أيتها الأخت قول رسول الله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».(١)

ذكر أحد الآباء أنه كان يوصي بنته بالقيام ببعض الواجبات المدرسية والإسلامية، فكان يرى فيها تباطؤاً وتلكؤاً وتكاسلاً في التنفيذ، وإذا استجابت بدا عليها أنها تؤدي ما تؤدي مكرهة. وقال: لقد أعياني أمرها، ولكني فوجئت بعد حين بانقلاب تام في تفكيرها وسلوكها وتنفيذها ما كنت أوصيها به بحرارة واندفاع دون أن أقول لها شيئاً، وعرفت أن الفضل في هذا التغير يعود إلى مدرسة فاضلة عُيّنت في مدرستها .. فاستطاعت أن تبلغ من التأثير في نفس بنتي والبنات الأخريات ما عجزت أنا عنه.

وقد بلغ تأثير بعض المعلمات الصالحات أن جعلت من بنات الأسر التي لم يكن يهمها شأن الدين بنات محجبات صالحات يحفظن القرآن ويعملن في الدعوة إلى الله.

إنّ الكلمة من المعلمة المحبوبة لها تأثير السحر في نفس الطالبة، وإنّ النظرة الحانية والابتسامة المشرقة من المعلمة لها التأثير الكبير، وإنّ جلسة مع طالبة في أثناء الفسحة تشرح لها مادة علمية لها تأثير كبير على تغير فكر الفتاة وسلوكها.

وكذلك فإن زيارة للطالبة في بيتها تناقش المعلمة معها سبب تخلفها في درس، وتحاول أن تأخذ بيدها تجعل هذه الطالبة مستعدة لقبول النصح والالتزام بالإسلام والدعوة.

* * *

(١) رواه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦)، وأبو داود (٣٦٦١).

المرأة والتعليم

إنَّ دور المرأة في بناء الأمة دور عظيم، لأن النساء يعدلن نصف الأمة، وهنّ - كما جاء في الحديث - شقائق الرجال، ولأنّ المرأة - في كثير من الأحيان - تملك التأثير على الرجال كما جاء في الحديث يقول ﷺ ما معناه: «ما رأيت أغلب للرجل ذي اللب من إحداكنّ».

إذا كان ذلك كذلك فممّا يتصل بحديثنا عن دور المرأة في بناء الأمّة أن نبحث عن المجالات التي تستطيع المرأة فيها أن تسهم بنصيب وافر في عملية البناء المذكورة.

إنى لأقرّر جازمًا أن المجال الواسع لعمل المرأة الداعية في البناء هو التعليم وتربية بنات الأمة على السبيل السوي من خلال قيامها بالتعليم، ذلك لأن بنات الأمة كلهن سيدخلن المدارس للتعلم.

وأحب أن أذكر أهم الصفات التي على الأخت الداعية من المعلمات أن تتصف بها:

١ - أول ما ينبغي أن تتّصف به المعلمة الداعية الإخلاص في عملها، وأن تقصد بدعوتها رضا الله سبحانه. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». متفق عليه.

وقال ابن عباس: إنما يعطى المرء على قدر نيته.

والإخلاص أن يريد المرء بعمله الذي يعمله التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من اكتساب محمَدة عند النَّاس، أو محبة من الخلق، أو مدح ممن يرى عمله من المسؤولين عنه في عمله.

ومن تجارب الحياة المشاهدة أنَّ مَنْ أخلص عمله لله ينجح في عمله نجاحًا منقطع النظير، ويثني النَّـاس عليه، دون أن يتطلع هو إلى ذلك.

أيتها الأخت الفاضلة .. لا تنتظري في عملك الدعوي والتعليمي مكافأة من أحد، بل تطلّعي إلى أن يكون أجرك على الله، وهو – والله– الأجر المجزي.
فكري في الطريقة التي تستطيعين أن تصلي بها إلى قلوب طالباتك، واستفيدي من خبرات الآخرين والأخريات.

وينبغي أن لا تقصد الأخت الفاضلة في عملها توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو وجاهة أو رياسة أو تميز عن قريناتها وزميلاتها.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قـال رسول الله ﷺ: «مَنْ تعلّم علمـًا يُبتَغي به وجهُ الله لا يتعلّمه إلا ليصيب به غرضـًا من الدنيا لم يجدْ عَرْف الجنة يوم القيامة».(١)

إنّ عليها أن يكون حرصها على أن يتحقق وصول الهداية إلى قلوب الطالبات سواء كان ذاك عن طريقها أو عن طريق داعية أخرى.

ولتحذر كل الحذر من أن تكون رغبتها أن يكون ذلك عن طريقها هي وحدها، فإن ذلك إن وجد فهو من الأثرة التي يجب أن تترفع عنها الداعيات المخلصات، وقد يكون ذلك أمارة على وجود شائبة في نيتها، وإنما الأعمال بالنيات والله أعلم بحقيقة الحال.

فقد صحّ عن الإمام الشافعي ﷺ أنه قال: (وددتُ أنّ الخلق تعلموا هذا العلم – يعني علمه – ولا ينسب إليّ حرف منه). وهذا مستوى رفيع يجب أن نضعه أمام أعيننا ونسعى إليه.

إن التسابق بين الدعاة والداعيات على كسب التلامذة والتلميذات،

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٦٤) بإسناد صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والاستكثار من التابعين والتابعات أمر يؤذي الدعوة، ويسبب العداوة والحقد بين المسلمين.

لابد من كفكفة سلطان الهوى وسيطرة النفس الأمارة بالسوء. إن التعاون هو الذي ينبغي أن يكون محل التسابق.

٢- وعلى الأخت المعلمة أن تتخلّق بالخصال الحميدة من السخاء والحلم والصبر والتواضع وطلاقة الوجه من غير مبالغة، وملازمة الورع والخشوع والسكينة والوقار، والظهور بالمظهر الحسن، من اختيار الملابس التي جمعت بين شروط اللباس الشرعي وبين اللباس الجميل، ومن العناية بشعرها وكل ما يتصل بمظهرها. يقول رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة مَنْ كانَ في قلبه مثقال ذرّةٍ من كبر».

قال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة.

قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس».(١)

قال الامام أبو الفرج ابن الجوزي: [... وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة، لا المترفعة ولا الدون، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد وللقاء الاخوان، ولم يكن تخيّر الأجود عندهم قبيحاً.

وأما اللباس الذي يزري بصاحبه فإنه يتضمّن إظهار الزهد، وإظهار الفقر، وكأنه لسان شكوى من الله تعالى، ويوجب احتقار اللابس. وكل ذلك مكروه منهيّ عنه.

فإن قال قائل: تجويد اللباس هوى النفس، وقد أُمرنا بمجاهدتها، وتزّين للخلق، وقد أُمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق.

---

(١) رواه مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)، والترمذي (١٩٩٩)، والحاكم ٤/ ١٨١، وأحمد ١/ ٣٨٥ و ٤٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالجواب: ليس كل ما تهواه النفس يُذمّ، وليس كل ما يُتزين به للناس يكره، وإنما يُنهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه، أو على وجه الرياء في باب الدين.

فإن الإنسان يحب أن يُرى جميلاً، وذلك حظ للنفس لا يُلام فيه].[1] انتهى كلام ابن الجوزي.

وأنا قد توسعت شيئًا ما في هذه الجزئية لأن هناك بعض الناس قد يغرر بهم فيقال لهم غير الحق في هذا الموضوع.

٣- على الأخت المعلمة أن تحذر من العجب بالتوفيق تحرزه، فالعجب يجر إلى التكبر وهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح، ولا قبول لتأديب، فالمتكبر يُجلّ نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين.

إنهما يقطعان عليها سُبل التقدم والتنويع والتجديد في أداء الواجب، وعندئذ تصبح حركاتها رتيبة، ومقولاتها متكررة لا جديد فيها .. وما تزال كذلك حتى يجرها العجب إلى الإخفاق.

إن العجب يُخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب الذم، ويصد عن الفضائل، وقد قيل: إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

وقيل: النعمة التي لا يُحسد صاحبها عليها التواضع، والبلاء الذي لا يُرحم صاحبه منه العجب. قال الشاعر:

لو فكر الناس فيما في بطونهمُ ... ما استشعر الكبرَ شبّانٌ ولا شيبُ

هل في ابن آدم مثلُ الرأس مكرمةً ... وهو بخمس من الأقذار مضروبُ

---

(١) "تفسير القرطبي" ٧/ ١٩٧.

أنف يسيل، وأذن ريهاسهكٌ والعين مرفضة والثغر ملعوبُ
يا بن التراب ومأكول التراب غداً أقصر فإنك مأكول ومشروبُ

إنّ على المعلمة الموفقة أن تشكر الله أن وفقها، وتتواضع لطالباتها، وتعمل على أن تحكم خططها. وتجدد في أساليبها.

٤- ولتحذر من الغيبة وانتقاد الأخريات سواء كنّ زميلات أم طالبات، فإن ذلك يفسد عملها ويحرمها من الأجر، ويوقع العداوة بين المسلمات.

٥- وعليها أن ترحب بالطالبات إذا أقبلن عليها، فقد جاء في جامع الترمذي وسنن ابن ماجه أن أبا هارون العبدي قال:

كنّا نأتي أبا سعيد الخدري ﷺ فيقول: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ إنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّ الناس لكم تبع، وإنّ رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً».(١)

عليها أن تهتم بهؤلاء الطالبات اهتمامها ببناتها، اهتمامًا صادقًا من قلبها وتظهر آثاره على تصرفاتها، فتشفق عليهن، وترغب لهنّ الخير، فقد جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه».(٢)

وعن ابن عباس ﷺ أنه قال: (أكرمُ الناس عليّ جليسي الذي يتخطّى الناس حتى يجلس إليّ. لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت). وفي رواية: (إنّ الذباب ليقع عليه فيؤذيني).

إنّ هذا الشعور الداخلي نحو الطالبة يجعل تصرفات المعلمة محببة مقبولة،

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٥٠)، وابن ماجه (٢٤٩)، وقال الألباني: ضعيف.

(٢) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

ويمكّن لها من النجاح.

٦- ليس من شك في أنّ واجب المعلمات يقضي عليهن بأن يبذلن قصارى جهدهن في إيصال المعلومات إلى عقول بناتهن، والعمل على أن يستوعبن المادة العلمية ويهضمنها، ولكن ينبغي أن يعلمن أيضاً أنّ من واجبهنّ من باب أولى أن يغرسن في نفوسهنّ الآداب الكريمة والشيم المرضية. وأن يأخذن بأيديهن ليبلغن منزلة مراقبة الله في أعمالهن، فيتذكرن دائماً أنّ الله ناظر إليهن مطلع عليهن عالم بدخائل نفوسهن يعلم السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وأنه سبحانه سيحاسبهن.

٧- وينبغي يا أيتها الأخوات أن تقررن لهن أن المعاصي تحجب القلوب عن نور العلم، وتذكرن لهن أنّ الواقع الملموس المشاهد يؤيد هذا الكلام، فأكثر المتفوقين والمتفوقات في بلاد المسلمين من المتدينين والمتدينات والحمد لله، وتقررن لهن أنّ الطائع لله تتفجر من قلبه ينابيع الحكمة على لسانه وأنّ الله يرزقه القبول عند الناس.

إنّ الذي يرغب في الخير والاستقامة ييسر الله له سبيل ذلك. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

إنَّ على العبد أن يبدأ بصدق في سلوك سبيل الحق، وسييسر الله له ذلك. ويقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨- ومما يساعدكن على نجاحكن في الدعوة إلى الله في صفوف طالباتكن أن توثقن صلتكنّ بالله تعالى، وذلك بالاستكثار من الطاعات.

فمن ذلك المحافظة على قيام الليل، فصلاة القيام أفضل النوافل.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».(١)

والمحافظة على صلاة الضحى فعن أبي هريرة ﷺ قال: (أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد)(٢).

وكذلك الرواتب بعد الصلوات وقبلها كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ والمحافظة على ذكر الله. فقد أخرج الشيخان عن النبيّ ﷺ أنه قال:

«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».(٣)

* * *

إنّ الإسهام في بناء الأمّة مهمة مطلوبة من كلّ مسلم واعٍ وكل مسلمة واعية، مهما كانت درجة ثقافة كلٍ منهما .. يقول ﷺ: «بلغو عني ولو آية»، ولكن المسؤولية على قدر الطاقة والموهبة؛ فمن كان يملك سلطة أو طاقة أو موهبة أو آداة مؤثرة كانت مسؤوليته أكبر ممن لا يملك السلطة أو الطاقة أو الموهبة أو الآداة المؤثرة.

---

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

(٢) رواه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١)، وأبو داود (١٤٣٢).

(٣) رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم(٢٦٩٤).

وما زال حديثنا مستمراً عن التعليم الذي أحسب أنه من أوسع مجالات العمل في بناء الأمة أو إعادة بنائها على أساس الإسلام.

أيتها الأخوات الفاضلات

ألا فليكن حرصكنّ على التعليم كبيراً، وليكثر عدد الصالحات المؤثرات فيه، لأنه يحقق للراغبات بالخير والإصلاح ما يتطلعن إليه على نطاق واسع .. إنه يساعدكنّ على بناء نفوس مسلمة ملتزمة بالإسلام مساعدة كبرى.

ذلك لأنّ علماء التربية يقررون أنّ هناك أزمة في التعليم المعاصر .. وقد بدأ كثير من الناس العاديين يحسّون بهذه الأزمة نتيجة لتدني مستوى التعليم، وتدني مستوى الخريجين من المتعلمين .. ومن هنا شرع المختصون بالتربية ينادون بضرورة إعادة النظر في العملية التربوية وإصلاحها حتى يمكن تحقيق المطلوب منها نوعاً قبل التوسع بها كماً. ومن هنا يبرز دوركنّ الإيجابي الفعّال.

أجل إنّ هذه الأزمة تبدو آثارها الخطيرة بوضوح في زيادة نوازع الشر عند بعض الشباب المتعلمين، وميل كثير منهم إلى العنف والتحلل الخلقي. وهذا واضح بالنسبة إلى البلدان الأوربية والأمريكية .. وليس من شك في أنّ ذلك يؤثر على كثير من بلاد المسلمين تأثيراً متفاوتاً، فقد يكون في بعض الأصقاع كبيراً، وقد يكون في بعضها الآخر أقل تأثيراً.

إنّ الحصول على المؤهل (أو الشهادة) هو الغاية التي يسعى إليها الطلاب والطالبات في كلّ مراحل التعليم، وليس الحصول على العلم. وهذا أمر ملاحظ ملموس .. إنك ترى كثيراً من حاملي الشهادة خلواً من المعرفة العلمية، لأنهم حفظوا أشياء من غير فهم، وأباحوا لأنفسهم – بعد الوصول إلى الوظيفة – أن ينسوا هذه المعلومات التي حُملوا على دراستها وحفظها .. هذا إن لم يكونوا حملوا تلك الشهادات عن طريق أساليب الغش المحرمة في الامتحانات.

والسبب في هذه الأزمة المتمثلة في تدني المستوى العلمي وفي التحلل

الخلقي هو بُعْدُ التعليم عن التربية الروحية وعن ترويض الناشئة على الأخلاق الكريمة.

إنّ إدراك الأخت المعلمة الفاضلة لهذا الواقع التعليمي الذي بدأ يتسرب إلى بلاد المسلمين يجب أن يزيد ويضاعف من عزم الأخوات الفاضلات على الانخراط في سلك التعليم وعلى النشاط في عملية البنـاء.

إنّ أطفال اليوم هم أمل الأمة في مستقبلها، فلا بُد أن يكون هؤلاء الأطفال همّ الدعـاة والداعيات الأول .. إنّ صلاح الأمّة في مقبل أيامها مرهون بقيام الجيل المقبل بالإصلاح، ولا يمكنه أداء هذا الواجب إلا بعد أن يكون قد بُني هو في مرحلة التكوين على الصلاح، ذلك لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه .. وهنا تبرز المهمة العظمى للمعلمين والمعلمات.

إنّ العلم إن تجرد من الروح الدينية، والأخلاق الإسلامية أضحى معولاً هدّامـًا في بنـاء الأمـة .. وأوضح مثال على ذلك ما نراه في ديار الغرب من ظهور النزعات الشريرة عند الشباب المتعلمين، وما نراه ونقرأ عنه من الحرص على الاستكثار من الأسلحة المدمرة من كيمائية وجرثومية وهيدروجينية وذرية ونحوها من أسلحة الدمـار الشامل التي تتسابق الدول الكبرى والصغرى، والغنية والفقيرة على امتلاكها.

وكذلك فإنّ من الأمثلة على ذلك زيادة عدد المجرمين، وزيادة عدد المصابين بالأمراض النفسية .. وكذلك ما نراه ونسمع به من زيادة حوادث الطلاق التي تتفاقم يومـًا بعد يوم.

إنَّ إلقـاء نظرة متأملة على واقع العالم اليوم، الذي يصرّف شؤونه ناسٌ متعلمون دون شك يؤكد خطر العلم إن لم يقترن بالدين والخلق ..

كم من الحروب التي قامت في العالم في الحقبة المعاصرة والتي سمعنا

وقرأنا أنباءها المروعة .. ملايين أُبيدت وتباد بالأسلحة التي اخترعها العلم. ألم يأتكم نبأ الحرب العالمية الثانية التي حصدت أرواح ٥٥ مليون إنسان، وخلفت عدداً أكبر من ذلك من المعوقين والمشوهين والمقعدين.

والحروب في الماضي كانت تستهدف المحاربين فقط، أما اليوم فمآسيها ونكباتها موجهة إلى الناس عامة من المقاتلين ومن العزل المقيمين في بيوتهم.

وكذلك فإن تنكيل عدد من الطواغيت الذين عرفهم العصر الحاضر من أمثال ستالين وهتلر وموسوليني تنكيلهم بالمخالفين لهم من أبناء شعوبهم شيء رهيب .. إذ كانوا يستخدمون المخترعات والأسلحة والوسائل التي كانت من ثمرات التقنية في تعذيب الملايين وقتلهم، وما يزال المستضعفون يتعرضون إلى ذلك، وما أحداث البوسنة وكوسوفا والشيشان عنّا ببعيدة.

إنّ العلم إن تجرّد من الإيمان بالله واليوم الآخر والخوف من الله، وإن تجرد من الأخلاق الكريمة كان وسيلة للشر والفتك والشقاء.

أيتها الأخوات المعلمات

إنّ مهمتكنّ ومهمة إخوانكنّ من المعلمين إنقاذ الأجيال من الوقوع في براثن هذا الواقع المؤلم .. لا بُدّ من إدراك هذا الواقع، ولكن لا يجوز أن يكون إدراكه سببًا في يأسنا وتقاعسنا .. بل يجب أن يكون إدراكه حافزاً لنا على العمل الجادّ المخطط.

إنّ أمتكنّ أمة الإسلام بنظامها التعليمي الذي تميزت به عن أمم الأرض كانت رائدة التقدم الذي يحصد البشر ثماره اليوم.

والأمل معقود على تغيير النظام التعليمي الذي يسود في بلاد أوربا وأمريكا، ولقد قامت النذر تنطلق من أفواه المختصين .. في تلك البلاد الذين أحسوا بأن الخطر يداهم أمتهم بسبب النقص في التعليم، فشكلت في الولايات المتحدة لجنة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضمّت أعلاماً مرموقين من الشخصيات التربوية والعلمية، وكلفت بدراسة وسائل تحقيق التفوق والسبق في الولايات المتحدة الأمريكية، واستغرق عملها ثمانية عشر شهراً من العمل المتواصل، ثم أصدرت تقريرها في عام ١٩٨٣م، وكان عنوان هذا التقرير: "أمة معرضة للخطر" وقد نقل الى اللغة العربية.(١)

ما أجدرنا نحن المسلمين بأن نولي قضية التعليم ما تستحقه من الاهتمام، وإننا لنرى أن الخطر الداهم في بُعد التعليم عن الإسلام العظيم، وخلقه القويم، والمسؤوليةُ مشتركةٌ بين العلماء وأولي الأمر، والمعلمين والمعلمات، والآباء والأمهات.

يقول الإمام الغزالي:

[الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابلٌ لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّدَ الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكلّ معلم له ومؤدب، وإن عُوِّدَ الشرّ وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى. وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من القرناء السوء، ولا يعوّده التنعّم، ولا يحبّب إليه الزينة وأسباب الرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر، فيهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره ..].(٢)

---

(١) نشره مكتب التربية العربي لدول الخليج.

(٢) "إحياء علوم الدين" ٣/ ٦٩-٧٩.

وهذا التوجيه القويم يشمل المعلمين والمعلمات.

ويقول ابن القيم:

[.. ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلُقِه؛ فإنه ينشأ على ما عوّده المربّي في صغره .. ولهذا تجد أكثر الناس منحرفةً أخلاقُهم، وذلك من قِبَل التربية التي نشأ عليها ... وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء].(١)

وهذا التوجيه يشمل كذلك الأمهات، والمعلمين والمعلمات.

إنّ أمّة الإسلام كانت رائدة التقدم بنظامها التعليمي العظيم.

يقرر المنصفون من رجال التربية وتاريخ الحضارة أنّ دخول أفكار ابن رشد الفقيه الفيلسوف الطبيب الأوساط الفكرية في الغرب في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي فتح صفحة جديدة في تاريخ الفكر الأوربي، ومهّد لبزوغ عصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي الذي يمثل بداية العصور الحديثة من الناحية الفكرية بالنسبة لأوربا، وكان لفلسفة ابن رشد التي انتشرت في أوربا دورٌ مميزٌ في بزوغ العقلانية الحديثة في الفكر الأوربي.(٢)

وإنّ أمّة الإسلام هي التي حملت المنهج التجريبي إلى أوربا فكان من ثمرات تطبيقه كل هذا التقدم العلمي والتقني الذي ظهر في الغرب.

إنّ الدنيا كلها بحاجة إلى هذا الإسلام العظيم الذي أكرمنا الله بأن نكون من أتباعه وشرّفنا بذلك، وأود أن أبشركنّ بما أعدّ الله للداعيات اللائي يستطعن أن يهدين طالباتهنّ إلى عقيدة الحق وسلوك طريقها الخيّر .. لقد أعدّ الله لهنّ

---

(١) "تحفة الودود بأحكام المولود". ص ١٤٢ طبعة حاكم قطر السابق الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني، المطبعة الهندية ببمباي الهند سنة ١٣٨٠هـ (١٩٦١م).

(٢) انظر بحث ماجد فخري عن دور ابن رشد في بزوغ العقلانية الحديثة في الفكر الأوربي، وقد نشرته جريدة الحياة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثواب العظيم.

- عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دلّ على خير فله مثل أجر فاعله».(١)
- وعن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومَنْ دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».(٢)
- وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله». فبات الناس يدوكون (أي: يخوضون ويتحدثون) ليلتهم: أيُّهم يعطاها؟

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: «أين ابن أبي طالب؟»

فقيل: يا رسول الله. هو يشتكي عينه.

قال: «فأرسلوا إليه»

فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

قال علي ﷺ: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

قفال: «انْفُذْ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه. فوالله لأن يهدي الله بك

---

(١) رواه مسلم (١٨٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم».[١]

هذا وستغمركنّ سعادة كبرى تجدن لذتها في الدنيا، وما عند الله خير وأبقى.

* * *

إذا قُدّر لإحداكنّ أن تكون معلمة فلتعلم أنّ الله تبارك وتعالى قد فتح لها باباً واسعاً للدعوة إلى الله، ولبناء النفوس الناشئة على الإسلام العظيم. وقد يكون لواحدة أو أكثر من هؤلاء الطالبات من الأثر في الإصلاح والبناء ما يغيّر الواقع المؤلم.

وليس يكفي في مجال الدعوة المؤثرة البناءة أن تقول الأخت كلمة طيبة ثم تمضي ..

إنّ هذا – لوفعلته – أمر حسن، ولكنّ الأحسن والأكمل للوصول إلى التأثير الفعّال أن تشفع تلك الكلمة الطيبة بالتعرّف الدقيق إلى الطالبات بوجوهنّ وأسمائهنّ وقبائلهنّ وبلدانهنّ وأوضاعهنّ الأسرية والاقتصادية والاجتماعية ولاسيما أوضاعهن النفسية .. عليها أن تبحث بطريقة لبقة هل هناك طالبة تعاني من أزمةٍ ما بسبب الأوضاع العائلية، ذلك لأنّ كثيراً من شوائب الحياة الجديدة الغريبة عنا التي غزتنا بسب وسائل الإعلام والفضائيات أوجدت في مجتمعاتنا كثيراً من الهزات في نظرتنا للحياة، وفي عواطفنا، وفي أساليبنا التربوية. ولأن هناك بعض الآباء والأمهات جمعوا إلى الجهل القسوة في معاملة أولادهم بنين وبنات، فيكون ذلك سبباً في أن يصاب الطفل بعقد نفسية قد تنتهي به إلى المرض.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦).

وربما كان موقف المعلمة الداعية، بنظرتها الحانية، وبسمتها المشرقة، وكلامها اللطيف المبلل بأنداء عواطف الودّ والرحمة .. ربما كان موقفها هذا سبباً في زوال تلك الأزمة التي كان يمكن أن تتطور لتكون خطيرة .

إنّ هؤلاء الطالبات عندما يلقين من معلمتهنّ هذا الاهتمام يَقبَلنَ كلّ ما يصدر عن هذه المعلمة من رأي وفكر.

وأنا أذكر يوم أن كنّا طلاباً تعلقنا بالأستاذ الذي كان يهتمّ بنا، وحبنا له وتأثرنا به، وكنّا نعدّ ذلك مزية نكاد نطير فرحاً بها.

والمعلمة التي تكون عارفةً لطالباتها تكون أقدر على فهم تصرفات هؤلاء الطالبات في تعاملها معهنّ ويكون ذلك معيناً لها على أن تقف الموقف الحسن المترع بالشفقة والمحبة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن معرفة الداعيات إلى الله لطالباتهنّ هذه المعرفة الدقيقه تجعلهنّ مدركات لاستعدادات كل واحدة وإمكاناتها، وعندئذ يمكن أن تكلّف كل طالبة ببعض المهام العلمية والدعوية التي تتلاءم مع تلك الاستعدادت والإمكانات.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأســئلة

إنّ على الأخوات الداعيات من المعلمات أن تتسع صدورهنّ للأسئلة الكثيرة التي توجه إليهنّ من الطالبات وقد يكون بعضها سخيفًا، أو بارداً، أو مضجراً، أو محرجًا.

إنّ عليها أن تسمع السؤال وتحمله على المحمل الحسن، وتجيب عنه الإجابة المناسبة مادام في حدود علمها. ولا بأس بأن تنبّه السائلة المسيئة فيما بينها وبينها، إذا كان السؤال غير مناسب وتبيّن لها الغلط في إلقاء هذا السؤال.

وأنا أعرف عدداً من العلماء الأجلّاء كانوا يُسألون أسئلة سخيفة، فما كانوا يعنفون السائل، وإنما كانوا يجيبون عن السؤال أولاً، ثمّ ينبهون السائل إلى أنّ هذا السؤال لا يليق، ولقد بلغ من صبر بعضهم وحسن احتماله أنّ سائلاً اتصل به بعد الثانية من منتصف الليل، فاستيقظ الشيخ فإذا السائل من أمريكا يسأله عن تأويل رؤيا رآها .. فأجابه عن سؤاله ولم يعنّفه ولم يلمه، بل التمس له العذر بأنه ما كان يعرف اختلاف التوقيت.

إنّ الصبر صفة لا بُدّ أن تتحلى بها الأخت الداعية العازمة على النجاح في دعوتها، وهذا الذي ذكرنا من أهون حالات الصبر.

وينبغي أن تكون لدى الأخت الداعية الجرأة في أن لا تجيب عمّا لا تعلم، وتعترف بأنها لا تعلم. وهذا شأن العلماء الأئمة، كان أحدهم إذا سئل عن أمر لا يعرفه قال: لا أعلم.

قال الإمام مالك: [جُنَّةُ العالم "لا أدري" فإذا أخطأها أصيبت مقاتله].(١)

يقول رحمه الله: الوقاية التي تقي العالم من الفضيحة في الدنيا والأثم يوم القيامة

(١) "الجامع" لابن أبي زيد القيرواني ص ١٥١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يقول هذه الكلمة (لا أدري)، أما إذا لم يستعملها وكان جريئًا على الفتوى بما لم يعلم وقع في الأثم وأصيبت مقاتله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (مَنْ أجابَ الناسَ في كلِّ ما يسألونه فهو مجنون).[١]

ونسب ابن رجب الحنبلي إلى ابن مسعود رضي الله عنه جملة قريبة من قول ابن عباس فقال: وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (إنّ الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون).[٢]

وقد سمعت في الإذاعة رجلاً من كبار علماء[٣] هذا العصر يقول رحمه الله في جواب له عن مسألة: هذه المسألة لا يحضرني فيها قول، وسأراجعها ولعلنا نوافي السائل عنها في الأسبوع المقبل، فزاد إجلالاً واحترامًا في نظري.

ويمكن للأخت الداعية أن تستدرك مالم تعرفه من مسائل العلم التي تسأل عنها بالاجتهاد بالدراسة والتعلم، ويجب أن تكون عندها مكتبة مسعفة. ولا ينبغي لها أن تستنكف من التعلم ممن هو دونها في سن أونسب أو شهرة أو أي اعتبار آخر.

عن مجاهد: [لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر].[٤]

وعن عائشة رضي الله عنها: (نعمَ النساء نساء الأنصار لم يمنعهنّ الحياء أن يتفقهن في الدين).[٥]

---

(١) "الجامع" لابن أبي زيد القيرواني ص ١٥١.

(٢) شرح حديث «ما ذئبان ..» المنشور في هامش كتاب "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر ١/ ١٧٧.

(٣) وهو الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

(٤) "شرح المهذب" للنووي ١/ ٥٥.

(٥) "شرح المهذب" للنووي ١/ ٥٥.

وقال سعيد بن حبير: لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم، فإذا ترك العلم وظن أنّه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون.[١]

قال الإمام النووي[٢]: [وإذا سئل عن شيء لا يعرفه، أو عرض في الدرس ما لا يعرفه فليقل: لا أعرفه، أو لا أتحققه، ولا يستنكف عن ذلك، فمن علم العالم أن يقول فيما لا يعلم: لا أعلم، أو الله أعلم، فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: (يا أيها الناس من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم) .. وليعلم أنّ معتقد المحققين أنّ قول العالم (لا أدري)، لا يضع منزلته، بل هو دليل على عظيم محله وتقواه، وكمال معرفته، لأنّ المتمكن لا يضره عدم معرفته مسائل معدودة، بل يستدل بقوله: لا أدري على تقواه، وأنّه لا يجازف في فتواه، وإنّما يمتنع من قول (لا أدري) من قلّ علمه، وقصرت معرفته، وضعفت تقواه، لأنه يخاف لقصوره أن يسقط من أعين الحاضرين، وهذا جهل منه، فإنه بإقدامه على الجواب فيما لا يعلمه يبوء بالإثم العظيم].

* * *

(١) "شرح المهذب" للنووي ١/ ٦٢-٦٣.

(٢) "شرح المهذب" للنووي ١/ ٦٢-٦٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القـــدوة

ينبغي للداعية إن أرادت أن تنجح في عملها أن تتخلق بالمحاسن التي دعا إليها الشرع وحثّ عليها، وأن تترفع عن الأمور التي لا تليق بالداعية وإن كانت من المباحات. وعليها أن تحذر من الوقوع في مخالفةِ ما تأمرُ به الأخريات. والله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

ونعى الله سبحانه على قوم يأمرون الناس بالبر وهم لا يفعلونه فقال: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

ويقول الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: ٨٨].

إنّ التعليم بالقدوة مساوٍ للتعليم باللسان ومعادلٌ له، ولا بُدَّ في التربية والدعوة من النوعين على أن يكونا متعاونين متكاملين لا متضادين. وهذا مطلوب من الواعظين ومن الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات.

والقدوة للداعية لا تكون متَّبعةً إلّا إذا كانت محبوبةً، أما التي تجعل من نفسها قدوة وتكون مبغوضةً مفروضةً فإنها لا تُتّبع إلا بالقسر والإكراه، ولا يكون هذا اتباعاً بالمعنى الصحيح.

وقد ثبت في بحوث أجراها المختصون في علم النفس أنّ الناس يندفعون إلى التشبّه بالأشخاص الذين يحبونهم .. يتشبهون بهم دون أن يشعروا.

وقد سمعت من أستاذ كبير[1] القصة الآتية. قال: كُنت مدرّساً في مدرسة

---

(١) هو الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله. وأستاذه الذي أثر فيه هو الشيخ عبد القادر المبارك.

ثانوية فاستأذننا فريق من الطلّاب في أن يقلدوا أساتذتهم في إلقاء الدروس أمامنا، فأذنَّا لهم وجلسنا نشاهد صنيعهم .. قال: فلما شرع أحدُ الطلّاب يحاول تقليدي صحتُ دون أن أشعر: هذا أستاذنا .. فلان .. وقال: فعرفت أنني لمّا أُعجبت بهذا الأُستاذ وأحببته صارت طريقته في الإلقاء سجيّةً منطبعةً في نفسي لا أتكلفها ولا أتصنّعها، وما كنت أدري ذلك قبل أن أشاهد صنيع هذا الطالب.

من هنا تبدو قيمة القدوة بالنسبة للداعية في صفوف الناشئة ..

إنَّ كلَّ كلمة تقولينها أيتها الأخت الفاضلة تترك الأثر الكبير في نفوس الطالبات، وإن كل تصرف تتصرفينه له أكبر الأثر في سلوك الطالبات، وفي حكمهن على الأمور .. تقول واحدة منهن: أنا سمعت أستاذتي تقول كذا في الأمر الفلاني فهو إذن حلال لا شيء فيه. أو تقول: أنا رأيتها تتصرف التصرف الفلاني فهو إذن حلال لا شيء فيه، ولو كان حراماً أو مكروهاً ما فعلته أبداً ... وهكذا.

ومن هنا تتبين خطورةُ وجود المعلمات المسرفات على أنفسهن اللاتي لا يتقين الله في ألفاظهن وسلوكهنّ .. وأوضح مثال على ذلك موقف هؤلاء المعلمات من الحجاب. ومن التدخين ومن التبرج ومن الاختلاط المستهتر ونحو ذلك.

إنّ مهنة التعليم في حدّ ذاتها توجب أن يكون المعلّم والمعلّمة على أكمل حال .. إذ تنقل صفات المعلم وصفات المعلمة إلى التلامذة والطالبات دون شعور منهم.

وتقودنا هذه الحقيقة المفزعة إلى الحديث عن تأثر الناشئة بما يرون في الأفلام والتمثيليات. وهذا داخل في موضوع التربية السليمة وبناء الأمة.

إنّ كثيراً من هذه الأفلام والتمثيليات تُغري بالإجرام كالإقدام على السرقة

والسطو على البيوت وقتل الآمنين وشرب الخمر والدخان وارتكاب الفواحش. ذلك أن بعض الممثلين يؤدون الدور الذي يقومون به بشكل يُثير إعجاب هؤلاء الشباب والشابات .. وقد يقودهم هذا الإعجاب إلى تقليد ذاك الممثل.

ومثل الأفلام والتمثيليات القصصُ الغراميّة والبوليسيّةُ الخسيسةُ التي تعرض أحداث القصة بطريقة مثيرة تستحوذ على إعجاب القارئ الشاب، فيعجب بشخصية من شخصيات القصة وقد يقوده هذا الإعجاب إلى تقليده ولو بينه وبين نفسه في خلوة .. فتراه يردد الجملة التي قالها ذاك الرجل .. وقد يقدم على ارتكاب العمل المشين بالفعل.

وأذكر أنّ باحثًا قام بدراسة ميدانية، وهذه الدراسة قامت على سؤال وجّهه إلى مئة شاب وشابة في بلد عربي، وهذا السؤال هو:

هل تحاول أن تقوم بالدور الذي أعجبك من ممثل شاهدته في تمثيلية رأيتها؟

فكانت نسبة الذين أجابوا بـ(نعم) تزيد على ٨٠٪ من الذين سألهم.

إنّ طلبة العلم والدعاة والموجهين لا يستطيعون منع الفضائيات، ولا إيقاف التمثيليات. ولكنهم يستطيعون أن يقوموا بالتعاون مع الآباء والأمهات، والمعلمين والمعلمات، والوعاظ وخطباء الجمعة .. أن يقوموا بالتوعية والتحصين بأساليب مقنعة.

إنّ الذي يكون في بيئة موبوءة بالجراثيم لا يستطيع منع الجراثيم من قيامها بعملها الهدام، ولكنه يستطيع أن يحصّن نفسه باللقاح أو بوسيلة من وسائل الوقاية.

ولا يعني كلامنا هذا ألّا نفيد من التقدم العلمي والتقني الذي أفرزته حضارة الغرب .. لا .. إنّ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها وهو أحقُّ بها.

ولكن علينا أن نَحْذَرَ ممّا أفرزته هذه الحضارة مما يضرنا في ديننا أو دنيانا

.. سواء كان فكراً مخالفاً لأصل من أصول ديننا، أو سلوكاً مخالفاً لخلق من أخلاقنا الإسلامية، أو كان اتجاهاً أدبياً يُعارض قيمنا ومثلنا، أو كان أداة مخترعة تستعمل في هدم كياننا.

وقد سبق أنْ قلت: إن أعظم كارثة تلحق بالإنسانية اليوم أنّ هذا التقدّم التقني حصل في ظلّ حضارة تتنكّر للدين وتأبى أن يكون أساساً للمعرفة، ولم تحصل في ظلّ حضارة إسلامية ومجتمع إسلامي وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

خديجـة أمّ المؤمنـين رضي الله عنها

إنّ مما يعين على بلوغ المستوى الأكمل في الدعوة والبناء عرض نماذج من الرائدات الصالحات المؤمنات القانتات، وهذه الأمة العظيمة التي هي خير أمة أخرجت للناس قد عرفت من هذه النماذج الكثير الكثير، وسنعرض – إن شاء الله – لإيراد بعضها فيما نستقبل من كلمات.

وأحب أن أذكر أنّ عطاء هذه الأمة استمر إلى عصرنا هذا، فكم هناك من السيدات الفاضلات الداعيات اللاتي كان لهنّ الأثر الكبير في الإصلاح وإعداد الرجال الدعاة المصلحين.

وأود أن أسعد معكن الآن بعرض طرف من سيرة أمّنا أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

إنها المرأة العاقلة ذات الرأي السديد، والنظر البعيد الرشيد، والقلب الكبير، والخلق الزكي، والدين القوي.

لقد كان لها رضي الله عنها المواقف العظيمة التي سجلها لها التاريخ بحروف من نور وإكبار .. فقد كانت العون للرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، أعانته برأيها وبمالها وبعاطفتها، وكان يجد في الركون إليها الأنس والود والنصح والتثبت.

وعندما فقدها وفقد عمه أبا طالب سمّى ذاك العام عام الأحزان.

إنها سيدة نساء العالمين، إنها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب، القرشية الأسدية. وكنيتها أم القاسم، وهي أمّ أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الزبير بن بكار: كانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة. وأمها فاطمة بنت زائدة العامرية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت خديجة أولا زوجة أبي هالة بن النباش بن زرارة، ثمّ خلف عليها بعده عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم تزوجها رسول الله ﷺ وله خمس وعشرون سنة وكانت هي في الأربعين.(١) وماتت على الصحيح بعد المبعث بعشر سنين في رمضان، فأقامت معه خمسـًا وعشرين سنة وكان التعارف بينهما قبل الزواج كما يأتي:

قال ابن اسحاق: وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه، بشيء تجعله لهم. (أي تجعل لهم جزءاً من الربح مقابل تعبهم). وكانت قريشٌ قومـًا تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالٍ لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام. [انتهى كلام ابن اسحاق].(٢)

فرأى ميسرة من أمانة هذا الرجل ومن فضائله ما رأى، واطلّع على مزايا فيه، ما كان له أن يطلع عليها لولا السفر ومعاملة الآخرين بالبيع والشراء. وباع رسول الله ﷺ البضاعة التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلا إلى مكة. ومعه مَيسرة الذي ذهب إلى خديجة وأخبرها أخبار هذه الرحلة وما رأى من الشمائل الشريفة لمحمد ﷺ التي لا يمكن أن تجتمع في إنسان آخر. والله أعلم حيث يجعل رسالته.

يقول ابن اسحاق: [وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله

---

(١) "سير أعلام النبلاء" ٢/ ١١١، وجاء في "فتح الباري" ٧/ ١٣٤ [ومات أبو هالة في الجاهلية، وكانت خديجة قبله عند عتيق بن عائذ المخزومي].

(٢) انظر "سيرة ابن هشام" ١/ ١٩٩.

بها من كرامته، فلما أخبرها مَيسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يابن عم ! إني قد رغبت فيك لقرابتك وشرفك في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها.

وكانت خديجة يومئذٍ أوسط نساء قريش نسبًا، وأعظمهنّ شرفًا، وأكثرهنّ مالاً، كل قومها كان حريصًا على ذلك منها لو يقدر عليه].(١)

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه، ودخلوا على أهلها وخطبوها. ويقال: أنّ أبا طالب ألقى خطبة ذكر فيها فضل ابن أخيه.

وأصدقها رسول الله المهر، وكانت أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضي الله عنها.

كانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن به وصدّقه قبل كل أحد، وثبتت جأشه يوم أن عاد إليها من حراء بعد أن جاءه الوحي، وهذا الموقف موقف عظيم سنتحدث عنه بالتفصيل إن شاء الله وسنقف أمامه متأملين بقدر ما تستطيع.

والذي أريد أن أذكر الآن موقفها قبل يوم الوحي من إعانتها له من همّ الكسب، فلقد كانت تمدّه بمالها، وكانت تهيء له ما كان يريد من الخلوة والصفاء والجو المريح.

فقد كانت تُعِـدُّ له الزاد الذي يأخذه معه إلى غار حراء حيث كان يتحنث هناك الليالي ذوات العدد، وتبقى خديجة رضي الله عنها مع أولادها راضية مطمئنة، لم تشغله بهموم العيال، ولم تعاتبه على تركها وحيدة، ولم تطالبه بالكفّ عن الذهاب للخلوة بغار حراء وبالبقاء معها ومؤانسته لها.

---

(١) انظر "سيرة ابن هشام" ١/ ٢٠٠- ٢٠١.

إنّ هذا وحده أمرٌ له شأنه في حياة الأسرة السعيدةالمتماسكة أولاً، وله شأنه في حياة الدعاة إلى الله.

وأني لأرجو من أخواتي أن تتسع صدورهن لأهمس همسة في آذان زوجات الدعاة إلى الله منطلقة من موقف أم المؤمنين هذا.

إنه ينبغي أن يكون موقف السيدة العظيمة خديجة رضي الله عنها.. موقفهاهذا الذي نتحدث عنه أن يكون قدوة لهنّ في معونة أزواجهن الدعاة إلى الله، وأن يرضين بالتنازل عن بعض حقوقهنّ الزوجية.

إنّ عملية بناء الأمة تقتضي من الدعاة وأزواجهم أن يتعاونوا للوصول إلى الهدف المقصود .. فالزوجة مدعوّةٌ إلى التنازل عن بعض حقوقها من أجل الدعوة .. وكذلك فإن الزوج مدعوٌّ أيضاً إلى التنازل عن بعض حقوقه إن كانت الزوجة قائمة بالدعوة إلى الله.

لم يكن رسول الله يلقى في حياته معها وفي هذه الحقبة خاصة إلّا الحنان والعون، والصبر على مفارقة الحبيب تلك الليالي ذوات العدد يتعبد الله في غار حراء ويتأمل في آيات الله الكونية.

فرضي الله عنها وأرضاها.

* * *

إن السيدة الفاضلة أُمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها رائدة في الدعوة والإيمان والبناء. ونودُّ أن نورد ما جاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة وأن نتأمل في هذه الأحاديث راجين أن يكون في ذلك ما يدعو أخواتنا وبناتنا إلى الاقتداء بهذه القمة من الفضل والاستقامة والتقوى.

- فمن ذلك قوله ﷺ: «خير نسائها مريم، وخيرنسائها خديجة».(١)

قال القرطبي: [الضمير في (نسائها) عائد على غير مذكور، لكن يفسره الحال المشاهدأ يعني به الدنيا].(٢)

فمعنى الحديث: خير نساءالدنيا في زمن مريم هي مريم، وخير نساء هذه الأمة خديجة.

وروى البزّار والطبراني من حديث عمار بن ياسر رفعه: «لقد فُضّلَتْ خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين». وهذا الحديث حسن الإسناد كما قال الحافظ ابن حجر .

وكذلك فقد أخرج النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس مرفوعـًا: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون».(٣)

وهـذه الخيرية لُمِسَتْ آثارها في دنيا الواقع، فما كان في عصرها من يفضلها.

- ومن ذلك ما راواه أبو هريرة رضي الله عنه الذي قال:

أتى جبريلُ النبيﷺ فقـال: يا رسول الله! هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شرابأ فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لاصخب فيه ولا نصب.(٤)

وللعلماء وقفات تأملية جميلة في هذا الحديث نورد بعضها فيما يأتي:

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٥)، ومسلم (٢٤٣٠)، والترمذي(٣٨٧٧).

(٢) "فتح الباري" ٧/ ١٣٥.

(٣) "السنن الكبرى" للنسائي ٥/ ٩٥ برقم: ٨٣٦٤. وقال ابن حجر: إسناده صحيح. و"المستدرك" للحاكم ٢/ ٤٩٧.

(٤) رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- قال أبو بكر الإسكاف في "فوائد الأخبار": المراد به بيت زائد على ما أعدّ الله لها من ثواب عملها.(١)
- وقال السهيلي: لذكر البيت معنى لطيف؛ لأنها كانت ربة بيت قبل المبعث، ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض في أول يوم بعث النبيّ ﷺ بيتُ إسلام إلا بيتها وهي فضيلة ما شاركها فيها غيرها.(٢)

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال ابن كثير في تفسير هذه الاية: [وهذا نصّ في دخول ازواج النبي ﷺ في أهل البيت؛ لأنهنّ سبب نزول الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً إما وحده، أو مع غيره على الصحيح]. ثم أورد قول ابن عباس: (نزلت في نساء النبي خاصة). وأورد قول عكرمة: (من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبيّ) وسياق الآية يؤيد دخول أزواج النبيّ ويحسن أن نورد الآية كاملة.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٤]. والحق أنّ المراد بأهل البيت أعمّ من أن يكون محصوراً بأزواج النبيّ أو بفاطمة وزوجها وولديها، بل المراد يعم الجميع لورود الأدلة الكثيرة على

---

(١) "فتح الباري" ٧/ ١٣٨.

(٢) "فتح الباري" ٧/ ١٣٨.

ذلك والله أعلم.

زاد الطبراني في الرواية المذكورة وهي: (فاقرأ عليها السلام من ربها ومني) زاد ما يأتي: فقالت: هو السلام، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام.

وللنسائي من حديث أنس: قال جبريل: إنّ الله يقرئ خديجة السلام، فأخبَرها، فقالت: إنّ الله هو السلام، وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وزاد ابن السني من وجه آخر أنها قالت: وعلى من سمع إلا الشيطان.

قال العلماء: في هذا الردّ من خديجة دليل على وفور فقهها؛ لأنها لم تقل: وعليه السلام، كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد: السلام على الله، فنهاهم النبيّ ﷺ وقال: «إنّ الله هو السلام. فقولوا: التحيات لله».

لقد عرفت خديجة رضي الله عنها لصحة فهمها أنَّ الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين، لأنّ السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضاً دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أن يُرد به على الله، فكأنها قالت: كيف أقول: عليه السلام، والسلام اسمه، ومنه يطلب، ومنه يحصل؟

فيستفاد منه أنه لا يليق بالله تعالى إلّا الثناء عليه، فجعلت مكان ردّ السلام عليه الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره، فقالت: وعلى جبريل السلام، ثم قالت: وعليك السلام يا رسول الله.

قال العلماء: ويستفاد من هذا الحديث ردّ السلام على من أرسل السلام وعلى من بلّغه.

وللعلماء وقفة تأمليه جميلة في تأويل قوله (بيت من قصب) سنوردها بعد أن

نذكر رواية أخرى للحديث في صحيح البخاري[١] ولغيره أيضاً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما غرت على امرأة للنبيّ ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها ما يسعهن).

وفي رواية أخرى للبخاري[٢] تقول: (ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها. قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه عزّ وجلّ أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب).

ورواه الترمذي[٣] وقال: إنما يعني به قصب اللؤلؤ.

وأخرج الطبراني في "الاوسط" من حديث فاطمة قالت: قلت: يا رسول الله! أين أمي خديجة؟

قال: «في بيت من قصب».

قلت: أمن هذا القصب؟

قال: «لا. من القصب المنظوم بالدر والياقوت».

قال السهيلي: النكتة في قوله: (من القصب) ولم يقل: (من لؤلؤ) أن في لفظ (القصب) مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق[٤] بمبادرتها إلى الإيمان دون غيرها. ولذا وقعت المناسبة في جميع الفاظ هذا الحديث.

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٦).

(٢) رواه البخاري (٣٨١٧).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٧٦).

(٤) جاء في "المصباح": [وقولهم أحرز قصب السبق أصله أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع، ثم كثر حتى أطلق على المبرز والمشمر].

وقال ابن حجر: وفي القصب مناسبة أخرى من جهة استواء أكثر أنابيبه، وكذا كان لخديجة من الاستواء ما ليس لغيرها، إذ كانت حريصة على رضاه بكل ممكن، ولم يصدر منها ما يغضبه قط كما وقع من غيرها.

وقوله (لا صخب فيه ولا نصب)

قال السهيلي: مناسبة نفي هاتين الصفتين أنه ﷺ لما دعا إلى الإسلام أجابت خديجة طوعاً، فلم تحوجه إلى رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك. بل أزالت عنه كل نصب، وآنسته من كل وحشة، وهونت عليه كل عسير، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها.

وفي رواية البخاري[1] أنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبيّ ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا إلّا خديجة. فيقول: «إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد».

وأخرج أحمد من رواية مسروق عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء».

هذا الحديث يدل على ثبوت الغيرة في النساء وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلا عمن دونهن، وأن عائشة رضي الله عنها كانت تغار على نساء النبيّ ﷺ لكن كانت تغار على خديجة أكثر، لكثرة ذكر النبيّ ﷺ إياها، وثنائه عليها ومدحها، ولأنَّ الله بشّرها ببيت في الجنة.

هذا وخديجة غير موجودة، ويفهم من ذلك أنها لو كانت موجودة لكانت

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٨).

غيرتها أشـد.

ويمكن أن نصنف أسباب غيرة عائشة كما جاء في هذه الروايات في ثلاثة أسباب:

١) كثرة ذكره لها وثنائه عليها ومدحها.

٢) لأن الله تعالى أمره أن يبشرها ببيت في الجنة.

٣) ولأنه كان يكرم صديقاتها، وذلك يشعر باستمرار حبه لها حتى كان يتعهد صواحبها.

قال النووي:

في هذه الاحاديث دلالة لحسن العهد، وحفظ الودّ، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشر حيًا وميتًا، وإكرام معارف ذلك الصاحب.

قلت: ومن أحق من سيدنا رسول الله ﷺ بالتحلّي بهذه الشمائل التي هي من مكارم الأخلاق. وجدير بالمسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ في ذلك، فيذكر كل من الزوجين محاسن صاحبه في حياته وبعد فراقه.

وكذا الاخلاء المتقون.

أما ما يفعله بعضهم من تشويه سمعة زوجته بعد الطلاق وإلصاق التهم الباطلة بصاحبته فهذا من اللؤم الشنيع، وهو من المحرمات.

إنّ موقفها رضي الله عنها يوم بدء الوحي موقفٌ عظيمٌ كان له أكبر الأثر في نفس الرسول ﷺ وفي تثبيته .. وأعرضُه كما جاء في حديث عائشة الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ثم نقف معه بعض الوقفات النافعة إن شاء الله بما فيها من دروس وعبر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت:

(كان أولَ ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقةُ في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنّث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه (وفي رواية: فَجِئَهُ) الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: اقرأ.

قال: «ما أنا بقارئ». قال: «فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد[1]، ثم أرسلني». فقال: اقرأ.

«قلت: ما أنا بقارئ، فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني». فقال: اقرأ.

«فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني».

فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾ [العلق: ١-٥] ».

فرجع رسول الله ﷺ يرجف فؤاده (وفي رواية: ترجف بوادره)، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زمّلوني زمّلوني» فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع.

فقال لخديجة: «مالي؟» وأخبرها الخبر، وقال: «لقد خشيت على نفسي».

فقالت له خديجة: كلّا، أبشر فوالله ما يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

---

(١) قال النووي ٢/ ١٩٩: [وأما الجهد فيجوز فتح الجيم وضمها، لغتان، وهو الغاية والمشقة، ويجوز نصب الدال ورفعها، فعلى النصب: بلغ جبريل مني الجهدَ، وعلى الرفع: بلغ الجهدُ مني مبلغه وغايته].

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية (وفي رواية: الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية) ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخـًا كبيراً قد عمي.

فقالت له خديجة: يا ابن عم. اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي. ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى. ياليتني فيها جذعـًا، ليتني أكون حيـًا إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟».

قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي (وفي رواية: أوذي) وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

ثم لم ينشب ورقة ان توفي. وفتر الوحي.(١)

في هذا الحديث الجميل كلام لعائشة رضي الله عنها عن بدء الوحي، وكلام لخديجة رضي الله عنها، وكلام لورقـة، وفيه الحوار الذي جرى بين الرسول ﷺ والملك، والحوار الذي جرى بين الرسول ﷺ وخديجة، والحوار الذي كان بين ورقة والرسول ﷺ وشاركت فيه خديجة أيضـًا.

وفي هذا الحديث بيـان لطرف من أخلاق النبيّ ﷺ وسيرته وسلوكه قبل النبوة

---

(١) رواه البخاري (٣٣٩٢- ٣٣٩٣- ٤٩٥٣- ٤٩٥٥- ٤٩٥٦- ٤٩٥٧- ٦٩٨٢، ومسلم (١٦٠)، والترمذي (٣٦٣٢) وقد روى أوله، وأحمد ٦/ ١٥٣، والطيالسي (١٤٦٧)، وانظر "الفتح" ١/ ٢٢، و"شرح مسلم" للنووي ٢/ ١٩٧.

قررته السيدة خديجة رضي الله عنها.

وفيه تقرير ورقة لسنّة مضت في أنبياء الله أنهم يقابلون بالإيذاء والتكذيب والعداوة، ثم الإخراج من الأوطان.

وفي هذا الحديث ما يدل على سعة عقل خديجة رضي الله عنها، وثقتها المطلقة برسول صلى الله عليه وسلم وحدبها على زوجها، وإدراكها لسنن الله الكونية.

وهذا الذي نريد أن نتبيّنه من تأملنا لهذا الحديث. لقد كان موقف خديجة رضي الله عنها موقفاً عظيماً، دلّ على أنّها الزوج الحنون، العاقلة، التي تتصف ببعد النظر.

لقد كان موقفها هذا عوناً لزوجها على تلقي هذا الحدث العظيم، فهدّأت من روعه، وخفّفتْ من ألمه، وصحبته إلى مشير ناصح.

هذا الحدث هو الوحي، وهو تكليم الله واحداً من عباده بطريقة من طرق الوحي، وقد ذكر العلماء أن طرقه عديدة:

فمنها الرؤيا الصادقة، وقد ذكرتها السيدة عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث فقالت: فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وفلق الصبح ضياؤه، وهذا تعبير لا يقال إلا في الشيء الواضح البيّن.

ومنها تكليم الله نبيه مباشرة ولكن من وراء حجاب كما كان ذلك مع سيدنا موسى عليه السلام.

ومنها تكليم الله نبيه بوساطة جبريل عليه السلام.

ولنعد إلى حديث عائشة رضي الله عنها فقد استنبط العلماء فوائد عديدة منه سنذكرها قريبا، وأود ان أذكر أمراً لفت نظري .. إنه الموقف الموضوعي المنصف الذي بدت فيه عائشة راوية هذا الحديث .. موقفها من خديجة وموقفها العظيم .. وقد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشرنا في ما سبق إلى أنها كانت تغار منها أعظم الغيرة، مع أنهما لم تجتمعا، ومع ذلك فقد ذكرت في هذا الحديث فضلها وعظيم عقلها.

يصور هذا الحديث خديجة مهتمة أعظم الاهتمام بالرسول الكريم، تعدّ قضيته قضيتها .. ولقد كانت أول من آمن بالله ورسوله وصدّقت بما جاء به.

وكان يرجع إليها يقصّ عليها ما يلقى، فيلقى منها التثبيت والمواساة. قال ابن حجر: [فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من الردّ عليه فيرجع إليها إلا تثبته وتهون عليه أمر الناس].(١)

فرضي الله عنها وأرضاها وجزاها عن الإسلام خيراً.

* * *

لقد رأينا موقف خديجة رضي الله عنها يوم بدء الوحي، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه ورأينا مدى التجاوب الذي تجلى في ذاك اليوم مع النبيّ ودعوته، وتثبيت فؤاد النبيّ ﷺ والمسارعة إلى تزميله ومؤانسته.

ورأينا أنها رضي الله عنها لم تقتصر على ذلك، بل اقترحت عليه أنْ يذهبا إلى عالم من أقاربها ترك الوثنية وتنصّر، ويبدو أنه كان على نصرانية بعيدة عن الشوائب التي دخلت في المذاهب النصرانية، ولما قصّ عليه الرسول ﷺ ما جرى معه طمأنه وبشره بالنبوة وذكر له أن هذا الذي جاءه هو جبريل عليه السلام أمين الوحي الذي ينزل بالوحي على الأنبياء و آمن ورقة برسول الله، ولذا فهو معدود في الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) "الإصابة" ٤/ ٢٧٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال النووي: [قال ابن منده: واختلفوا في إسلام ورقة،[١] وهذا الحديث الذي ذكرته – يريد حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه – ظاهر في إسلامه واتّباعه وتصديقه].[٢]

وقد كان لكلامه أثرٌ كبيرٌ في إدخال الطمأنينة على النبيّ ﷺ كما أشرنا إلى ذلك آنفاً و كان هذا من بركة رأي السيدة الفاضلة خديجة رضي الله عنها.

إنّ في موقفها رضي الله عنها لدرساً بليغاً لأخواتنا الداعيات مع أزواجهن الدعاة .. ذلك لأنّ طريق الدعوة طريقٌ مفعمٌ بالعقبات والمصاعب والمتاعب ..

يقول رسول الله ﷺ: «حفّت الجنة بالمكاره». طريق يتعرض فيه الدعاة إلى الاستهزاء والإيذاء، والتكذيب والتعذيب، والإخراج من الأوطان والقتل .. فينبغي أن يكون موقف الزوجة الصالحة موقف تثبيت قلب زوجها وأن تذكره بالآيات التي تدعو إلى الصبر وتَعِد الدعاة بالنصر والثواب من نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]. وقوله تعالى على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]. فقد ورد الأمر بالصبر بعد الأمر بالدعوة . وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وعليها أن تبشره بأنه – إن استقام وعمل الصالحات وأخلص عمله لله –

---

(١) قال في "الإصابة": ذكره الطبري والبغوي وابن نافع وابن السكن وغيرهم في الصحابة، هذا وقد أورد ابن حجر القولين في إسلامه وأورد أحاديث عدة تدعم القول بإسلامه، بعد أن قال (٣/ ٥٩٧): [وفي أثبات الصحبة له نظر]. قلت: والقول الأصح ما قاله النووي من أنه أسلم واتّبع وصدق. والله أعلم.

(٢) "تهذيب الأسماء واللغات" ٢/ ١٤٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منصور مؤيد. قال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

قال محمد بن بشير:

إن الأمور إذا انسدّت مسالكها ... فالصبر يفتق منها كل ما ارتتجا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا[1]

أيتها الأخوات .. إنّ كلمات أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها ينبغي أن تكون حاضرة في قلوبكنّ لينفسح الأمل أمامكنّ (كلّا والله لا يخزيك الله أبداً).

أجل إنّ المؤمن الداعي العامل للصالحات لا يخزيه الله أبداً، فهو في الدنيا بين إحدى الحسنيين إما أن يلقى النصر والتوفيق. وإما أن يحوز الثواب الجزيل على صبره على ما يتعرض له من الأذى في سبيل الدعوة. والخزي على الكافرين والفاسقين، فالخزي الحقيقي لمن يقادون في الآخرة إلى جهنم وبئس المهاد. قال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٤١]. وقال: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

ومن الدروس التي نقف عليها من تأملنا في هذا الحديث ضرورة التعاون بين الزوجين على البر والتقوى لينجح الدعاة في أعمالهم .. إنّ التعاون بينهما هو الذي يعطي الحياة طعم السعادة ويجعل كلا من الزوجين يحس بالسعادة، ويثبت الداعي منهما على الحق، ويدفعه إلى تحقيق ما يطلع عليه .. أما إذا غاب التعاون فان الكآبة والتعاسة تسيطران على بيت الزوجية .. وهذا موت حقيقي.

---

(١) "الحماسة" ٢/ ٣٣، و"أقوال مأثورة" ١/ ٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولله در القائل[١]

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الاحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا ... كاسفا باله قليل الرجاء

إنّ الزوج الذي لا يجد العون والحنان والاستعداد من زوجته لمشاركته فيما هو فيه يؤلمه هذا الموقف ويزيده ألماً فوق ألم.

أجل إنه ليؤلمه أن يُحسّ أنه في واد وأن زوجته شريكته في الحياة في واد آخر، مع أنها أقرب الناس إليه.

وقد يؤثر عليه هذا الوضع فيجعله يضعف في مواجهة العقبات ويخفق في عمله، ذلك لأن إحساس الإنسان بالتفرد يوهن عزمه، ويضاعف عليه الألم: يتألم من قسوة الأزمة، ويتألم مرة أخرى لخذلان من كان يرجو نصرته ولتركهم إياه وحيداً يواجه ما يواجه.

إنّ الزوجة هي أولى الناس بمساعدة زوجها عندما يقع في أزمة، تقف معه، وتمده بالرأي والمشورة، وتبذل له مالها، وتضع تحت تصرفه إمكاناتها وتقيه من الناس .. هذا بالنسبة إلى الناس العاديين .. والدعاة إلى الله والداعيات أحق الناس أن يكونوا كذلك.

ولقد كانت خديجة رضي الله عنها الزوجة الصالحة المثالية في كل حين .. وقد رأينا موقفها عندما واجه الرسول ﷺ ما واجه في غار حراء.

إنّ الخير ما يزال موجوداً في هذه الأمة ولله الحمد والمنة، وإنكنّ يا أخواتي ويا بناتي مدعوات لحمل المسؤولية وللإسهام في بناء الأمة على أساس من

---

(١) هو عدي بن الرعلاء الغساني، والرعلاء: اسم أمه وهو شاعر جاهلي، وانظر "شرح أبيات المغني" ٣/ ١٩٧، و"أقوال مأثورة" ٢/ ٣٣٥.

الإسلام .. مدعوات لتقديم ذلك على أي أمر آخر .. وهذا إن تمّ فهو شرف لكنّ.

إنّ أعداء الله يمكرون بأمة الإسلام بشتى صنوف المكر .. هذه حقيقة أضحت مكشوفة .. ويجب أن يجعلنا إدراكنا لهذه الحقيقة أكثر حرصاً على المضي في طريق الدعوة والإصلاح والبناء، وقد وعد الله أولياءه بالنصر إن هم آمنوا وعملوا الصالحات وأخلصوا عملهم لله يريدون وجه الله ولا يريدون عرضاً من الحياة الدنيا.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حرص الصحابيات على مشاركة الرجال

أخرج الترمذي وحسّنة من طريق عكرمة عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء. فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].(١)

- وأخرج أحمد والنسائي في الكبرى والحاكم في المستدرك والطبراني عن أم سلمة زوج النبيّ ﷺ تقول: قلت للنبيّ ﷺ: مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟

قالت: فلم يرعني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر. قالت: وأنا أسرّح شعري فلففت شعري، ثم خرجت إلى حجرة بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر: «يا أيها الناس. إنّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى آخر الآية: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾».(٢)

---

(١) رواه الترمذي (٣٢١١)، و"صحيح الترمذي" للألباني (٢٥٦٥)، والطبراني في "الكبير" ٢٥/ حديث ٥١- ٥٣.

(٢) رواه أحمد ٦/ ٣٠٥، والنسائي في "السنن الكبرى" ٦/ ٤٣١، والطبراني في "الكبير" ٢٣/ ٢٩٤، والحاكم في "المستدرك" ٢/ ٤١٦ وزاد الحاكم: (وأنزل ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

- وأخرج ابن جرير والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قالت النساء للنبيّ ﷺ: يارسول الله. ما له يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات؟ فانزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

وأخرج ابن سعد عن قتادة قال: لما ذُكر أزواج النبي ﷺ قالت النساء: لو كان فينا خير لذكرنا. فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

وفي رواية عن قتادة قال: دخل نساءٌ على نساء النبيّ ﷺ فقلن: قد ذكركنّ الله في القرآن، ولم نُذكر بشيء، أما فينا ما يُذكر؟

فأنزل الله ﷻ ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.(١)

أقول: إنّ تطلّع النساء من الصحابيات أن يذكرن في القرآن، وأن يوضح أنهنّ شقائق الرجال ليكشف عن مشاركة المرأة في الحياة العلمية والروحية، وعن حماستها للدين.

تدلّ هذه الأحاديث على حرص الصحابيات رضي الله عنهن على مشاركة الرجال في الفخر والشرف بذكر الله لهن .. فهذه أم المؤمنين أم سلمة .. وهذه الصحابية الجليلة أم عمارة .. وعدد من النساء .. كنّ جميعاً يتطلعن إلى أن يذكرن في القرآن، وفي بعض الروايات التي أوردتها ما يدل على التنافس في الخير بين النساء الصحابيات .. وعلى أنهنّ بلغن مستوى عالياً .. فهن يتهمنّ أنفسهنّ، وذلك عندما سمعن آيات تنزلت على رسول الله ﷺ وذكرت فيها أمهات المؤمنين، فقلن: يبدو أننا مقصرات، فلو كان فينا خير لذُكرنا .. ثم تساءلن: تُرى أما فينا ما يذكر؟ فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية.

---

(١) انظر "تفسير ابن كثير" سورة الأحزاب الآية ٣٥.

مع أن المعلوم أن كل خطاب يوجه إلى الرجال يدخل فيه النساء مالم يقم دليل على اختصاص الأمر بالرجال. وهذا من باب التغليب. فقول الله تعالى: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يدخل فيه النساء. وقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] موجه للرجال والنساء وهكذا.

إنّ هذه الأحاديث تعبر عن رحمة الله بخلقه، فقد أنزل تبارك وتعالى هذه الآية ليبين أنّ الرجل والمرأة من حيث المسؤولية والتكليف في القيام بالواجبات، والابتعاد عن المحرمات، وفي المكافاة والعقوبة .. أنّ الرجل والمرأة في ذلك سواء.

وإني لأرجو أن يكون في أخواتي وبناتي من المعاصرات من تقتدي بأولئك الصحابيات من الحرص على المشاركة في الخير والدعوة والإصلاح، وعلى المشاركة في الحياة العلمية والروحية والحماسة لهذا الدين العظيم، وعلى الرغبة في الحصول على الثواب الجزيل والأجر العظيم.

إني لأرجو أن يكون في المؤمنات الداعيات المعاصرات من يسعى لبلوغ ذاك المستوى السامي الذي كان عليه نساء الصحابة في ذاك العصر الأغر.

إنّ البيت المسلم .. وإنّ المجتمع المسلم لا يمكن أن توطَد أركانهما إلا بأن يكون للمرأة المسلمة موقف إيجابي في التربية والتوجيه وغرس العقيدة .

إن كثيراً من الدعاة إلى الله العاملين مدينون في اتجاههم وقيامهم بالواجبات الدينية مدينون إلى نشأتهم في بيت مسلم كان للمرأة فيه النصيب الأكبر من الرعاية وبناء النفوس.

وإنَّ نسبة كبيرة من المجرمين والمنحرفين والملحدين نشؤوا في بيوت

بعيدة عن الإسلام يسود فيها الكذب والفجور والمعاصي.

إنّ على كل مسلمة أن تجعل همها الأول ومهمتها الكبرى في هذه الحياة فهم الإسلام والعمل بأحكامه والدعوة إليه، كل بحسب استطاعتها، وأن تكون في ذلك متحمسة حريصة على أن تفيد من حياتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

* * *

المعلمـة و البنـاء

إنّ مجـال الأخت المعلمة مجـال رحب مهم في بنـاء النفوس. فالطالبة تكون في مرحلة التعلم محلاً للتلقي من الأستاذة. يقول شوقي:

أعلمت أشرف أو أجلّ من الذي يبني وينشىء أنفسـًا و عقولا

إنّ الطالبة ترى الأستاذة قدوة، ولـذا فإنّ أثرها على الطالبات أثر عظيم. إن الكلمة العابرة، والإشـارة، والنظرة، والتعليق اليسير .. إن ذلك كله يترك في نفس الطالبة أثراً لا ينسى ولا يكاد يمحي.

إنّ هـؤلاء الطالبات سيكنَّ في المستقبل القريب أمهـات .. والأم المثقفة المتدينة تبني أسـرة .. إن الأم هي المدرسة الأولى التي تبقى آثارها مدى الحياة ولله .. در القائل:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبـًا طيب الأعراق

ولتسأل كل واحدة منكن - يا أيتها الأخوات – نفسها عن أثر أمهّا فيها، وفي الأمثال العامية التي تصور كثيراً من الحقائق الاجتماعية مثل معناه: البنت ستكون نسخة طبق الأصل عن أمها.

إنّ الأم التي تغرس في نفوس أولادها مخافة الله، والرغبة في ثوابه، تقوم بعمل يحتاج إليه المجتمع، ذلك لأن الذي يخاف الله لا يعتدي على حيـاة أحـد، ولا يؤذي أحداً في ماله أو عرضه، فيتحقق بذلك الأمن في المجتمع، يتحقق الأمن ولو كان المرء بعيداً عن أنظار الشرطة وعيون النـاس. لأن الذي يخاف الله يعلم أنّ الله ناظر إليه، مطلع عليه، ويعتقد أنّ الذي يتعدى حدود الله له عذاب أليم. ولأن الذي يرغب في ثواب الله لا يقصر في القيام بمساعدة الآخرين، فهو يواسي الفقراء بماله، ويعين الضعفاء بقوته. ولو لم تتح له هذه التربية لكان من المحتمل أن يكون مجرمـًا. قـال شوقي:

فرب صغير قوم علموه ... سما وحمى المسومة العرابا
وكان لقومه نفعاً وفخراً ... ولو تركوه كان أذى وعابا
فعلّم ما استطعت لعل جيلاً ... سيأتي يحدث العجب العجابا
ولا ترهق شباب الحي يأساً ... فإن اليأس يخترم الشبابا[1]

سأل أبو ذر رضي الله عنه فقال: أي الأعمال أفضل؟

قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله».

قال أبو ذر قلت: أي الرقاب أفضل؟

قال ﷺ: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً».

قلت: فإن لم أفعل؟

قال: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق».

وقلت: يا رسول الله. أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟

قال: «تكفّ شرّك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك».[2]

فقوله ﷺ: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق»، كان في جواب سؤال أبي ذر: (أي الاعمال أفضل؟) وقد جاء هذا العمل بعد الإيمان والجهاد والعتق. وليتضح معنى الحديث نقرر أن الناس نوعان:

نوعٌ دعاه النبيّ ﷺ الصانع، وهو الذي يتقن العمل الذي يقوم به، ولا يعجز عن أي عمل من الأعمال التي يحتاج إليها، فهو ينجز العمل الذي يكتسب من ورائه ويتقنه أيما إتقان، وهو قادر على الطبخ، وقادر على إصلاح ما يفسد من أدوات المنزل .. فإذا أعنته أيها الإنسان كانت إعانتك من أفضل الأعمال.

---

(١) " الشوقيات": ١/ ٧٠.

(٢) رواه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونوعٌ دعاه النبيّ ﷺ الأخرق، وهو الذي لا يحسن صنع شيء، ولا يتقن ما يحاول فعله .. هذا الأخرق يحتاج حتماً إلى من يصنع له، لأنه لا يستطيع .. فإذا صنعت له أيها الإنسان كان صنعك له من أفضل الأعمال.

وهكذا يتبين أنّ الخوف من الله والرغبة في ثوابه يحققان في المجتمع الأمن والتكافل والتعاون .. وإذا تحقق في المجتمع الأمن والتكافل كان ذلك خطوة في بنائه البناء الحكم، وهو الذي تستطيع أن تقوم به المرأة.

أيتها الأخوات .. إن فات بعضَكُنَّ أن يكنَّ في سلك التعليم لسبب من الأسباب فعليكنّ **أولاً** أن تبصّرن المعلمات اللاتي تجتمعن بهن بالمهمة العظمى التي وكلت إليهن، وأن تشعرنهن بالمسؤولية التي حملنها .. إنها مسؤولية بين يدي الله تبارك وتعالى.

وعليكن **ثانيًا** أن تشجعنّ من يتّصل بكن من جامعيات صالحات على أن يكنّ معلمات .. وإنه ليؤسفني أنّ كثيراً من الصالحين والصالحات أصحاب المواهب والطاقات والإمكانات من البنين والبنات يتجهون إلى المهن الأخرى .. فيذهبون إلى كليات الطب والصيدلة والهندسة .. وإنه ليؤسفني أن يكون الدافع إلى هذا الاختيار دافعًا ماديًا. أولاً لأنهم يتصورون أن هذا الاختيار سيضمن لهم دخلاً ماليًا كبيراً.

ودافعًا اجتماعيًا ثانيًا لأنهم يتصورون أن النّاس ينظرون بعين الإكبار إلى الطبيب والمهندس أكثر مما ينظرون إلى المعلم. وكِلا الدافعين خطأ.

نحن - المسلمين الموحدين - في سباق مع الآخرين، فلا ينبغي لأهل الشر والإلحاد، والفسق والفساد أن يسيطروا على هذه المهنة الشريفة.

إنّ المستقبل للفكرة التي يتبناها أكبر عدد من المعلمين والمعلمات.

هذا والصالحون والصالحات لا يريدون بعملهم ودعوتهم علواً في الأرض

ولا فساداً، ولا مصلحة ذاتية ولا منفعة مادية .. وإنما يريدون أن ينقذوا أمتهم من الشقاء والمهانة في الدنيا، وينقذوها من النار يوم القيامة، ولا يريدون أجراً من أحد إلا من الله. وهذا سبيل الأنبياء ومن يسير سيرتهم .. وهؤلاء رسل الله كان يقول كل واحد منهم: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

قالها نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من أنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين.

على الداعيات العاملات على بناء الأمة أن يعتمدن في كلامهن على كتاب وحديث رسوله الصحيح والحسن، وذلك يغني.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المـــرأة والدعـــوة

إنّ الرجل والمرأة من حيث تلقي الدعوة وتبليغها سواء، ذلك لأنّ الله سبحانه أرسـل رسـوله محمداً ﷺ بدعوة الإسـلام ليبلغ النـاس جميعـًا، عربهم وعجمهم، ورجالهم ونساءهم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ولقد كان سيدنا رسول الله ﷺ يعظ الرجال، ويخصُّ النساء بموعظة خاصة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء: يا رسـول الله غلبنا عليك الرجال، فعدنا موعداً، فوعدهنّ، فقال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة منكن قدّمت ثلاثـًا من ولدها كانوا لها حجابـًا من النـار». قالت امرأة: يا رسول الله أنا قدمت اثنين. قال: «واثنين».(١)

لقد استجاب الرسول لطلب النساء، وجعل لهن حصة، وكان مما قاله لهن ما سبق أن ذكره أبو سعيد الخدري.

إن للنسـاء حقـًا في أن يستمعن الموعظة، وفي أن يعرفن دين الله، فعلى الأخوات الداعيات أن يقمن بهذا الواجب ما استطعن إلى ذلك سبيلاً.

وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أنه قال:

قـام النبيّ ﷺ يوم الفطر فصلى، فبـدأ بالصـلاة، ثم خطب، فلما فرغ نزل، فأتى النساء فذكّرهنّ وهـو يتـوكأ على يـد بلال، وبلالٌ باسط ثوبه يلقي فيـه النسـاء الصـدقـة.

---

(١) رواه البخاري (١٠١) وترجم له. (هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟)، وأحمد ٣/ ٧٢.

قلت (القائل ابن جريج أحد رواة الحديث) لعطاء: زكاة يوم الفطر؟

قال: لا، ولكن صدقةً يتصدقن حينئذٍ، تلقي فَتَخَها (والفَتَخُ: الخواتيم العظام كانت في الجاهلية) ويلقين.

قلت: أترى حقًا على الإمام ذلك يذكرهنّ؟

قال: إنه لحقٌّ عليهم. وما لهم لا يفعلونه؟[(١)]

وفي رواية مسلم[(٢)]: قلت لعطاء: أحقًا على الإمام الآن أن يأتي النساء حين يفرغ فيذكرهن؟

قال: إي لعمري إنّ ذلك لحق عليهم. وما لهم لا يفعلون ذلك.

قال ابن حجر[(٣)]: [ظاهره أنّ عطاء كان يرى وجوب ذلك .. وأما النووي فحمله على الاستحباب وقال: لا مانع من القول به إذا لم يترتب على ذلك مفسدة.]

وفي رواية لمسلم للحديث: قال: (فوعظهنّ وذكرهنّ فقال: «تصدقن فإنّ أكثركنّ حطب جهنم».

فقامت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين (أي حمراء الخدين حمرة تقرب من السواد) فقالت: لم يا رسول الله؟

قال: «لأنكنَّ تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير».

قال: فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن. والقُرْط: ما يعلق في شحمة الأذن.

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت الفطر مع النبيّ

---

(١) رواه البخاري (٩٧٨).

(٢) رواه مسلم (٨٨٥).

(٣) "فتح الباري" ٢/ ٤٦٧.

ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم يصلونها قبل الخطبة، ثم يُخطب بعد، خرج النبيّ ﷺ كأني أنظر إليه يُتجلِّس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم، حتى أتى النساء معه بلال فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٢].

ثم قال حين فرغ منها: «أنتنّ على ذلك؟».

فقالت امرأة واحدة منهن لم يجبه غيرها: نعم. - لا يدري حسن من هي - (وحسن هو ابن مسلم راوي الحديث)

قال: «فتصدقن». فبسط بلال ثوبه ثم قال: هلمَّ، لكنَّ فدى أبي وأمي. فيلقين الفَتَخ والخواتيم في ثوب بلال.

إنّ هذا الحديث الصحيح يدل على ضرورة تلقي النساء للدعوة، وفيه أنّ عطاءً يرى أن حقًا واجبًا على الإمام أن يأتي النساء ليذكرهن، وذهب غيره من العلماء إلى أن ذلك مستحب .. فوعظُ النساء وتذكيرُهنّ بما يجب عليهنّ وتعليمهنّ أحكامَ الإسلام من الأمور المستحبّة، ويستحبُّ حثُّهنّ على الصدقة، وتخصيصُهنّ بذلك في مجلس منفرد.

وذكر العلماء من فوائد هذا الحديث جواز التفدية بالأب والأم، وجواز صدقة المرأة من مالها من غير توقف على إذن زوجها.

وهذا يدل على استقلال شخصيتها المالية. وذكروا من فوائده أن الصدقة تدفع العذاب. وهو يدل على حرص نساء الصحابة على امتثال أمر الرسول ﷺ وعلى تأثر المرأة بالموعظة. فكن يتصدقن بحليهن وبما معهن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنني أناشد العلماء والعالمات، والدعاة والداعيات أن يقوموا بهذه المهمة، مهمة تبليغ دين الله للنساء .. هذه المهمة التي قصر فيها كثيرٌ من أهل العلم، فاشتغلوا بوعظ الرجال وتعليمهم وتذكيرهم، ونسوا المرأة التي لها دور كبير في بناء المجتمع. وقد يكون لهم عذر فيما مضى .. وأما الآن. فلا يجوز أن نترك المرأة هدفًا لأعداء الله من الملاحدة والإباحيين، ومجالاً لدعواتهم الهدامة لاينافسهم في هذا المجال أحد، يفسدون عليها دينها، ويجرونها إلى مزالق السلوك المنحرف.

لقد كانت النساء يحضرن مجالس الخير، ويتلقين العلم الشرعي ويتفقهنّ في الدين، ونبغ منهن عالمات ومحدثات وداعيات. كما تدل على ذلك كتب التراجم وكتب طبقات المحدثين والفقهاء، وكنّ - بسبب معرفتهن بأحكام الدين - يُعنَّ أزواجهن وأولادهن على العمل وفق شرع الله، ويذكرنّ بالواجبات إن كان هناك تقاعس في أدائها.

إنها أمانة ومسؤولية، لا بُدّ من الشعور بها أولاً، ثم القيام بها والتبليغ بما تعلمن. وأذكرن دائمًا قول الرسول العظيم: «بلغوا عني ولو آية».(١)

أود أن أذكر صفحة من تاريخ الدعوة القريب الذي أدركه جيلنا والذي نجني آثاره اليوم فرسول الله ﷺ يقول: «لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين»(٢).

إنّ أهل العلم والدعوة والغيرة على الدين عندما واجهوا غزو الحضارة الأوروبية الكافرة لبلاد المسلمين عسكريًا واقتصاديًا وفكريًا قاموا - جزاهم الله خيراً - بإمكاناتهم المتاحة لهم حينذاك يدعون إلى الله، ويبينون للناس أحكام

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «بلغو عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

(٢) رواه البخاري (٦١٣٣)، ومسلم (٢٩٩٨)، وأبو داود (٤٨٦٢)، وغيرهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدين بوسائلهم التقليدية، وكان اهتمامهم موجهاً إلى الرجل وحده، ولم يلتفتوا إلى المرأة بالمقدار الذي ينبغي أن يكون، وربما كان ذلك لأنهم رأوا أن الرجل هو الذي يتعرض مباشرة إلى ذاك الغزو الرهيب، ورأوا أنّ النساء بعيدات عن ذاك الغزو بحكم النظام الاجتماعي القائم في ذاك الزمان .. فلقد كان المسلمون في القرن الثالث عشر الهجري وما قبله يحيون حياة قائمة في كثير من جوانبها على مظاهر الإسلام وقيمه؛ لأن المجتمعات كانت معزولة بعضها عن بعض عزلاً تاماً .. فكان صوتُ الإسلام – أياً كان مستواه – وكثيرٌ من أحكامه يصلان إلى المرأة عن طريق الأب والجد والزوج والأخ، وعن طريق النساء الكبيرات وغيرهم. ولكن الأمر لم يبق على ما كان.

ففي القرن الرابع عشر الهجري لم تعد تلك العزلة ممكنة .. فقد ظهرت الإذاعة، فأضحت الإذاعات المختلفة تدخل على الناس في بيوتهم وفي مضاجعهم، وفي حاضرتهم وباديتهم، وفي مدنهم وقراهم، تنطلق من أصقاع قريبة وبعيدة، تبث البرامج التي تميل إليها النفس من الغناء الماجن، والتمثيل الهابط، والتوجيه المسموم، والموسيقى المطربة. ومعلوم أنّ الشهوات طريق النار، فقد قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».(١)

وفي القرن أي الرابع عشر اخترعت الطائرات التي قربت البعيد، ويسرت سبل الانتقال ووسائل الاتصال بالحياة الاوربية الغريبة عن قيمنا وأخلاقنا. ثم داهمنا التلفزيون وهو أداة ممتعة جداً وجذابة جداً، يمكن أن تستعمل في الخير وأن تستعمل في الشرّ، ولكنه كما جاءنا من هناك كان من أفتك وسائل الشيطان التي تهدم الخلق والحياة الاجتماعية بتقاليدها الإسلامية.

وفي هذا القرن الرابع عشر ظهرت الصحف والمجلات وقد كان أكثرها بأيدٍ

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يهمها شـأن الدين، أو بأيدٍ نصرانية، أو بأيدٍ ملحدة تعمل على استئصال كلّ أثر للدين .. وفيه ظهرت وسائل أخرى ذات تأثير .. وكل هاتيك الوسائل نقلت ما في المجتمعات الجاهلية إلى كثير من مجتمعات المسلمين.

وقد توافرت لكثير من الناس بحبوحة مادية مكنتهم من السفر إلى ديار الكفر يقضون فيها إجازاتهم، وبعضهم يتخذها دار إقامة له.

ومن هنا تعرضت المرأة للغزو الحضاري الأجنبي العنيف كما تعرض له الرجل .. ووجب لذلك التوعية والتحصين، وهما من واجب الداعيات في هـذه الأيام.

لقد كانت القيم الفكرية، والمُثل الأخلاقية، والأعراف الاجتماعية، في مجتمعاتنا قائمة على الدين - كما أشرنا إلى ذلك آنفا - فكان ذلك يمثل مناعة طيبة للمرأة والرجل، أما بعد أن نقلت إلى ديارنا وأبنائنا وبناتنا قيم غريبة، وأعراف هجينة، ومقولات كافرة، فلم يعد يجوز أن تعتمد على ما تبقى في مجتمعاتنا من تلك القيم الإسلامية والأخلاقية .. بل من اتخاذ موقف يعالج الواقع الجديد.

من نحو سبعين سنة لم يكن يسمح للمرأة أن تدرس الشريعة في الكليات الدينية والمؤسسات العلمية في أكثر بلاد المسلمين .. ولكن أبواب الجامعات المختلطة كانت مفتّحة لها .. ولم يتح لها أن تدرس في الكليات الشرعية إلا من مدة يسيرة. لقد كانت – وما تزال - تمنع من دخول المساجد .. في الوقت الذي كان يسمح لها دخول دور السينما والملاهي، وفي الوقت الذي كانت البلاجات على الشواطئ مفتوحة لها على مصرعيها.

إنّ هـذا الواقع جعل عدداً غير قليل من بنات المسلمين لا يعرفنّ عن الإسلام إلا القليل، ولا يلتزمنّ بأحكامه.

إنّ على الدعاة والداعيات أن يتداركوا هذا التقصير وذاك الخلل.

وما تزال هناك عقبات تقوم في وجه إسماع المرأة الموعظة وتعلمها العلوم الشرعية في كثير من بلاد المسلمين. فالرجل يصلي الجمعة ويسمع الخطبة، وقد يسمع الموعظة في أوقات أخر، فقد تكون في بعض المساجد دروس بعد الصلوات ويحضرها عدد من الرجال، ولا يتاح للمرأة شيء من ذلك.

يقول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله».[1]

فلماذا لا تكون هناك داعيات يقمن بالدعوة الى الله سواء كن متطوعات أو مرتبطات بمؤسسات للدعوة والإرشاد سواء كانت حكومية أو أهلية. لاسيما وكليات الشريعة تخرج في كل عام عدداً من النساء الداعيات في كثيرٍ من بلاد المسلمين.

* * *

(١) رواه البخاري (٩٠٠)، ومسلم (٤٤٢)، وأبو داود (٥٦٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرفـق والحكمــة

إنّ التزام سبيل الرفق والتيسير والتبشير والبعد عن التشديد على المدعوات أمر في غاية الأهمية، وكذلك التزام الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. يقول الله ﷻ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ورسول الله ﷺ هو القدوة المثلى، والأسوة الحسنة، وقد أحاطت به رحمة الله فكان لين الجانب، كريم المعاشرة، عظيم الاحتمال والصبر، فاستجابت لدعوته القلوب، وانقادت لتعاليمه وأوامره الرجال والنساء. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعلى الأخوات الداعيات أن يستحضرن دائمًا وهن يقمن بالدعوة أنَّ الدين يسر يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فالله ﷻ يريد بعبادة اليسر ولا يريد بهم العسر، ولذا لم يكلفهم بما لا يطيقون.

ويقول تعالى: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١-٢].

وأنزل تبارك وتعالى القرآن لنسعد بالعمل به في الدنيا والآخرة، لا لنشقى.

ويقول تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

ويقول عزّ من قائل: ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وعليهن أن يستحضرن توجيهات النبيّ ﷺ التي يوصي المسلمين فيها والدعاة منهم خاصة بالتيسير والتبشير، فقد روى الإمام أحمد والبخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الدين يُسْر، ولن يشادَّ هذا الدينَ أحدٌ إلاّ غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستيعنوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»(١)

وفي رواية للحديث في البخاري(٢) أنه قال: «سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيئًا من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا».

والحديث فيه تمثيل رائع يعرض فيه الرسولُ ﷺ الرفقَ والبعدَ عن التشدد من خلال ضرب المثل بالمسافر الحاذق الذي يختار الأوقات التي يكون فيها المرء نشيطًا يختارها لسفره فيصل إلى المقصود، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان في العبادة والدعوة وفعل الخير يرفق بنفسه وبمن يدعو، ويختار الظروف التي تضمن له الوصول إلى غايته بيسر فان هذا الدين يسر. فعلينا القصد أي: أن نعتدل في أمور العبادة والدعوة.

إن العصاة والمقصرين في أداء ما أوجب الله عليهم هم محل عناية الدعاة وشغلهم، إنهم كالمرضى بالنسبة إلى الطبيب، إن عناية الطبيب توجه أكثر ما توجه إلى المرضى. فليكن موقف الداعيات موقف المشفقة على قريبة لها، ولنتلطف بدعوة من ندعو كي لا ينفروا منا. فقد روى البخاري ومسلم عن أنس

---

(١) رواه البخاري (٣٦) في (باب الدين يسر) من (كتاب الإيمان)، وأحمد ٥/ ٦٩. والغدوة: السير أول النهار. والروحة: آخر النهار. و الدلجة: آخر الليل.

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٣).

بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا».[١]

وفي الصحيحين أنّ رسول الله ﷺ قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلى اليمن: «بشّرا ولا تنفّرا، ويسّرا ولا تعسّرا، وتطاوعا ولا تختلفا».[٢]

وفي هذه الرواية إشارة إلى ضرورة أن يتطاوع الدعاة وأن لا يختلفوا؛ لأنّ اختلافهم يزهد الناس في دعوتهم.

إنّ التشدد يقطع طريق الخير على الإنسان نفسه إذا حمّل نفسه فوق طاقتها، إذ لا يستطيع أن يستمر طويلاً في ذاك التشدد. وهناك مثل عربيّ جميل أوردته كتب الأمثال ومنها "مجمع الأمثال" للميداني[٣] وهو قولهم: (إنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى). والمثل صورة منتزعة من حياة القوم، فهذا رجل انقطع في الطريق بسبب شدته على فرسه التي ما زال يسوقها ويضربها ويحملها على العدو حملاً عنيفاً يريد أن يصل إلى مقصده بسرعة، فماتت الفرس، وبقي على الأرض منقطعاً وما يزال في أول الطريق، فلا هو أبقى دابة تحمله، ولا هو قطع مسافة من الأرض. ولو أنه سلك سبيل القصد لوصل إلى المكان الذي يقصده، وبقيت فرسه معه.

وهذا المثل رواه البزار حديثا عن جابر يرفعه بلفظ: «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى». وهو ضعيف

---

(١) رواه البخاري (٦٩- ٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤).

(٢) رواه البخاري (٤٣٤٤)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) "مجمع الأمثال" ب١/ ٧، وانظر "المجازات النبوية" للشريف الرضي ص ١٩٥. والمنبت: هو المنقطع.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جـداً.[١] وقال المناوي في "فيض القدير"[٢]:

[ورواه البيهقي في "السنن" من طرق، وفيه اضطراب، وروي موصولاً ومرسلاً، ومرفوعـًا وموقوفـًا، واضطرب في الصحابي: أهو جابر أو عمر أو عائشة، ورجّح البخاري في "التاريخ" إرساله.]

وقد أورد الألباني الشطر الأول منه وهو: «إنّ هذا الدين يسر فأوغلوا فيه برفق» في "صحيح الجامع الصغير" برقم: ٢٢٤٦ وقال: حسن، وقد أورد الحديث بتمامه في "ضعيف الجامع" برقم: ٢٠٢٢ وقال: ضعيف.

وذكر ابن حجر في "الفتح"[٣] أنّ عبد الله بن المبارك أورد في كتاب (الزهد) حديث عبد الله بن عمرو موقوفـًا: «إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله، فإن المنبت لا أرضـًا قطع ولا ظهراً أبقى».

هـذا وإنّ التشدد ينفر الناس من الحق ويبعدهم عن سلوك السبيل السويّ، لأنهم عندما يكفلون بما لا يطيقون يفرون وينفرون. وكيف نكلفهم بذلك والله تبـارك وتعـالى يقـول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٢]. والرسول ﷺ يقول: «إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شـانه».[٤]

ويقـول ﷺ: «.. وإياكم والغلوّ في الدين، فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدين» رواه النسائي.[٥]

---

(١) بل قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١/ ٦٢: [وفيه يحي بن المتوكل وهو كذاب].

(٢) "فيض القدير" ٢/ ٥٤٤.

(٣) "فتح الباري" ١١/ ٢٩٧.

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) رواه النسائي ٥/ ٢٦٨، وانظر "صحيح النسائي" للألباني برقم: ٢٨٦٣، وابن ماجه (٣٠٢٩)، و"صحيح ابن خزيمة" برقم: ٢٨٦٧، و"صحيح ابن حبان" برقم: ٣٠٢٩، و"المستدرك" للحاكم ١/ ٤٦٦.

ضرورة الإفادة من الآلات الحديثة

إنّ الدعوة إلى الإسلام أمرٌ أساسي وركن ركين في بناء الأمة، ذلك لأنّ وجودنا أمة واستمرارنا أمة، يعود الفضل فيه إلى الإسلام، ولولا الإسلام وكتابه الكريم لذابت أجيالنا في الأمم الأخرى. ولانقرضت لغتنا. ومن أجل ذلك فإنّ أعداء الله أرادوا ان يردونا عن ديننا. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]. فقامت المؤامرات تلو المؤامرات تكيد لهذا الدين عسكرياً وفكرياً وأخلاقياً.

وما خبر الحروب الصلبية ببعيد عن أذهاننا .. تلك الحروب التي استمرت مائتي عام .. ثم استيقظت هذه الأمة فطردتهم من بلاد المسلمين .. ولكنّهم لم يكفوا عنّا، ولم يلقوا سلاحهم، وعندما أدركوا حالة ضعف أصابت المسلمين انقضوا على بلاد المسلمين في الحملات الاستعمارية يعيثون فيها ويهلكون الحرث والنسل، ثم إنهم أدركوا أنه لا يمكن أن يصلوا إلى بغيتهم عن طريق القوة فقط، فعمدوا إلى إفساد عقول الناشئة بنشر الأفكار الهدامة والإلحاد، وإشاعة الفاحشة والخمور والمخدرات، وكان آخر مكرهم أن أقاموا دولة لليهود في قلب بلادنا ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

إنّ المرأة تستطيع أن تحقق في مجال الدعوة إلى الله الشيء الكثير.

إنّ إهمال دعوة النساء وتوعيتهن إهمالٌ لنصف المجتمع، ولقد أوصانا سيدنا رسول الله ﷺ بالنساء خيراً فقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً».

وليست الوصية هذه مقصورة على حسن معاملتها وتأمين ضروراتها من طعام وشراب ولباس، بل إنّ الوصية يجب أن تشمل تعليمها دينها، وتبصيرها

بواقعها، وتذكيرها بواجبها، وتحميلها مسؤوليتها.

والمرأة – كما تعلمن – سريعة التأثر، فإن تركناها لما في المجتمعات من عوامل الاغواء والإفساد تأثرت بسرعة، والتأثر درجات. وإنْ نحن قمنا بواجبنا في دعوتها إلى الله ودينه الحق تأثرت بسرعة تأثراً كبيراً .. وقد يحقق الله على يديها الخير الكثير.

إنّ هذه الحضارة المادية قدمت وسائل ومخترعات يمكن أن تفيد الدعاة والداعيات إلى الله إنْ هم أحسنوا استخدامها.

فالهاتف أداة يمكن أن تسخر للخير، وذلك بأن يستعمل للحصول على المعرفة، وللنصح الموجز بلطف وتودد.

فإذا واجهك – أيتها الأخت – أمرٌ لم تعرفي حكم الله فيه فافزعي إلى الهاتف واسألي العالم الذي تثقين بعلمه ودينه. والسؤال عن طريق الهاتف يزيل الحرج في قضايا لا تقوى السائلة على التصريح بها في حال المواجهة المباشرة، والهاتف يوفر عليك وقتك .. إنك بدقائق معدودة تأخذين خلاصة معرفة هذا العالم، وقد قيل: العلم خزائن ومفاتيحها السؤال.

واستعملي الهاتف في نصح من تريدين نصحها من الزميلات والصديقات والجارات بالأسلوب الحسن.

– وميكروفونات الصوت تمكن الدعاة الرجال من أن يلقوا محاضراتهم من مكان بعيد عن النساء، ويجيبوا عن أسئلتهنّ.

– والإذاعات والتلفاز والمحطات الفضائية كل أولئك أدوات يمكن الاستفادة منها في مجال الدعوة على نطاق واسع.

إنّ الكلمة المؤثرة من أفضل وسائل الدعوة إلى الله .. و تكون مؤثرة إذا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كانت صادرة عن علم، وصادرة من القلب، ومتصفة بالحكمة الحسنة والأسلوب اللين، ومصحوبة بابتسامة مشرقة ووجه طليق. يقول رسول الله ﷺ: «إنّ الله رفيق يحبُّ الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه».(١)

أيتها الأخت الداعية .. لا تهوّني من شأن الكلمة الطيبة، فللكلمة سلطان عظيم إن قيلت بالأسلوب المناسب والوقت المناسب يقول الله تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]. ويقول سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. ويقول عزَّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩].

والمرأة أمٌ وأخت وزوجة وبنت، والمرأة معلمة وطبيبة وكاتبة، وهي بهذه الاعتبارات المتعددة ذات أثر كبير. فالأم ذات أثر كبير على ولدها، لأنها ملازمة له في وقت تفتّح حواسه ومشاعره ومداركه. فهو يتلقى منها الغذاء والحنان، ويتلقى منها اللغة والقيم والأخلاق والطباع. وللأخت الفاضلة تأثير على من كان أصغر منها سنًا.

وكذلك شأن الزوجة الصالحة، فإنها تعين زوجها على طاعة الله، وتشد من عزيمته على المضيّ في طريق الحق، وتذكره إن نسي أو تقاعس .. وكم من زوجة صالحة كانت سببًا في هدايةِ زوجها وحَمْلِه على سلوك سبيل الاستقامة على الحق. والأمثلة من دنيا الواقع التي وقفنا عليها كثيره.

وقد تحدثنا طويلاً عن أثر المعلمة في تلميذاتها.

وأما الطبيبة المسلمة الداعية فإنها تملك إمكانات كبيرة في التأثير على

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المراجعات، ولقد سبقنا أتباع الديانات الضالة إلى الاستفادة من الطب في الدعوة إلى ديانتهم، إنّ المريض والمريضة يكونان في حالة استعداد لسماع كلمة الخير وتنفيذها. فإذا لقيت المريضة العنايةَ والاهتمامَ والخدمة الطبية اللازمة مع التودد والاحترام فإنها تكون في حالة من التقبل للنصح والتوجيه.

أفيجوز أن تهدر هذه الطاقات كلها بسبب إهمال الدعوة في وسط النساء.

إنّ عملية بناء الأمة التي يُنتظر من المرأة أن تسهم فيها؛ يجب أن تعتمد على قدرات عالية، وإمكانات كبيرة ومواهب فذة. ويجب أن تعتمد على معرفة تنمو يومًا بعد يوم، وأسلوب حسن في الخطاب والمعاملة وتخطيط محكم. فإذا اجتمع ذلك كله كان الخير والتوفيق وتحقق المطلوب. أما القدرات والإمكانات فتلك هبة من الله يهبها لنفر من عباده وإمائه، لا يد للإنسان في تحصيلها. وعلى الموهوب أن يصقلها بالعلم ويوظفها في خدمة الخير والحق.

وأما الحصولُ على المعرفة، والتزام سلوك الأسلوب الحسن في معاملة الناس ودعوتهم، والتخطيط؛ فهذه أمور كسبية يحصل عليها الإنسان بالتربية والجد والدأب والصبر والتواضع.

و**المعرفة** التي نريد توفرها في الأخت الداعية معرفة شاملة: معرفة تتصل بالكتاب والسنة وأصول العقيدة والأحكام الأساسية في العبادات وفيما تتعرض إليه النساء من المعاملات.

و**معرفة** تتصل بالعصر واتجاهاته الفكرية السائدة والجوانب السلبية والايجابية، وتُلمُّ بالاتجاهات الاجتماعية. وهذه المعرفة لا تتوفر للإنسان إلا بمتابعة ما يصدر من دراسات ومقالات.

و**الأسلوب الحسن** في الدعوة هو الذي تحدثنا عنه طويلاً، وقد أوردنا

النصوص من الكتاب والسنة التي تحضّ على الرفق والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ومن الأسلوب الحسن البعد عن التعالي، والبعد عن القسوة على المخاطبين.

و**التخطيط** أمرٌ مهمّ جداً في عملية الإصلاح والبناء؛ ذلك أنّ كثيراً من الدعاة والداعيات يستعمل الأسلوب الذي كان يستعمله الآباء والأجداد. إنّ التخطيط يعلمنا بماذا نبدأ؟ ومتى؟ وكيف؟

وينبغي أن يتعاون على التخطيط المختصون في أمور الدعوة العارفون لطبيعة المجتمع وعاداته وأعرافه.

إنّ عليكنّ أن ترتفعن بأنفسكنّ إلى المستوى الذي يجعلكنّ قدوة حسنة تترك تأثيراً كبيراً في المجتمع .. يجب أن يكون منكنّ الكاتبات الاجتماعيات اللائي يملكنّ الأسلوب المؤثر الجذاب .. فإن لدينا مشكلات اجتماعية كثيرة تتعلق بالمرأة كانتشار العنوسة، وارتفاع نسبة الطلاق وغير ذلك، فما أحوجنا إلى أن نرى أقلامًا نسائية مقتدرة تعالج هذه المشكلات من وجهة نظر إسلامية.

ويجب أن يكون منكنّ كاتبات للقصة المؤثرة التي تقود القارئات إلى الاقتناع بالمعاني الإسلامية التي تهدف الكاتبة إلى تقريرها. والقصة اليوم سلاح مبذول لكل اتجاه، ويؤسفني أن أرى هذا السلاح بأيدي قوم لا ينطلقون من منطلقات إسلامية ولا من منطلقات أخلاقية.

يجب أن يكون منكنّ صحفيات يستفدن من هذه الأداة لنشر المبادئ الإسلامية والأخلاق الكريمة والفكر الرصين المستقيم .. والصحافة يدعونها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اليوم السلطة الرابعة، ولا ينكر تأثيرها إلا جاهل أو مكابر، وهي من مكونات الرأي العام في الأمة.

ينبغي أن يكون المنطلق في كل هذه الوسائل هو تقوى الله، والاستمساك بالكتاب والسنة، والبعد عن الفتن، والبعد عن البدع، فلقد أوصى بذلك سيدنا رسول الله كما في حديث العرباض بن سارية ﷺ الذي يقول: صلّى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثمّ أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون، ووجلت القلوب.

فقال قائل: يا رسول الله كأنّها موعظة مودع فأوصنا.

قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنّ كل محدثة بدعةٌ وكل بدعة ضلالة».(١)

إن علينا في أعمالنا كلها التي نريد بها بناء الأمة على أساس الإسلام العظيم أن نتقي الله سبحانه فهي أساس الفلاح والنجاح. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩]. والله مع المتقين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

إنَّ الشيطان والنفس والشهوات وشياطين الإنس ودعاة الفتن والغزو الفكري صوارف تعمل متعاونة على صرف المسلم والمسلمة عن طريق الحق والهدى وتسلك به طريق الغواية الذي يورده النار وبئس الورد المورود.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، والدارمي ١/ ٤٤، وأحمد ٤/ ١٢٦، و"المستدرك" للحاكم ١/ ٩٧.

من أجل ذلك لا بد من تعاهد الناس بالتذكير. قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

إن هذا التذكير أمرٌ أساسيٌ في الدعوة وفي عملية البناء، وقد يتعيّن على القادرة في بعض الظروف فيضحي واجباً لا بد من أن تقوم به.

وإن لم تكن الأخت قادرة على التذكير بمعناه الواسع فعليها أن تتعهد نفسها بالدراسة وطلب العلم. وليس المطلوب من الأخت الداعية أن تكون متضلعة في العلوم الشرعية، واقفة على الجزئيات والكليات ..لا.. ليس هذا مطلوباً وأما التذكير بمعناه الميسور فمطلوب من كل أخت. يقول رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية». رواه البخاري، وبلوغ الكمال في العلم وغيره أمر مستحيل.

وينبغي أن يكون هذا التذكير سائغاً مقبولاً بعيداً عن التشدد والمبالغة والتشنج.

إنّ دور المرأة مهم جداً في الدعوة، ويكون في بعض الأحيان دوراً رئيسياً، وفي أحيان أخرى يكون مساعداً .. إنّ المرأة هي الدرع الذي يقي الأمة من عوامل السقوط والانهيار .. قال أحد المفكرين المعاصرين:

[.. فكما كانت تجربة اليهود الأولى في أوروبا، كذلك كانت تجربة الصليبين في عدد من بلاد العالم الإسلامي: إنه مهما حاولوا إفساد المجتمع عن طريق إفساد الرجل وحده، فإنه في النهاية لا يفسد، أو لا يفسد بالدرجة التي يرغبونها، ولا بالسرعة التي يرغبونها. ذلك أنه طالما كانت أم متدينة، ولو كانت جاهلة بالقراءة والكتابة والعلوم، فإنها تبذر في أبنائها بذور العقيدة وهم بعدُ أطفالٌ .. فمهما فسدوا في شبابهم فإنهم يعودون إلى ما لقنتهم إياه أمهم في طفولتهم، فلا

يحدث الفساد المطلوب. .. وإنه لا بُدّ من إفساد الأم لضمان إفساد المجتمع، ولا بُدّ من إفسادها وهي فتاة قبل أن تصبح أمّـًا، حتى إذا أصبحت أمّـًا في يوم من الأيام لم تكن لـديها العقيدة التي تبـذرها في قلوب أبنـائها، ولا الأخلاق الدينية التي تطبع بها سلوكهم وهم في سـن التكوين].[1]

* * *

(١) "واقعنا المعاصر" ص ٢٤٩.

العناية بالناشئة والتأكيد على الأصول الإسلامية فقط في بناء عقيدتهم وسلوكهم

إنّ علينا ونحن نقوم بأعداد الجيل المؤمن في هذه الأمة أن نؤكد على الأصول الإسلامية المستقاة من الكتاب والسنّة، وأن نحرص على أن لا يكون هناك مصدر آخر ينحو نحو الجاهلية في الاعتقاد والسلوك. ولعمر الله إنّ هذا أساس متين من أسس بناء الأمة.

إنّ رسول الله ﷺ غضب يوم أنْ رأى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يرجع إلى التوراة وقال له: «والله لو كان موسى حيّـًا ما وسعه إلا اتباعي».

جاء في مسند أحمد[١] عن جابر بن عبدالله أنّ عمر بن الخطاب أتى النبيّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب فقال: «أمتهوكون[٢] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لو أنّ موسى عليه السلام كان حيـًا ما وسعه إلا أن يتبعني»[٣].

وقد أورد ابن حجر في "الفتح"[٤] طرقـًا عدة لهذا الحديث ثم قال بعدها: وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به لكنّ

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٨٧.

(٢) أي: أمتحيرون أنتم في دينكم؟ وجاء في القاموس: التهوك: التهور والوقوع في الشيء بغير مبالاة.

(٣) رواه الدارمي ١/ ١١٥ بسند أحمد.

(٤) "فتح الباري" لابن حجر ١٣/ ٥٢٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجموعها يقتضي أنّ لها أصلاً.[١]

إنَّ مرحلة الإعداد ينبغي أن تركز على الأصول الإسلامية الصافية، فلا نشوش أذهان أولادنا بذكر الشبهات ثم إزالتها.

إنّ اتجاهاً يقوم اليوم عند بعض الباحثين الإسلاميين، فحوى هذا الاتجاه أنهم يعمدون إلى آراء المستشرقين والملحدين فيقررونها، ثم يحاولون أن ينقضوها ويردوا عليها. وقد يكون ردّهم ضعيفاً فيكونون بعملهم هذا نشروا الانحراف وأذاعوه.

إنّ هذا لا ينبغي أن يكون للمبتدئين ولا للعامة .. بل يجب أن يكون مقصوراً على الخاصة القليلة:

قد يعيش المرء عمره ولم يسمع بهذه الضلالات، فلماذا نأتي بها إليه ونسمعه إياها ثم نردها.

لقد أصبحت هذه الطريقة الخاطئة مما يتهافت عليه بعض الناس ليظهر أمام السامعين أنه واسع المعرفة، مطلع على نتاج الأجانب.

وقد يعمد بعضهم إلى هذا المسلك وهو لا يعرف لغة المستشرق الذي يرد عليه، فهو يردُّ عليه من خلال النص المترجم، وما يدري إن كانت الترجمة دقيقة. حدث مرة أنّ رجلاً من أهل العلم سأل متخصصاً باللغة الإنجليزية[٢] عن كتاب كانت فيه آراء ضالة فقال: هل صحيح ما جاء في الكتاب الفلاني المترجم؟

---

(١) انظر "جامع بيان العلم" ٢/ ٤٢، و"مشكاة المصابيح" ١/ برقم: ١٧٧، وقال الألباني: ولكن الحديث حسن عندي لأنّ له طرقاً كثيرة عن الالكائي والهروي وغيرهما وانظر تعليقنا على الحديث في كتاب القصاص والمذكرين بتحقيقنا ص١٦٠.

(٢) هو الأستاذ محمد قطب رحمه الله.

فقال المتخصّص: إن المترجم خفّف كثيراً من الآراء الضالة التي فيه، فالذي يقرأ الكتاب بلغته الأصلية يرى أضعاف ما في الكتاب المترجم.

وقد أدرك الآخرون من أتباع الديانات الأخرى أنّ مرحلة التكوين العقلي للطفل تقضي أنْ يُلقى في روع الطفل أنّه لا يوجد من يَدين بغير دينه ويحرصون على ذلك أشدَّ الحرص، ومما يؤكد وقوع ذلك أنّ رجلاً مسؤولاً من كبار رجال التعليم في بلد عربي[1] حدثني أنه زار مدرسة خاصة للنصارى، فلم يجد فيها مدرساً واحداً من المسلمين مع أن البلد أكثريته مسلمون. ولمّا بحث وجد أنهم يريدون أن لا يسمع الطالب بوجود أحد لا يدين بدينهم.

إنّ علينا أن نوثق صلة أبنائنا بالقرآن، ومن نعمة الله علينا أنه سبحانه جعل القرآن ميسراً لاسيما لمن يتكلم العربية. يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

ومن توثيق الصلة بالقرآن أن تشرح لهم معاني الآيات التي يطلب إليهم حفظها، ويحسن أن تختار لهم الآيات السهلة؛ كالآيات الواردة في سورة لقمان، والآيات الواردة في سورة الإسراء، والآيات الواردة في سورة الحجرات ونحوها.

وأن يبدأ بها قبل غيرها، وهذا بعد أن يكون الأطفال قد حفظوا الفاتحة وعدداً من قصار السور من أجل الصلاة.

إنها مهمة الوالدة والمعلمة والداعية والأخت الكبرى .. ولا بُدّ من تعاون البيت والمدرسة. لينشأ أبناء الأمة على القرآن..

---

(١) هو الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا رحمه الله، وكان يشغل منصب المفتش الأول في سوريا في اللغة العربية.

لا بُدّ أنْ نتجرد في فترة الحضانة والتكوين من كل مؤثرات الجاهلية التي تسود معظم أنحاء العالم .. لا بُدّ أن نرجع ابتداء إلى القرآن إلى النبع الخالص الذي استمدّ منه أولئك الرجالُ .. رجالُ السلف الصالح، فسادوا الدنيا، ونشروا عقيدة التوحيد وحققوا للناس السعادة التامة، ووفروا لهم الكرامة المصونة .. نرجع إلى النبع المضمون أنه لم يختلط ولم تشبه شائبة، نرجع إليه نستمد منه تصورنا للكون والإنسان، ولكافة الارتباطات التي تكون في الحياة. ونلتزم بما فيه أمراً ونهياً.

وللقرآن إيقاع يؤثر في القلوب، حتى ولو لم يستوعب السامع معاني ما يقرأ عليه، كان هذا ملموساً أول أيام الدعوة الإسلامية، ومازال ملموساً حتى الآن.

فقد ذكرت كتب السيرة أنه كان لأبي بكر مسجد عند باب داره، فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقاً، إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون ويتأثرون وترق قلوبهم وتسيل مدامعهم، فأفزع ذلك قريشاً، وكان أبو بكر حينذاك في جوار ابن الدغنة وحمايته، فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا له: يا ابن الدغنة؛ إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلّى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم، فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. فمشى ابن الدغنة إلى أبي بكر وطلب منه ذلك، فأبى الاستجابة وقال: أو أردّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله. وكان ذلك.[1]

وقرأت مرة أن أحد العلماء الكبار[2] كان مسافراً إلى أمريكا في الباخرة،

---

(١) "تقريب السيرة" ص ١٤١.

(٢) إنه الشيخ سيد قطب رحمه الله.

وجاء يوم الجمعة فتنادى الركاب المسلمون لصلاة الجمعة، فقام هذا العالم وخطبهم ثم أمّهم. وكان معهم ركاب كفار أعاجم لا يعرفون العربية، ولكنهم دهشوا لسماع آيات القرآن، وتقدم إليه بعضهم عقب الصلاة وسالوا: ما هذا الذي كنت تقرأ .. إننا لا نعرف اللغة العربية ولكننا عندما سمعناك تتلوه لم نملك أنفسنا من التأثر.

فأجابهم: إنه القرآن كلام الله.

وفي القرآن قصص جميلة، والإنسان مولع بسماع القصة والأطفال خاصة .. فلنعرض هذه القصص على أطفالنا بلغتنا ثم نتلو عليهم نصّ القصة كما في القرآن. وفي الحديث أيضاً قصص رائعة .. فلنقصّها عليهم مع التعليق عليها والتوجيه، والسيرة النبوية نفسها قصة أعظم إنسان عرفته البشرية. فقراءتها لهم بالأسلوب الجذاب ذات أثر كبير عليهم.

* * *

إنّ مرحلة التكوين ينبغي أن تكون مقتصرة على الأصول الإسلامية. وعلى هذا درجت أجيال أمتنا إذ كانوا يتلقون القراءة والكتابة في الكتاتيب وهي مدارس قائمة على القرآن فحسب، ويبدو أنّ ذلك كان سبباً في استقرار الإسلام في النفوس، وصدور الناس في معاشهم وتفكيرهم من منطلقات إسلامية.

إنّ لتلقي مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب أثراً كبيراً في التكوين العقلي والنفسي لأجيالنا. إنّ الطالب كان لا يسمع ولا يلهج إلا بالقرآن مدة وجوده في المدرسة. وليس من شك في أن هناك بعض العيوب في بعض الكتاتيب، فكان المنطق والعقل يقضي بإصلاح العيوب والإبقاء على المدرسة الإسلامية. لا أن نقضي عليها وننحيها من مجتمعنا.

ومازلت أذكر أثر دراستي في الكُتَّاب حتى الآن .. إنها ذكريات جميلة بما

لها وما عليها .. كنا نذهب إلى المدرسة في الصباح الباكر، ونقضي سحابة يومنا في قراءة للقرآن وسماع له، ولا نعود إلى بيوتنا إلا قبيل المغرب، وإذا أتمّ الطالب قراءة القرآن يقام احتفال كبير بهذا الحدث، فتتعطل المدرسة ويذهب الطلاب ومعهم الأستاذ بموكب مهيب إلى دار الطالب، ويسبقهم البشير يخبرهم بأنّ ابنهم قد ختم القرآن ويأخذ البشرى. وتقدم الهدايا إلى الطالب الذي ختم القرآن من قبل أقربائه، وتنصب الموائد وتزغرد النساء ويعم الفرح الحيّ كله.(١)

إنّ هذا كله يترك الآثار العميقة في نفس الطالب وفي نقوس زملائه الآخرين .. إننا ندعو إلى أن يكون الكتاب والسنة الأساس التعليمي الوحيد في مرحلة التكوين.

إنّ الأسرة هي اللبنة الأساس التي يتكون منها ومن مثيلاتها المجتمع. وسلامة الأسرة من الظلم والقلق والتمزق تحقيق لأمن الأمة وسعادتها، وسيادة الأمن في الأمة مطلبٌ مهم لتتم عمليه البناء فيها على أسس صحيحة.

ويجب أن نصارح أنفسنا بوجود عدد من المشكلات التي تقضّ مضجع الأسرة وتنكد عيشها، وتجعل حياة أفرادها جحيمًا، وينسحب هذا الوضع على الأمة تخلّفًا وضعفًا.

وينبغي على الأخوات الداعيات الراغبات الإسهام في بناء أمتهن بناءً

---

(١) أذكر أنه يوم أن ختمت القرآن ألبست طربوشًا وضع عليه عقود الألماس واللؤلؤ وألبست ثوبًا جديداً وأقام والدي رحمه الله وليمة كبرى لكل طلاب المدرسة وأعطى كل طالب مبلغًا من المال، وكانت الأفراح في بيتنا مدة أسبوعاً والتهاني والهدايا (النقوطات)، وأذكر أن أحدى أخواتي جاءت بليرة ذهبية انكليزية وثبتتها على جبهتي. وأما أمي وجدتي فكان فرحهما يفوق التصور.

سليماً على هدي الإسلام العظيم عليهن أن يربين الأجيال الناشئة من البنات على الأسس الإسلامية السليمة التي تغرس في قلوبهن حب أخواتهن من المسلمات. وعليهن أيضاً أن يعملن على توعية الكبار منهن وتذكيرهن ونصهحن بشأن المشكلات العديدة، ومنها مشكلة الكنّة والحماة وغيرها من المشكلات.

عندما تفقد المحبة والثقة بين متعايشين تفقد الراحة، ويفقد السرور، ويغيب التفاهم، ويسود القلق، ويعمّ الحزن، وتسيطر روح المخاصمة.

أمران لا بُدّ من تربية أبنائنا وبناتنا عليهما وهما: المحبة والثقة، وأحد الأمرين مبني على الآخر.

إنّ رسول الله ﷺ يقول: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوّا، أَولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بنيكم».

ويقول ﷺ: «من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله».

وهكذا يتبين ربط المحبة بين المسلمين بالإيمان .. أجل لا بُدّ من توافر المحبة بين أفراد أمة الإسلام، يحب بعضهم بعضاً .. ويترتب على وجودها وجود الثقة بينهم.

إذا كان هذا مطلوباً في أن يكون بين أبناء الأمة عامة فكونه مطلوباً بين أفراد الأسرة أولى وأوجب. فلماذا نفقد هذه الخصلة في كثير من الأسر؟ إن هذا عائد إلى التربية الخاطئة.

تأتي الزوجة الصغيرة إلى بيت الزوجية فتجد جوّاً محموماً، تلاحقها النظرات، وتقرعها التعليمات، فلا تلبث أن تجد نفسها مضطرة إلى العمل للدفاع عن نفسها، فتبدأ بالهجوم .. وهنا ينقلب البيت إلى أرض معركة .. كل

من الكنة والحماة تتربص بالأخرى .. ووقود هذه المعركة الزوج والأطفال. إنهم مساكين .. لا يدرون ما يصنعون. أما الرجل فإنه في صراع وحيرة .. هناك أمه التي حملته في بطنها، وأرضعته من ثديها، وسهرت على تربيته يوماً بعد يوم حتّى رأته رجلاً، ولها عليه حقوق، وهناك زوجته التي تركت أهلها وجاءت إلى بيت الزوجية لا لتخوض معارك متواصلة، الرابح فيها خاسر، بل جاءت لتلتمس ما يلتمسه زوجها من المودة والرحمة والسكن، ولها عليه حقوق.

إنه مسكين لا يهدأ له بال .. لا يدري ما يفعل .. وقد يلجأ إلى المواقف السلبية فيسكت لأنه يخشى أن يقع في العقوق أو الظلم لزوجته.

وأما الأطفال فهم الضحية .. إنهم ينشؤون في بيت الخصومات والمناقشات والبكاء والآهات .. فتتعقّد نفوسهم، وإذا شبوا في هذا الجوّ البائس البغيض فقد يفرون إلى المسكرات والمخدرات وقد يقود هذا إلى الإجرام، وتخسر الأمة بذلك أفراداً كان يمكن أن يكونوا من رجال الإصلاح و الإبداع.

من المسؤول عن هذا؟ فكِرنّ .. وصارحن أنفسكن .. وواجهن الواقع المرّ.

إننا جميعاً مسؤولون .. وكذلك فإن قادة الفكر والتوجيه والعلم والدعاة من الرجال والنساء هم مسؤولون أيضاً.

لماذا لا نربي أبناءنا وبناتنا على حب الآخرين والتماس الأعذار لمن يقع منه خطأ منهم؟ وتفسير أقوالهم على أحسن الوجوه[1].

لماذا لا نربيهم على الحرص على القيام بالواجبات وعلى التلطف في

(١) قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يحلّ لامرئ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظنّ بها سوءاً وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً. "أقوال مأثورة" ٣/ ٢٤٨.

المطالبة بالحقوق؟

إنّ هناك عادات متفسخة ذميمة تورث التعقيد في نفوس الأولاد يجب أن نتخلص منها.

أيتها الحماة. ألا تذكرين ما حلّ بك من الظلم يوم أن كنت زوجة صغيرة .. فلماذا تعمدين إلى الظلم؟

ويتمثل هذا الظلم بإيغار صدرأبنك على زوجته وتفسير كلامها على الوجه السيئ وقلب محاسنها إلى مساوئ، وافتعال الخصومات .. إنك ذقت مرارة الظلم وتعرفين أثره في النفس فكيف ترضين أن تكوني من زمرة الظالمين والله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٧].

ويقول في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا». ألا تعلمين – يا سيدتي – أنك تسيئين بهذا إلى نفسك أولاً عندما ترتكبين الظلم.

وتسيئين ثانياً إلى فلذة كبدك عندما تنغصين حياته.

وتسيئين ثالثاً إلى فتاة كان يمكن أن تتخذيها بنتاً لك.

يا سيدتي. هذه سنة الحياة .. الصغير يكبر .. والكنة ستصبح حماة في يوم من الأيام. ينبغي أن نحمل أنفسنا على أن نتخلص من الغيرة التي تحرق نيرانها أفراد الأسرة جميعاً.

يا سيدتي إن عليك أن تقاومي شعور الغيرة الذي يضطرم في صدرك؛ لأنه قد يفقدك ابنك أو ابنتك حقاً .. وذلك عندما يضطره تصرفك إلى العقوق .. تخسرين محبته وخدمته وتجعلينه يقع في سخط الله عندما يعمد إلى عقوقك.

إنّ ولدك يا سيدتي إذا عاش سعيداً فليس معنى هذا أنه ضاع منك وأخذته فتاة صغيرة بعدما تعبت في تربيته .. لا يا سيدتي. ليس هذا صحيحاً.

* * *

وأنت أيتها الزوجة الجديدة .. إنّ عليك أن تتخذي أمّ زوجك أمّاً لك، وتذكري فضلها عليه ومعاناتها في تربيته حتى صار رجلاً .. واعلمي يا بنتي أن مستقبلك ومستقبله مرهون برضى والدته عنه، ذلك لأنه إذا عقّ والدته من أجلك عاد العقوق وأثره عليك وعلى أولاده الذين هم أولادك. فلقد ذكر العلماء أنّ العقوق تُعجّل عقوبته في الدنيا قبل الآخرة. والواقع يؤيد ذلك.

أعرف رجلاً كان غاية في الذكاء والكرم وحسن الحديث والدماثة وجمال الصورة .. ومع ذلك فقد كان لا يسلك مسلكاً إلا أخفق فيه، تاجر فخسر في تجارته، وتزوج أكثر من مرة فلم ينجح في زواجه، وجاءه بنون وبنات فعقوه ولم يبقوا معه. وعاش مقتراً عليه بالرزق حتى مات. ولما بحثت حاله عرفت أنه كان عاقاً لوالديه.

فإذا كنتِ تحبين زوجك فاحرصي على أن يكون باراً بأمه. وأكرميها وهيئي الجو الذي يسعدها ويسعدك ويسعد زوجك وأولادك.

إنّ البيت السعيد أساسٌ يقوم عليه بناء الأمة .. فلنحرص على إقامته. وإنها لمسؤوليه عظمى. نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يرضيه.

* * *

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ألا وهو الدين. ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (نحن العرب قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزّة بغيره أذلنا الله).

لا بُدّ من العودة إلى الله .. لا بُدّ من اتخاذ الدين أساسا في عملية بناء الأمة لنصلح واقعنا المؤلم، ولنصل الى العزة التي كتبها الله لهذه الأمة يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. العزّة والخيرية التي بلغتها أمتنا يوم أن آمنت بالله حقّ الإيمان وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أجل هذه حقيقة أكدتها أحداث التاريخ القديم والحديث.

وليس من شك في أنّ الأسرة تمثل لبنة من لبنات المجتمع، وبصلاحها وصلاح مثيلاتها تصلح الأمة .. والزواج يمثل البداية في تكوين الأسرة .. وبهذا فإنّ الزواج قد يكون وسيلة من وسائل الإصلاح، وقد يكون وسيلة من وسائل الإفساد .. وإليكنّ البيان:

من المعلوم أنّ الناس يتفاوتون في قوة الشخصية وقوة التأثير:

- فإذا كان الرجل أقوى شخصيةً وأبلغ تأثيراً من المرأة قادها بعد الزواج إلى ما يريد.
  - فإن كان مستقيماً صالحاً قادها إلى الاستقامة والصلاح.
  - وإن كان منحرفاً سيئاً قادها إلى الانحراف والسوء.
- وإن كانت المرأة أقوى شخصيةً وأبلغ تأثيراً من الرجل قادته بعد الزواج إلى ما تريد.
  - فإن كانت صالحة متدينة استطاعت أن تغير أوضاع زوجها وتصلحها وتجعله صالحاً مستمسكا بالخير والحق.
  - وإن كانت عاصية مستهترة مارست ضغطها على زوجها ليتابعها في اقتراف المعاصي وفيما ترى من السلوك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن هنا كانت الصفة الأولى التي ينبغي أن يُبحث عنها في الزواج سواء في الرجل او المرأة هي الدين: يقول رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».(١)

ويقول رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، وجمالها، وحسبها، ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».(٢)

والحياة المشتركة بين اثنين لا بُدّ أن تترك أثراً فيهما .. إنّ الصديق يتأثر بمصاحبة صديقه كما دل على ذلك الحديث الصحيح الذي يشبه مجالسة الجليس الصالح بمجالسة بائع المسك، ويشبه مجالسة الجليس السيء بمجالسة الحداد الذي ينفخ الكير(٣).. ومدة المعايشة بين الصديقين أقل من مدة المعايشة بين الزوجين.

والإنسان – أيًا كان عمره – لا بُدّ أن يتأثر بمن يجالس ويصادق، وقد قصّ علينا القرآن الكريم قصة الرجل الذي يعلن ندمه يوم القيامة، ويتمنى لو أنه لم يكن اتخذ في الدنيا فلانًا خليلاً. قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٥)، وابن ماجه (١٩٦٧)، والحاكم ٢/ ١٦٥، عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي (١٠٨٥) عن أبي حاتم المزني. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وأبو حاتم المزني له صحبة ولا يعرف له عن النبيّ ﷺ غير هذا الحديث.

(٢) رواه مسلم (١٤٦٦)، والترمذي (١٠٨٦).

(٣) رواه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨).

ويقول رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».[١]

ويقول: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي».[٢]

وهكذا – يا أيتها الأخوات – فإن صلاح الأسرة التي يُراد إنشاؤها – وهذا من أهم مقاصد بناء الأمة – إنما يتوقف على حسن الاختيار: اختيار الرجل الديّن صاحب الخلق الزكي، واختيار المرأة ذات الدين.

إن قيام الأُسَر المسلمة ضمان للوصول إلى الوضع الصحيح السليم في بناء الأمة.

وعندما تقوم هذه الأسرة الفاضلة وفق توجيهات الإسلام تتحقق السعادة للزوجين .. ثم تكون السعادة شاملة ما ينتج عن هذه الأسرة من بنين وبنات.. لأن تربية الأبوين المسلمين لأولادهما ستكون محققة الخير والعدالة والاستمساك بالدين.

إنّ أولاد هذه الأسرة سيفتحون أعينهم على حياة إسلامية نظيفة ملتزمة حدود الله عاملة للخير يرونها في سلوك والديهم.

وسيحظون بتربية دقيقة واعية من الوالدين تتمثل في غرس العقيدة الصحيحة في نفوس أولادهم ثم يدعوانهم إلى القيام بما أوجب الله عليهم عن طريق الإقناع والترغيب والحزم عند ما يقتضي الموقف ذلك. ويراقبان سلوكهم مراقبة دقيقة، ويختاران الأصدقاء الصالحين لهم؛ لأن تأثير الصديق كبير جداً كما ذكرنا ذلك آنفا، ولله در القائل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥).

ولا بُدّ أن يتصف الأبوان بالعقل والحكمة بالإضافة إلى الدين والخلق، ولا خير في صحبة الأحمق، لأن صحبته لا تدوم، وقد تضر أكثر مما يتوقع لها من النفع ومما يروى في ذلك:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإيـاك وإيـاه
فكم من جـاهل أردى ... حليما حين آخـاه
يقـاس المرء بالمـرء ... إذا ما المرء ماشاه
وللشـيء من الشـيء ... مقاييس واشـباه
وللقـلب على القـلب ... دليل حين يلقـاه

أيتها الأخوات الفاضلات .. إنّ الزواج مرحلة مهمة في حياة الفرد والأمة، وإذا أحسن كلٌ من الزوجين الاختيار وفق ما ذكرنا قدّما خدمة مهمة في إصلاح أوضاعنا وأسهما في البناء المتين للأمة.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاهتمام بالعناية الصحية

إنّ مهمة الداعية أن ترعى من تدعوهنّ أو تقوم على تربيتهنّ من أولاد وأخوة وأخوات وتلميذات أن ترعاهنّ من كل الجوانب: الفكرية، والسلوكية، والصحية.

ومنهج الإسلام في التربية منهج متكامل، لا يغفل جانباً من الجوانب التي تقوم عليها حياة الإنسان.

ومن الواجب الاهتمام بهذه الجوانب وتربية الأجيال تربية متكاملة تُعنى بفكرهم وسلوكهم وصحتهم.

وأود أن نلمس لمساً رفيقاً العناية الصحية المطلوبة منا دعاةً وآباء وأمهات .. وهذا موضوع يُحسن الكلام فيه الأطباء والطبيبات، وإنّا لنرجو من أخواتنا الطبيبات الداعيات الاهتمام بهذا الجانب المهم جداً. فالعقل السليم في الجسم السليم، والأمة التي تعنى بصحة أولادها أمة تكون عزيزة الجانب، مهيأة للإبداع، قادرة على الدفاع عن حرماتها ومقدساتها وبلادها.

هناك أمور ضارة بالصحة يجب أن تحذّر الأخواتُ الداعيات من خطرها وأثرها. أن تحذر هؤلاء الأخواتُ أبناءَ الأمة وبناتِها والآباءَ والأمهاتِ بمختلِفِ الوسائل الممكنة، بأسلوب علمي مقنع معتمد على الحقائق والإحصائيات.

ويجب أن تتخذ الأساليب الفعّالة للوقاية منها.

وهذه الأمور كثيرة متنوّعة .. كالمخدرات والمسكرات والدخان والفواحش وما إلى ذلك.

وهذه الأمور محرمة شرعاً لورود النصوص الدينية الثابتة في تحريمها .. وهي تهدم الجسم، وتتلف العقل، وتجلب الأمراض الفتاكة والفساد

والضياع .. ويؤسفنا أن نقرر أنها آخذة في الانتشار بين الناس، ولاسيما بين الناشئين والناشئات.

إنّ على الأمّ أن تكون واعية لخطر هذه الآفات الخبيثة .. وأن تشعر بمسؤوليتها العظمى في ذلك.

إنّ على كلّ أمّ أن تنتبه إلى ضرورة مراقبة أولادها في مرحلة المراهقة بالتعاون مع الأب.

إنّ على كل أم أن تعرف حقيقة أصدقاء أولادها من بنين وبنات، وأن تنظر إلى تصرفاتهم وأحوالهم .. فإن رأت ما يريبها من تعاطي شيء من المنكرات سارعت إلى معالجة الوضع قبل أن يتفاقم.

إنّ الفواحش والمسكرات والمخدرات من الشهوات .. وإنها تقود إلى النار. يقول ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» فإذا تمكنت هذه المنكرات من نفوس الأولاد صعب العلاج.

وقد قيل: درهم وقاية خير من قنطار علاج.

ومن الوقاية أن تعمل الأخوات الداعيات على الوصول بدعوتهنّ إلى إقناع من يوجهن ويرعين بأنّ هذه المحرمات التي حرمها الله أمور يجب اجتنابها والبعد عنها، امتثالاً لأمر الله، وسعيًا في ابتغاء رضوانه، ورغبةً في الثواب العظيم لمن لا يقربونها، وخوفًا من عذاب الله الشديد الذي أعده لمن يقترف شيئًا من هذه المحرمات.

أجل إذا وصلنا إلى إقناعهم وإقتناعهن بذلك، كانت الحماية داخلية من أعماق النفس، وتحققت الوقاية.

ومما يؤكد الاقتناع بضررها معرفة أضرار هذه المحرمات الكثيرة على

الإنسان في ماله وبدنه وعقله وسمعته في الدنيا. وقد أثبتت البحوث الطبية ضررها المحقق .. وأصبح ذلك من المسلمات .. فالفواحش تأتي بمرض فقد المناعة (الإيدز) وهو مرض قاتل، والمخدرات تتلف العقل والجسم، وكذا المسكرات التي تسبب أمراضاً كثيرة .. والدخان يسبب السرطان وغيره من الأمراض الفتاكة.

قلت مرة لشاب يزعم أنه متدين وهو يدخن: كيف تدخن والتدخين حرام؟

قال: وما الدليل على تحريمه؟

قلت: قال رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

قال : أما أنا فالدخان لا يضرني. قال ذلك عناداً، فأعرضت عنه، ويشاء الله ﷻ أن يريه خطأه، فيصاب بأزمة قلبية حادة، وإذا الطبيب يقول له: إنّ كل سيجارة تدخنها تقودك إلى القبر ذراعاً. ويُقلع الشاب عن التدخين خوفاً من الموت.

وهناك أمورٌ دعا الشرع المطهّر إلى القيام بها وهي تصون صحة الإنسان وتيسر له أسباب الانتفاع والاستمتاع بقواه وصحته مدة حياته، وهي كثيرة جداً، وجدير بالأخوات الفاضلات أن يذكّرن الفتيات بها. منها على سبيل المثال: السواك، والطهارة، ونظافة الثوب، والاغتسال والنوم المبكر، والإقلال من الطعام.

وقد نأتي على النصوص الثابتة الصريحة التي تدعو إليها.

إنّ الأمة التي يكون أفرادها من رجال و نساء ذوي أجسام صحيحة قوية أمةٌ قادرة على حمل الرسالة والقيام بأعبائها على أتم وجه. يقول رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ و أحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. إحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا. ولكن قل: قدّر الله و ما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشيطان».[1]

قلنا إنّ عملية بناء الأمة البناء المحكم يقتضي أن تكون أجسام أبنائها وبناتها صحيحة قوية، وأوردنا الحديث الصحيح الجميل «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير». وذكرنا أنّ الشرع المطهر نهانا عن أمور ضارة بالصحة، وأمرنا بأمور نافعة للأجسام.

وعندما ذكرنا الأمور الضارة ذكرنا منها المخدرات والمسكرات والدخان والفواحش، وقلنا: إن الوقاية خيرٌ وأنفع من العلاج.

ومما يتصل بالوقاية اختيار أصدقاء الأولاد من بنين وبنات، ذلك أن كثيراً من هذه المنكرات تنتقل إلى الشباب عن طريق أصدقاء السوء.

وقد قرأت – منذ حين – في بعض الصحف أن انتشار هذه الموبقات في بعض البلاد الإسلامية يكثر بين طلاب المدارس والطالبات في مرحلة المراهقة. وهذا بلاءٌ عظيم نعوذ بالله من ذلك.

إذن يجب لنحفظ أجسام أولادنا من بنين وبنات أن نختار لهم الأصدقاء الصالحين والصديقات الصالحات .. وإني لأعترف أن ذلك ليس أمراً هيناً ولا ميسوراً، ولكنه بالاجتهاد والتخطيط والدأب والصبر يكون ممكناً إن شاء الله، ويستطيع الأبوان الوصول إليه.

إنَّ علينا أن نعمل ما بوسعنا لحماية أولادنا من أصدقاء السوء.

وعلينا أن نراقب أولادنا واتصالاتهم ومكاتباتهم وتحركاتهم لاسيما في هذه المرحلة الخطرة: مرحلة المراهقة.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويجب أن تكون المراقبة خفية ذكية لا تزعج الأولاد ولا تضايقهم، وذلك بأن تكون بالحكمة واللباقة ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ذلك لأنّ تأثير الصديق على صديقه يفوق تأثير الوالدين في مرحلة المراهقة وما بعدها.

والأمر بيد الوالدين في أول الأمر، أما إذا أهملا الاختيار والمراقبة كان من الصعب عليهما إنقاذ الولد من مخاطر أصدقاء السوء.

لا يجوز لأية أم أن تشغلها أية شواغل عن العناية بأولادها، سواء كانت هذه الشواغل متصلة بالكسب والعمل، أو متصلة بالعلاقات الاجتماعية من زيارات وسهرات ورحلات، أو كانت متصلة بأمور الدعوة الى الله.

لأنّ الانشغال عنهم سيجعلهم عندئذ ينصرفون الى الأصدقاء والفيديو والقنوات الفضائية والصحف والأفلام والتلفاز. وسيخسرهم أهلهم ويعضون أناملهم حسرة وألمًا، ويندمون أن فرطوا ولات ساعة مندم ..

أجل إن انتشار المخدرات بين صفوف الفتيان والفتيات يكون في بعض صوره أو كثير من صوره عن طريق أصدقاء السوء .. وهذا أمر مشاهد ملموس .. والمخدرات والمسكرات تقودان إلى طريق الفجور والإجرام، ومن هنا حذرنا النبي ﷺ من أصدقاء السوء .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي».[1]

وهذا يتفق والتوجيه القرآني ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٧)، و"رياض الصالحين" ص ٣٧٠ بإسناد لا بأس به – كما يقول النووي – .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فمصاحبة المؤمن تعين على سلوك طريق الإسلام، وتحفظ المرء من الوقوع في المخالفات. ونبّه الرسول الكريم إلى أن الدعوة إلى الطعام توثق المحبة والمودة بين الناس ولذلك فقد نهى ﷺ أن يأكل طعام المسلم إلا تقي، لكيلا يكون في قلب المؤمن مودة للأشقياء الذين قد يقودونه بمودتهم إلى الشقاء والهلاك. قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً رائعًا في تأثر الإنسان بالصديق أيًا كان عمره، إنه لا بُدّ أن يتأثر بمن يجالس ويصادق، وإن كانت نسبة التأثر تزداد كلما كان الإنسان أصغر سنًا.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يحذيك (أي: يعطيك)، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة»[(١)].

إنَّ مجالسة الصديق الصالح نافعة دون شك، ومثلها مثل الجلوس عند بائع المسك، فإما أن يعطيك هذا البائع قارورة عطر أو أن يضع على يدك عطراً، وإما أن تشتري منه، وإن لم يكن هذا ولا ذاك فإنك مدة إقامتك عنده تشم الرائحة

(١) رواه مسلم (٢٦٢٨) وهذا لفظه، والبخاري (٢١٠١) بلفظ مقارب.

الطيبة المنعشة.

أما مجالسة الرجل السيء فالمرء فيها في خسارة محققة، ومثلها مثل الجلوس عند الحداد الذي ينفح في كيره، فإما أن يطير شيء من الشرر على ثوب المرء فيحرق ثوبه وقد يتعرض جسمه للأذى والاحتراق، وإن لم يكن ذلك فإنه يجد منه الرائحة الخبيثة.

* * *

العنـاية بالصحـة

إنّ بنـاء الأمـة يعتمد على أسس عـدة. منها الفكري والمادي، كالعقيدة الصحيحة السليمة، والخلق الحسن، والاقتصاد المتين، والجيش القوي، ومنها الالتزام بأحكام الشريعة الغراء، ومنها المعرفة والعلم والعمل على التفوق فيهما، ويمكن أن نضيف إلى هذه الأسس العناية بالصحة.

إنّ صحـة أجسام الأفراد دعامة قوية للأمّـة الناهضة، ولذا كانوا يقولون: إنّ المرض والجهل والفقر هي الآفات التي تنخر في كيان الأمـة وتقضي عليها، وتجعلها لقمة سائغة للأعداء. ومن المقرّر بحق أنّ العقل السليم في الجسم السليم.

إنّ الثقافـة الصحية أمـر ضروري ومهم جداً بالنسبة للأسرة المسلمة وللأخوات الداعيات .. ويحسن أن تتوافر مادتها وكتبها في كل بيت، وعلى وسائل الاعلام من صحافة وإذاعـة وتلفـاز أن تقوم بهذا الأمر وأن تعرضه من وجهة نظر إسلامية.

الغـذاء

والعنـاية الصحية تتناول أمـوراً كثيرة، منها العنـاية بالغـذاء. فما المهمات المطلوبة من المـرأة في هـذا المجـال؟

إنّ العنـاية بالغـذاء من طعـام وشـراب أمـر مهم في بنـاء الأجساد وقوتها. وللمرأة دور كبير في ذلك .. لأنها هي – في الغالب – التي تعد الطعام مباشرة أو تشرف على إعداده، وهي التي تقترح أنواعه.

ولذلك فلا بُدّ من أن تُعنى بنوعيته، وطريقة صنعه. فتختار من أنواعه ما يحقق بنـاء الجسم بنـاءً قويـاً متوازنـاً، وتختار الطريقة الجيدة في طبخه التي تضمن

الإبقاء على العناصر المفيدة فيه. وهي بهذا أعرف من الرجل لاسيما إذا اعتمدت على الدراسات العلمية الحديثة التي تبيّن حاجة الإنسان إلى عدد معين من الحريرات وتبين ما تقدم المواد الغذائية من هذه الحريرات.

وعليها أن تتحرر من العادات الموروثة في إعداد الطعام إذا ثبت ضررها كالقلي مثلاً، وكذلك فإن عليها أن تقلل من المواد التي فائدتها قليلة كالدهنيات وما إلى ذلك .. فعلى الأمهات أن ينتهجن هذا النهج السليم وأن يُعلّمنْهُ بناتهن ويعودنهنّ عليه حتى إذا أصبحن ربّات بيوت سرن وفق هذا النهج السويّ.

ومن الأمور المطلوب مراعاتها في الغذاء الاعتدال في الطعام والشراب، فلقد كره رسول الله ﷺ كثرة الأكل:

فعن المقدام بن معديكرب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرّاً من بطن. بحسب ابن آدم أُكُلاتٌ يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنَفَسِهِ».(١)

أجل .. لا بُدّ من مخالفة النفس .. وعلى المرء أن يقوم عن المائدة ونفسه تطلب الطعام وعليه أن لا يستجيب لها.

إنّ هذا الحديث الصحيح توجيه عظيم، لا يرعاه كثيرٌ من الناس، فيقعون بسبب هذه المخالفة في عدد من الأمراض .. وقد ذكر لي بعضهم أنه إذا أكل وأكثر لم يستطع تلك الليلة أن ينام في فراشه مستلقياً .. بل يبقى جالساً إلى الصباح .. لماذا يعذب نفسه هذا العذاب؟ وقد كان يكفيه لقيمات يقمن صلبه .. ويروى عن الحارث بن كَلَدَة الثقفي طبيب العرب أنه قال: (المعدة بيت الداء،

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٣٣٤٩) ولفظه: «حسبُ الآدمي لُقيماتٌ يقمن صلبه، فإن غلبت الآدميَّ نفسُه فثلث...».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والحمية رأس الدواء)[١]. وهو كلام جميل، وبعض العامة يحسبون هذا القول حديثاً وليس كذلك. ويكفينا في تقرير هذه الحقيقة قول الرسول ﷺ المحكم الذي أوردناه آنفاً.

ولقد حرص الرسول الأعظم ﷺ على صيانة أجسام أتباعه من الوهن، فنهى عن صيام الدهر وذلك في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الطويل الذي أخرجه البخاري[٢] ومسلم وغيرهما. وفيه يقول ﷺ – كما جاء في رواية لمسلم للحديث–:

«لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد، لا صام من صام الأبد».[٣]

وفي هذا الحديث يقول ﷺ: «فإن لجسدك عليك حقاً» ويقول: «فإن لعينيك حظاً، ولنفسك حظاً، ولأهلك حظاً».

ونهى ﷺ عن الوصال في الصوم. قال الإمام البخاري: باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام لقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. ونهى النبيّ ﷺ عنه رحمة بهم وإبقاء عليهم، وأخرج في هذا الباب حديث أنس عنه ﷺ أنه قال: «لا تواصلوا».[٤] وروى البخاري ومسلم عن ابن

---

(١) انظر "المقاصد الحسنة" ص ٣٨٩، والحارث ولد قبل الإسلام وأدرك الرسول ﷺ واختلف في إسلامه، وانظر "الأعلام" للزركلي.

(٢) أورده البخاري في مواضع عدة انظر أرقامها عند الحديث رقم: ١١٣١. والشاهد تجده في الحديث رقم: ١٩٧٦.

(٣) رواه مسلم (١١٥٩).

(٤) رواه البخاري (١٩٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما الحديث بالمعنى نفسه.(١) وقال ﷺ في رواية مسلم : «فاكلفوا مالكم به طاقة».

ومما يدل على حرص الرسول ﷺ على العناية بصحة المسلم أنه نفى البر عن الصيام بالسفر إذا أضرّ بالصائم. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه، فقال: «ما هذا؟»

فقالوا: صائم.

فقال: «ليس من البر الصوم في السفر».(٢)

إنّ الرسول ﷺ الرؤوف بالمؤمنين كما وصفه ربه سبحانه ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]. يريد من المسلم أن يراعي حق الجسم وحق العين وحق النفس وحق الأهل، ويعطي لكل ذي حق حقه، وأن يعطي جسمه حظه من الراحة، فلا يرهق جسمه بالسهر حتى ولو بالعبادة كما جاء في حديث ابن عمرو السابق وكما في حديث الثلاثة الذين سألوا عن عبادة رسول الله، وذلك في قوله: «أما أنا فأنام وأقوم».

وجاء في حديث أبي برزة الذي رواه البخاري ومسلم قال: (كان ﷺ يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها).(٣)

إنّ أولادنا أمانة في أعناقنا، فلا ينبغي التساهل في أمر صحتهم.

---

(١) رواه البخاري (١٩٦٢- ١٩٦٦)، ومسلم (١١٠٢- ١١٠٣).

(٢) رواه البخاري (١٩٤٦) في باب قول النبيّ ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر: ليس من البر الصيام في السفر، وأخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي.

(٣) رواه البخاري (٥٦٨)، ومسلم (٦٤٧- ٢٣٧).

إننا نُسارع بهم إلى المستوصف أو المستشفى أو الطبيب في عيادته الخاصة إذا ألمت بأحدهم وعكة مهما كانت يسيرة، ولكن كثيراً منا لا يهتم بنوع طعام الطفل ولا بكميته، ويتغاضى عن سهره الطويل على التلفاز وغيره. وكل ذلك يؤذيه، ويدعو إلى زيارة الطبيب من جديد.

العناية بالصحة و هي أساس من الأسس التي يجب أن تتوافر ليكون بناء الأمة بناء محكماً متينا.

إنّ من نعم الله علينا - ونحن نعيش في بلاد المسلمين - أن المحرّمات من الأطعمة غير موجودة كلحم الخنزير ونحو ذلك.

ومع ذلك فإنه ينبغي أن تؤكد الأخوات الداعيات حرمة المأكولات التي حرّمها الله كالميتة ولحم الخنزير ونحو ذلك. وهي مذكورة في الآية الكريمة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

إنه ينبغي أن نغرس في نفوس أبنائنا وبناتنا الاشمئزاز منها والنفور منها حتى إذا شبّ أحدهم واغترب لم يقبل أن يأكل شيئاً منها مهما كانت الظروف.

ويجب أن نبيّن لهم عقوبة مخالفة ذلك النهي الرباني في الآخرة وعاقبة هذه المخالفة في الدنيا من إصابته بالأمراض الفظيعة التي ثبت أنها تكون من آثار أكلها.

وينبغي أن يكون من الأخوات الفاضلات مثل هذا الموقف بالنسبة للمشروبات .. فعليهن أن يؤكدن تحريم الخمر مهما تعددت أسماؤها، وبيان ما أعدّ الله لمن يشربها من العقوبة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن تحريم الخمر من عناية الإسلام بصحة الفرد والمجتمع قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. فهي حرام بنصّ الكتاب وبقول الرسول وبإجماع المسلمين، وقد ثبت ضررها المحقق. فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن».(١)

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه».(٢)

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب خمر الدنيا، فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة»(٣).

ويحسن أن تذكر الأخوات ما يُنفّر من هذه الآفة الخبيثة، وذلك بذكر ما تخلفه من الأمراض الجسمية والعقلية، وهذا متوافر في الدراسات التي أعدّت عن أضرار الخمر.

ومما يتصل بالمحرمّات من الطعام والشراب: المخدّرات والدخان. ويجب عليكنَّ التحذير منهما، فهما وباءان خطيران ينتشران في بلاد المسلمين وا أسفاه. ويكون التحذير منهما ببيان تحريمهما، وأنّ من يقترفهما أو يقترف أحدهما يقع في سخط الله ﷻ، ويتعرض إلى عقوبته، ويصاب بالأمراض الجسمية والعقلية

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، وابن ماجه (٣٩٣٦).

(٢) رواه أبو داود (٣٦٧٤) واللفظ له، وابن ماجه (٣٣٨٠).

(٣) رواه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٩)، وأبو داود (٣٦٧٩)، والترمذي (١٨٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والاجتماعية.

وأتوقف قليلاً عند التدخين لأنبه إلى خطره وتحريمه .. ذلك أن كثيراً من الناس يتهاونون فيه، فترى المصابين به يجاهرون في تعاطيه، ولا يجدون في ذلك حرجًا، مع أنه محرّم لثبوت ضرره، وسيدنا رسول الله ﷺ يقول: «لا ضرر ولا ضرار» فكل ما يضر الإنسان يحرم تعاطيه.

* * *

ومما يتصل بموضوع الطعام والشراب أَمْرُ الشرعِ المطهر بالوقاية. وذلك بالحرص على تغطية الأواني، وإحكام ربط قِرَبِ الماء، وألّا يشرب الإنسان من فم السقاء.

عن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا كان جنح الليل فكفُّوا صبيانكم، فإنّ الشياطين تنتشر حينئذٍ .. وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإنّ الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا، وأوكوا قِرَبكم واذكروا اسم الله، وخمّروا آنينكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئًا».(١)

إنّ في ذلك دعوة للوقاية من الشيطان ومن الحشرات والجراثيم ومن اللصوص.

إنّ الدعوة إلى تغطية أواني الطعام وإيكاء الأسقية سبقٌ عظيمٌ من الإسلام للتحذير من أكل طعامٍ مكشوف معرّض للجراثيم التي يحملها الجوُّ والذبابُ الناقلُ للأمراض والحشراتُ السامّةُ.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٢٣)، ومسلم ٩٧- (٢٠١٢)، وأبو داود (٣٧٣١)، وابن ماجه برقم: ٣٤١٠، واحمد ٣/ ٣١٩.

وما يزال هذا التحذير وارداً على الرغم من وجود الثلّاجات المحكمة، وخزائن الطعام.

نعم إنّ هذا الأمر يبقى في غاية الأهمية وينبغي مراعاته، ذلك لأن كثيراً من الناس ينسون وضع أواني الطعام في أماكنها التي توفر لها الحفظ. وقد تدخل بعض الحشرات إلى هذه الأماكن، وعندئذ تبقى تغطية هذه الأواني الوسيلة الوقائية الوحيدة التي تدفع عن ملتزمها الضرر والخطر.

إنّ الوقاية من الأضرار المتوقعة أمر يأمر به الدين، وتفرضه المصلحة، ويقضي به العقل، وهذا ما أوصى به النبي الكريم في هذا الحديث الجميل الصحيح. صلوات الله وسلامه عليه.

عن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إذا كان جنح الليل فكفّوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ .. وأغلقوا الأبواب، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قِرَبكم، واذكروا اسم الله، وخمّروا آنيتكم ولو أن تعرضوا عليها شيئا».

إنّ من البديهيات في المحافظة على الطعام السليم الصحيح أن نجتنب كشف الأواني التي تكون فيها، لأن كشف الأطعمة يعرضها للجراثيم ويكون سبباً في حدوث كثير من الأمراض.

فلا بُدّ من تحذير أنفسنا وأولادنا من أكل طعام مكشوف، ولا بُدّ من أن نحرص على تغطية أواني الطعام مهما كانت المدة التي يترك فيها الطعام دون غطاء.

ولذلك فقد أوصانا رسول الله ﷺ بهذه الوصية فقال: «وأوكوا قِربكم، وخمّروا آنيتكم ولو أن تضعوا عليها شيئاً».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعمل بهذا التوجيه النبوي الكريم يصون الصحة إن شاء الله. وتغطية الأواني أضحت ميسورة جداً، فكثيرٌ من أواني الطعام لها أغطية متصلة بها، وكذلك القدور كلها، وهناك لفافات تحيط بآنية الطعام التي لا غطاء لها فتحفظها .

وأنّ أكثر البيوت لا تخلو من الصراصير والهوام والحشرات والحيوانات الأليفة، فنسيان تغطية تلك الأواني يعرضها لما ذكرنا بشكل محقق.

ومن الأمور المتصلة بالتوجيهات النبوية في أمر الطعام والشراب أنّه ﷺ نهى عن الشرب من فم السقاء، فما يدري المرء ما فيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: (نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم القربة أو السقاء).(١)

وروى نحوه البخاري عن أبي سعيد الخدري.(٢) وابن عباس.(٣)

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة (أنّ رسول الله ﷺ نهى أن يشرب من في السقاء، فأنبئتُ أنّ رجلاً شرب من في السقاء فخرجت حية).(٤)

وقد حدثني رجل(٥) أنه عمد مرة إلى إبريق فشرب من فمه مباشرة دون أن يصب ما فيه من شراب في كأس، وكان في فم الإبريق زنبور فلسعه في شفته لسعات مؤلمة، وما لبث أن تورم وجهه حتى ضاعت معالمه على عارفيه، وقال: فتلثمت حتى لا أفجع أهلي بمنظري.

هذا وكثير من الناس يتقزّز أن يشرب من إناء شُرب من فمه، فتعاف نفسه

---

(١) رواه البخاري (٥٦٢٧).

(٢) رواه البخاري (٥٦٢٥)، ومسلم (٢٠٢٣).

(٣) رواه البخاري (٥٦٢٩). وانظر "الترغيب والترهيب" ٣/ ٥٠-٥١).

(٤) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري. و انظر "الترغيب والترهيب" ٣/ ٥١).

(٥) إنه صديقنا الأستاذ عبد الرؤوف الحناوي رحمه الله.

الشرب ولو كان بحاجة إليه.

وقد يكون الشرب من فم السقاء سبباً في نقل العدوى إذا كان الشارب الأول حاملاً لجرثومة مَرَضية. وأعرف رجلاً أصيب بمرض التيفوئيد بسبب شربه من إناء كان قد شرب منه مباشرة شخص مصاب .. وكان ذلك يوم أن كان هذا المرض خطيراً قبل أن تكتشف الأدوية الفعالة في القضاء عليه. فيكون هذا الذي شرب من فم السقاء أساء إلى آخرين، ويكون الشارب الثاني قد أساء إلى نفسه.

هذا ولو لم يحدث أي محذور فإن الشرب من فم السقاء لا يتفق والذوق السليم .. من أجل هذا فيسنّ للمرء إذا أراد أن يشرب من قربة أو إناء أن يصب ما يريد شربه في كأس ثم يشربه آمناً إن شاء الله. وأما ما يتداوله الناس من أن سؤر المؤمن شفاء وينسبونه إلى النبي ﷺ فهذا غير صحيح، وهذا القول ليس بحديث أبداً.

هذه جزئية من التربية الصحية النبوية، وتشكل مع جزئيات مماثلة –قد نأتي على بعضها – منهجاً متكاملاً في التربية الصحية النبوية، أرشد إليها ﷺ أتباعه لتكون أجسامهم وعقولهم قوية، وليكونوا قادرين على أداء الأمانة، وحمل رسالة الإسلام إلى الدنيا.

يجب أن نربي أولادنا بنين وبنات على الحذر من الأمور الضارّة في الطعام والشراب، وفي استعمال الأدوات، وفي التصرفات الشخصية، على أن يبقى هذا الحذر في الحدود المعقولة بحيث لا يبلغ درجة الوسوسة. وهذا لا يتنافى مع التوكل على الله، فالأخذ بالأسباب مطلوب شرعاً .. ثم بعد ذلك يتوكل المؤمن على الله، ويرضى بقضاء الله وقدره.

ولنتأمل توجيهاً نبوياً آخر من التوجيهات التي تدخل في التربية الصحية النبوية وهو التوجيه المتعلق بالعناية بتنظيف الأسنان، فقد شرع رسول الله ﷺ السواك، وأمر به أمراً مؤكداً.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة».(١)

وفي رواية الطبراني: «...مع كل وضوء».

وعن عائشة رضي الله عنها أنّ النبيّ ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان.

قال المنذري(٢): [ورواه البخاري معلقاً مجزوماً، وتعليقاته المجزومة صحيحة. ورواه الطبراني في "الاوسط" و"الكبير" من حديث ابن عباس وزاد فيه: «..ومجلاة للبصر»].

وكثير من الأمراض تنشأ من إهمال العناية بالأسنان، فتكون مجمعاً للجراثيم، وتؤثر على الجهاز الهضمي وغيره من الأجهزة، وتكون للفم رائحة كريهة.

وقد سنّ الرسول ﷺ السواك في حالات عدة: منها ما ورد ذكره آنفا: (عند الصلاة) و (عند الوضوء).

ومنها عند دخول البيت، وعند خروجه منه. عن شريح بن هانئ قال: قلت

---

(١) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).

(٢) "الترغيب والترهيب" ١/ ٨٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لعائشة: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك.(١)

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: ما كان رسول الله يخرج من بيته لشيء من الصلاة حتى يستاك. قال المنذري: رواه: رواه الطبراني بإسناد لا باس به .

ومنها عند قيامه من النوم في الليل:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك. رواه ابن ماجه والنسائي ورواته ثقات.(٢)

إنَّ التربية الصحية النبوية التي أرشدنا إليها سيدنا رسول الله ﷺ ، والتي ينبغي أن تكون في اهتمامنا ونحن نحاول بناء أمتنا على أساس الإسلام العظيم.

إنّ صحة أفراد المجتمع قوة للأمة، ورسول الله ﷺ يقول داعيًا إلى القوة مرغبًا في الحصول على أسبابها: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير».

وقد تحدثنا في عدد من الأمور المتصلة بهذه التربية الصحية، وكان حديثنا الأخير عن الوصية بتنظيف الأسنان، وأوردنا بعض الأحاديث التي تذكر فضل السواك.

وأود أن أذكر أنّ العلماء قرروا أن أي أداة تنظف الأسنان تحصل بها السنة، وإن كان الاستياك بعود الأراك أفضل. وقد قام عدد من الأطباء المختصين بدراسة خصائص عود الأراك، فوجدوا أنّ له خصائص تميزه عن الفرشاة المستعملة. ووجدوا أنّ في المواد التي تشترك في تركيب الأراك خصائص مفيدة للأسنان. وكتبوا في ذلك بحوثًا في اللغة العربية.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٢)، وأبو داود (٥١)، وغيره. وانظر الترغيب والترهيب ١/ ٨٣.

(٢) "الترغيب والترهيب" ١/ ٨٣.

وممّا يتصل بحرص الرسول ﷺ على نظافة الفم والأسنان أنّه ﷺ أوصى أن يعمد الإنسان إلى المضمضة بعد الطعام حتى يتخلص بقايا الطعام وآثاره التي تعلق بالأسنان. وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً بعنوان: (باب المضمضة بعد الطعام) أورد فيه حديث سويد بن النعمان رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فلما كنا بالصهباء – وهي موضع قريب من خيبر، قال يحيى أحد رواة الحديث: وهي من خيبر على روحة - دعا بطعام، فما أتي إلا بسويق، فأكلنا فقام إلى الصلاة فتمضمض ومضمضنا.(١)

والسويق طعام يعمل من الحنطة والشعير- كما في المصباح – وجاء في الفتح(٢) ما يأتي: [قال الداودي: هو دقيق الشعير أو السلت المقلي. وقال غيره: ويكون من القمح. وقد وصفه أعرابي فقال: عدة المسافر، وطعام العجلان، وبلغة المريض].

وقد ذكر لي طبيب كبير من أطباء الأسنان أن للمضمضة أثراً طيباً في صيانة الأسنان، ونرى الفرق واضحاً بين المسلم الملتزم وبين غيره ممن لا يتوضأ ولا يصلي، وقال: إن المسلم الذي يتوضأ في اليوم عدة مرات يصون بذلك أسنانه إلى حد ما.

أما الذي لا يتوضأ ويبقي أثر الطعام في فمه فإنه يعرض أسنانه لأمراض التسوس.

* * *

(١) رواه البخاري (٥٤٥٤).

(٢) "فتح الباري" ١/ ٣١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العناية بالنظافة

ومما يتصل بإعداد الأمة إعداداً صحياً سليماً العناية بالنظافة بصورة عامة .. وقد عني الإسلام بالدعوة إلى النظافة أعظم العناية، وحضّ أتباعه على أن يتصفوا بالنظافة الحسية والمعنوية.

يقول رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان».(١)

والطهور: النظافة، وشطر الشيء نصفه، وقد جاء في رواية للترمذي: «والطهور نصف الإيمان».(٢)

أي إنّ أجر النظافة كبيرٌ جداً يعدل نصف أجر الإيمان، وذلك يدل على علو شأن النظافة في الإسلام .. إنّ الرسول ﷺ يقرن النظافة بالإيمان .. ويجعلها مساوية لنصف الإيمان.

ولقد أسهمت أحكام الإسلام المتعددة في تعويد أبنائه على النظافة. فلقد اشترط الشرع المطهّر الطهارة في صحة الصلاة .. الصلاة التي افترضها عليهم خمس مرات في اليوم والليلة .. اشترط طهارة البدن والثوب والمكان الذي يصلي فيه. فالمسلم مطالب في الوضوء بأن يغسل الأعضاء التي تكون على اتصال مباشر بالعالم الخارجي: وهي الوجه واليدان والرأس والرجلان .. إنه مطالب بغسل هذه الأعضاء عدة مرات في اليوم .. ذلك لأنّ الله لا يقبل صلاة امرئ إلا بطهور يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، وابن ماجه (٢٨٠)، والدارمي ١/ ١٦٧، والنسائي ٥/ ٥، وأحمد ٥/ ٣٤٢.

(٢) رواه الترمذي (٣٥١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة: ٦].

إنّ المسلم الملتزم بالإسلام نظيف مهما كان عمله، ومهما كان مستواه الاجتماعي والماديّ.

ومعلوم أنّ الإسلام أوجب على الرجل والمرأة الاغتسال من الجنابة .. وأوجب على المرأة أن تغتسل من الحيض والنفاس .. وهذه أغسال واجبة بنصّ من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

ولو تأمل المرء فيها لوجد أنّ المسلم والمسلمة ملزمان بالاغتسال حينًا بعد حين على حكم الوجوب.

وهناك أغسال مسنونة من أهمها: غسل الجمعة[1] الذي يذهب بعض أهل العلم إلى وجوبه على كل مكلّف أخذاً بظاهر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم».[2]

ولحديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل».[3]

ولحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر في (غسل الجمعة) كتابنا "توجيهات قرآنية في تربية الأمة" و"فتح الباري" ٢/ ٣٥٧-٣٦٤ فقد جمع وأوعى.

(٢) رواه البخاري (٨٥٨- ٨٧٩- ٨٨٠)، ومسلم (٨٤٦)، وأبو داود (٣٤١)، وابن ماجه (١٠٨٩)، والنسائي ٣/ ٩٢، والدارمي ١/ ٣٦١، وأحمد ٣/ ٦، ومالك في "الموطأ" ١/ ١٠٢.

(٣) رواه البخاري (٨٩٤)، ومسلم (٨٤٤)، وابن ماجه (١٠٨٨) بلفظ: «من أتى الجمعة فليغتسل».

«حـقٌ على كـل مسـلم أن يغتسـل في كل سبعة أيام يومـًا، يغسـل فيه رأسـه وجسـده».[1]

إنّ هذا الحديث يدعو كل مسلم – وتدخل المسلمة في هذه الدعوة – أن يغتسل في الأسبوع مرة .. ولم تقيد هذه الدعوة في هذا الحديث إلى الاغتسال بيوم معين، بل كانت الدعوة إلى الاغتسال مطلقة. وهذا الغسل غير الأغسال التي أوجبها الشرع على وجه الإلزام.

وحكى العلماء القول بوجوب الغسل يوم الجمعة عن عدد من الصحابة كعمر بن الخطاب وعمار بن ياسر وأبي هريرة وغيرهم، وعن عدد من الأئمة كالحسن البصري ومالك وهو قول أهل الظاهر، ورجّحة ابن حجر والشوكاني. وذهب آخرون إلى أنه مسنون سنة مؤكدةٌ جداً.

من التربية الصحية النبوية التي أرشدنا إليها رسول الله ﷺ ، والتي يجب أن نقيم عليها بناء أمتنا وأن نعمل بها أولاً ونوصى بها أولادنا وأهلينا، الحرص على النظافة بكل مظاهرها ..

والأثر الصحي للاغتسال مقرر ملموس، فهو يذهب بالدرن والعرق، وينشط الإنسان، والأوساخ مجلبةٌ للأمراض، مؤذيةٌ للمجالسين والمخالطين. وقد جعله رسول الله حقا على كل مسلم أن يكون الغسل مرة في الأسبوع.

أين هذا المستوى الرفيع من النظافة الذي يدعو إليه الإسلام العظيم من دين باطل يجعل ترك الاغتسال من التقرب إلى الله تعالى، فقد افتخر واحد من أتباع ذلك الدين أنه من خمسين سنة لم يمسّ جلده الماء. تصوروا أي جيفة يكون هذا الإنسان؟

---

(١) رواه البخاري (٨٩٧)، ومسلم (٨٤٩).

قال الأستاذ أبو الحسن الندوي في فصل (عجائب الكهّان) نقلاً عن كتاب "تاريخ أخلاق أوربا" تأليف ليكي: [وكانوا يعدّون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح، ويتأثمون عن غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس. يقول الراهب اتهينس: إنّ الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب إبراهام لم يمسّ وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة].(١)

إنّ المسلم الملتزم بأحكام هذا الدين نظيف في داخله فلا يحمل في قلبه غلاً ولا حقداً ولا حسداً لأحد من المسلمين، ولسانه نظيف فلا يشتم ولا يكذب ولا يذكر أحداً بسوء، بل ترى لسانه رطبًا بذكر الله وبالقول الحسن، وجسده نظيف، وثوبه نظيف، وبيته نظيف، وفمه نظيف، وأسنانه نظيفة، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وقد كنت من عهد بعيد قرأت بحثًا قيمًا للدكتور عبدالله باسلامة يقرّر فيه أنه على الرغم من توافر العوامل المؤدية عادة إلى حدوث المرض السرطاني في عنق الرحم بين السيدات المسلمات [إلّا أنّ الإحصاءات قد أثبتت أنّ هناك ندرة نسبية في إصابة هؤلاء السيدات المسلمات بسرطان عنق الرحم، هذه الندرة أصبحت حقيقة علمية دلت عليها بعض البحوث التي أجريت]. ثم ذكر أهم العوامل التي جعلت حدوث هذا المرض نادراً فقال: [وأهم هذه العوامل:

١) الختان: فختان الذكور في المجتمع الإسلامي عادة وتقليد مبني على تعاليم دينية.

٢) الامتناع عن العلاقة الجنسية في أثناء الحيض.

٣) الغسل والطهارة بعد الجماع.

---

(١) "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" ص١٨٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤) وإزالة شعر العانة.

أي مراعاة وسائل النظافة والصحة الموضعية].

وقال: [نشرت مجلة السرطان البريطانية عام١٩٦٣ بحثًا أجري في منطقة (ماسيدونا) بيوغسلافيا بين السيدات المسلمات وغير المسلمات في تلك المنطقة لمعرفة ما إذا كان هناك فرق بينهن في نسبة الإصابة بسرطان عنق الرحم بين الفئتين؟ فالمسلمون عامة في هذه المنطقة يحافظون على التعاليم الإسلامية، ويطبقون القواعد الخاصة التي تمليها عليهم شريعتهم، فهم يختنون أطفالهم بعد ولادتهم، ويمتنع الأزواج عن المعاشرة خلال فترة الطمث، ويعتنون بالغسل والنظافة الموضعية وغير ذلك، بينما تلك العادات لا تطبق في الفئات المسيحية في تلك المنطقة.

وقد أُجري البحث على ٣٦٣٣ سيدة، منهن ١٠٧٨ سيدة مسلمة، والباقي من غير المسلمات، ولقد قام البحث على الوسائل الحديثة التي تؤدي إلى تشخيص واكتشاف المرض ممّا كفل للبحث قيمته العلمية.

وقد أسفر البحث على أنّ هناك فرقًا واضحًا ومقبولاً علميًا في نسبة الإصابة بمرض السرطان بين الفئتين؛ فقد وُجد أنّ واحدةً من كل ٤٠٠ سيدة مسلمة تصاب بسرطان عنق الرحم، بينما تصل الإصابة بهذا المرض في غير المسلمات إلى واحدة في كل ٩٠سيدة.

والجدير بالذكر أيضًا أن سرطان القضيب أكثر حدوثًا في الرجال غير المختونين]. انتهى كلام الدكتور عبدالله باسلامة.[1]

وبعد، فإنّ لي ملاحظتين على ما تقدم:

---

(١) "محاضرات الموسم الثقافي" لجامعة الرياض ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م)"صـ٢٣٦-٢٣٧.

- أما أولاهما فهي أنّ هذه الحقائق العلمية من أدلة نبوّة هذا الرسول الكريم، وموضوع أدلة النبوّة موضوع خدمه علماؤنا السابقون بما وقفوا عليه من تحققِ ما أنزل عليه ﷺ من القرآن وتحققِ ما أخبر به صلوات الله وسلامه عليه.

فكون العلم التجريبي يُثبت جدوى الالتزام بالواجبات الإسلامية من الختان، وغسل الجنابة، واعتزال النساء في المحيض، وجدوى النظافة الموضعية، مما يقوم به المسلمون امتثالاً لأوامر الشرع ونواهيه.. كون العلم التجريبي يثبت جدوى ذلك وأهميته في صيانة الصحة دليل من أدلة نبوّته ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

- وأما ثانيتها فهي أن نزداد حرصاً على النظافة في أنفسنا وفي تعليم من حولنا على النظافة ..

كان حديثنا في هذا الفصل عن الاغتسال في ظلال الحديث المتفق علي وهو قوله ﷺ: «حقٌ على كلّ مسلم أن يغتسل في كلّ سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده».

والتزامنا بما ذكرنا وتربيتنا أولادنا على النظافة ودعوتنا كل من نلقاه إلى الالتزام بها إسهام جيد في بناء أمتنا على تعاليم الإسلام العظيم.

ونتابع حديثنا عن أهمية النظافة في صيانة الجسم من الأمراض وعن أثرها في تحقيق القوة والحيوية البنّاءة في المجتمع.

فقد ذكرنا في فصل سابق:

١) الغسل من الجنابة.

٢) والغسل من الحيض والنفاس.

٣) والغسل يوم الجمعة أو كلّ سبعة أيام.

٤) ونذكر هنا ترغيب النبيّ ﷺ بغسل الثياب الوسخة، وإيجاب طهارة الثوب من النجاسات حتى ولو لم تكن ترى؛ لأن الصلاة لا تصح بالثوب النجس. فقد أخرج أبو داود في سننه عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: أتانا رسول الله ﷺ فرأى رجلاً شعثًا قد تفرّق شعره فقال: «أما كان يجد هذا ما يسكّن به شعره؟».(١) ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه؟».

وأخرج مالك عن عطاء بن يسار قال:

كان رسول الله في المسجد، فدخل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن اخرج، كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل الرجل ثم رجع فقال رسول الله ﷺ: «أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان».(٢) وإسناده صحيح لكنه مرسل.

٥) وكذلك فيجب أن تتوافر طهارة المكان الذي يقف عليه المصلي؛ لأن الصلاة لا تصح بالمكان النجس. وهذا يوجب على المسلم أن يكون بيته نظيفًا طاهراً.

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٦٠)، وقال الألباني في "السلسلة الصحيحة" برقم: ٤٩٣ : وهذا سند صحيح على شرط الشيخين كما قال الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" ١١/ ١٩١ برقم: ٥٨١٣.

(٢) "الموطأ" ٢/ ٩٤٩.

٦) ومن الأمور التي أوجبها الشرع ختان الذكور، وهذا يوفر صيانة صحية للرجل، [والختان شرعا: هو إزالة قطعة من الجلد تغطي الحشفة، وبذلك يتخلص الجسم من مخبأ للأوساخ والجراثيم والفطريات والنجاسة والرائحة الكريهة.
وقد ثبت في عديد من الدراسات الطبيّة أنّ التهابات الجهاز البولي في الذكور صغاراً وكباراً تزداد نسبتها زيادة ملحوظة في غير المختونين، وأن عدوى الأمراض المنقولة جنسيًا كالزهري والسيلان وعلى الخصوص مرض الإيدز تكون في غير المختونين أكبر بكثير منها في المختونين، هذا فضلاً عمّا هو معروف منذ زمن بعيد من أنّ ختان الذكور يقلل من حدوث سرطان الجهاز التناسلي في الرجال، وسرطان عنق الرحم في زوجاتهم، ومن هنا وجدنا كثيراً من غير المسلمين في أوربا وأمريكا يقدمون على الأختتان، لما يحققه لهم من تلك المصالح].[1]

٧) وقص الأظافر: وذلك أنّ الأظافر إذا طالت كانت مخبأ للجراثيم والأوساخ ومعلوم أنه لا بُدّ للإنسان من استخدام يده في الطعام والشراب وازالة الأمور المستقذرة، فتنقل هذه الجراثيم والأوساخ إلى طعامه وشرابه ومواضع من جسده، ويكون طول الأظافر جالبًا للأمراض، هذا غير المنظر القبيح الذي يبدو به صاحب الأظافر.
وقد رأيت بعض الأطباء إذا جاءهم مريض ورأوا أظافره طويلة طلبوا إليه تقليمها لزامًا حفاظًا على صحته.
ومن المؤلم ما شاع بين كثير من النساء اليوم من إطالة الأظافر واعتبار ذلك مظهراً من مظاهر الزينة..

(١) انظر "رسالة الحكم الشرعي في ختان الذكور والاناث" بتأليفنا.

قال ابن حجر: [وقد ينتهي – أي: الوسخ – إلى حد يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهارة. وقد حكى أصحاب الشافعي فيه وجهين: فقطع المتولي بأن الوضوء حينئذ لا يصح، وقطع الغزالي في "الإحياء" بأنه يعفى عن مثل ذلك...] ثم قال: [قد يعلق بالظفر إذا طال النجو لمن استنجى بالماء، ولم يمعن غسله، فيكون إذا صلى حاملاً للنجاسة].(١)

وقد أخرج مسلم عن أنس: وُقِّتَ لنا في قصّ الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا يترك أكثر من أربعين يومًا.

[قال القرطبي في "المفهم": ذكر الأربعين تحديد لأكثر المدة ولا يمنع تفقد ذلك من الجمعة إلى الجمعة والضابط في ذلك الاحتياج. وكذا قال النووي: المختار أن ذلك كله يضبط بالحاجة].(٢)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب». رواه البخاري ومسلم.(٣)

قال ابن حجر: [ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعبّاد الأوثان، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]. لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك،

---

(١) "فتح الباري" لابن حجر ١٠/ ٣٤٥.

(٢) "فتح الباري" لابن حجر ١٠/ ٣٤٦.

(٣) رواه البحاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧).

وكأنه قيل: قد حسّنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، وحافظوا على ما يستمر به حسنها.

وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة، وعلى التآلف المطلوب؛ لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه فيقبل رأيه، والعكس بالعكس].(١)

وأتابع عرض الوصايا النبوية الكريمة المتصله بالتربية الصحية السليمة التي تحتاج إليها الأمة في طور البناء.

١- فمن هذه الوصايا النبوية أمره ﷺ بحلق العانة ونتف الإبط فقد قال ﷺ: «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقصّ الشارب».(٢)

وقد جاء التعبير عن حلق العانة بلفظ (الاستحداد)، والاستحداد من الحديد، والمراد به استعمال الموسى في حلق الشعر، و(العانة): الشعر الذي يكون فوق الفرج وحواليه، وتحصل السنّة بإزالة الشعر بأية طريقة كانت، وإن كان الأولى الحلق.

وأما بالنسبة إلى الإبط فالأولى النتف، ويتأدى أصل السنة بالحلق أيضاً ولا سيما من يؤلمه النتف. أخرج ابن أبي حاتم في "مناقب الشافعي" عن يونس بن عبد الأعلى قال: دخلتُ على الشافعي ورجل يحلق إبطه فقال: إني علمت أنّ السنة النتف ولكن لا أقوى على الوجع. وقال الإمام الغزالي: والحلق

(١) "فتح الباري" لابن حجر ١٠/ ٣٣٩.

(٢) رواه البخاري (٥٨٩١)، ومسلم (٢٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كاف لأن المقصود النظافة[١] وإزالة الشعر في هذين الموضعين من السنة، وقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي إلى أن هذه الخصال واجبة وقال أيضاً: شعر العانة أولى الشعور بالإزالة لأنه يكثف ويتلبد فيه الوسخ.[٢]

وفي مراعاة المرأة هذه السنة إحسان للزوج واهتمام به فقد ثبت في الصحيح النهي عن طروق النساء ليلاً حتى تمتشط الشَّعِثَةُ وتستحدّ المُغِيبَةُ. فقد أخرج البخاري ومسلم عن جابر ﷺ قال: فلما قدمنا – أي المدينة – ذهبنا لندخل فقال ﷺ: «امهلوا حتى تدخلوا ليلاً – أي عشاء – لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغُيبة».[٣]

والشعثة: التي تلبد شعرها وتغير لقلة امتشاطها ولقلة تعهده بالدهن، والمغيبة: التي غاب عنها زوجها، وهي غالباً تكون تاركة أسباب الزينة.

وأخرج مسلم[٤] من حديث أنس أن النبيّ ﷺ كان لا يطرق[٥] أهله ليلاً وكان يأتيهم غدوة أو عشية.[٦]

أقول: ومن مجافاة الفطرة والانتكاس ما يفعله كثيرٌ من الناس، إذ يحلقون ما

---

(١) "فتح الباري" ١٠/ ٣٤٤.

(٢) "فتح الباري" ١٠/ ٣٣٩.

(٣) رواه البخاري (٥٢٤٧)، ومسلم (٧١٥) في كتاب الإمارة باب كراهية الطروق.

(٤) رواه مسلم (١٩٢٨).

(٥) الطروق: المجئ ليلاً من سفر أو غيره على غفلة. وعن ابن عمر قال قدم النبي ﷺ من غزوة فقال: «لا تطرقوا النساء» وأرسل من يؤذن الناس أنهم قادمون (فتح الباري ٩/ ٣٤٠) قال ابن أبي جمرة: فيه النهي عن طروق المسافر أهله على غرة من غير ما تقدم: أي إعلام منه لهم بقدومه.

(٦) "فتح الباري" ١٠/ ٣٤٠.

أُمروا بتوفيره ويتركون هذه الشعور المؤذية التي أمروا بحلقها والتي إن تركت كانت مكاناً تتجمع فبه الجراثيم وتنتشر منه الروائح الكريهة. وقد ذكر الدكتور باسلامة في كلمته التي أوردنا طرفاً منها فيما سبق أن لحلق العانة دوراً في الوقاية من سرطان عنق الرحم للمرأة.

٢- ومن الوصايا النبوية المتصلة بالتربية الصحية السليمة التي تحتاج إليها الأمة وهي في مرحلة البناء نظافة الطرقات، وألاّ يلقي الإنسان في الطريق ما يؤذي المسلمين. فلقد جعل رسول الله ﷺ إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على أهمية النظافة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة: فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبةٌ من الإيمان» متفق عليه.(١)

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين».(٢) رواه مسلم.

وفي رواية قال: قال ﷺ: «مرّ رجلٌ بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحينّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة».

وفي رواية لهما: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فاخرّه، فشكر الله له فغفر له».(٣)

---

(١) انظر تخريجه بتوسع في كتابنا "الحياة الاجتماعية في ضوء السنة".

(٢) رواه مسلم (١٩١٤).

(٣) رواه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولقد جعل رسول الله ﷺ للطريق حقوقاً يجب مراعاتها، ومن هذه الحقوق كفّ الأذى، وذلك في الحديث المتفق عليه الآتي:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال:

«إياكم والجلوس في الطرقات»

فقالوا: يا رسول الله مالنا من مجالسنا بُدٌّ نتحدث فيها.

فقال ﷺ: «فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟

قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».(١)

ولذا فلا يجوز أن يلقى في طريق الناس القاذورات والقمامة فذلك يؤذي المسلمين ويضرّ بصحتهم، ويلوّث البيئة التي يعيشون فيها، ويخدش الذوق السليم.

ونظافة الطرق في مدينة أو قرية دليل على تقدم أهلها وتحضرهم.

ولا يجوز كذلك إلقاء الزجاجات المكسورة، إذ يخشى أن يطأها إنسان فتجرحه، أو تمر فوقها سيارة فتتعطل، وكذلك فلا يجوز أن تلقي بقايا الفواكه والطعام في الطرقات، فربما داس إنسان على قشرة موز فوقع فأصابه أذي قد يكون كبيراً.

٣- ونهى رسول الله ﷺ عن التبول أو التغوط في أماكن جلوس الناس.

قال الإمام النووي: [باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها] ثم أورد الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

(١) رواه البخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٢١٢١)، وأبو داود (٤٨١٥)، وأحمد ٣/ ٣٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. ثم أورد الحديث الآتي: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا اللاعنين» – أي الآمرين للعن –

قالوا: وما اللاعنان؟

قال: «الذي يتخلي في طريق الناس أو ظلهم».(١)

وعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ نهي أن يبال في الماء الراكد.(٢)

٤- ومن العناية بصحة المجتمع تقريره ﷺ ما يعرف الآن بالحجر الصحي. ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم(٣) يقول ﷺ: «إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها».

وأخرج الطبراني في الكبير عن سعد بن مالك وخزيمة وأسامة بن زيد قالوا: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الطاعون رجز وبقية عذاب عذّب به قوم، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا وقع بها ولستم فيها فلا تدخلوها».(٤)

هناك أحاديث كثيرة مختلفة الدرجات كلها تحضّ على النظافة التي تقي من الأمراض وستورد بعض هذه الأحاديث و إن كان فيها ضعف على سبيل الاستئناس، والحديث الضعيف يعمل به عند الجمهور في فضائل الأعمال إذا لم يكن شديد الضعف، وكان مندرجًا تحت أصل عام تدعو إليه الشريعة، ولم

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩)، وأبو داود (٢٥)، وأحمد ٢/ ٣٧٢.

(٢) رواه مسلم (٢٨١)، وابن ماجه (٣٤٣)، وأحمد ٣/ ٣٤٩.

(٣) رواه البخاري (٣٤٧٣- ٥٧٢٨)، ومسلم (٢٢١٨).

(٤) الكبير للطبراني ٣/ ٩٠ برقم: ٣٧٤٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعتقد من يعمل به ثبوته عن النبيّ ﷺ وإنما يعمل به للاحتياط.

ومنها: ما أخرجه الترمذي وضعفه، قال سعيد بن المسيب «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود».(١)

قال: فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال: حدثنيه عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبيّ ﷺ مثله إلاّ أنه قال: «نظفوا آنيتكم».

قال الترمذي: هذا حديث غريب، وخالد بن إلياس يضعف.

ومن ذلك ما رواه ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كرامة المؤمن على الله نقاء ثوبه، ورضاه باليسير».(٢) رواه الطبراني في الكبير، و فيه بعض من تكلم فيهم.

ومنها ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الإسلام نظيف فتنظفوا، فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف». رواه الطبراني في "الأوسط" وفيه ضعف.(٣)

* * *

(١) رواه الترمذي (٢٧٩٩).

(٢) "المعجم الكبير" ١٢/ ٣٩٥ برقم ١٣٤٥٨.

(٣) "المعجم الأوسط" ٥/ ١٣٢.

العنـاية بالأطفـال

إنَّ مما يتصل ببناء الأمّـة أوثق الاتصال صحة أولادها ونفسياتهم بناءً متماسكـًا، يبـدأ هـذا البنـاء من مرحلة الطفولة .. بل من اللحظات الأولى بعـد الولادة.

إنَّ عنايتنا بصحة أطفالنا منذ أن يكونوا صغاراً يكسبهم عناصر القوة والسلامة والصحة.

١- ولقد عُني الإسلام بذلك، ودلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة. فقد عني الإسلام برضاع الطفل، وجاء تنظيم هذا الأمر مفصلاً في كتاب الله ﷻ على نحو ما نقرأ فيه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وقد بيّن تعالى الأمور المـادية المتصلة بعملية الرضاعة.

وقد ثبت الآن أنّ رضاعة الطفل من أمه ذو فائدة عظيمة للطفل ولأمه أيضـًا، أما الطفل فإن رضاعه من أمه يضمن له أن يتناول غذاء يتناسب مع عمره. إذ أنّ تركيب حليب الأم لا يكون على حالة واحدة، بل تختلف نسب العناصر الموجودة فيه بين وقت ووقت، و يتدرج الاختلاف مع نمو الطفل، وهـذا لعمر الله من أدلـة إحكام صنع الله في خلقة.

لا شيء يعدل حليب الأم .. ومن الغلط أن تعمد بعض الأمهات إلى إرضاع أولادهن من الحليب الصناعي. وهذا الذي قررته البحوت العملية الطبية.

وأما بالنسبة للأم فإن إرضاعها طفلها يحميها من الإصابة بعدد من الأمراض، فقد قرّر الأطباء أن نسبة إصابة المرأة التي تُرضع أطفالها بسرطان الثدي أقل بكثير من المرأة لتي لا تُرضع. وينبغي أن تكون الرضاعة لغرض التغذية وفق تقسيم لأوقات الرضعات، لا لإسكاته عن البكاء، فإذا لم يحن وقت الرضاعة فلا يجوز أن ترضعه؛ لأن في ذلك ضرراً عليه، إذ يحسب الطفل أنه بالبكاء يحقق مطالبه.

٢- ويجب على الوالدين أن يسارعا إلى ختنه إن كان الولد ذكراً .. ففي ذلك مصلحة صحية عظيمة له .. وتخليص له من زيادة لو بقيت كانت مجمعاً للجراثيم. والختان بعد ذلك من خصال الفطرة، ومن السمات التي تميز المسلم عن غيره.

٣- ويجب أن يعنى بغذاء الطفل عندما يكبر من حيث الكمية والنوعية والكيفية، فلا يعوّد على الإكثار من الطعام؛ ذلك لأنّ بعض الأمهات يتجاهلن هذا التوجيه النبوي فيبالغن في حمل أولادهن على الأكل فوق الحاجة، فيتعوّد الطفل على ذلك وتتوسع معدته، وينتج عن ذلك زيادة وزنه، وهي حالة مرضية يترتب عليها كثير من الأخطار .. وينبغي أن يُنتبه إلى نوعية الغذاء فيجمع له بين العناصر التي يحتاج إليها في مرحلة النمو، وهذه أمورٌ يحددها الأطباء وخبراء التغذية، وأن ينظم وقت تناوله الطعام .. ذلك لأنّ هناك أطفالاً لا تراهم إلا وهم يأكلون، وهناك آخرون يؤثرون المآكل الجاهزة التي يقرر أهل الخبرة أنها ليست هي الأفضل.

* * *

ومما يتصل بتكوين الطفل تكويناً نفسياً سليماً تأمين الألعاب له .. فالألعاب للأطفال أمرٌ أساسي لا يقلّ ضرورة عن الغذاء.

فالطفل من الشهر الرابع يصبح بحاجة إلى أن تقدم له ألعاب مناسبة لسنه، وكلما تقدم في العمر تصبح الحاجة إلى الألعاب أشدّ.

وتعامل الطفل مع الألعاب يحقق فوائد عدة :

- منها أنها تحقق له إرواء حاجة ملحة، فتستقيم أحواله النفسية.
- ومنها أنها تحقق له مجالاً لأداء رياضة بدنية وذلك بالحركة التي تكون من تعامله مع هذه الألعاب.
- ومن هذه الفوائد تعويده على بعض القيم الأخلاقية؛ وهذه الفائدة لا تتحقق إلا إذا راقب الوالدان أو أحدها الولد في أثناء لعبه وقدما له النصح والتوجيه.
  - فإذا كان الولد يلعب مع إخوانه وأخواته لعبة يكون فيها بائعاً، فعلى الوالدين أن يوجهاه إلى الأمانة وعدم الغش.
  - وإذا كان يلعب مع إخوانه لعبه يكون فيها طبيباً يجس النبض ويلمس مواضع الألم فيوجه إلى الرأفة بالمرضى ونحو ذلك.
  - وإذا كانت البنت تلعب بالعروسة التي تعدّها بنتاً لها فتوجه إلى الرفق بها والإشفاق عليها، وهذا يرضي فيها غريزة الأمومة في وقت مبكر أيضاً.
- ومنها تنمية المواهب والقدرات، ويتحقق ذلك في الألعاب التي تعتمد عل الفكر والحساب والبناء وما إلى ذلك.
- ومنها تحبيبه بالقراءة والكتاب وذلك يجعله متعلقاً بالكتب، ومن الأمور

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النافعة جداً أن ينمى عند الطفل – وهو في سن مبكرة – تعلقه بالكتاب، وينبغي أن توضع تحت يده كتب خاصة بالأطفال جذابة. ورقها متين يستعصي على التمزيق الذي يقدم عليه الطفل غالبًا، ويوصى بأن يعني بالكتاب ويحافظ عليه ويحفَظه من التلف.

ومن المفيد أن ننبه إلى أن الإسراف في شراء الألعاب وتكديسها بين يدي الطفل غير مناسب ولا صحيح. وأن ننبه إلى أن على الوالدين مراعاة سن الطفل باختيار نوع الألعاب التي تقدم له.

وإن مما يتصل بالتربية الصحية للأولاد العناية بالرياضة البدنية .. لأنّ الرياضة شيء مهم في رجال الأمة ونسائها، وإنه ليؤسفني أن أقرر أن الرياضة مهملة في كثيرٍ من بلاد المسلمين، حتى كان عاقبةَ ذلك أن نشأ شباب رقيق ناعم لا صبر عنده ولا جلد، ولا قوة له على مواجهة الصعاب، وترهلت أجسام الرجال والنساء وأصابهن السمن .. في الوقت الذي نرى فيه غيرنا من أمم الكفر يعنون بأجسام أبنائهم وبناتهم، ويلزمون أنفسهم بالرياضة البدنية والجري والسباحة والمشي.

ونجد عندهم ركوب الخيل والمصارعة وغير ذلك من ألوان الرياضة .. إنّ قضاء نصف ساعة يوميًا في أداء تمارين رياضية تجنب المرء من الوقوع في عدد من الأمراض، وتخلصه من تناول الأدوية الكيماوية التي لأكثرها مضاعفات صحية غير حسنة. يقول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير».[1]

إن نشر الدعوة والجهادَ في سبيل الله يحتاجان إلى شباب ذوي أجسام قوية

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٤١٦٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تستطيع أن تدافع عن البلاد والدين ومصالح الأمة، ويطلبان شباباً ذوي عقول نيرة وذوي علم ومعرفة وأخلاق كريمة.

الحياة جد وكفاح لا يثبت فيها إلاّ الشديد القوى.

إنّ كل ما يقوي الجسم ينبغي أن نعوّد أنفسنا وأولادنا وتلامذتنا عليه .. إنّ الجسم الضعيف المترهل لا يستطيع صاحبه أن يفكر التفكير السديد، ولا أنْ يدفع عن عقيدته وبلاده السوء.

إن من التربية الصحية السديدة التي ينبغي أن نربي عليها أولادنا الصغار بنين وبنات، وكذلك رجالنا ونساءنا .. أن نعلمهم أنّ المرض أمرٌ متوقع، وقلما ينجو أحد من الناس منه، وأنّه قد يكون مكفراً للذنوب[١] وسبباً في رفع الدرجات وكسب الحسنات، وقد ورد النهي عن سب الحمى.[٢] وإنّ نصيب الصالحين منه كبير فقد قال ﷺ:

«أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل».[٣]

فإذا أصاب المرض أحداً من الناس فلا ينبغي أن يقعد به المرض عن أداء عمله، ولا يكون عقبة في وجه إبداعه، ومعظم الأمراض تكون موقوتة، تذهب بأذن الله عندما يكتب الله لصاحبها الشفاء منها. وليعلم كل واحد من الناس

---

(١) انظر ابن حبّان (٢٩٠٥).

(٢) أخرج مسلم (٢٥٧٥) عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: «ما لك؟ يا أم السائب أو يا أم المسيب تزفزفين؟» قالت: الحمى، لا بارك الله فيها، «لا تسبي الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم، كما يذهب الكير خبث الحديد».

(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٢٣)، والترمذي (٢٣٩٨)، وأحمد ١/ ١٧٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنّ لكل داء دواء، عرفه من عرفه وجهله من جهله، إلا الهرم فإنه لا دواء له.

قال الإمام ابن القيم: [وفي قوله ﷺ: «لكل داء دواء»[(١)] تقويةٌ لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب الدواء، والتفتيش عليه.

فإنّ المريض إذا استشعرت نفسه أنّ لدائه دواءً يزيله تعلَّق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسه انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سبباً لقوة الأرواح الحيوية والنفسانية والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته، وكذلك الطبيب إذا علم أنّ لهذا الداء دواءً أمكنه طلبه والتفتيش عليه.

وأمراض الأبدان على أوزان أمراض القلوب، وما جعل الله للقلب مرضاً إلا جعل له شفاء بضدّه، فإن علمه صاحب الداء واستعمله وصادف داء قلبه أبرأه بأذن الله تعالى].[(٢)]

وهذا كلامٌ نفيسٌ في أثر الأمور النفسية على الجسم.

وهذا أمرٌ مقررٌ في الدراسات النفسية اليوم، وهو مشاهد في حياة الإنسان. إنّ روح الرجاء تبعث في النفس والجسم قوة لا نظير لها، ومن الكلمات الجميلة هذه الحكمة: (لا حياة مع اليأس، ولا يأس مع الحياة).

وكم من مريض أفاد الإنسانية بإنتاجه فكراً عميقاً، أو اختراعاً نافعاً، أو كتاباً جامعاً!!

أجل إنّ عدداً من أصحاب العاهات أو من الزمنى الذين طال عليهم زمن

---

(١) رواه مسلم (٢٢٠٤)، وأبو داود (٣٨٧٤).

(٢) "زاد المعاد" ٤/ ١٧ ط الأرناؤوط.

المرض قد تعايشوا مع أمراضهم، وهم راضون بما قدر الله عليهم، فانطلقوا يبدعون ويعملون وينتجون كما يعمل الأسوياء.

وقد ألف الجاحظ كتاباً في العرجان والبرصان والعوران، وألف كذلك الصفدي كتابين في أخبار العميان والعوران.

هناك تأثير متبادل بين الناحيتين: النفسية والجسمية، فالأحوال الجسمية تؤثر في الأحوال النفسية والعكس بالعكس.

والتربية السليمة يجب أن تتخذ من هذه الحقيقة أساساً تُبنى عليه تصرفاتنا نحو أبنائنا وبناتنا، فاذا أصيب أحدهم بمرض فلا يجوز أن نبدي أمامه قلقنا وتفجعنا وتوجعنا، لأنّ ذلك يعظم المرض عليه ويجعله يتفاقم عليه وقد يكون عاملا في إنهياره .. إنّ الحنان الشديد، والعاطفة المضطرمة التي فطر الله عليها الأمهات أمرٌ يجعلهن يجزعن ويبكين لأدنى عارض صحي يصيب واحداً من أولادهن فيراعين الولد المريض ويدللنه ويسايرنه. وهذا مسيء لتربيته وعلاجه.

بل يجب أن تكفكف الأم من عاطفتها وتتماسك أمام ولدها وتتجلد ولا تهوّل عليه الأمر، بل تقول له: هذا أمرٌ بسيط يسير ولا بأس عليك، وتعالجه في الوقت نفسه وفق ما يشير به الطبيب دون مبالغة في الاهتمام .. إنّ هذا مما يعين على الشفاء.

وقد يتظاهر بالمرض بعد شفائه منه لينال ما ناله من الدلال والاهتمام والمسايرة، وتصبح ظاهرة التمارض عادة له يلجأ إليها كلما أراد الفرار من الواقع. وقد يكبر وتكبر معه هذه الخصلة، فكلما أراد أن يتهرب من واجب أو عمل ادّعى أنه مريض. ونحن نشاهد في الحياة نماذج من هذا النوع.

إنّ المؤمن القوي خيرٌ من المؤمن الضعيف، والقوة أنواع، منها المادي

والمعنوي، والمؤمن بإيمانه وقناعته ورضاه بما قسم الله له من أقوى الناس .. إذ يملأ الايمان قلبه طمأنينة وأمناً ورضى بما قسم الله له، فهو سعيد بما هو فيه .. لا يحقد على أحد، ولا يحسد أحداً، ولا يسيء إلى أحد.

إنّ المؤمن بإيمانه أقوى من المرض وما يحدثه من آلام .. هذا المعنى صحيح جداً، ويجب علينا أن ننمي هذا المعنى في نفوس أولادنا ومن حولنا.

ودور المرأة – ولاسيما الأم – في هذا المجال دور عظيم، فهي تستطيع أن تغرس في نفس ابنها وبنتها معنى الرضى وتجعلهما يتغلبان على اليأس والإحباط.

إنّ كلّ إنسان سليم معرض للمرض على نحو ما قال الشاعر:

أرى بصري قد رابني بعد صحة حسبك داءً أن تصحّ وتسلما

وإذا كان الشديد حقاً هو من يملك نفسه عند الغضب، فإننا تستطيع أن نقول إنّ الشديد أيضاً هو الذي لا ينهار عند المرض،[1] بل يبقى إنساناً يقوم بما يستطيع أن يقوم به .. وهذا شأن المؤمن القوي.

يجب أن تضع الحنان في موضعه، وإلّا كان مضراً كما قال الشاعر:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى

إنّ قيام الواعيات منكنّ بتوعية من حولها من قريبات وصديقات وجارات وزميلات أمر يتصل ببناء الأمة على أسس متينة أوثق الاتصال، ذلك لأن أهل الباطل يزينون باطلهم بزخرف من القول يُلبّسون به على العامة من الناس أمر دينهم، وحقيقة الواقع الذي يعيشونه. وقد يجعلونهم يتبنوّن الرأي المغلوط،

(١) قال لي أحد الأطباء: إنّ المريض الذي التزم بنصائح الطبيب يمكن أن يتخذ من المرض صديقاً له يتعايش معه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويؤيدون الموقف المحارب للشرع .... إنّ في أمور الحياة أموراً مشتبهات لا يعرفهنَّ كثيرٌ من الناس، كما قال ذلك سيدنا رسول الله ﷺ.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إنّ الحلال بيّن، وإنّ الحرام بيّن، وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».(١)

ولا بُدّ أن توضح هذه الأمور المتشابهات، ولا يقوى على توضيحها إلّا العلماء الأتقياء الذين جمعوا بين العلم الراسخ والورع الكامل.

والواعون والواعيات يتلقون ذلك عن العلماء وهم مسؤولون عن توعية من يلقون من الناس بشأنها.

إنّ الانحراف يبدأ في أول الأمر بميْلٍ يسير عن الحق، ثم لا يلبث على الأيام أن يتسع ويتسع حتى يكون المرء الذي قَبِلَ الانحراف وسار فيه بعيداً عن الصراط المستقيم. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

يقوم ناس في أيامنا هذه بصرف الناس عن الحق، وصدهم عن سبيل الله المستقيم وهم طوائف:

- فمنهم طائفة جهلة، يحسن بعضهم الكلام، يخلبون عقول الناس بكلامهم المعسول- و«إنّ من البيان لسحراً» - وينشرون الخرافات على أنها من الدين، ويذيعون بين الناس الأحاديث الموضوعة المكذوبة، ويعتمدون في

(١) رواه البخاري (٥٢- ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

مواعظهم على القصص والمنامات. وقد حذّر منهم رسول الله ﷺ. فقد أخرج مسلم في مقدمة صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم».[(١)]

- ومنهم طائفة تدثروا بدثار الألقاب الأكاديمية، يحرفون دين الله، ويلوون أعناق النصوص الدينية لتوافق أهواءهم، أو لتكون في مصلحة الطاغوت، ويُفتون فتاوى باطلة، فيَضلّون ويُضلّون.

- ومنهم طائفة منافقون، بعضهم يعمل بدافع من خارج المسلمين، وبعضهم يعمل بدافع من رؤوس الانحراف الظلمة، يحققّون لأعداء الإسلام ما يريدون من تشويه صورة الإسلام، فيقولون باطلاً من القول وزوراً، يريدون كسب مصلحة دنيوية، فيبيعون دينهم لدنيا غيرهم بعرض من الدنيا قليل.

- ومنهم طائفة تشغل الناس بأمور بعيدة عن واقعهم تزعم أنها من الدين، ويتصدون لأئمة الهدى فيكفرونهم، ويطرحون على الناس قضايا معقدة من علم الكلام الذي حذر من الاشتغال به أئمة الهدى من أمثال الشافعي وأحمد وغيرهما،[(٢)] وينشرون بعض الأقوال الضعيفة التي تشجّع على الفاحشة والحرام وأكل الربا والعياذ بالله ونحو ذلك .

وقد زاد من خطر هذه الطوائف امتلاك رجالها وسائل حديثة فعالة ينفثون

---

(١) "صحيح مسلم" برقم: ٧ من المقدمة.

(٢) قال الشافعي: لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام. [آداب الشافعي: ١٨٢]. وقال أحمد: لا يفلح صاحب كلام أبداً. علماء الكلام زنادقة. [تلبيس ابليس: ٨٧-٨٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سمومهم من خلالها .. كالصحف والمجلات وشاشات التلفاز ومحطات الإذاعة والفضائيات والنشرات والكتب وما إلى ذلك. و إنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

إنّ على أهل العلم من الرجال والنساء أن يبينوا للناس الحق بالحكمة والأسلوب الحسن ويحذروهم من دعوات الضلال. فليس كلّ من ألّف كتاباً وادّعى أنه مفكر بجدير أن يُستمع إليه ويؤخذ بقوله .. إن المقياس الذي يجب أن يُحتكم إليه في قبول كلام الرجال هو الكتاب والسنة وفهم أئمة الهدى لهذين المصدرين. وقد قال محمد بن سيرين رحمه الله: (إنّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم).(١)

أجل إنّ على أهل العلم أن يحذروا قومهم، ويعملوا على وقايتهم من الطامات التي أشرنا إلى بعضها. فإنها والله مهلكة .. ولا يجوز المجاملة في أمور الدين وفي حقائق العلم، وليكن صدعنا بالحق متصفاً بالحكمة، فقد أمرنا ربنا عزّ شأنه بذلك فقال سبحانه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولا يجوز أن يستولي علينا اليأس، فالمؤمن لا ييأس من رحمة الله وتوفيقه [اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن أن نغرق فيهما، ومن العجز والكسل أن نستسلم لهما، ومن الجبن والبخل أن نتصف بهما.

يجب علينا – أيها المسلمون – أن نخرج من هذا الجوّ النفسي القاتم القاتل ومن هذا الشلل الفكري العاجز المميت، وأن نتحمل المسؤولية بكل عزم، وأن

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ص ١٤ ط محمد فؤاد عبد الباقي.

نستوعب بسرعة وقوة كل ما نزل بنا وما يزال ينزل بنا .. لنزداد إيمانًا برسالتنا، واطمئنانًا لمهمتنا، وشعوراً بمسؤوليتنا الإسلامية].[1]

ولا يستيقظ الباطل إلا عندما ينام أهل الحق ويتوارون عن الساحة والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أوجه حديثي هذا إلى أخواتي وبناتي في العالم الإسلامي ممن يبلغن هذا الحديث ويرغبن في العمل على بناء الأمّة على أساس الإسلام العظيم.

سبق أن ذكرت لكن شيئًا من المآسي المؤلمة التي يعيشها المسلمون اليوم، وبينت لكن شيئًا من العقبات التي تقوم في طريق البناء .. من سيطرة الشهوات على كثير من المسلمين، ومن قيام دعوات هدّامة باسم الدين تشوّه صورته وتصدّ الناس عن سبيل الله .. وما قلته حقّ وصدق.. ولكن هذا جانب من صورة الواقع، وهناك جانب آخر أريد أن أنقله إليكن .. جانب مشرق من جوانب حياتنا المترعة بالمآسي.

هذا الجانب المشرق الذي شرعت المرأة المسلمة الواعية بالقيام بواجبها نحو الدعوة الى الله .. فانطلقت أقلام نسائية ذات كفاءة تكتب في المجلات الأسبوعية الخاصة بالمرأة، والمجلات الأخرى وفي الجرائد اليومية .. تكتب في الموضوعات الاجتماعية التي تخصّ المرأة من وجهة النظر الإسلامية، وتعالج هذه الأقلام المشكلات القائمة وتقدم الحلول الناجعة المستنبطة من الكتاب والسنة .. وتشق هذه الأقلام طريقها بنجاح وتوفيق.

فبارك الله في هؤلاء الأخوات الواعيات وزادهن نجاحًا وتوفيقًا. وعليهن أن يضاعفن جهودهن في العمل الجاد الدؤوب.

---

(١) "كلمات" للأستاذ عصام العطار ص ٩٣.

لقد فُتحت أبواب العلم ومجالاته أمام الفتاة بعيداً عن الاختلاط في كل مراحل التعليم مع مراعاة أحكام الإسلام في التزام الحجاب والحشمة والخلق الكريم؛ لأنَّ الطالب والطالبة سينصرفان إلى العلم بعيداً عن الإثارة التي تصرف كثيراً من هؤلاء وهؤلاء عن التحصيل العلمي.

وقد أثبتت التجربة العلمية مساوئ التعليم المختلط، فهناك مؤسسة علمية في بلد عربي أقرت نظام الاختلاط، وفي نهاية العام قدّمَ المعلمون في هذه المؤسسة تقريراً مفصلاً مدعوماً بالوقائع والوثائق ذكروا فيه انخفاض مستوى التحصيل وكثرة حوادث التحرش والفساد الخلقي، وقد قرأت في بعض الصحف أن قطاعات خاصة في المجتمع الأوربي والأمريكي أدركت مخاطر التعليم المختلط على العلم والمعرفة، فأنشأت مدارس وكليات لا اختلاط فيها بين الجنسين، لأنهم رأوا في ذلك مصلحة العلم الذي يقوم عليه بناء الأمة.

هذا وقد كتب الأستاذ مصطفى صادق الرافعي يرحمه الله مقالة عالج فيها موضوع اختلاط الفتيات بالشبان، وذلك عندما رفع طلبة الجامعة طلباً يلتمسون فيه إدخال التعليم الديني في الجامعة والفصل بين الشبان والفتيات وكان ذلك في سنة ١٣٥٧هـ (١٩٣٧م) وقال فيها:

[لا. لا. يا رجال الجامعة، إن كان هناك شيء اسمه حرية الفكر، فليس هناك شيء اسمه حرية الاخلاق.

وتقولون: أوربا .. وتقليد أوربا!! ونحن نريد الشباب الذين يعملون لاستقلالنا لا لخضوعنا لأوربا.

وتقولون: إن الجامعات ليست محل الدين! ومن الذي يجهل أنها بهذا صارت محلا لفوضى الأخلاق...].[1] انتهى كلام الأستاذ الرافعي.

---

(١) "الأسرة المسلمة والتحديات" ص٣٨ وما بعدها.

إنَّ اختلاط الشباب بالفتيات في هذا السنّ أمر يُراد منه إفساد أخلاق الأمّة، وإشاعة الفاحشة بين أبنائها وبناتها، وينعكس هذا دماراً على الأسرة والمجتمع.

وعلى المرأة التي ترغب أن تحصل على العلم والمعرفة أن تكون محافظة على دينها وخلقها، وملتزمة بالقيام بما أوجب الله عليها.

يجب على الراغبات في خدمة الإسلام منكنّ أن تطور إمكاناتها وأن تزداد علماً بدينها بالقدر المستطاع. والمؤمن يكيف ظروفه دائما وفق عقيدته ما استطاع إلى ذلك سبيلا ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وبالعزم والنية الخالصة لله والتخطيط يستطيع المرء أن يحقق جلّ ما يريد.

إننا نواجه واقعاً يحتاج إلى إصلاح، وحاجة الرجال والنساء إلى الإصلاح في هذا الواقع واحدة، والمرشحون للقيام بمهمة الإصلاح طائفة من الرجال الواعين المخلصين وطائفة من النساء الواعيات المخلصات.

ولقد منحنا الله قدرات وأدوات نستطيع بهما أن نقول كلمة الحق، وأمرنا أن نُذكّر فقال سبحانه: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وقال جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩].

ونحن مسؤولون – إن كنا نستطيع أن نقول الحق – إنْ تقاعسنا عن قوله. يقول الله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

والكلمة لها سلطان وأي سلطان إن قيلت بالوقت المناسب وبالشكل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المناسب، ولها – عندئذ – تأثير عظيم على السامعين والمخاطبين.

والداعية الذي يريد الإصلاح، ولا يملك السلطة الملزمة يستطيع أن يحقق كثيراً مما يريد عن طريق وسيلتين: هما الكلمة المؤثرة، والسلوك المستقيم.

إننا نستطيع أن ندعو الناس الى الحق بهاتين الوسيلتين مهما كانت الأوضاع التي نعيش فيها.

وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام مثلٌ حيّ على الطريقة المثلى في العمل البنّاء للداعية إذا مرّ بظروف صعبة كيف يستطيع متابعة الدعوة ولا يصاب بالإحباط والقعود، وكيف يستمر في دعوته رغم كل المصاعب والمتاعب التي يتعرض لها.

فقد أدخل عليه السلام السجن مظلوماً، وهناك راح يدعو إلى التوحيد بالحجة المقنعة، والكلمة الطيبة، والسلوك المستقيم. ودخل معه السجن فتيان رأى كل منهما في يوسف الخلق الحسن، والمعاملة الكريمة لمن يعيش معهم، فأحبّاه وتعلقا به، ورأى كل منهما رؤيا، فتوجها إليه يطلبان منه تأويل ما رأيا ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزٗا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦].

ولكن يوسف عليه السلام لم يجبهما مباشرة إلى طلبهما، بل انتهز الفرصة ليعرض عليهما دعوته، وطمأنهما إلى أنه سيؤول لها الرؤى؛ لأنّ ربّه علمه علماً لدنّياً خاصاً جزاءً على تجرّده لعبادته وحده وتخلصه من عبادة الشركاء هو وآباءه من قبل وبذلك كسب ثقتهما بقدرته على تأويل رؤياهما، وقدّم لذلك الحجة المقنعة فقال لهما: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٞ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٖ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٧ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ

بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨].

وقوله: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ فيه تلطف مع الفتيين، لأنهما من هؤلاء القوم، وهذا أسلوب رفيع في تجنب إحراج المدعويين، حبذا لوسلكه الدعاة والداعيات، فلا يحرجون من يدعونهم بنسبة الضلال إليهم، بل ينسبون الضلال إلى قوم تتحقق فيهم الصفات التي ينكرونها.

ثم يقول عليه السلام: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

إن الأنبياء وورثتهم من العلماء الصادقين العاملين ينبغي أن يكونوا القدوة لنا في عملية بناء الأمة .. فلم يشغل السجن ولا آلامه يوسف عليه السلام عن الدعوة.

إنَّ الظروف القاسية التي يمكن أن تعرض للداعية من المرض والسجن والإيـذاء والفقر ينبغي ألّا تقعد بهم عن العمل البنّاء المستمرّ.

والكلمة الطيبة قد تكون بالخطاب المباشر لمن نعاشر، وقد تكون بالهاتف نلقيها في أذن من نهاتف، وقد تكون بالرسالة يحملها البريد، وقد تكون بالمقالة المنشورة في صحفية، وقد تكون حديثاً يبث من الإذاعة أو التلفاز أو الانترنت، وقد تكون برسالة مطبوعة أو قصة أو مسرحية أو كتاب جذاب أو نحو ذلك.

ولكي تكون هذه الكلمة مؤثرة فاعلة يجب أن تكون قائمة على الحكمة وحسن التأتّي بعيدة عن الإحراج، ويجب أن تكون المعلومةُ التي في الكلمة حقيقةً موثقة صحيحة غير ضعيفة، لا مبالغة فيها.

وإذا كانت الكلمة الطيبة صادرة عن موهبة كان أثرها أعظم وأجلّ؛ ذلك لأنّ الموهبة تفرض نفسها على الوسط الذي يكون فيه صاحبها. سواء كان الوسط موافقًا له أو مخالفًا.

فعلى الموهوبات منكن أن يعتنين بأنفسهن، ويصقلن موهبتهن، بالتزود من العلم، وبمخالطة الناس والمران في مخاطبتهم، وبالاطلاع على أحوال العصر.

وليس من شك عندي في أنّ منكنّ موهوبات؛ لأن الموهبة لم يقصرها الله على عصر دون عصر، ولا خص بها قومًا دون قوم، بل هي في عباده وإمائه في كل عصر وفي كل قوم.

أما السلوك المستقيم والمعاملة الطيبة فأثرها عظيم، فكم قرأنا من قصص فيها أن كافراً دخل في الإسلام بسبب سلوك مستقيم رآه في مسلم وبسبب معاملة حسنة لقيها منه. وكم قرأنا من قصص فيها أن عاصيًا أقلع عن المعصية بسبب المعاملة الحسنة والسلوك النظيف المستقيم.

ولدينا مثال ناطق في أندنوسيا وهي من أكبر الدول الإسلامية اليوم، لم يدخلها الإسلام عن طريق الفتح .. بل دخلها عن طريق التجار الحضارم الذي جاؤوا إليها بقصد التجارة فأعجب أهل تلك الديار بسلوكم ومعاملتهم، وهذا جعلهم يدخلون في الإسلام.

وقصة جار الإمام العظيم أبي حنيفة رحمه الله الذي كان مسرفًا على نفسه ووقع في أزمة، فسعى الإمام في إنقاذه، فكان ذلك سببًا في إقلاعه عن المعصية وسلوكه السبيل السوي.

إنّ بناء الأمة على أساس الإسلام يجب أن يكون الهاجس الذي لا يفارق الواحدة منكن، وأن يكون شغلها لا يتقدمه أمر آخر، لاسيما إن كانت في وسط

يعينها على المضي في الدعوة إلى الخير.

عليكنّ أن تستفدن من المناسبات والزيارات في الأعياد والأفراح والمآتم بإلقاء الكلمة الهادفة مع الاستقامة منكن على الخير وابتغاء ثواب الله وحده، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

إننا نريد أن يكون بناء الأمة متينًا لا تزعزعه العواصف، متماسكا يستعصى على كل عوامل الهدم، ملتزمًا بمبادئ الإسلام العظيم، ولن يكون كذلك إلا إذا كان بناء الأسر التي يتكون منها متينًا متماسكا ملتزمًا بالإسلام العظيم.

وإذا أردنا تحقيق ذلك – وواجب علينا أن نقوم بذلك – فلا بُدّ من الحرص على أن يكون بناء الأسرة في مجتمعنا قائمًا على الودّ والرحمة، والرفق والمحبة. وهذا الوضع إن توافر يثمر: التعاون بين أفراد الأسرة، ووفاء كلّ من الزوجين لصاحبه، وبر الأولاد بنين وبنات بالوالدين، وشيوع المحبة بين أفراد الأسرة.

وهذا الذي عرفناه – في غالب أسرنا – منذ أن أكرمنا الله وأكرم الإنسانية بالإسلام، واستمرّ هذا الوضع إلى عهد قريب.

وكان الزواج نعيمًا يبسط جناحيه على الزوجين بالسعادة على مدى الحياة، وكان الطلاق من الأمور النادرة في مجتمعاتنا الإسلامية .. إن هذا الواقع هو الذي عرفناه في غالب أسرنا وأعترف أنه كانت هناك حالات مخالفة لهذا الوضع العام، وكانت شاذة وقليلة وغريبة.

وإنه ليؤسفني أن أذكر أن هذا الوضع السعيد قد بدأ يتضعضع شيئًا ما في الأوقات الأخيرة، فنشأ من جرّاء غياب الوضع السابق كليًا أو جزيئًا مشكلات عدة:

- منها أن خيمّ النكد والخصام والقسوة على جوّ البيت وحلت هذه الأحوال محلّ الود والرفق والرحمة التي كانت ترفرف أعلامها على الأسرة.
- ومنها أن ارتفعت نسبة الطلاق في كثير من بلادنا الإسلامية ارتفاعاً مخيفاً جداً.
- ومنها أن ساءت تربية الأولاد بنين وبناتاً وأصبح هؤلاء الأولاد عرضة للإصابة بالعقد النفسية، أو الفساد الخلقي المدمر، أو الإجرام إذ قد ينخرط بعضهم في سلك المجرمين.

هذا واقع شريحة غير قليلة في مجتمعاتنا، ولتكن عندنا الصراحة والجرأة للاعتراف بالواقع للعمل على إصلاحه.

إنَّ على الداعيات المثقفات أنْ يقمن بدراسة هذا الواقع دراسة ميدانية موضوعية متأنّية مبنيّة على الصراحة والدقة والجرأة والإحصاء لنتوصل إلى تحديد الأسباب التي ضعضعت أوضاع الأسرة السعيدة في قطاع من مجتمعنا، وهذا يسهل علينا العلاج والإصلاح، لأنه إذا عُرف سبب المرض سهل وصف الدواء والعلاج.

ومن فضل الله علينا أن هناك شريحة كبيرة من مجتمعاتنا ما تزال على الخير، لم يصبها ما أصاب الذين أشرنا إليهم .. وتبقي أسر هذه الشريحة بمثابة القدوة لمن أراد أن يحيا الحياة السعيدة الهانئة ..

وسأحدثكن عن نماذج لهذه الأسر الملتزمة بالإسلام القائمة فيما بيننا لأقرر أنّ الذي يريد أن يحيا الحياة الإسلامية في هذا العصر يستطيع ذلك .. والدليل على ذلك وجود ناس معنا يحيون تلك الحياة .. إنهم حجة على المنهزمين والذين يزعمون أن ذلك صعب ومستحيل.

- هذه أسـرة مسلمة صابرة، مرت بها ظروف قاسية من جوانب متعددة من المرض والفقر والخوف، فقابلت هذه الظروف بالصبر والثبات. كان الزوج صابراً .. وكذلك فقد كانت الزوجة صابرة .. كانت قانعة بالقليل لا تكلف زوجها ما لا يطيق .. وتشارك زوجها بالرضى بما قدر الله لهم من الرزق، وكانت مطيعة لزوجها فيما لا معصية فيه، وهو رجل مؤمن لا يأمر إلا بالخير .. وكانت مهتمة بأولادها من بنين وبنات، مهتمة بتنشئتهم على العقيدة السليمة والعبادة والخلق القويم، وكانت مهتمة بصحتهم ودراستهم ومظهرهم وغذائهم، وكانت معينة لزوجها على نوائب الدهر.

لقد أصابت الزوج أزمات عدة فكانت تقف إلى جانبه مواسية مشجعة له، مذكرة إياه بأن كل شيء بقضاء وقدر، وأن الصبر يحول المصيبة إلى نعمة.

وكان من أشدّ الأزمات التي تعرض لها فقدُه أولاده الثلاثة جميعاً في حادث مروري ولم يكن له غيرهم من الأولاد. فكانت تصبّره وتقول له: إنهم سيكونون فرطاً لنا يوم القيامة .. ولعلّ الله تبارك وتعالى أراد أن يرفع درجاتنا، ويعظم أجرنا .. والموت غاية كل حي .. إنهم سبقونا إلى دار الآخرة ونحن بهم لاحقون ... و لعلّ الله أراد بهم خيراً، إذ توفوا صغاراً لم يكسبوا إثماً .. ألا يعزيك أنهم الآن في الجنة ينتظرون عودتنا إليهم، وذكرته بالأحاديث النبوية التي تقرر أن من قدّم ولدين أو ثلاثة كانوا حجاباً له من النار .. واستشهدت بقول أم سليم رضي الله عنها لزوجها: لو أن قوماً أعاروا أهل دار عارية ثم طلبوها هل لهم أن يمنعوهم. فهولاء الأولاد هبة من الله وقد رجعوا إليه، ومازالت به حتى هدأت نفسه واحتسب أولاده.

وكان من هذه الأزمات التي تعرضت لها هذه الأسرة أنه ضُيّق عليها في الرزق فترك الرجل عمله، وبقي حيناً من الدهر دون عمل، فما كان منها إلا أن قدمت

حليها له وأقسمت عليه أن يبيعها ويقضي حاجته.

ولقد أكرمها الله فوسع عليهما في الرزق ورزقهما أولاداً بنين وبنات. وكانا من السعداء.

إننا بحاجه إلى المحافظة على مثل هذه الأسر، وأن ندرأ عن بيوتنا عوامل الهدم لنتمكن من إعادة بناء أمتنا بناءً متينًا.

قلنا : إنّ بناء الأمةّ بناءً متينًا لا يتحقّق إلاّ إذا كانت الأسر مبنيّة بناءً متينًا متماسكا، وقد ذكرت أن الوضع الفاضل للأسرة المسلمة المعاصرة قد بدأ يتضعضع شيئًا ما في الأوقات الأخيرة .

و قلنا : إنه نشأ من جرّاء غياب الوضع الفاضل الذي كان في أسرنا غيابِه كليًّا أو جزئيا مشكلاتٌ عدة ومآسٍ مؤلمة ذكرتُ بإيجاز أهمها .. وعرضت بعد ذلك صفحةً مشرقة ما تزال قائمة – والحمد الله – في مجتمعاتنا .. فهناك أسرٌ ما تزال متماسكةً متّصفةً بالقيم الإسلامية الكريمة من التعاون والتفاهم، والمودة والرحمة.

- هذه أسرة يبرز فيها دور الزوج في وفائه وتضحيته و إيثاره جليًا واضحًا .. بدأ حياته فقيراً .. كان يعمل ويقدّم لزوجته مطالبها –والحق أن المطالب حينذاك لم تكن مرهقة للزوج – وما زال يعمل بكل نشاط وجد وإخلاص، حتى أفاض الله عليه من الخيرات الشيء الكثير. كان في فقره وغناه يسعى السعي الحثيث في إدخال السرور على زوجته، ولما رزقه الله أولاداً من بنات و بنين ربّاهم ورعاهم على منهج الإسلام، وعلّمهم حتى حملوا الشهادات العالية، وكان يوصيهم دائماً بتقوى الله وبر والدتهم ورعاية شؤونها.

وكان يغتفر لأهله ما يرى من التقصير والإخلال، ويُعرض عن العتاب في الأمور التي لا تروقه. ولا بد من ذلك الإعراض لمن يريد أن يحيا سعيداً،

لأنّ الناس كلهم معرضون للوقوع في الخطأ، ولا بد أن يكون من الإنسان التقصير والغلط، فكان يرى ذلك بعين الرضى، ويعفو ويصفح ويتساهل إلا أن تكون المخالفة في حد من حدود الله. وكانت زوجته ملتزمة الخط نفسه تشاركه في الوقوف عند حدود الله. يقول الشاعر[(١)]:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها؟ ... كفى المرء نبلاً أن تعدّ معايبه

ومضى في هذا السبيل يعاشر أهله بالمعروف، ويحرص على أن يحصل على الخيرية التي قررها رسول الله ﷺ في قوله: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».[(٢)] وقوله: «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله».[(٣)]

ويشاء الله أن تمرض الزوجة مرضاً مبرحاً يقعدها ويصعب شفاؤه، فتفرغ لرعايتها ومداواتها، لم يترك سبيلاً ولا مجالاً يلتمس فيه الشفاء والعلاج إلا سلكه .. ذهب بها إلى الأطباء في بلده .. ثم ذهب بها إلى الخارج .. كان هو يعطيها الدواء، ويناولها هو الغذاء، ويلح في الدعاء، ويفسحها إذا ضاق صدرها يحملها إلى المنتزهات، ويأتي لها بالطعام الجاهز الذي تطلبه .. وكان يسليها ويخفف عنها بذكر الأحاديث والآيات والقصص حتى تنسى ما تلقى من آلام المرض.

---

(١) "ديوان بشار" ١/ ٣٢٦.

(٢) رواه ابن ماجه (١٩٧٧)، والترمذي (٣٨٩٥).

(٣) رواه أحمد ٤/ ٤٦، والترمذي (٢٦١٢)، والحاكم ١/ ٣ وقال صحيح على شرطهما.

وصبر الرجل على قضاء الله وقدره، ورضي بما هو فيه أتم الرضى، ولازم زوجته ملازمة تامة، وقد أتيحت له فرصة في تحسين وضعه ماديـًا واجتماعيـًا، وعرضت هذه الفرصة عليه، فأباها لأنها ستشغله عن القيام برعايتها. وكانا يذكران الله كثيراً .. فكانا سعيدين على الرغم من الأوضاع الصعبة.

إنّ المؤمن يطمئن قلبه بذكر الله، ويسعد بالرضى بما يقدر الله له ويصدق فيه قول الرسول الكريم ﷺ: «عجبـًا لأمر المؤمن. إنّ أمره كله له خير. وليس ذلك لأحد إلّا للمؤمن: إنْ أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإنْ أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».(١)

هكذا كانت أكثر أسرنا تسبح في بحور من النعيم والسعادة على قلة ذات اليد وعلى المصاعب والمتاعب التي كانت في حياة هذه الأسر.

وكانت هـذه الأسـر تمدّ الأمَّـة بالرجـال الصالحين وبالنسـاء الصالحات. وكانت هذه الأسر البيئة الفاضلة التي تخرج العاملين لرفعة الأمّة وتحقيق الخير لهـا.

إننـا بحاجة إلى أن يكثر فينا هذا النوع من الأسـر .. ويومئذ نستطيع أن نعيـد إلى أسـرنا البائسة تلك البهجة وتلك السعادة التي كانت تعمر بيوتنـا.

لنحذر من أن تتسرب إلى بيوتنا السليمة الأفكارُ الهدامة التي تتصور أنّ الأسرة ميـدان صراع يتسابق فيه كل من الزوجين إلى إحراز النصر لنفسه وتحقيق الهزيمة للطرف الآخر فتقوم المعارك، ويعلو الصراخ، ويحلّ الشقاء في الأسرة كلها.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

وهناك أمور كثيرة تكون سبباً لإشعال نار الحرب لن أتعرض لها على وجه الاستقصاء بل أذكر طرفاً منها.

- فمن ذلك الأمور المادية، كاتهام الزوج بالبخل، أو اتهام المرأة بالإسراف والتبذير.
- ومن ذلك تربية الأولاد والاختلاف في الطريقة التي يراها كل من الزوجين.
- ومن ذلك انتقاد المرأة للعلاقات الاجتماعية للزوج التي تشغله عن أهله وبيته، وانتقاد الزوج للعلاقات الاجتماعية للزوجة بأهلها وصديقاتها، التي تجعلها تضيع بيتها وأولادها.
- ومن ذلك موضوع طاعة المرأة لزوجها وهو مطلب شرعي. والحق أنّ فيه غلواً من الطرفين، فلقد أوحى شياطين الأنس إلى بعض النساء أنّ الطاعة انتقاص من شخصيتها ونيل من كرامتها، فأغروها بأن تتمرد على زوجها ولا تطيع له أمراً، وأوحوا من جهة أخرى إلى بعض الأزواج في أن يتعسف في استعمال هذا الحق فيطلب طاعته في أمور غير معقولة ولا مقبولة. فتنامت المشكلات وكان النكد المستمر، والكراهية المتنامية .. وكان كل من الطرفين يعاني من ذلك أشد المعاناة وقد ينتهي الأمر بالطلاق.

إنّ هزيمة طرف من الطرفين في الأسرة هدم لكل معاني السعادة والهناء ..

إنّ الأسرة ميدان تعاون وتفاهم لا ميدان كيد وصراع .. إنّ الأسرة عش المودة والرحمة الذي ينعم به الزوجان والأولاد.

إنّ الزعم بأنّ الحياة الزوجية معركة إن لم تكن فيها غالباً ستكون مغلوباً فكرة هدامة وحاملها هو أول من يشقى بها.

إذا استطعتنّ مقاومة هذه الأوضاع الشاذة في الأسرة والحيلولة دون أن تتسرب إلى بيوتنا فإنكنّ بذلك تكنّ قد قمتن بعمل ضخم في بناء الأمة .. وإنه لواجب عظيم على القادرات منكن تنتظره الأمة والأجيال المقبلة.

ويحسن بي وأنا أتحدث عن دور المرأة في بناء الأمة أن أذكر لكنّ بعض النماذج الفاضلة من نساء السلف الصالح، كما درجت على ذلك في فصول سابقة.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أم سُـليـم رضي الله عنها

وحديثنا في هذا الفصل عن المرأة المؤمنة المجاهدة الداعية أم سُليم رضي الله عنها وعن أسرتها الكريمة .. لقد كان بيتها بيت التقوى والوفاء والودّ والصبر والحكمة والسكن والقناعة والرحمة .. وهذه دعائم البيت السعيد المسلم التي يقوم عليها.

كانت أم سُليم رضي الله عنها - في صباها في الجاهلية – فتاة من فتيات آل النجّار، تمتلئ أنوثة ورشاقة وجمالاً، وتزينها رزذذانة وحصافة وسداد رأي، وكانت تتحلى بالخلق الزكي والطبع الرضي.

كانت أسرتها الفاضلة تضم أبـًا من أفاضل آل النجّار، وأمـًا من كرام آل النجّار أيضـًا، وولدين ذكرين هما سُليم وحرام، وفتاتين هما أم سُليم وأم حرام.

وكان الاقتران بالفتـاة الجميلة الحصيفة أم سُليم أملاً يراود عدداً من شباب يثرب، وقد فـاز بهذه الأمنية مالك بن النضر في الجاهلية، فعاش عيشة سعيدة، وولدت له أنسـًا في الجاهلية.

ثم أسلمت وكانت من السابقين إلى الإسلام من الأنصار .. ولما علم زوجها بإسلامها خاصمهما في ذلك، وغضب وثار، وهاج وماج.. وطلب إليها العودة إلى ما كانت عليه .. فأفهمته أنّ الإسلام عندها قضية حياة، فهي لا تستطيع أن تحيـا إلّا مسلمة، وتكره أن تعود إلى الكفر بعد أن أنقذها الله منه كما تكره أن تلقى في النـار ..

لقـد ذاقت حـلاوة الإيمان، فما كان لها أن تعـدل بهذه الحلاوة شيئـًا آخر.. ثم خرج زوجها مالك بن النضر مغاضبـًا وغـادر المدينـة إلى الشـام ومات بها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعاشت أم سُليم مع ابنها أنس معتزةً بدينها الجديد، ملتزمة أحكامه، داعية إليه ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .. وتقدم لخطبتها أبو طلحة[١] قبل أن يُسلم.

فقالت: لا أتزوج حتّى يبلغ أنس ويجلس في المجالس ويقول: جزى الله عني أمي خيراً لقد أحسنت ولايتي.

فقال لها أبو طلحة: هذا أنس قد جلس في المجالس وتكلم بالذي تحبين.

فقالت له أم سُليم: إنّي قد آمنت بمحمّد وشهدت أنه رسول الله، وأنت مشرك، فليس هناك سبيلٌ إلى قبولي بك زوجًا وأنت كافر.

وألحّ أبو طلحة في الطلب .. وقابلت طلبه بالرفض، ثم قالت: يا أبا طلحة ألست تعلم أنّ إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟

قال: بلى.

قالت: أفلا تستحيي أن تعبد شجرة؟ إني أدعوك يا أبا طلحة إلى الإسلام فإن أسلمت فإني لا أريد منك صداقًا غيره.

قال: دعيني حتى أنظر في أمري.

وذهب أبو طلحة يفكر مليًا فيما قالت أم سُليم. وانتهى بعد أيام إلى الدخول في الإسلام، فحاز بذلك خيري الدنيا والآخرة.

ثم جاء إلى أم سُليم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فقالت أم سُليم: يا أنس زوّج أبا طلحة .. فزوجها من أبي طلحة، وكان صداقها الإسلام.

وعاشت أم سُليم مع أبي طلحة حياة ملؤها السعادة والتزام الدين الذي يضمن للزوجين الحياة الهادئة الهنيئة السعيدة.

---

(١) وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي النجاري. (فتح الباري ٧/ ١٢٨).

وكانت أم سُليم مثال الزوجة الصالحة، تقوم بحقوق الزوج أحسن قيام، وترضى بالقليل، كانت ذات نصح صادق، وطاعة للزوج بالمعروف. كانت تذكره بالله بلسانها، وتدعوه إلى التزام الشرع بسلوكها، وتحضه على الصبر في مواجهة مصائب الدنيا، وعلى التسليم بقضاء الله وقدره، وكان بينهما تعاون بناء، وتجاوب مستمر.

وأكرم الله هذين الزوجين بولد ذكر، ففرحا لقدومه واحتفيا به احتفاءً كبيراً وسمياه أبا عمير، وكان قرة عين لهما، يأنسان به وبحركاته، واتخذ الطفل طائرا يلعب به، وبعد حين مات الطائر فحزن الطفل عليه وصار يبكي أحر البكاء، فواساه الرسول ﷺ مداعبًا قائلاً: «يا أبا عمير. ما فعل النُغير؟». يريد ملاطفته ومؤانسته.

ومرض أبو عمير، فدخل على الأسرة غمٌّ كبير، وأصبح الاهتمام به وتمريضه شغل الأبوين المتعلقين بالطفل الجميل المحبوب .. وكان أبوه إذا عاد من السوق بعد غيبة يسيرة يواجه أهل الدار بعد السلام سائلاً عن صحة ابنه أول ما يدخل، ولا يطمئن حتى يراه .. وخرج أبو طلحة مرة إلى المسجد، فقبض الصبي .. وتلقت أمُّه الرؤوم والمربية الفاضلة الحادث الأليم بنفس راضية، وسجّته في فراشه. وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون. وقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه.

فلما رجع أبو طلحة سارع إلى سؤاله المعتاد: ما فعل ابني؟ وسكت أهل الدار وفقًا لوصية أم سُليم، وبادرت هي فقالت: هو أسكن ما كان.

فظن أنه عُوفي، وفرح لسكونه وراحته، واسترساله في نوم هادئ عميق ولم يدنُ منه لئلا يعكر عليه سكونه.

ثم قرّبت إليه عشاء فأكل وشرب، ثم تصنّعت له أحسن ما كانت تصنّع قبل ذلك، ولبست أجمل ثيابها، وتزينت أكمل الزينة، وتطيبت، وأويا إلى غرفتهما،

ووقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، وهدأت نفسه على ولده حمدت الله على أنها لم تفجعه ولم تروّعه، وتركته ليغط في نوم عميق، فلما كان من آخر الليل وصحا قالت: يا أبا طلحة. أرأيت لو أن قومًا أعاروا آنيتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم .. ألهم أن يمنعوهم؟

قال :لا.

قالت: فما تقول إذا شقّ عليهم أن تُطلب هذه العاريّة منهم بعد أن انتفعوا منها؟

قال: ما أنصفوا.

قالت: فإنّ ابنك فلانًا كان عاريّةً من الله فقبضه، فاحتسب ابنك.

فلم يستطع أبو طلحة أن يتمالك أعصابه وهو من الأشدّاء الأبطال المعروفين، وكاد الحزن يخنقه على فقده قرة عينه .. وغضب وقال: تركتني حتى إذا تلطخت أخبرتني بابني.

فما زالت تذكّره وتصبّره حتى استرجع وحمد الله وهدأت نفسه.

ولمّا أصبح انطلق حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره بما كان. فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله في ليلتكما» وعاد أبو طلحة فجهّز الغلام وغَسَلَهُ وصلّى عليه ودفنه.

لقد كانت أم سُليم رضي الله عنها مثال الأم الثكلى الصابرة .. وحملت من ليلتها، واستبشرت هي وزوجها بدعاء رسول الله ﷺ لهما بالبركة .. ثم ولدت غلامًا فقالت أم سُليم: يا أنس. لا يرضعْه أحد، ولا يحنكْه أحد، حتى تغدو به على رسول الله ﷺ وأعطته تمرات.

قال أنس: فلما أصبح احتملتُه فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فأخذه النبي ﷺ وقال: «أمعه شيء؟». قلت: نعم، تمرات. فأخذها النبيّ ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه، فجعلها في فم الصبيّ، ثم حنّكه وسماه عبد الله.

وتدور الأيام، وتتحقق البركة التي دعا بها رسول الله ﷺ لهذا الوليد. قال رجل من الأنصار: لقد رأيت تسعة أولاد من أولاد عبد الله هذا كلهم قد قرؤوا القرآن.

لقد كانت الصحابية الجليلة أم سُليم رضي الله عنها ربة بيت، وعمدة أسرة، في زواجها الأول من مالك بن النضر، وموقِفها الحاسم من محاولته صدّها عن سبيل الله، ثم ذهابه مغاضبًا لها من المدينة إلى الشام وموته هناك.

وفي زواجها الثاني وموقفها العظيم من طلب الزواج من مشرك، وكونها سببًا في إسلام زوجها أبي طلحة وفي موقفها الأسري في رعايتها لزوجها والاهتمام به وإسعاده.

حقًا .. لقد كانت جديرة بأن تكون قدوة وأسوة لنساء المسلمين جميعًا.

وأود أن أحدثكن عن جوانب أخرى في حياتها المباركة.

- من هذه الجوانب شجاعتها ومشاركتها في بعض الغزوات:

خرج رسول الله ﷺ في غزوة حنين، وخرج معه المسلمون يجاهدون في سبيل الله وينشرون دين الله، وكان فيمن خرج أبو طلحة مصطحبًا زوجه أم سُليم، فشهدت حنينًا، ورأت زوجها يبلي البلاء الحسن، فقرت عينها بذاك.

وعاد الجيش مظفراً منتصراً بقيادة رسول الله ﷺ بعد أن أخذ درسًا في هذه الغزوة، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].

ولقد كان لأم سُليم يوم حنين موقف بطولي عظيم، فهي لم تذهب لمرافقة زوجها فقط ولكنها ذهبت وهي حبلى في الشهر الأخير .. ذهبت لتقر عينها برؤية جند الله منتصرين، ورؤية كلمة الله مرتفعة عُليا، ولتذكي نار الحماسة في صدور المؤمنين وقد كانت مستعدة للدفاع عن نفسها، ومواجهة من يتعرض لها.

فقد أخرج مسلم في صحيحه وابن سعد في الطبقات بسند صحيح أن أم سُليم اتخذت خنجراً يوم حنين.

فقال أبو طلحة: يا رسول الله. هذه أم سُليم معها خنجر.

فقالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك.

وعندما دنا الجيش من المدينة عسكر رسول الله ﷺ، لأنه ﷺ كان إذا أتى المدينة من سفر لا يطرق أهله ليلاً.

وهناك .. عندما انبلج الفجر ضربها المخاض، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ بالجيش.

فحزّ في نفس أبي طلحة ألّا يفوز بشرف مرافقة رسول الله ﷺ في دخوله المدينة فقال يناجي ربه: (إنك تعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسول الله ﷺ إذا خرج، وأدخل معه إذا دخل. وقد احتبست بما ترى).

فتقول أم سُليم: يا أبا طلحة. ما أجد الذي كنت أجد من المخاض. قم فانطلق.

فانطلق مع رسول الله ﷺ ولم يفته شرف الصحبة، وعاد معه كما خرج معه، وعندما قدما المدينة واستقرا في بيتهما ضربها المخاض من جديد .. فولدت

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غلاما. وتمت الفرحة الكبرى لهذه الأسرة: عودة من الجهاد مع الرسول الله ﷺ ومولود ذكر. ويوم حنين كان يومًا مشهوداً للأنصار.

ولم تكن هذه الغزوة هي الغزوة الوحيدة التي شاركت فيها أم سُليم رضي الله عنها بل روى مسلم في صحيحه وغيره عن أنس قال: (كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سُليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا فيسقين الماء ويداوين الجرحى).[1]

وقال أنس فيما يرويه البخاري: (ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سُليم، وإنهما لمشمرتان أرى خلخال سوقهما تنقزان القرب على متونهما، تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم).[2]

وفي أول هذا الحديث يذكر أنس شجاعة أبي طلحة وتفوقه في الرماية يقول: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّبٌ به عليه محجفة له (أي: مترس عليه يقيه بها، ويقال للترس جوبه والحجفة: الترس) وكان أبو طلحة رجلاً راميًا شديد القِدّ (أي شديد وتر القوس) يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثة، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة. فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم. فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي. لا تشرف، يصيبك سهم من سهام القوم. نحري دون نحرك.

ومن هذه الجوانب موقفها التربوي الرائع. وذلك أنه لما جاء النبيّ ﷺ المدينة أخذت بيد أنس وأتت به رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله. هذا أنس ابني، يخدمك، وهو غلام كاتب. وكان حينئذ ابن عشر سنين.

---

(١) شرح مسلم ١٢/ ١٨٨.

(٢) رواه البخاري (٣٨١١).

فخدم انس النبي ﷺ منذ قدم المدينة حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى، واشتهر أنس بخادم النبي ﷺ. وما أعظمه من لقب!!

لقد أتاحت أم سُليم لابنها أن يكون في أعظم مدرسة عرفتها الدنيا، في مدرسة النبوة، فضمنت له عزّ الدنيا، لأنه كان من أكبر علماء الصحابة ومن أكثرهم رواية لحديث النبي ﷺ. وضمنت له الفوز بصحبة رسول الله ﷺ ترجو له النجاة يوم القيامة.

وقد ذهبت أم سُليم مرة إلى النبيّ ﷺ فقالت: يا رسول الله. خويدمك أنس أدع الله له.

فقال ﷺ: «اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر ذنبه».

قال أنس: لقد دفنت من صلبي مائة غير اثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة، وأنا أرجو الرابعة.

إنها التربية الفاضلة الصادرة عن بعد نظر وحنان وحرص على الخير.

قال أنس : فخدمته في السفر والحضر. والله ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعت هذا هكذا. ولا لشيء لم اصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟

ومن الجوانب التي تميزت بها هذه السيدة الفاضلة سداد الرأي وبُعْد النظر، يدل على ذلك أخبار عدة في حياتها المباركة:

فلقد آثرت – بعد وفاة زوجها مالك بن النضر- أن تبقى إلى جانب ابنها أنس ترعاه وتربيه، وأبت أن تتزوج حتى يبلغ أنس، ويجلس بين الرجال في مجالسهم، ويثني على أمه وولايتها عليه وتربيتها له .. إنه عندئذ سيرفع من ذكرها، وسيسعدها في مشاركته لها في العقيدة والسلوك .. وهذا ما حصل .. فلقد أصبح أنس رضي الله عنه من كبار العلماء ومن كرام الرجال ومن كبار الصالحين .. وصلاحه يعود عليها بالأجر الوفير؛ لأنّ رسول الله ﷺ يقول: «من دلّ على خير فله مثل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أجر فاعله».[١] ويقول «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».[٢]

ويقول: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».[٣]

وقد مرّ بنا أنها طلبت من رسول الله ﷺ أن يقبَل ولدها أنسًا خادمًا له فحظيت هي وابنها بهذا الشرف العظيم.

ومن سداد رأيها موقفها يوم أن استضاف زوجها أبو طلحة الرسول ﷺ فقبل دعوته وقال ﷺ لمن معه وهم جمع غفير: «قوموا» فخشي أبو طلحة ألا يكفي الطعام وداخله هم وغم، فهدأت من روع زوجها وقالت: الله ورسوله أعلم. وإليكنّ الحديث كما رواه البخاري ومسلم: عن أنس بن مالك قال: جئت رسول الله يومًا فوجدته جالسًا مع أصحابه يحدثهم، وقد عصّب بطنه بعصابة على حجر. فقلت لبعض أصحابه: لم عصّب رسول الله بطنه؟ قالوا: من الجوع.

فذهبت إلى أبي طلحة - وهو زوج أم سُليم بنت ملحان – فقلت: يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ عصّب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه. فقالوا: من الجوع.

---

(١) رواه مسلم (١٨٩٣)، وأحمد ٤/ ١٢٠، وأبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧١) عن أبي مسعود.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٤)، وأحمد ٢/ ٣٩٧، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤)، وابن ماجه (٢٠٦) عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم (١٦٣١)، والبخاري في الأدب المفرد برقم: ٣٨ عن أبي هريرة.

فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء؟

فقالت: نعم، عندي كِسَرٌ من خبز وتمراتٌ، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قلّ عنهم.

وفي رواية أن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سُليم: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع. فهل عندك من شيء؟

فقالت: نعم، وأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها، فلفّت الخبز ببعضه، ثم دسّته تحت ثوبي، وردّتني ببعضه (أي: جعلت بعضه رداءً على رأسي) ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ.

قال: فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد، ومعه الناس. فقمت عليهم.

فقال رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟».

قلت: نعم.

فقال: «ألطعام؟».

فقلت: نعم.

فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا».

قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته.

فقال أبو طلحة: يا أم سُليم ! قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم.

فقالت: الله ورسوله أعلم.

قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ.

وفي رواية: فقام أبو طلحة على الباب حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ! إنما كان شيء يسير.

قال: «هلمّه فإن الله سيجعل فيه البركة».

فأقبل رسول الله معه حتى دخلا. فقال رسول الله ﷺ: «هلمي ما عندك يا أم سُليم». فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتّ، وعصرت عليه أم سُليم عُكَّةً لها، فأَدَمَتْهُ (أي: جعلت فيه إداماً). ثم قال رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول.

وفي رواية: فمسّها رسول الله ﷺ ودعا فيها بالبركة.

وفي رواية: فوضع النبي يده وسمّى عليه. ثم قال: «ائذن لعشرة». فأذن لهم، فدخلوا، فقال: «كلوا وسموا الله». فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال: «ائذن لعشرة». فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال: «ائذن لعشرة» حتى أكل القوم وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون.

وفي رواية: ثم هيأها فإذا هي مثلها حين أكلوا منها. ثم أكل النبيّ ﷺ بعد ذلك وأهل البيت، وتركوا سؤراً، وأفضلوا ما أبلغوا جيرانهم.(١)

إنّ بيت أم سُليم بيت زهد وكرم، أما الزهد فيدل عليه أنه لم يكن عندها إلّا خبز شعيرٍ وعُكَّةُ سمنٍ .. وهذا كل الذي عندها .. وأما الكرم فإن هذا البيت الكريم لم تقعد به القلة عن دعوة الرسول ﷺ.

وهذا الحديث يقدم لنا صورة للمرأة المسلمة العاقلة الواعية المؤمنة..

فأم سُليم لم تفاجأ بهذا العدد الكبير الذي جاء مع الرسول ﷺ، بل هدأت زوجها الذي رُوّع وخشي الفضيحة، وقالت له: ما دام رسول الله هو الذي جاء بهم فهو أعلم بالمصلحة التي ستتحقق.

---

(١) وهذه الرواية مجموعة من روايات أوردها الشيخان في صحيحيهما.

إنه موقف يدل على عقل راجح، وإيمان عميق، وحبّ صادق للنبي ﷺ ، وكرم أصيل.

إننـا – ونحن في صدد الحديث عن دور المرأة في بنـاء الأمـة – بحاجة إلى أن نعمل على إعادة هذه القيم وأمثالها التي وجدناها في سيرة أم سُليم رضي الله عنها إلى بيوتنا ومجتمعاتنا .. وأحسب أن للواعيات الداعيات منكن المجال الأرحب في ذلك فعلى بركة الله .. وفقنا الله وإياكنّ إلى ما يرضيه.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوعي بما يحيكه الأعداء

إنّ من عوامل بناء الأمة بناءَ فكرها، وتوعيتَها بواقعها، وتبصيرها بمواطن في فكرها ونفوسها وتصرفاتها .. إنه واجب على القادر من الرجال والنساء .. فلا بُدّ أن نَعرِفَ و نُعرّف من حولنا بمكر الماكرين لنا ولديناً ونحذر من المخاطر الفكرية التي قد يلبّس الماكرون على أبنائنا حقيقتها.

إنّ من شروط الإيمان بالله أن يكفر المسلم بالطاغوت. يقول الله ﷻ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وكلمة التوحيد تتضمن الإقرار بأنه لا معبود بحق إلا الله، فتقدم النفي على الإثبات. والعلماء كانوا يقولون: التخلية قبل التحلية.

ولقد نصر الله هذه الأمة عندما انخلعت من الجاهلية بكل جوانبها، وكفرت بالطاغوت، وآمنت بالله، واستقامت على هذا الإيمان اعتقاداً وعملاً، فدانت لها الدنيا، وقادت العالم إلى الهدى والفلاح، والعدالة والسعادة .

وإنَّ أعداء الله من الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والملاحدة أفزعهم هذا النصر الذي كان لأمة الإسلام، فقاتلوا جند الله .. وباؤوا بالاخفاق والهزيمة والعار مرة بعد مرة .. ولكنهم لم يلقوا سلاحهم ولم يتركوا محاولاتهم في مواجهة المؤمنين بالمكر والقتال .. كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فجهزوا الجيوش الجرّارة، وجاؤوا من مختلف أنحاء أوربا يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم وأيديهم، فكانت الحروب الصليبية التي امتدت قرنين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الزمان، فأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، وأهلكوا الحرث والنسل، ولكن كيدهم كان في ضلال، والله تبارك تعالى موهن كيد الكافرين، وذلك عندما يكون للحق حملة مؤمنون يحملون الحق بصدق .. ومن سنن الله أنه عندما يتميز المعسكران: معسكر الإيمان، ومعسكر الكفر يأتي نصر الله المؤزر العزيز. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

أجل .. لما عادت الأمّة إلى دينها واستمسكت به هيّأ الله لها القائدين المظفرين نور الدين وصلاح الدين، فنهضا بالأمّة .. وأخرجا المعتدين من ديار المسلمين. ولكن أعداء الله لم يكفّوا عن مواجهة هذه الأمة والكيد لها، فحرّضوا التتار والمغول على الهجوم على المسلمين، فتعرضت من جديد إلى حرب ضروس وتقتيل وتدمير. ولكن المسلمين نهضوا مرة أخرى وهزموا التتار في عدة معارك في عين جالوت وشقحب وغيرهما ولله الحمد والمنة.

ومن المفيد الممتع أن أورد لكم ما قاله العلامة الأستاذ محمود محمد شاكر عن حقيقة الحروب الصليبية. قال رحمه الله[1]:

[الحروب الصليبية التي بدأت سنة ٤٨٩هـ أي بعد ستة قرون من سقوط الامبراطورية الرومانية، في خلالها كان الإسلام قد ظهر بدينه وثقافته وغلب على رُقعة ممتدَّة من حدود الهند إلى أقصى الأندلس، إلى قلب أفريقيا، وأنشأ حضارة نبيلة متماسكة كاملة، بعد أن ردّ النصرانية وأخرجها من الأرض، وحصرها في الرقعة الشمالية التي فيها هذا الهمج الهامج الذي كان يعيش فيما يعرف اليوم باسم أوربا، وظلّ الصراع مشتعلاً مدَّة خمسة قرون بين النصرانية المحصورة في الشمال وبين الإسلام الذي يتاخمها جنوباً، ولكن جيوش

(١) رسالة "في الطريق إلى ثقافتنا" ص ٣٥ وما بعدها.

النصرانية لم تستطع أن تفعل شيئًا يذكر، مع تطاول الأمر. وتدبَّرَ الأمر قادة النصرانية، وهم رجال الكنيسة وملوك الإقطاع، وداخلتهم الخشية، وخافوا أن يفضي الأمر إلى زوال سلطان النصرانية عن جنوب أوربا، كما زال بالأمس عن الأندلس، فرأوا أن يتجهوا إلى الشمال، ليُدخلوا في النصرانية هذا الهمج الهامج الذي لا دين له يجمعه، ليكون بعد قليل مدداً لجيوش جرارة تطبق على ثغور الإسلام وعواصمه في الشام ومصر. انطلق الرهبان يجوبون شمال أوربا ليُعدوا أهلها إعداد عظيماً لخوض المعركة العظمى بين الإسلام والنصرانية، وكان جزءاً من هذا الإعداد: تبشيعُ الإسلام في عيونهم، وأن أهل الإسلام وثنيون، فلم يتركوا بابًا من الكذب والتمويه والبشاعة إلا دخلوه، ليقروا معانيه في قرارة نفوسهم .. وبدأت الحرب الصليبية، واكتسحت ثغور الإسلام وعواصمه الشمالية تسفح الدماء المسلمة، واستمرت قائمة قرنين كاملين .. ولكنّها انتهت بالإخفاق وباليأس من حرب السلاح ..

وقضى الله قضاءه في السابعَ عشرَ من جمادى الآخرة سنة ٦٩٠ للهجرة وسقط آخر حصن كان للصليبين في الشام، ورجعت آخر فلول الحملات الصليبية إلى موطنها متهالكة بائسة مستخزية صُفر الوجوه من الخزي والعار، وفي قلوبها حسرة قاتلة على ما خرج من أيديها من متاع الدنيا وبهجتها و زخرفها].

ورأى الكفرة أن كيدهم قد رُدَّ إلى نحورهم، وأن موجات التتار التي كانوا يأملون أن تثأر لهزيمتهم أخفقت في أن تحقق مطلوبهم .. استأنفوا الحرب ولكن بطريقة أخرى بطريقة الفكر والثقافة.

فجاؤوا لبلاد المسلمين مستعرين بقوة السلاح .. ومعهم مناهج التعليم وفيها السمّ الناقع .. وما زالوا يمكرون بنا حتى استطاعوا أن ينتزعوا منا بالغزو الفكري شريحة من أبناء المسلمين يقولون بقولهم، وينشرون فكرهم حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أن يقول: (إنّ سبيل النهضة هي أن نسير سيرة

الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها، وما يعاب).[1]

فلننتبه ولنتيقظ ولنعمل على معرفة ما يخطط لنا. وهذه الأمور من المهمات التي ينبغي أن تقوم بها المرأة المسلمة المثقفة الواعية الداعية.

* * *

(١) "مستقبل الثقافة في مصر" لطـه حسين ص ٤١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العـزة الإسـلامية

يطيب لي أن أطرق هذا الموضوع في هذه الأيام العصيبة التي يتعرّض فيها المسلمون إلى أوضاع مؤلمة قاهرة، إذا يتعرضون إلى خسف وتنكيل من اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله. وفي المثل: (ولا يغلبك مثل مُغلَّب). بعد أن تعرضوا إلى مثل ذلك من النصارى في البوسنة وكسوفا والشيشان. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

العـزة أمرٌ كتبه الله للمسلمين، والعزة بيـد الله سبحانه، يُعزُّ من يشاء ويُـذلُّ من يشـاء.

لقد كتب الله العزة للمسلمين كما قال تباركت أسماؤه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. وقرّر سبحانه أنّ المسلمين إنْ آمنوا وعملوا الصالحات وأخلصوا دينهم لله هم الأعلون وسيمكّنُ لهم في الأرض كما قال عزّ من قائل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وهذا الوعد تحقّق في دنيا الواقع عندما تحققت الشروط التي أشرنا إليها وهي: إيمان بالله، وعمل صالح وإخلاص في العبادة.

إنَّ المسلمين هـم الأعلون ولو كانوا منهزمين في معركة، لأنّ الهزيمة مرحلة مؤقتة، ولا بُدَّ لهم من مجاوزتها. فقد نزل بعد غزوة أحـد قوله تعـالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤٠].

فما وهن المسلمون وما ضعفوا وما استكانوا، بل ظلُّوا يشعرون بهذه العزّة ما

داموا مستمسكين بإيمانهم مستقيمين عليه. وهم مع عزتهم على الكفار رحماء متواضعون مع المؤمنين، رحمة تكاد تصل إلى درجة الذل. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

إنَّ أُمَّة الإسلام هي خير أُمَّة أخرجت للناس؛ لأنها حاملة لأعظم رسالة، ولأنها كانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهذا المعنى يُنمِّي شعور المسلم بالعزّة، ومن هنا حرّم الإسلام على أتباعه التشبه بالكافرين. فقد قال رسول الله ﷺ: «مَنّ تشبَّه بقوم فهو منهم»؛ لأنّ الضعيف هو الذي يقلد القوي .. فالمؤمن قويٌّ بإيمانه في كل حين. أما القوة المادية فقد تحضر وقد تغيب كما قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقد سلك الإسلام بأتباعه السبل التي تؤدي بهم إلى العزَّة:

١- جعل الإسلام الميزان الذي يقوّم به الإنسان العقيدة والعمل الصالح، وجعل التفاضل بالتقوى. ولما كانت العقيدة الإسلامية هي الحق كان المؤمن بالإسلام هو الذي على الهدى ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

لقد سما الدين الحقّ بالمسلم إلى مستوى كريم يعصم العقل من الضلال والسخف، والسلوك من الانحراف والشر، وحرّره من كل ألوان العبودية التي يرسف بها كثير من الناس .. ولذا كان فوق الكفار، وحُقَّ له أنْ يرى نفسه كذلك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- وقرر الإسلام أن هـذه الدنيا فانية، وأن الآخرة خير وأبقى، فإذا عرف المؤمن أنه هو الفائز يوم القيامة شعر بهذا التفوق والتميز عن الكافرين. قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٣- وأكرم الله المسلم بشريعة توفّر له طمأنينة النفس، وتحقّق له السعادة، فهو راض بما قدّر الله له، وهو ملتزم بأحكام الشريعة العادلة التي تأمره بالعدل في القول والعمل والحكم حتى مع الأعداء.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ولذا فهو يشعر من أعماق نفسه بالعزة على الكافرين.

إنّ هذه السبل العملية تنتهي بالمسلم إلى أن يكون دائمًا شاعراً بالعزة التي كتبها الله له.

وقد وعى هذه الحقيقة السلف الصالح، فألقوا بالعصبية القبلية التي كان يقوم عليها المجتمع الجاهلي وراء ظهورهم حتى قال قائلهم:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

والشواهد على هذا المعنى كثيرة وأكتفي بالإشارة إلى بعضها:

فمن تلك الشواهد وفادة ربعي بن عامر على قائد الفرس، إذ أرسله سعد قبل القادسية للقاء رستم، فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والسجاد الفاخر، وأظهروا اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقه وسيف وترس، وفرس

قصيرة .. تم نزل وربطها ببعض الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه، وبيضته على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك.

فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلاّ رجعت.

فقال رستم: ائذنوا له. فقالوا له: ما جاء بكم؟

فقال: الله ابتعتنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم، فمن قبل ذلك منا قبلنا منه ورجعنا عنه، ومَن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله.

قالوا: وما موعود الله؟

قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.[1]

ومن تلك الشواهد قصة عثمان بن مظعون ﷺ في ردّ جوار الوليد.

فقد روى ابن إسحاق[2] بسنده قال: لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال: والله إنّ غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله مالا يصيبني، لنقص كبير في نفسي. فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمّتك، قد رددتُ إليك جوارك. فقال له: لم يا بن أخي؟ لعلّه آذاك أحد من قومي.

قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية.

---

(١) "البداية والنهاية" لابن كثير، وانظر "إلى الإسلام من جديد" في مقالة إلى ممثلي البلاد الإسلامية.

(٢) "سيرة ابن هشام" ٢/ ٩ – ١٠.

فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يردّ عليّ جواري.

قال: صدق، قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكنّي قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره.

ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة في مجلس من قريش ينشدهم، فجلس عثمان معهم، فقال لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

قال عثمان: صدقت.

قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل.

قال عثمان: كذبت، نعيم الجنّة لا يزول.

قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش. والله ما كان يؤذّى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟

فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدنّ في نفسك من قوله. فردّ عليه عثمان حتى شَرِيَ[1] أمرهما.

فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضَّرها. والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يابن أخي إن كانت عينك عمّا أصابها لغنية، لقد كنت في ذمّة منيعة.

فقال عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، و إني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس.

فقال له الوليد: هلُمَّ يا بن أخي، إن شئتَ فعد إلى جوارك.

فقال: لا.[2]

---

(١) أي: زاد وعظم.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٩-١٠.

لقد كان عثمان ينظر إلى هؤلاء المشركين نظرة إشفاق عليهم، وأحسَّ في أعماقه أنه بمثابة الأستاذ لهم، عليه أن يصحّح نظرتهم ويدلّهم على السبيل السويّ ورأى أنهم جميعًا – في نظره – يحتاجون إليه احتياج المريض إلى الطبيب، فقام يصدع بالحق الذي يراه وآمن به معتزاً به، ولم يرضَ لهم أن يسمعوا فكرة مغلوطة فقال كلمته وتعرّض للأذى من قبل المشركين، واستعذب ما لقي من الأذى دون أن يرى في ذلك إهانة له .. لأنهم لا يملكون أن ينالوا من العزة التي غرستها في قلبه عقيدة الإسلام.

وهناك شواهد كثيرة تدل على تمثل المسلم للعزة التي أرادها الله له.

وأهم مظاهر العزة الإسلامية ما يأتي:

١- الاعتزاز بالإسلام عقيدة وشريعة وخُلُقا، والاعتقاد أنّه الدين الحق، والصدع بذلك في أي ظرف من الظروف.

٢- الثبات على الحق أمام الغزو الفكري الذي يريد أن يزحزح المسلمين عن دينهم بغيًا وعدوانًا.

٣- تأييد المؤمنين أينما كانوا والدفاع عنهم بكل وسيلة ممكنة.

٤- نبذ كل ما يمكن أن يعتز به الآخرون من مالٍ أونسبٍ أو وطنٍ أو فكرٍ أو شعاراتٍ غير إسلامية.

٥- الاحتفاظ بهذه العزة الإسلامية وبالشعور بها ولو في أشدّ حالات الضعف والتخلّف.

٦- ألاّ يغترّ المسلم بما يكون في حياة الكفرة من المال الوفير، والقوة الهائلة، والمخترعات الضخمة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠]. وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

تلك أهم مظاهر العزة الإسلامية، وإذا توافرت في أفراد الأمة عادت بأعظم النتائج على الفرد والمجتمع. وسأذكر أهم هذه النتائج:

١- من نتائج قيام هذه العزة الإسلامية في نفس الفرد الباحث الموهوب أنها تعينه على الوصول إلى حقائق الدين الأصيلة، وتجعله يتصوّر الإسلام تصوراً سليماً .

٢- ومن نتائج قيام هذه العزة الإسلامية في المجتمع المتخلّف أنّها تعينه على النهوض والتخلّص من التخلّف، ذلك لأن اعتقاد الأمة بأنها عزيزة بالإسلام فخورة بماضيها المشرق سيحملها على الموازنة بين مقتضى هذه العزّة وبين واقعها المتخلف المؤلم، وسيدفعها إلى اليقظة والعمل المجدي والنهضة.

٣- ومن نتائج قيام العزة في النفس أنها تحفظ على المسلم ذاته وكيانه فلا يذوب في كيان الكفار الأقوياء.

٤- ومن نتائجها تصحيح القيم المنحرفة التي قد تظهر بين الناس بسبب الهزيمة الداخلية التي تحملهم على ليّ النصوص الشرعية والتمحل في تأويلها وصرفها عن معناها الأصلي، محاولة منهم لاسترضاء الكفار وما هم ببالغي رضاهم. إن المسلم الذي يشعر بالعزة الإسلامية يقول ما يقرره دينه رضي الناس أو سخطوا.

٥- الشعور بالعزة الإسلامية يجعل المسلم أكبر من أكبر قوة في الأرض، ويجعله شجاعاً مقداماً يقول الحق لا تأخذه في الله لومة لائم.

٦- الشعور بالعزة الإسلامية يصون المسلم من أن يتهاون بشأن كرامته فلا يبذل ماء وجهه من أجل عرض من أعراض الدنيا كبر أو صغر. بل يكون

راضياً قانعاً بما آتاه الله. يعيش قول الرسول العظيم ﷺ: «ليس الغني عن كثرة العرض، ولكنّ الغنى غنى النفس».[١] متفق عليه.

وأخيراً فإنَّ العزة الإسلامية تنطلق من عبودية المسلم لله وحده ومن تبنيه لعقيدة التوحيد .. فالمسلم عزيز حاكماً ومحكوماً .. منتصراً ومنهزماً .. فقيراً أو غنياً .. مقيماً في أرض الإسلام أم في ديار الكفر.

من الأمور التي لا بَّد من توافرها في الداعيات العاملات في بناء الأمّة أن يعرفن واقع أمتهنّ معرفة دقيقة .. أن يعرفن هذا الواقع من كل جوانبه: بجانبه المشرق، وجانبه المؤلم، الأبيض والأسود، ولا يجوز أن تقتصر معرفتكنّ على الإيجابيات دون السلبيات في هذا الواقع، أو على السلبيات فيه دون الإيجابيات؛ لأن الاقتصار على معرفة الجانب الإيجابي يدعو إلى الكسل والتراخي، والاقتصار على معرفة الجانب السلبي فقط قد يقود إلى الإحباط واليأس والقعود.

لا ننكر أن في هذه الأمة الإسلامية خيراً كثيراً وسيبقى هذا الخير إلى يوم القيامة كما قال سيدنا رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». أخرجه مسلم والترمذي وغيرها عن ثوبان. وأخرج نحوه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه وأبو داود والحاكم و ابن حبان عن عدد من الصحابة.[٢]

ولكن هناك إلى جانب هذه الطائفة طائفة تشن حرباً شرسة على الإسلام والمسلمين يقودها أعداء الله الذين ما زالوا يكيدون ويخططون ويحاربون.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) "صحيح الجامع الصغير" بالأرقام من٧٢٨٧ إلى ٧٢٩٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغـزو الفكري

لقـد تعـاونت القـوى الشـريرة الثـلاث وهي: الاسـتعمار والتبشـير والاستشراق على الكيد لهذه الأمة ولدينها.

ولا بُـدَّ للأخـوات الداعيات الراغبات في بنـاء أمتهن على الإسلام من أن يدرسن بعمق مراحل كيد هذه القوى، التي غزت المسلمين من زمن بعيد وما زالت تغزوهم. غزتهم غزواً مخططًا مدروسًا، وقد تجلّى هذا الغزو في مظاهر عدة عسكرية وفكرية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية. ومن أخطر هذه المظاهر المظهر الفكري.

وقـد أحسـن أحـد الكتـاب المعاصرين عنـدما قـال[1]:

[إنّ الشرق الإسلامي كلّه منذ غفا غفوته الثقيلة الطويلة، فانقطع عن صدر الزمن، لم يرد أن يبصر بعينيه، ولا أن يسير على قدميه، ولا أن يعلم أنّ له تاريخًا ممتازاً، ووجوداً مستقلاً، وطابعًا خاصًا، ووحدة كاملة، ومدنية أصيلة. وإنما ذهَبَ يتحسّس من طريقه على نداء الصائد، ويتوكأ في سيره على عمود الشَرَك، ويطمس على شخصه بالفناء في الغرب، كأنّ أهله لم يكفهم أن يكونوا عبيداً لأوربـا بالجسم عن قوة وقهر، فرضوا أن يكونوا عبيداً لها بالروح عن رضا وطواعية، فهم يتكلمون بلغتها، ويتأدبون بأدبها، و يتَّسمون بسمتها، ويتخلقون بخلقها، ويطبعون أذواقهم بالكره على غرار ذوقها، ويغالطون طباعهم في أصل الفطرة، فيزعمون لعقولهم أنّ النفس المتمدنة لا يلائمها إلا ما يلائم الأوربي من أدبـه ورقصه وغنائـه وموسيقاه، كـأن المسافة

بين الشرق والغرب لا تحدث فرقـا، ولا تغيرّ خَلْقـا، ولا تبدل طبيعة.

---

(١) هو أحمد حسن الزيات في مقالة له بعنوان الثقافه المذبذبة انظرها في "وحي الرسالة" ١/ ١٧٨ – ١٧٩.

إنّ الاستعباد الماديّ دهمنا أمس على يد الآباء، والاستعباد الأدبي يدهمنا اليوم على يد الأبناء.

وشتان بين استعباد كان عن اضطرار وجهل، واستعباد يكون عن اختيار وعلم.

والعبودية العقلية أشدّ خطراً، وأسوأ أثراً من العبودية الجسمية؛ لأنَّ هذه لا تتعدّى الأجسام والحطَام والعَرَض، ومثلها مثل الجسم يرجى شفاؤه متى عرف داؤه. أما تلك فحكمها حكم العقل إذا ذهب، والروح إذا زهق. وهيهات أن يرجى لمخبول شفاء أو ينتظر لمقتول رجعة].

لا بُدّ من مواجهة هذا الواقع مهما كان في نظر بعضنا شيئًا يسيراً هينًا وما هو باليسير ولا الهين. ولا بُدّ من العمل على درء انتشار هذه العبودية التي تُذهب أمتنا وتتهدد وجودها بالفناء.

لقد عمت في العالم الإسلامي منذ حين روح الوعي واليقظة والرجوع إلى الإسلام فبدأ الشباب والشابات يرجعون إلى الله، ويتعرفون على دين الله.

وشرعوا يشعرون بضرورة المحافظة على الهوية الإسلامية للمسلمين، وعلى أنهم من أمّة متميزة بعقيدتها وسلوكها، وأن طريق الخلاص هو الاستمساك بهذا الدين الذي أعزّ الله به آباءهم، وجعلهم يتسلقون سلم المجد إلى أعلى ذراه. ولكن هذا الوضع أقضّ مضجع أولئك الذين أصيبوا بالعبودية الفكرية، كما أقض مضجع أساتذتهم، فشرعوا يعملون على تشويه صورة هذه اليقظة، وإلصاق التهم بها ظنًا منهم أن هذا سيعمل على الحدّ منها وإيقافها.

وهنا تأتي مهمة الدعاة الصادقين والداعيات الصادقات .. تأتي مهمتهم في ترشيد هؤلاء المقبلين على الله، وتحذيرهم من أن يتصرفوا تصرفات متشنجة

ومتشددة غير صحيحة ولا مناسبة، فيعطوا بذلك أعداءهم الحجة على تشويه صورتهم ..

وتأتي مهمتهم في دعوة الأبناء والتلامذة والشباب والشابات إلى أنْ يتعلموا أمور دينهم، ويستزيدوا من هذا العلم، فإن كثيراً منهم يؤتى من قِبَل جهله.

وتأتي مهمتهم في كشف خطوات الغزو الفكري الرهيب ذلك لأنّ مجرد عرض حقيقة هذا الغزو بالأدلة الدامغة، والوثائق الثابتة تكفي صاحب الفطرة السليمة النقية أن يرجع إلى الحق.

ويجب أن نتذكر دائماً هذه الحقيقة البديهية وهي: أنّ من شأن العدو أن يكيد لنا، ويعمل على زحزحتنا عن ديننا، فإن لم يصل إلى بغيته عمل على إبادتنا. وقد أخبرنا ربُّنا أن هؤلاء الأعداء لن يكفوا عن التصدي لنا وقتالنا، فلنأخذ حذرنا توعيةً وإعداداً. قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]. اللهم ردّنا إلى دينك رداً جميلاً، وبصّرنا بمواطن الضعف في نفوسنا، وردّ كيد الكائدين. اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نماذج من المستشرقين

ذكرنا فيما سبق أن أعداءنا في كيد مستمر لنا ولديننا، وقد كان هذا شأنهم منذ أن ابتعث الله محمداً ﷺ برسالة الإسلام، وكلما لمسوا منا ضعفاً وإعراضاً عن الدين اتخذوا ذلك فرصة سانحة لتحقيق مقاصدهم الشريرة.

يجب أن نتذكر دائماً حقيقة بديهية وهي أنه لا ينتظر من هؤلاء أن يقدموا لنا خيراً، مهما أطلقوا من الشعارات الخدّاعة .. كيف يمكن أن يكون ذلك وهم ماضون في قتالنا حتّى يردّونا عن ديننا إن استطاعوا، ومن يتوقع منهم ذلك فهو مخطئ لا يدرك بديهيات الأمور، ولا يدرك الواقع الذي يعيش فيه. ومن هنا كانت آيات القرآن تدعونا إلى اليقظة والوعي والحذر يقول الله تباركت أسماؤه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١].

ويقول عزّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

لقد كان كيدهم في العصور المتأخرة شديداً لما لمسوا من ضعفنا وتقصيرنا، ووُجدَ فيهم فريق محضوا حياتهم لهذا الكيد، فكّروا وقدّروا وخططوا، وعملوا، عملاً متواصلاً لا يفترون، وأقام بعضهم في ديار الإسلام وتظاهروا بالإسلام، فدرسوا أحوال المسلمين عن كثب. أحوالهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، ثم عادوا إلى بلادهم ينقلون إلى رؤسائهم هذه الأحوال.

إنهم ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بالدأب والصبر والتخطيط. ومن المفيد أن أذكر بعض الأمثلة:

هذا قسيس هولندي يدعى (سنوك) ولد في هولاندا سنة ١٨٥٧م وأمضى دراسته الثانوية في بلده، ثم تعلم اللاتينية واليونانية تمهيداً لدراسة اللاهوت في جامعة ليدن، وتعلم العربية، وفي سنة ١٨٧٩م حصل على الدكتوراه برسالة عنوانها (موسم الحج في مكة) وانتهى من هذه الدراسة إلى القول بأن الحج هو بقية من بقايا الوثنية العربية. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]. وفي عام ١٨٨٤م قام برحلة الى الحجاز فأقام في جدة سبعة أشهر حتى هيأ الوسيلة التي تمكنه من دخول مكّة. واستطاع بعد ذلك أن يدخلها ووصل إلى مكّة تحت اسم مستعار هو (عبد الغفار). وأقام بمكة ستة أشهر ثم انكشف أمره فطرده القائمقام التركي، فقال للموظف الذي بلغه الأمر: إني أريد أن آخذ أمتعتي. فسأله كم عدد الجمال التي تحتاج إليها، فأجاب (سنوك): أربعة. فهُيئت له. وكانت ثمرة إقامته بمكة كتابه الرئيسي عن مكّة[1]

(١) نشرت جريدة المدينة في الملحق ٢٢ محرم ١٤١٨هـ أن كتاب المستشرق سنوك سوف تتم ترجمته بجزأيه الأول والثاني. وكانت ترجمة عربية للكتاب قد صدرت في عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) عن نادي مكة الثقافي الأدبي، وقام بهذه الترجمة محمد بن محمود الرياني ومعه معراج بن تواب مرزا، وراجعه د. محمد ابراهيم أحمد علي، وعنوان الكتاب "مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر".

الذي ملأه بأكاذيب معها حقائق،وعـاد إلى بلاده فعين مدرسـاً في الجامعة، ثم مستشاراً للحكومة في الشؤون العربية والإسلامية في وزارة المستعمرات الهولندية، وتوزع نشاطه بين التدريس في جامعة ليدن وبين كونه مستشاراً، وتوفي بليدن سنة ١٩٣٦م.

لا شك في أنّ هذا الرجل عانى في هذه الرحلة معاناة شديدة، فقطع آلاف الكيلومترات بوسائل النقل التي كانت في عصره، فركب البحر وضرب في الأرض يركب الحمير والجمال، وأقـام في أماكن محظورة على أمثاله من الكفار، فتظاهر بالإسلام واتخـذ له اسما مستعاراً .. وأقام في مكّـة ينظر ويراقب ويدرس .. ورفع تقارير بما رأى بعين النصراني الحقود ليضع هذه الصورة بن أيدي سادته المستعمرين الهولنديين الذين يحكمون بلاداً إسلامية كبيرة هي إندونيسيا، ليتصرفوا في معاملة المسلمين ومخاطبتهم عن معرفة لأحوالهم، وكتب كتبـاً لعامة النـاس يشـوّه بها صورة الإسلام لتبقى الصورة المشوّهة التي وضعها الرهبان عن الإسلام ثابتـة في أذهان ناشئتهم وأبنـاء ملتهم.

وإليكنّ مثالاً آخـر .. هذا قسيس أمريكي عدو لدود إستمات في سبيل إخراج المسلمين من دينهم وهو (صموئيل زويمر) .. جـاء البحرين سنة ١٨٩٣م وأقـام فيها بظروف غـير مريحـة وكان عمره ستـاً وعشرين سنة، جـاء بعد أن تعلم العربية والعبرية في كلية اللاهوت بنيوجرسي، وكان قـد أنشـأ مع طلاب آخرين (الإرسالية الأمريكية للتبشير في الخليج) سـنة ١٨٨٩م. ثم جـاء إلى البحرين يعمل دون كلل لنشر أباطيله .. كان يعمل في جـو صعب من حيث المنـاخ ومن حيث الوسط الاجتماعي الذي حلّ فيـه .. إذ لم يلق استجابة من النـاس، بل وجـد منهم نفوراً شـديداً وجفـاء كبـيراً .. كان يقول لشـباب البحرين: أنا جئـت إليكم في بلادكم ضيفـاً عليكم، فإن لم تقبلوني فأنا ضيـف الله .. فكانوا يردون

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه بعد أن رأوا أنه جاء لينشر دينه الباطل: لست بضيفنا ولا بضيف الله .. أنت ضيف إبليس[١].

فلم يصدّه ذلك عن العمل بدأب حتى استطاع أن يشتري أرضاً ويقيم عليها إرسالية ويبني مدرسة ويقيم مستشفى، وكان يتخذ ذلك كله للتشكيك بالإسلام والدعوة إلى أبا طبله، ومازال يتحرك في أرض غريبة عنه وبين قوم غرباء عنه أيضاً[٢]، وكان يجد العون من المحتلين البرطانين في الخليج. وهو أول من دعا إلى عقد المؤتمرات التنصيرية البروتستانتية، فعقد مؤتمر القاهرة برئاسته عام ١٩٠٦م، ومؤتمر اندنبرج عام ١٩١٠م، ومؤتمر لكنهو عام ١٩١١م.
وألّف كتباً تفيض بالحقد والافتراء على الإسلام.[٣] وتوفي عام ١٩٥٢م.

هذان مثالان لمستشرقين قسيسين جاءا إلى الجزيرة العربية للإفساد، وهناك أمثلة كثيرة لغيرهم جاؤوا إلى بلاد أخرى من بلاد المسلمين للإفساد.

وقد ضربنا هذين المثالين لنتبيّن الدأب المتواصل من قبل الأعداء في الغزو الفكري للمسلمين، ولنشعر بضرورة مواجهة هذا الغزو.

إننا بحاجة إلى أن يكون فينا عاملون وعاملات لدينهم، يضحون براحتهم وملذاتهم في سبيل الله، يجعلون خدمة الإسلام ونشرَهُ وردَّ العدوان عليه قضيتهم

---

(١) "القاضي الرئيس الشيخ قاسم بن مهزع" ص ١١٢ تأليف مبارك الخاطر.
(٢) ذهب إلى الأحساء فطرده الوالي التركي .. ثم ذهب إلى عُمان. ثم استقر في البحرين.
(٣) وقد ذكر نجيب العقيقي ٣/ ١٠٠٥ أسماء هذه الكتب والبحوث التي كتبها، وأشار أنه بتعصبه الشديد أفقد هذه الكتب قيمتها العلمية. وقال مبارك الخاطر ص١١٥: [لقد كان زويمر من المستشرقين المرموقين المعروفين بكتاباته الكثيرة في الشؤون الإسلامية لكنه ليس حجة في ذلك لتميز كتاباته بالتضليل والتجهيل نتيجة تأثيرات صليبية حقودة كان يصدر عنها في تلك الكتابات].

التي يحيون لها، ويعملون بدأب وتخطيط وصبر، لا يريدون عرضاً من أعراض الدنيا، ولا وجاهة فيها، ولا يريدون جزاء ولا شكوراً.

إنني أحب وأنا أتحدث عن الغزو الفكري أن أوصى بدراسة بعض الكتب المهمة في هذا الموضوع وهي:

١- "التبشير والاستعمار" للدكتور عمر فروح والدكتور مصطفى الخالدي.

٢- "الغارة على العالم الإسلامي" ترجمة محب الدين الخطيب.

٣- "رسالة في الطريق إلى ثقافتا" لمحمود محمد شاكر.

٤- "رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر" لمحمد قطب.

٥- "تاريخ الدعوة إلى العامية" لنفوسه زكريا.

٦- "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" للدكتور محمد البهي.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مراجع عن الاستشراق:

١- المستشرقون و الإسلام الطبيب حسين الهواري صدر سنة ١٩٣٦م
٢- المستشرقون: نجيب عقيقي – ثلاثة أجزاء – دار المعارف – مصر ١٩٦٥م. وقد كتب على الغلاف: موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم.
٣- موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي – دار العلم للملايين ط٣.
٤- الاستشراق والمستشرقون: ما لهم وما عليهم: د . مصطفى السباعي – المكتب الإسلامي ط ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.
٥- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث. مالك بن نبي – دار الإرشاد ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.
٦- المستشرقون والإسلام – د. عرفان عبد الحميد – المكتب الإسلامي ط ١٩٨٠م.
٧- المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن – محمد باقر الحكيم
(ذكرت ذلك جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر في ٥/ ٣/ ١٩٩١م).
٨- فصل عن المستشرقين في كتاب "دراسات في تاريخ النهضة العربية الحديثة" لمحمد بديع شريف و آخرين.
٩- فصل عن المستشرقين في كتاب "تاريخ الدعوة إلى العامية" د.نفوسه زكريا.
١٠- فصل عن المستشرقين في كتاب "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي" د. محمد البهي وعنوان الفصل: (المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام) من ص ٥٠٥ حتى ٥٧١.
١١- مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية – صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج في جزأين بأقلام مختصين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢- الغارة على العالم الإسلامي – أ.ل شاتليه – محب الدين الخطيب ومساعد اليافي الدار – السعودية للنشر – جدة – ١٣٨٧ هـ
١٣- التبشير والاستعمار – د.عمر فروخ ود.مصطفى الخالدي.
١٤- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين – محمد الغزالي.
١٥- البحث الأدبي – د.شوقي ضيف ص ٣٩ وما بعدها.
١٦- الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين– أبو الحسن الندوي ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).
١٧- الاستشراق والسيرة النبوية – عز الدين موسى (ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي للاستشراق والدراسات الإسلامية المنعقد في ٢٦– ٢٨ نوفمبر ١٩٩٦م في تطوان بالمغرب).
١٨- وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج – مكتب التربية العربي لدول الخليج.
١٩- رؤية إسلامية للاستشراق – أحمد عبد الحميد غراب – دار الأصالة – الرياض ١٤٠٨هـ.
٢٠- أضواء على الاستشراق – محمد عبد الفتاح عليان – دار البحوث العلمية – الكويت ١٤٠٠هـ.
٢١- الإسلام والمستشرقون – مجلة البعث الإسلامي– المجلد ٢٧ العددان ١-٢ (رمضان ١٤٠٢).
٢٢- من أعلام المستشرقين– مجلة الهلال عدد شهر المحرم ١٣٩٦ (يناير ١٩٧٦م).
٢٣- الاستشراق – إدوارد سعيد– ترجمة كمال أبو ديب.
٢٤- الاستشراق بين الموضوعية والافتعاليه – قاسم السامرائي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٥- الإسلام والمستشرقون – سعيد الأعظمي- طبع عالم المعرفة ١٤٠٥هـ. فيه فصل: المستشرقون لماذا؟ – نقلاً عن مقال في مجلة البعث –المجلد ٣٧ – العدد ٢ ص ٢٦ شوال ١٤١٢ (ابريل ١٩٩٢).
٢٦- فلسفة الاستشراق – د. أحمد سمايلوفتش
٢٧- المستشرقون البريطانيون- آربري- ترجمة محمد الدسوقي النويهي ط وليان- لندن
٢٨- علم الشرق وتاريخ العمران – جويدي.
٢٩- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري- د. محمود حمدي زقزوق- كتاب الأمة قطر ١٤٠٤هـ.
٣٠- المستشرقون والإسلام – إبراهيم عبد المجيد اللبان- ط الأزهر ١٩٧٠م.
٣١- المستشرقون – محمد الحوماتى – مجلة الرسالة ٢٦ يوليو ١٩٣٧م.
٣٢- نحن والمستشرقون – حسين الهروي- مجلة المعرفة يوليو ١٩٣٣م.
٣٣- الاستشراق والتبشير – د. أحمد عبد الرحيم السايح – مجلة البعث الإسلامي المجلد ٣٧ العدد ٢ (شوال ١٤١٢هـ – إبريل ١٩٩٢م) والأعداد التي بعده.
٣٤- الإسلام والمستشرقون – عبد الجليل شلبي – دار الشعب القاهرة ١٩٧٧م.
٣٥- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية – رودي بارت – دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٧٦م.
٣٦- الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين – نذير حمدان – رابطه العالم الإسلامي ١٤٠١هـ.
٣٧- الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر – د. عدنان وزان – رابطة العالم الإسلامي ١٤٠٤هـ.

٣٨- الإسلام وموقف علماء المستشرقين - عبد الحميد متولى - دار عكاظ - جدة - ١٤٠٣هـ.
٣٩- المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيقاً - دار المنارة - جدة ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).
٤٠- القاضي الرئيس قاسم بن مهزع - مبارك الخاطر.

لقد كان الغزو الفكريّ معتمداً على قوىً ثلاثٍ وهي: الاستعمار، والاستشراق، والتبشير. وكانت هذه القوى متعاونة متكافلة يُكمل بعضها بعضاً، وكان السابق من هذه القوى إلى بلد من بلاد المسلمين يمهّد للاحق منها، واللاحق يأتي لخدمة أغراض السابق، ففي بعض بلاد المسلمين جاء التبشير أولاً ثم جاء الاستعمار. أما الاستشراق فقد بدأ في أوربا في وقت مبكر ونما هناك، وكانت ثمراته توضع بين أيدي المبشرين و المستعمرين.

* * *

وأودّ أن أنّبه إلى أنّ هناك مغالطات في هذه العناوين:

- (فالتبشير) هو الإخبار بالخير وبما يسرّ، وهي كلمةٌ حلوةٌ تستريح لسماعها النفس، فاستعملوها للتنصير والتضليل والتجهيل، ولكن أصبحت هذه الكلمة مصطلحاً فقد معناه اللغويّ لمّا تمثّل بهؤلاء المفسدين المضلين.
- و(الاستعمار) هو طلب العمران، وهي كلمةٌ حلوةٌ، فاستعملوها للاستعبادِ والقهرِ والإذلال والتخريب، ولكن أصبحت هذه الكلمة مصطلحاً فقد معناه اللغويّ لمّا أُطلق على هؤلاء المعتدين المدمّرين المخربّين.
- وكذلك (العلمانية) المأخوذة من العلم، والعلم نور، ولكنهم استعملوها محل كلمة (اللادينية) وليس لها أيّة صلة بالعلم لا من

قريب ولا من بعيد.

فنحن عندما تستعملها نستعملها بمعناها الحاليّ الاصطلاحيّ القبيح لا بمعناها اللغويّ الجميل.

* * *

وسـائل المبشرين

كان للتبشير وسائل متعددة نذكر أهمها فيما يأتي:

- فمن وسائل المبشرين إنشاءُ المستشفيات، ومداواةُ المرضى فيها بالمجّان. وكان الأطبّاءُ فيها من القساوسة، والممرضات من الراهبات، يَدعون إلى النصرانيّة، ويشكّكون المسلمين بدينهم، وإذا عوفي واحد من المرضى قالوا: إنك بسبب قدومك إلينا شفاك الرب يسوع ..
- ومنها إلقاء المحاضرات المضللة في النوادي التي كانوا ينشئونها، وفيها كثير من الإغراء بألوان المتع من اختلاط بالفتيات الجميلات ومن سباحة مختلطة ورياضة ورقص. وما إلى ذلك.
- ومنها توزيع الكتيبات والنشرات الدينية ونسخ الإنجيل المحرّف والتوراة المحرّفة وتكون مطبوعة طباعة أنيقة جذابة.
- ومنها عقد المؤتمرات الخاصة بهم. والمؤتمرات العامة للناس في قضايا تهمهم.
- ومنها فتح محلات تجارية يتعاملون بسببها مع عامة المسلمين، ويعقدون صداقات شخصية مع بعضهم لفتنتهم وإغوائهم.
- ومنها زيارة الناس في بيوتهم والتلطف في الحديث معهم، وقد يقدمون فيها أحياناً بعض الهدايا.
- ومنها إنشاء المدارس، يتلقون فيها أولاد المسلمين ليزرعوا في صدورهم الشك بالإسلام، ويزينوا لهم الدخول في دينهم الباطل.

وعندما جاء الاستعمار وحكم بالحديد والنار عدداً من بلاد المسلمين كان يرافقه عدد من المستشرقين، وكثير منهم من القسيسين أو من العلمانيين الذين يحاربون الأديان، وأصبحت السلطة بأيديهم فتحوا المزيد من المدارس الأجنبية،

وأغروا الناس بالدخول فيها .. وكان هذا في وقت مبكر، حتى إن الشيخ محمد عبده على الرغم من موقفه المتجاوب مع الحضارة الأوربية كان يحذر من أن يُدخل المسلمون أولادهم في هذه المدارس.

قال الشيخ محمد عبده في مقال نشره في "الوقائع" بتاريخ ٢٤ آب (أغسطس) سنة ١٨٨١م:

[إنّنا نعيد إنذار الآباء – هداهم الله – بألّا يسلكوا بأولادهم في التربية مسالك توجب لهم خلق قلق الفكر، وتشويش البال، وألاّ يبعثوا أبناءهم إلى المدارس الأجنبية التي تُغيّر مشاربهم ومذهبهم .. وأنَّ ما سبق منا نشره في الأعداد الماضية يبيّن أنّ المعاشرة نفسها تؤثر في العقيدة، فلا يؤمن على الأطفال من تغيير المذاهب].(١)

وقال من كلمةٍ رفعها إلى شيخ الإسلام أحمد أسعد العرباني سنة ١٣٠٤هـ:

[... هذا الضعف الدينيّ قد نهج لشياطين الأجانب سبل الدخولِ إلى قلوب كثير من المسلمين، واستمالة أهوائهم إلى الأخذ بدسائسهم، والإصغاءِ إلى وساوسهم، فخلبوا عقول عدد غير قليل، ثمّ انبثَّ دعاتهم في أطراف البلاد الإسلامية لتضليل المسلمين، فلا ترى بقعه من البقاع إلا فيها مدرسة للأمريكانيين، أو اليسوعيين، أو العزارية، أو الفرير، أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الأوربية.

والمسلمون لا يستنكفون عن إرسال أولادهم إلى تلك المدارس، طمعًا في تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم، أو تحصيلهم بعضّ اللغات الأوربيّة التي يحسبونها ضروريّة لسعادتهم في مستقبل حياتهم..

---

(١) "أقوال مأثورة" ص ٥٤٣ نقلاً عن الشرق الأوسط ٩/ ١٠/ ١٩٨٥.

وأولئك الضعفاء أولاد المسلمين يدخلون إلى تلك المدارس الأجنبية في سنّ السذاجة وغرارة الصبا والحداثة، ولا يسمعون إلاّ ما يخالف أحكام الشرع المحّمدي، بل لا يطرق أسماعهم إلا ما يزري على دينهم و عقائد آبائهم .. فلا تنقضي سنو تعليمهم إلاّ وقد خوت قلوبهم من كل عَقد إسلامي، وأصبحوا كفّاراً تحت حجاب اسم الإسلام، ولا يقف الأمر عند ذلك، بل تعقد قلوبهم على محبة الأجانب، وتنجذب أهواؤهم إلى مجاراتهم ويكونون طوعاً لهم فيما يريدونه منهم، تم ينفثون ما تدنست به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل. فيصيرون بذلك ويلاً على الأمة ورزيّة على الدولة].[1]

وكان الأوائل من هؤلاء المبشرين ناساً أجانب من خارج البلاد الإسلامية .. يتعلمون لغة البلد الذي سينشرون فسادهم فيه .. ومن هنا كان كثير من هؤلاء المنصرين مستشرقين وكان هؤلاء وهؤلاء خدمة للاستعمار وخططه ورجاله.

وإذا تعذّر عليهم إظهار حقيقتهم استعانوا بالتظاهر بالتجارة، أو بممارسه مهنة أخرى، لاسيما بعد أن دخلت إلى حياة المسلمين كثير من الأدوات والأجهزة الكهربائية والإلكترونية التي تحتاج إلى الإصلاح والصيانة .. يتظاهرون بما ذكرنا وهم في حقيقة أمرهم جواسيس، يجمعون معلومات تتصل بحياة المسلمين ومعاملاتهم ويضعونها بين أيدي سادتهم ورؤسائهم ليضعوا الخطط المحكمة لغزوهم الفكري، وينفثون سموم أفكارهم بخفاء، يشككون بالإسلام ثم يدعون إلى دينهم الباطل.

(١) "أقوال مأثورة" ص ٥٤٠– ٥٤٦ نقلاً عن "مقالات الكوثري" ص ٥٤٧– ٥٤٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانوا يعملون بدأب وبصبر على المشقات التي تلاقيهم .. ولا ييأسون، وإذا خلا بعضهم لبعض قالوا: إن لم نستطع أن ندخل المسلمين في النصرانية، فعلينا أن نغرس الشك في قلوبهم، ويكفينا أن ينسلخوا من دينهم.

إنّ علينا إدراك هذا والحذر من مكرهم والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

* * *

إنّ من الأهمية بمكان بالنسبة إلى عملكنّ في بناء الأمة على أساس الإسلام أن تعرفن معرفة دقيقة موثقة للأخطار التي يتعرض لها الإسلام من الناحية الفكرية والأخلاقية .. وأن تحذّرن منها مَنْ حولكنّ بالوسائل التي تتاح لكن.

وقد ذكرنا خطر التبشير المتمثل في عدد من المظاهر، ومن ذلك خطر المدارس التي يقيمها في بلاد المسلمين .. هذه المدارس التي تعمل بخطة مدروسة على إدخال الزيغ على عقيدة الطلبة الذين يلتحقون بها في مراحلها المختلفة: الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

وهذا ما أشار إليه الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية المتوفي سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، وقد ذكرنا كلامه النفيس.

ولما تمكنت القوى الاستعمارية من السيطرة على عدد من بلاد المسلمين أدخلت تخريب المبشرين على المدارس الحكومية بسلطة الدولة الملزمة، فلم يبق تخريب أولئك المبشرين مقصوراً على المدارس الأجنبية. إذ أتاح المستعمرون لرجال من المبشرين أن يضعوا مناهج التعليم كما حصل في مصر المسلمة، إذ عين كرومر القسيس المتعصب دنلوب مستشاراً لوزارة المعارف فأفسد أيما إفساد.

قال الأستاذ محمد قطب:

[تولّى دنلوب القسيس الذي عينه كرومر مستشاراً لوزارة المعارف مهامّ منصبه، وكان في يد المستشار السلطة الفعلية الكاملة في وزارة المعارف المصرية الإسلامية. وحين يكون القسيس على رأس السلطة في وزارة التعليم فما الذي نتوقع أن يكون من أمر التعليم].(١)

ولم يقف الخطر عند إفساد المناهج ولاسيما مناهج مادة الدين ومادة اللغة العربية ومادة التاريخ ذلك لأنهم رأوا عدداً كبيراً من المعلمين متمسكون بدينهم، والمعلم الديّن الفاضل يستطيع أن يصلح فساد المنهاج .. قالوا: إذن لا بُدّ من العمل على إعداد المعلم الذي ينفذ المناهج التي وضعناها .. ونظروا وفكروا فرأوا الابتعاث إلى بلاد الكفار وسيلة قد تحقق لهم كثيراً مما يبغون .. فصاروا يرسلون شباباً حديثي عهد بالتخرج .. فيذهبون إلى بلاد منفتحة فيها الجنس والعبث، وفيها تسميم العقل، وعندما يعود هؤلاء المبتعثون يحققون لأعداء الأمة بأيد إسلامية ما كانوا يريدون تحقيقه بأيد أوربية.

وقد ساعد الاستعمار على المضي في تنفيذ خططه الهدامة فكرياً الاستشراق، وهو دون شك من قوى الغزو الفكري التي واجهت المسلمين.

لقد كانت دول أوربا تضع أمكانتها الضخمة تحت تصرف المستشرقين، فقد كان عدد كبير منهم تابعا لوزارة المستعمرات أو وزارة الخارجية في بلادهم.

وهؤلاء المستشرقون أنواع: فمنهم نصارى متعصبون حاقدون، ومنهم يهود حاقدون على الإسلام من أمثال جولدزيهر وشاخت، واليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض(٢) كما ذكر ربنا سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ

(١) "واقعنا المعاصر" ص ٢١٧.

(٢) انظر تأييد المستشرقين النصارى لشاخت وجولدزيهر اليهوديين ما كتبه الأستاذ مصطفى السباعي في رسالته "الاستشراق والمستشرقون".

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [المائدة: ٥١]. ومنهم علمانيون ملحدون، ولكنهم جميعـًا متفقون على الكيد للإسلام والمسلمين. ومنهم الذي يبدي عداوته، ومنهم الذي يخفيها.

لقد انصرف كثيرٌ منهم إلى دراسة تراثنا الديني واللغوي، فدرسوا كتب التفسير، وكتب الحديث وشروحها، وكتب الفقه، وكتب اللغة والأدب، وأتقن كثيرٌ منهم عمله، فعرفوا فكرنا، ووقفوا على عقليتنا، وعلى قيمنا وعلى الاتجاهات السياسية والفكرية التي قامت في تاريخنا، فألفوا المؤلفات وحققوا بعض كتب التراث.

وكان الاستشراق مزدهراً في القرن التاسع عشر والذي قبله؛ لأنَّ الاستعمار كان على أشده حينذاك، وكان التنافس بين الدول الأوربية على المستعمرات شديداً، وكانت جهود المستشرقين توضع بين أيدي المستعمرين.

قال الأستاذ محمود محمد شاكر:

[الاستشراق هو عين الاستعمار التي بها يبصر ويحدّق، ويده التي بها يحس ويبطش، ورجله التي بها يمشي ويتوغل، وعقله الذي به يفكر ويستبين، ولولاه لظلَّ في عميائه يتخبَّط. ومَنْ جَهِلَ هذا فهو ببدائه العقول ومسلماتها أجهل][1].

وأنا لا أنكر أنه كان لحركة الاستشراق بعض الإيجابيات في نشر المخطوطات، وأن بعض المستشرقين كانت له آراء معتدلة، ولكن أكثرهم من المتحاملين المتعصبين الحاقدين.

هذا وقد أفاد الاستشراق في أول نشأته أوربا التي كانت تعيش في الظلمات. أفادها عندما نقل إليها ثقافة عالية متميزة أتاحت لها أن تخطوا خطوات موفقة إلى حركة النهضة.

---

(١) "رسالة في الطريق إلى ثقافتنا" ص ٨٧.

ثم تحول الاستشراق إلى أن يوظف بحوثه ودراساته لاكتشاف الفكر الإسلامي لوضع الخطط الاستعمارية وفق ما تسمح به الأوضاع في البلاد الإسلامية للسيطرة عليها.

لا بُدّ من مواجهة هذا الواقع ووعيه وإدراكِ ما أفرزه من تحديات عقدية وأخلاقية واجتماعية لا يجوز أن نتجاهلها، ذلك لأن تجاهلها لا يغير شيئا، بل يجعل هذه التحديات يعظم تأثيرها لأنها لم تجد من يقف في سبيلها.

إننا مطالبون بأن نواجه هذا الغزو بالرجوع الى الله، والاستمساك بشرعه العظيم، وبالتوعية، توعية أجيالنا الصاعدة ومثقفينا، وبالأخذ بالعلم والتقنية، والإعداد للأعداء ما نستطيع من قوة.

ولا يجوز أن تقعد بنا ضخامة هذا الغزو وأدواته الفتاكة عن القيام بما أوجب الله علينا، ولا يجوز أن يستولي علينا اليأس، فنرضى بالمهانة ونمضي في الطريق الذي يريد أعداؤنا أن نسلكه، ولا يجوز أن نعتذر عن التقصير بقوة الأعداء، لأن الله أكبر، ولأننا إذا آمنا وعملنا الصالحات وأخذنا بالأسباب كان الله معنا. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٥١].

لقد جرب أعداؤنا الاعتماد على القوة العسكرية وحدها أيام الحروب الصليبية فأخفق مسعاهم وأُخرجوا من بلادنا مدحورين .. فعمدوا في غزوهم لنا هذه المرة أن يعتمدوا مع القوة العسكرية على الغزو الفكري .. وكما نصرنا الله عليهم عندما رجعنا إليه واستمسكنا بدينه سينصرنا عليهم إن نحن رجعنا إليه واستمسكنا بدينه. ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

* * *

أهميـة القـراءة

إنّ من عوامل تكوين فكر الأمـة ما يقرأ أبناؤها، فقراءة الناشئة لفكر ما تسهم على المدى البعيد في تكوين فكر الأمـة على نحو ما.

ومن هنا حرص المصلحون في الأمـة على أن يكون ما يقرؤه الشباب والشابات بعيدا عن الخرافة والهدم .. ومن هنا أيضا كان حرص الرسول العظيم ﷺ على أن لا يشغل المسلمون أنفسهم بقراءة الكتب المحرفة التي بدلها الأحبار والرهبان.

فعن جابر أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه، فغضب ﷺ وقال:

«أمتهوكون فيها يابن الخطاب ! والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيّاً ما وسعه إلا اتباعي» وفي رواية: «أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي».[1]

والقراءة تترك أثراً في القارئ، وهذا الأثر إما أن يكون إيجابياً وإما أن يكون سلبياً .. والأثر الإيجابي أنواع ودرجات، فقد تكون فائدته محدودة يسيرة، وقد تكون فائدته شاملة وافرة. والعمر قصير، والوقت ثمين، ومن هنا كان لا بُدّ من الاختيار في القراءات التي يكون أثرها إيجابياً، أما تلك القراءات الضارة الهدامة للعقيدة والخلق فلا يجوز للفتاة المسلمة أن تتساهل في اتخاذ الموقف الإسلامي منها.

---

(١) رواه أحمد ٣/ ٣٨٧، والدارمي ١/ ١١٥، والبيهقي في "شعب الايمان". وقال ابن حجر في "الفتح" ١٣/ ٥٢٥ بعد أن جمع طرق هذا الحديث قال: وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً. وقد حسنه الألباني في تعليقه على الحديث رقم ١٧٧ من "المشكاة". وانظر "جامع بيان العلم" ٢/ ٤٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أجل لا بُدّ من تقديم الأنفع على النافع.

والكتب التي تتحدث عن الإسلام وتعرض أفكاره ومبادئه وتدعو له كتب كثيرة منها القديم .. ومنها الجديد. وفي كلا النوعين خيرٌ وفائدة.

فمن الكتب المتقدمة مثلاً كتب الإمام الشافعي وأبي يوسف وأحمد وابن تيمية وبن القيم وغيرهم التي وصلت إلينا. ومن الكتب الحديثة الكتب التي ألّفها علماء معاصرون. وفي هذا النوع من المؤلفات خيرٌ ونفع. لأن عبارتها أسهل وأوضح، ولأن كثيراً منها يعالج مشكلات قائمة.

ولا يجوز أن تقتصر الأخت الداعية على نوع منهما .. بل لا بُدّ من أن تقرأ كتبًا من النوعين، ولكن عليها أن تعلم أنّ العصمة عندنا – أهل السنة والجماعة – للرسل فقط، وليس أحد غيرهم معصومًا مهما بلغ من الفضل والتقوى والورع والعلم.

وصدور الخطأ من العالم متوقع ما دام بشراً غير معصوم، يقول الإمام مالك: (ما منا إلامن ردّ ورُدّ عليه الا صاحب هذا القبر) ويشير إلى قبر النبيّ ﷺ.

قال البويطي: سمعت الشافعي يقول: (لقد ألّفتُ هذه الكتب ولم آلُ فيها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ فما وجدتم في كتبي هذه ممّا يخالف الكتاب والسنة فقد رجعت عنه.[1]

ومن هنا كان على الذي يقرأ أن يعتمد مقياسًا يحكّمه في قبول ما يقرأ أو ردِه. وهذا المقياس هو كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن قادراً على استعمال هذا المقياس استعان بمن يثق بعلمه ودينه.

---

(١) "مختصر المقاصد الحسنة" ص ٤٠.

لقد علّمنا الإسلام أن لا نتبع الرجال على أسمائها .. نقول ما قالوا دون نظر ولا تقويم لما قالوا، وعلّمنا أن لا نعرف الحق بالرجال، بل نعرف الرجال ونحكم عليهم بمقدار ما يقولون الحق ويعملون به.

قال عبدالله بن مسعود ﷺ: (قولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله).(١) وقال ﷺ: (لا يقلدن أحدكم في دينه رجلاً إن آمن آمن، وإن كفر كفر، فإنه لا أسوة في الشر).(٢)

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: (إياكم والاستنان بالرجال، فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة، ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار، فيموت وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة. فإن كنتم لا بُدّ فاعلين فبالأموات لا بالأحياء.(٣)

كان عبدالله بن مسعود ﷺ يقول: (من كان منكم مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب رسول الله ﷺ أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فانهم كانوا على الهدى المستقيم).(٤)

وهناك حقيقة أحب أن أضعها بين أيدي إخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي.. حقيقة مهمة جداً في نظري، وهي تلزم من اقتنع بصحتها ممن يريد مطالعة الكتب

---

(١) "الزهد" لابن أبي عاصم ص ٣١ برقم: ٦١، و"أقوال مأثورة" ٢/ ١٤٠.

(٢) "إعلام الموقعين" ٢/ ١٩٥، و"أقوال مأثورة" ١/ ٥٠٧.

(٣) "إعلام الموقعين" ٢/ ١٩٥، و"أقوال مأثورة" ١/ ٥٠٧.

(٤) "أقوال مأثورة" ١/ ٣٨٥-٣٨٦، وذكرت هناك مراجع كثيرة لهذه الكلمة.

الإسلامية أن يقرأ فيما يقرأ الكتب التي كتبها المتقدمون؛ ذلك لأن العالم المسلم الذي كان يعيش في ظل دولة إسلامية قوية تحكم معظم العالم المعمور وتنشر عقيدة التوحيد في الأرض عندما يكتب عن الإسلام يكتب متحرراً من كل العقد التي يعانيها العالم المسلم المعاصر .. إنّ كتابة العالم الأول كتابةٌ موضوعية بعيدة عن التأثر بعوامل خارجة عن الفكرة التي يريد أن يقررها .. وبعيدة عن أي شكل من أشكال الاسترضاء للكفرة المستعمرين، أو لأبناء الأقلية المجاورين، الذين أصبح لهم نفوذ في البلد وقوة مالية ومعنوية بسبب وجود المستعمر الذي أسند إليهم مناصب عالية

ومنحهم من السلطة والجاه والتأييد الشيء الكثير.

إنّ شعور الكاتب الإسلامي المعاصر بالتخلف والضعف والهزيمة وخضوعه أحياناً لعوامل الاسترضاء التي أشرنا إليها لا يجعل حكمه في كثيرٍ من الأحيان حكماً سليماً. لقد أذل الكفار اليوم – واسفاه – المسلمين، وقهروهم بالحديد والنار، واحتلوا معظم بلادهم، ولما خرجوا منها جعلوها مناطق نفوذ لهم؛ لأنهم خلفوا فيها من أبناء البلاد من يقول بمقولتهم، وسيطروا على خيراتها. وطردوا المسلمين العزّل من بيوتهم وأوطانهم، يحاولون أن يعيدوا ما فعل أسلافهم في الأندلس .. وهذا ما حصل في البوسنة والهرسك وكوسوفا وفلسطين. وعمدوا إلى الثقافة التي تقدم لأبناء المسلمين في البلدان المحتلة فوضعوا فيها السمّ، وشوّهوا حقائق الدين. إن ذلك كله له أعظم التأثير في الذي يريد أن يكتب عن الإسلام.

ولذا فإني أنصح الراغبين في معرفة دينهم معرفةً صحيحةً سليمةً بعيدةً عن الشوائب أن يقرؤوا في كتب الأئمة المتقدمين الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة المسلمة التي كانت تحكم معظم العالم المعمور.

إنّ للمرأة دوراً كبيراً في مقاومة الغزو الفكري الذي يتعرض له المسلمون اليوم، ويتمثّل هذا الدور في تربية الأجيال تربية سليمة .. إنها مهمة ضخمة تكمل مهمة الرجل في هذا المجال، ولها مكانتها في عملية بناء الأمة بناءً متماسكًا على أساس من الإسلام.

ولقد عمل أعداؤنا على هدمنا ومازالوا يعملون .. يريدون إضعاف الرجولة والإقدام والفروسية في شبابنا إن لم يستطيعوا القضاء على هذه الصفات. ويسلكون لتحقيق ذلك سبيل الشهوات.

إنّ الجيل المائع الغارق في سماع الموسيقى وتتبع الشهوات وقراءة القصص الخليعة المثيرة، ومعاقرة الخمرة والمخدرات، وملازمة مشاهدة القنوات المنحطّة .. إنّ هذا الجيل لا يمكن أن يحقق لأمته شيئًا ممّا تصبو إليه من الخلاص من الواقع السيئ الذي تحياه.

إنّ مهمتكن - يا أيتها الأخوات - في التربية هي إعداد جيل مؤمن بالله معتز بالإسلام، عامل بما أمر الله، منته عمّا نهى الله، يجاهد في سبيل الله لا يخشى فيه لومة لائم، وما أعظمها من مهمة.

لا يجوز أن نترك شبابنا ينشؤون على روح الخنوع والاستسلام لحالة الذل التي آل اليها واقعنا المؤلم.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طريق الخلاص

إننا نعلم أنّ اليهود والنصارى والملحدين والعلمانيين يرموننا عن قوس واحدة، ويعملون الفتك فينا فكريًا واجتماعيًا وعسكريًا، ونعلم أيضا أنهم يمتلكون قوى مادية ضخمة، ولكن ينبغي أن نعلم ونعلّم أبناءنا أنّ الله تبارك وتعالى سيكون معنا إن نحن آمنّا وعملنا الصالحات وصدقنا مع الله.

يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

ويقول: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

ويقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إن هذا هو طريق الخلاص .. وإذا كان الله معنا فلن تستطيع قوة أن تقف في وجوهنا. ويجب يا أيتها الأخوات أن تبيّنَّ لأولادكنّ أن المكر الخبيث من الكفرة تجلّى في إفساد عقول نفرٍ منا، اقنعوهم بأن صلاح أحوالهم لا يكون إلا بالبعد عن الدين، وأغروهم باتباع سبيل الكافرين، وكان هذا المكر سلاحًا فتاكًا يوجه إلينا .. مع أنّ الله ﷻ أوجب علينا أن ندعوه في صلاتنا أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم بالإيمان والاستقامة، وأن يجنّبنا سلوك طريق اليهود والنصارى وهم المغضوب عليهم والضالون. وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، فكانت صحوة جعلت فريقًا كبيراً من الشباب والشابات يرجعون إلى الله .. فكان كيدهم أن عملوا على تشويه صورة هذه الصحوة .. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

إن الأيام دول، كما قال الشاعر أبو البقاء الرندي[1]:

---

(١) "نفح الطيب" ٦/ ٢٣٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هي الأمورُ كما شاهدتها دولٌ ... من سرّه زمنٌ سائته أزمانُ
وهذه الدار لا تبقي على أحدٍ ... ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ

فعليكن أن تُذكّرن أبناءكنّ ومن حولكنّ من المحارم بالبطولات الفذة التي سجلها سلفنا الصالح يوم أن نصروا الله في أنفسهم وفي سلوكهم .. وأن تحملنَّهم المسؤولية في تغيير الواقع المؤلم .. وأنْ تذكرن لهم أنّ عليهم دعوة المسلمين إلى الاستمساك بالإسلام ليعود لهم عزهم السابق، وأن عليهم أن يتقدموا إلى أبناء الدنيا كلهم الذين يمزقهم القلق والاضطراب والظلم والضنك .. أن يتقدموا إليهم بهذا الدين العظيم لينقذوهم من هذه الآفات والمظالم في الدنيا، ولينقذوهم من النار الموقدة يوم القيامة .. أن يتقدموا إليهم مجاهدين.

إنّ موضوع الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام يجب أن يكون في تصور هؤلاء الأبناء الصالحين. يقول رسول الله ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق»(٢).

ويكفينا أن نذكر بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

إنها مبايعة تمت بين الله وبين المؤمنين .. هذا البيع الرابح ينبغي أن يملأ نفوس فتياننا .. إنّ علينا أن نجعل القرآن الكريم الأساس الأول في تربية أولادنا، وأن نُعنى بدراسة الآيات التي تعالج مشكلة يحبونها، ونطلب إليهم أن يفهموها ويحفظوها. وواقعنا يملي علينا أن نقرئ أولادنا الآيات التي تشدّ من عزيمتهم ونحفظهم إياها بعد أن تشرح لهم .. الآيات التي تعينهم على الخلاص من

---

(٢) رواه مسلم (١٩١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المآسي، ومن الاشتغال بسفاسف الأمور، ومن حياة الدعة والانكباب على الشهوات والملذات والتعلق بالغناء والموسيقى. نريد شباباً يرددون النشيد الآتي وأمثاله:

ربنا إياك ندعو ربنا ... آتنا النصر الذي وعدتنا
إننا نبغي رضاك إننا ... ما ارتضينا غير ما ترضى لنا
يا شباب العالم المحمدي ... ينقص الكون شباب مهتدي
فأروه دينكم ليقتدي ... دين عقل وضمير ويد
يا شباب العزمات المبرمة ... علموا الكون الهدى والمكرمة
علموا الكون التقى والمرحمة ... عرفوا الكون النفوس المسلمة

إن أمتنا أمّة رسالة .. رسالة تحرير البشر من الشرك ودعوتهم إلى التوحيد، وتحرير الناس من الظلم وإحلال العدل والخير والفضيلة والرحمة، وتحرير الناس من الفقر والمهانة. فليعلم أبناؤنا بأن أجدادهم عندما حملوا هذه الرسالة ونشروها في الأرض حققوا لأنفسهم ولأمتهم العزة والسيادة في الدنيا، ونرجو أن يكونوا قد نالوا مبتغاهم من جنة الخلد ورضوان الله.

قال ابن هشام: [وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة بن جندب الفزاري، ورافع بن خَديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما، فقيل له: يا رسول الله إن رافعاً رامٍ، فأجازه، فلما أجاز رافعاً قيل: يا رسول الله. إن سمرة يصرع رافعاً فأجازه.

وردَّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت أحد بني مالك بن النجار وأُسيد بن ظُهير أحد بني حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة][1].

(١) "سيرة ابن هشام" ٣/ ٧٠.

هكذا كان الفتيان الذين نشؤوا في المجتمع النبوي يتسابقون إلى الجهاد وهم دون الخامسة عشرة. إنّ هؤلاء وأمثالهم وآباءهم هم الذين أقاموا دولة الإسلام، وهم الذين حققوا المجد للمسلمين.

أما الشباب المائعون فلا يمكن أن يصنعوا شيئًا .. ترى أحدهم قد أطال شعره وصففه ودهنه، ووضع على صدره سلسلة، وفي يده سواراً .. حتى يلتبس أمره على من يراه أهو رجل أم امرأة؟ يردد أغاني العشق والهيام، وقد يكون مدمنًا للتدخين .. وقد يتعاطى المخدرات .. كيف يرجى من هذا الشاب وأمثاله أن يحققوا الخير والمجد؟

إنّ مهمتكن أن تجنّبن أبناء الأمة هذا المصير البائس.

إنّ العدو حريص على أن ينشر بين أولادنا هذه الآفات والمساوئ فلنحذر ذلك ولنعمل على تربيتهم التربية الفاضلة.

* * *

الهجومُ على اللغة العربية من مظاهر هذا الغزو الفكري

ومن أخطر مظاهر هذا الغزو الفكري الهجومُ على اللغة العربية، واتهامُها بالجمود والعجز عن متابعة التطور الذي يقوم في دنيا الناس اليوم، والدعوة إلى استعمال العاميات محل الفصحى ووضع القواعد لها وجعلها لغة التأليف والإعلام، وكتابة القصة والمسرحية بها، واستخدامها في دور الإذاعة والتلفاز وفي الصحافة. وقد تكون العناية بالعاميات مرحلة من مراحل الكيد لهذه الأمة لتكون المرحلة التي بعدها الدعوة إلى استعمال اللغة الإنجليزية أو الفرنسية محل اللغات العامية بدعوى أن اللغة الإنجليزية مثلاً لغة عالمية ولغة العلم. وهذا من الكيد الخفي الماكر.

إنك لترى عملاء هذا الغزو الفكري يبذلون قصارى جهدهم لإقناع جماهير المسلمين بأن الذي يريد مستقبلاً زاهراً لولده فلا بد له من أن يحرص على تعليمه اللغة الأجنبية إما الإنجليزية، وإما الفرنسية.

وقد استطاع الاستعمار أن يجعل لغة الدراسة في بعض البلاد الإسلامية اللغة الأجنبية في كل مراحل التعليم، كما فعل في الجزائر والمغرب ومصر .. ولكن تعريب التعليم عاد في بعض البلاد، ومازال التعليم العالي كما أراد الاستعمار باللغة الأجنبية.

إن الذي يجعل هؤلاء الأعداء يهاجمون اللغة العربية عداؤهم للإسلام، وإلّا فلا تعرف في العالم كله لغة تهاجم إلا هذه اللغة الشريفة.

إنّ معرفة اللغة العربية تقرب المسلم من القرآن، وتجعله يستوعب معاني آياته ويعرف أحكامه والأصول الإسلامية من العقيدة والشريعة. وهذا هو الذي يخشاه الاستعمار. لقد وقف جلادستون سنة ١٨٢٢م يخاطب النواب في مجلس العموم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قائلاً: (مادام هذا الكتاب – أي المصحف – في أيدي المسلمين فلن يقر لكم قرار في بلادهم).

ومن قبله كلمة لويس التاسع[١] ملك فرنسا (المتوفى سنة ١٢٧٠م) الذي قاد حملتين صليبيتين إلى بلاد المسلمين والذي وقع أسيراً في أيدي المسلمين وبقي سجيناً في المنصورة حينا من الوقت حتى افتداه قومه وفك أسره، فعاد إلى بلده يقول لقومه: (إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هُزمتم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم).[٢]

ومن هنا كان حرص الاستعمار على إبعاد أبناء المسلمين عن اللغة العربية، فقد أشاع عملاؤه كما ذكرنا آنفا صعوبتها وعجزها عن مواكبة التطور، وقد ردّ الشاعر حافظ إبراهيم على مزاعمهم في قصيدته التائية التي نشرها ١٩٠٣م فقال على لسان اللغة العربية:

رجعتُ لنفسي فاتّهمتُ حصاتي ... ونوديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عَقِمْتُ، فلم أجزع لقول عُداتي
وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آيٍ به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعاتِ
أرى لرجال الغرب عزاً ومَنْعَةً ... وكم عزّ أقوام بعز لغات[٣]

وعندما بدأت النهضة العالمية الحديثة كنا مضطرين إلى أن نفيد من العلوم التجريبية التي تقدمت في ديار الغرب، وهذا أمر طبيعي لا شيء فيه ولا غبار

---

(١) جاء الموسوعة العربية : [لويس اسم يطق على عدد من مشاهير الملوك الفرنسيين وهذا الاسم يعني عندهم المحارب الشهيد]
(٢) "واقعنا المعاصر" لمحمد قطب ص ١٩٦
(٣) ديوان حافظ ص ١٠٤-١٠٥.

عليه، فنحن الآن نسترد دينا قد سلف، فقد استفاد الغرب من علمائنا وكتبنا يوم أن كنا سادة الدنيا ورجال العلم.

ولما أنشئت كلية للطب في مصر كان التدريس فيها باللغة العربية، فكان يؤتي بالأستاذ الأجنبي يلقي محاضرته بلغته الأجنبية ويقف إلى جانبه رجل يترجم إلى العربية ما يقول .. ثم ما لبث الأمر أن تطور فأصبح الأستاذ عربيًا يلقي محاضرته العلمية المتخصصة باللغة العربية، ثم ألفت بعض المؤلفات الطبية باللغة العربية[1]، ولكن الاستعمار لم يرق له ذلك، فكان أن ألزم الأساتذة أن يلقوا محاضراتهم بالإنكليزية، وهذا أمر عجيب حقًا، ذلك لأنَّ الطالب يستوعب المادة العلمية بلغته الأم أكثر مما يستوعبها باللغة الأجنبية هذا إن كان يعرف اللغة الأجنبية معرفة جيدة.

إن جميع دول العالم تدرّس العلوم كلها بلغتها، وتأبى أن تدرسها بلغة أجنبية، حتى إن العدوّ اليهوديّ يدرس العلوم باللغة العبرية التي ظلت ميتة أكثر من ألفي سنة.

ولم يكتف المستعمر بما ذكرنا، بل جاوز ذلك إلى التهوين من شأن مدرس العربية والتضييق عليه في الرزق، فكان مدرس العلوم الأخرى يتناول أربعة أضعاف مدرس العربية، وكان لهذا الوضع انعكاساته سواء في داخل المدرسة أو خارجها، لأنّ للوضع المالي وزن كبير عند الناس.

وقد أقدم عملاء الكفرة في بعض بلاد المسلمين فغيروا الحرف العربي الذي كانت تكتب به لغاتهم كالتركية والأندنوسية إلى الحرف اللاتيني. فكانت هذه خطوة أخرى في إبعاد الناس من الاقتراب من لغة القرآن.

---

(١) نقلاً عن كتاب "سلامة موسى اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية" ص ٣٨.

- فمن ذلك ما حدثني أستاذنا الشيخ سعيد الأفغاني رحمه الله قال: لما أنشئ أول مجمع للغة العربية في العالم العربي في دمشق جاء أحد كبار المستشرقين إلى دمشق وهو طاعن في السنّ فزار أعضاء المجمع العلمي العربي في بيوتهم فرداً فرداً وقال لهم: أنتم الآن في مرحلة نهضة لغوية وعلمية، ونصيحتي لكم أن تُحلّوا العامية محل الفصحى؛ لأنها هي اللغة الحية فاعملوا على وضع قواعد لها أما الفصحى فلغة ميتة. ولكنه عاد بالخيبة ولم يستجب له أحد.
- ومن ذلك محاولة سلامة موسى القبطي في كتاب "اليوم والغد". فقد قال في ص ١٧٦: [إنّ الفصحى في اعتقادي كانت لغة الكتابة فقط، أي: لغة ميتة حتى في زمن ظهور القرآن، ولكن تعليم العربية في مصر لا يزال في أيدي الشيوخ الذين ينقعون أدمغتهم نقعاً في الثقافة العربية، أي: في ثقافة القرون المظلمة، فلا رجاء لنا بإصلاح التعليم حتى تمنع هؤلاء الشيوخ منه]. (١)

وقال في ص ٧٧ من كتابه المذكور: [وذلك لأنّ هذه اللغة الفصحى هي لغة بدوية، والثقافة بنت الحضارة وليست بنت البداوة، فلهذا يشق علينا جداً أن نضع معاني الثقافة في هذه اللغة سواء بالترجمة أم بالتأليف]. (٢)

(١) نقلاً عن كتاب "سلامة موسى اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية" لمحمد عمارة ص ٣٨.
(٢) نقلاً عن كتاب "سلامة موسى اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية" لمحمد عمارة ص ٣٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خصائص هذه الأمّــة

إنّ من المهم في عملية بناء الأمـة أن نتعرّف إلى حقيقة الأمّـة المسلمة وإلى خصائصها وإلى نشأتها .. هذه الأمّـة التي أثبت الله – تباركت أسماؤه – لها الخيرية، وذلك في قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قال الراغب الأصفهاني في "المفردات":

[والأمّـة: كل جماعة يجمعهم أمرٌ ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد. سواء كان ذلك الأمرُ الجامع تسخيراً أو اختياراً. وجمعها: أمم].

وجاء في "تفسير ابن كثير" عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ [هود: ٨] ما يأتي:

[الأمّـة: تستعمل في القرآن والسـنة في معان متعـددة:

- فيراد بها الأمد، كقوله في هذه الآية: ﴿أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾، وقوله في سورة يوسف: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].
- وتستعمل في الإمام المقتدى به كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].
- وتستعمل في الملة والدين كقوله إخباراً عن المشركين أنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].
- وتستعمل في الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٤٧].

- و المراد من الأمة ههنا الذين يبعث فيهم الرسول مؤمنهم وكافرهم كما جاء في "صحيح مسلم" قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم لا يؤمن بي إلاّ دخل النار».(١)
- و أما أمة الأتباع فهم المصدقون للرسل كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وفي الصحيح: «فأقول: رب أمتي أمتي»(٢).
  - وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة، كقوله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. وكقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]]. انتهى كلام ابن كثير.

وقسّم العلماء الأمة إلى قسمين: أمة الدعوة، وأمة الإجابة. قال العلّامة التهانوي في "كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم": [الأُمة (بالضم): المجموعة من أي جنس، ولهذا قالوا: الأمة جمعٌ لهم جامع من دين أو زمان أو مكان أو غير ذلك. وتطلق تارة على كل من بُعث إليهم نبيّ، ويسمون أمة الدعوة، وأخرى على المؤمنين به، وهم أمة الإجابة. هكذا في "شرح المشكاة" في كتاب الإيمان].

ولدت أمّة الإسلام بنزول الوحي على أشرف الأنبياء وسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ.

لقد كان العرب قبل الإسلام قبائل متنافرة متباغضة يقتل بعضهم بعضاً، وينهب بعضهم بعضاً، ولم يكونوا يجتمعون على شيء على الرغم من وجود مقومات التجمع فهم يسكنون أرضاً واحدة، ويتكلمون لغة واحدة، وآمالهم

---

(١) رواه مسلم (١٥٣).
(٢) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم ٣٢٦ - (١٩٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وآلامهم واحدة. كانوا يتطلعون إلى السعادة وتحرير أطراف الجزيرة من سيطرة الفرس والروم. وكانوا يعانون الفقر المدقع، الذي يصوره حديث جرير بن عبد الله ﷺ الذي قال: كنّا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قومٌ عراة مجتابي النمار (والنمرة: كساء من صوف مخطط، ومعنى مجتابيها أي: لابسيها) متقلدي السيوف، عامتهم بل كلهم من مضر، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً، فأذّن وأقام، ثم صلّى، ثم خطب فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ والآية الأخرى التي في آخر الحشر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تصدّق رجل من دينار .. من درهمه .. من ثوبه .. من صاع بُرّه .. من صاع تمره» .. حتى قال: «ولو بشق تمرة». فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام و ثياب، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة[1].

وكانوا يعانون من المظالم الاجتماعية معاناة كبيرة، يدل على وجود هذه المظالم حلف الفضول الذي عقد في دار عبد الله بن جدعان التيمي أحد رؤساء قريش، وكان المتحالفون بني هاشم، وبني المطلب، وبني زهرة بن كلاب، وبني تيم بن مرة تحالفوا وتعاقدوا ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر النّاس إلا قاموا معه حتى تُردّ إليه مظلمته. وقد حضر هذا الحلف رسول الله ﷺ مع أعمامه، وقال بعد أن شرّفه الله الرسالة: «لقد شهدت مع عمومتي

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حلفـاً في دار عبد الله بن جدعـان، ما أحـب أنّ لي بـه حمر النعم، ولو أدعى به في الإسـلام لأجبـت».[١]

وكـانـوا يعـانـون من ويلات الحـروب التي تسـتمر عشـرات السـنين، كحرب البسـوس التي اسـتمرت أربعـين سـنه ولم تكن تهدأ حرب حتى تثور حرب[٢] وهكذا.

وكانت تثير هذه الحروب العصبيةُ القبلية، والثاراتُ، والحرصُ على الكسب المعتمد على السلب والنهب، والتفاخر الفارغ واحتقار الآخرين.

فجـاء الإسلام فأنقذهم من تلك الحفرة التي كانوا فيها، وجمعهم في أمـة واحـدة كانت أمـة العقيدة .. وصاغهم صياغة جديدة وفق تعاليم هذه العقيدة.

فاستحقت هذه الأمة أن تحظى بهذا الوصف العظيم من الله وذلك في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فكـان التواد والتراحم محل التباغض، وكـان العدل محل الظلم .. وبث الإسلام الأمن والطمأنينة محل الذعر والخوف.

إن هذه الأمة العظمى بهذه المقومات هي التي يراد بناؤها وللمرأة في ذلك دور كبير.

إنَّ عمل القادرات منكن على بناء الأمة واجب عند التعيّن وقد سبق أنْ وقفنـا عنـد قولـه تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقفات عدة وذلك في أثنـاء تعريفنا للأمـة أود أن أذكر خصائص هذه الأمة، ولِمَ استحقت أن توصف بأنها خير أمـة أخرجت للناس.

---

(١) "سيرة ابن هشام" ١/ ١٤١، و"نور اليقين" ص ١١.

(٢) انظر "أيام العرب".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن أولى خصائص هذه الأمة الإيمان بالله .. والإيمان بالله وبأن محمداً رسول الله هو الأساس الذي يقوم عليه بناء الأمة.

و قد تولى القرآن الكريم بيان هذه العقيدة في آيات محكمات بينات .. إنها العقيدة التي حلّت للإنسان أعظم مشكلة تلحّ على وجدانه متمثلة بالسؤال الآتي: لماذا خُلقت؟

ويأتي الجواب في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ووضعت هذه العقيدة نظرة متميزة للإنسان والكون والحياة: فهذا الكون من صنع الله ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤].

والكون ليس عدواً للإنسان، وليست الطبيعة خصماً له يصارعه ويغالبه، إنما هي من خلق الله، وهي صديق ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

والناس مخلوقون من ذكر وأنثى وموزعون إلى شعوب متعددة لتتعارف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣].

والناس متساوون ولا يتفاضلون إلا بالتقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

والإنسان مخلوق من تراب ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر: ١١].

وهو يشارك الحيوان بأنواعه في كثير من صفاته وغرائزه ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]. ولكنه مكرم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والحياة الدنيا هي وحدها الطريق إلى الآخرة والجزاء على حسب العمل ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]. ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

وقرر القرآن العقيدة السليمة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والخاصة الثانية أنها أمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذه الخاصة متصلة بالتبليغ. تبليغ آخر رسالات إلى الناس جميعًا: عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم وأصفرهم، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».(١)

تدل هذه الخاصة على أن رسالة هذه الأمة عامة موجهة للبشر جميعًا، أما الرسالات السابقة فكانت خاصة بأقوامها.

وهناك أمور كلفت بها الأمم كلها وهي عبادة الله وحده قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ٢٥-٢٦].

وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

وقال: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٦١].

وقال: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٨٤].

وكذلك فقد خوطبت هذه الأمة بقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وهذه العبادة ينبغي أن تكون خالصة لله أمرت الأمم السابقة بذلك وأمرت هذه الأمة أيضاً: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

إذن المطلوب من الناس لكي يصبحوا مؤمنين أن يعبدوا الله مخلصين له الدين، ولا تكفي المعرفة المجردة البعيدة عن العمل، لا يكفي أن يعرف المرء أنَّ له ربـًا و أن هذا الرب واحد .. ثم لا تكون منه العبادة خالصة لله. فقد كان إبليس يعرف ذلك.

ويتحقق هذا الإخلاص في أمور :

- من أهمها الاعتقاد الراسخ بأنّ الله واحد لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ دينه نسخ الأديان كلها، وأنَّ من يبتغي دينـًا غير الإسلام فلا يقبل منه.
- ومنها التوجه بالعبادة إليه وحده لا شريك له.
- ومنها التحاكم إلى شريعته وحدها دون غيرها من الشرائع. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

بيّنا فيما سبق أن هذه الأمة كُلفت أن تكون هادية للبشرية كلها، وأن تكون شاهدة على البشرية كلها. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فإذا كنّا مأمورين بأن نحمل هذه الرسالة الخاتمة إلى الناس أجمعين كان علينا أن نأخذ بالأسباب التي تمكننا من ذلك، ومن أهم هذه الأسباب العلم والتعاون.

يقول ﷺ: «بلغوا عني ولو آية».

ويقول: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم».

* * *

إنَّ من مهمات المرأة في بناء الأمّة أن يكون عملها قائماً على خصائص هذه الأمة التي قررها الكتاب والسنّة، ولن يتحقق لها هذا حتى تكون هذه الخصائص المتميّزة واضحة في ذهنها تمام الوضوح، ويكون هذا الوضوح معيناً لها على القيام بالبناء المطلوب، ويكون معيناً لها على تبيين هذه الخصائص المتميّزة لمن تريد أن تَدْعُوَهُنّ.

وقد ذكرنا أنّ الخاصة الأولى من تلك الخصائص أنّها أمة تقوم على الإيمان، دلّ على ذلك نصوصٌ كثيرة في الكتاب والسنة:

- فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].
- ومن ذلك الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تقرر هذه الحقيقة:

- ومن ذلك قوله ﷺ: «لا يزال من أمتي أمةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرّهم من كذّبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[(١)].

فأمة الإسلام هي أمة الإيمان التي تقوم بأمر الله في كل عصر، لا تتقاعس عنه ولا تبالي بالمخالفين ولا المكذبين، وتصبر على ما تلقى في سبيل الله. أعمالها كلها تبتغي بها وجه الله كما جاء في الحديث الصحيح أن رجلاً جاء الى النبيّ فقال: الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل رياءً. فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «مَنْ قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».[(٢)]

- ومن ذلك الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ عندما استقرّ في المدينة، وقد جاء في أوله: «إن المؤمنين والمسلمين ومن تبعهم ولحق بهم أمة من دون الناس».[(٣)]

إنّ أمة الإسلام التي تؤمن بمحمد ﷺ رسولاً من عند الله بدأت نشأتها يوم أن تنزّل جبريل بالوحيّ على رسول الله ﷺ أول مرّة، وأخذت هذه الأمّة وضعها الواقعي الرسمي بعد الهجرة مباشرة، وقامت دولة الإسلام ومن أجل ذلك كانت الهجرة أعظم حدث في حياة المسلمين، ومن أجل ذلك اتخذ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الهجرة مبدأً لتاريخ المسلمين. رضي الله عنه وأرضاه، ما أعظم إدراكه لحقيقة هذه الأمة، وكان عمله العظيم هذا تحديداً عملياً للأجيال المقبلة متى قامت أمة الإسلام عملياً في دنيا الواقع.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٦٠)، ومسلم (١٠٣٧)، وأحمد: ٤/ ١٠٤ و٥/ ٢٤، وأبو داوود (٢٤٨٤- ٤٢٥٢)، وابن ماجه (٧- ٣٩٥٢).

(٢) رواه البخاري (٧٤٥٨).

(٣) "الوثائق النبوية" للدكتور محمد حميد الله ص ٤١.

إذن فأمة الإسلام أمةٌ قائمةٌ على أساس الدين وعلى الإيمان بهذا الدين، وليست قائمة على أي أساس آخر.

نعم هناك روابط وعلاقات كثيرة في حياة الناس، لا ينكرها الإسلام كالقرابة، والمال، والأرض (الوطن) .. ولكنه لا يجعلها أساساً تقوم عليه الأمة.

لقد كان العرب في الجاهلية لا يُحسون في أعماقهم بأنهم أمة .. لأنهم كانوا يقيمون حياتهم على الرابطة القبلية .. فلّما جاء الإسلام أبطل هذه العصبية .. وأقام أمته على الدين .. فالرابطة التي تجمع أفراد الأمة هي رابطة الإسلام والإيمان دون نظرٍ إلى قبائلهم أو أوضاعهم المادية أو أنسابهم أو اوطانهم.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤].

لقد ذكرت هاتان الآتيان الكريمتان روابط ثلاثة تقوم عليها حياة بعض الأمم وهي:

رابطة القرابة ويمكن أن يُعبر عنها بالعصبية والقبلية والقومية.

ورابطة المصالح الاقتصادية وقد تبدو الآن بعنوان الاشتراكية أو الرأسمالية.

ورابطة الوطنية وهي التي تسود الآن كثيراً من بلدان العالم.

إن هذه الروابط موجودة في عالم الواقع .. ولكن لا يجوز أن تعلو على حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله.

وفي هاتين الآيتين وصف لمن يخالف هذا المبدأ العظيم وهو الولاء لله ولرسوله ولدينه الحق. وصف لمن يخالف هذا المبدأ بأنه من الظالمين، وفيهما تهديد مخيف له بأن ينتظر حتى يأتي لله بأمره ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أي: فانتظروا ما يحل بكم من عقابه ونكاله، ثم عقب على ذلك بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وفي ذلك إشارة إلى أن من يكون كذلك هو من الفاسقين.

ولله در سيدنا عمر الذي قال: نحن - العرب - قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله. وقد تحقق هذا القول في معاصرين نادوا بالقومية العربية وابتغوا بها العزة، فذلوا وهزمتهم حفنة من اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة .. ولا يغلبك مثل مغلب .. واحتلوا جزءاً عزيزاً غاليًا من بلاد العرب والمسلمين.

وتحقق قول عمر رضي الله عنه في الذين نادوا بالاشتراكية وأرادوا أن يجعلوها الأساس الذي تقوم عليها حياتهم فجنوا من ذلك العار والدمار والهزيمة الذليلة. ومثل هؤلاء وأولئك في مجانبة الحق والسداد الذين يريدون أن يجعلوا الرابطة التي تقوم عليها أمتهم الوطنية المحدودة المصطنعة .. فمعلوم أنّ الكفار قسموا بلاد المسلمين أمصاراً وأوطانا.

إن علينا ان ندرك هذه الحقيقة .. فلا نجاة لنا من هذا الضنك الذي يحياه المسلمون ومن الأوضاع المؤلمة التي يعانونها إلا بأن نعود إلى الله ونستمسك بدينه ولا تكون لنا رابطة إلا الإسلام. وما أحسن قول القائل:

الصين لنا والعرب لنا ... والهند لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينًا ... وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور ... أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تمحى ... في الدهر صحائف سؤددنا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في ظل السيف تربينا وبنينا العزّ لدولتنا
علم الإسلام على الأيام شعار المجد لدولتنا[1]

- إنّ من ثمرات بناء الأمة على الإيمان بهذا الدين العظيم التزام الناس بأحكام الشرع والعمل بها، فقد قرن الله سبحانه الإيمان بالعمل في عدد كبير من الآيات فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وعظم أمر الإنسان يقول شيئًا ثم يخالفه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

والعمل وفق ما يقتضيه الإيمان برهان على صدق هذا الإيمان.

وقد جاء في الحديث الصحيح «والصدقة برهان».[2]

وكثير من المسلمين اليوم يقولون بألسنتهم كلمة التوحيد، ويقولون الكلام الحلو .. ولكن حياتهم مخالفة لما يقولون كل المخالفة .. وليس هذا بالوضع الذي يرضاه الله ورسوله .. ويحكي لنا ربنا ﷻ عن شعيب قوله لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾ [هود: ٨٨]. ويقول تبارك وتعالى مخاطبا بني إسرائيل: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]

- ومن ثمرات بناء الأمة على الإيمان بهذا الدين العظيم التعاونُ بين المسلمين، فلا ترى فيهم جائعًا ولا مظلومًا، ولا بائسًا ولا محرومًا.. بل تراهم كأنهم جسد واحد على نحو ما ذكر رسول الله ﷺ وذلك في قوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه

---

(١) "فلسفة اقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان" ص ١٣٧-١٣٨ تأليف محمد حسن الأعظمي والصاوي علي الشعلان.

(٢) رواه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، وابن ماجه (٢٨٠)، والدارمي: ١/ ١٦٧، وأحمد: ٥/ ٣٤٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى».[١]

يعيش المؤمن في مجتمعه آمنًا، لا يعرف القلق والخوف على حياته وماله وعرضه ..

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه»[٢]. وفي رواية عن طَلْق بن علي ﷺ: «ليس المؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقه».[٣]

وقد أثنى رسول الله ﷺ على الأشعريين وقال: «هم مني وأنا منهم». لأنهم يتعاونون فلا يجوع فيهم أحد. روى البخاري ومسلم عن أبي موسى أنه ﷺ قال: «إن الأشعريين إذا أرملوا (أي افتقروا) في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم».[٤]

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع الى جنبه».[٥]

هكذا يثمر الإيمان .. يثمر التعاون والتكافل والتضامن والمحبة والمودة والأمن والأمان .. وماذا يبتغي العقلاء والمصلحون أكثر من هذا؟ إنّ الإيمان الذي يدعو الإسلام لإقامة المجتمع عليه يثمر مجتمع السعادة الذي حلم به بعض المفكرين ولم يستطيعوا أن يجدوه في دنيا الواقع.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، وأحمد ٤/ ٢٧٠.

(٢) رواه الحاكم ٤/ ١٦٥، وهو حديث حسن.

(٣) رواه الطبراني ٨/ ٣٣٤ برقم ٨٢٥٠، وهو حديث صحيح.

(٤) رواه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم ١٧٦(١٥٠٠).

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم: ١١٢، والطبراني١٢/ ١٥٤، والحاكم ٤/ ١٦٧، والبيهقي ١٠/ ٣. وهو حديث صحيح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حُسنُ الخُلق

إنه مجتمع الخلق الكريم النظيف .. يقول رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق النّاس بخلق حسن».(١)

ويقول صلوات الله وسلامه عليه فيما يرويه عنه أبو الدرداء رضي الله عنه: «ليس شيء أثقل في الميزان من الخلق الحسن».(٢) رواه أحمد وهو حديث صحيح.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء».(٣)

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من لم يجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه».(٤)

ألا ما أعظم هذه الثمرة .. ذلك يا أيتها الأخوات .. لأنّ الإنسان يعيش ويسعد بالأخلاق والمعاني الكريمة .. لا بالمال والجمال والنسب .. فكل أولئك أعراض زائلة.

إنّ العصمة للأنبياء، ومن عداهم من الناس بشر من البشر قد يقعون في المعصية. هنا ينادي الإسلام ذاك الذي زلت قدمه: تعال إلّي قم .. هلم إلى العودة إلى الحق، لا تقنط من رحمة الله .. إن باب التوبة مفتوح والله يحب التوابين ويحب المتطهرين. يناديه: أقبل فإنك إن تبت وعملت الصالحات بدّل

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧)، والدارمي ٣/ ١٨٣٧ برقم ٢٨٣٣، وأحمد ٥/ ١٥٢، والحاكم ١/ ٥٤.

(٢) رواه أحمد ٦/ ٤٥٠، وابن حبان ٢/ ٢٣٠ (٤٨١). وهو حديث حسن.

(٣) رواه أحمد ١/ ٤١٥، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٢)، والترمذي (١٩٧٧)، وابن حبان ١/ ٤٢١ (١٩٢)، والحاكم ١/ ١٢ (٢٩)، وهو حديث صحيح.

(٤) رواه أحمد ٥/ ٣٢٢، والحاكم ١/ ١٢٢ (٤٢١)، وهو حديث حسن. وقد روى نحوه بإسناد صحيح الترمذي (١٩١٩) عن ابن عمرو وابن عباس رضي الله عنهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله سيئاتك حسنات. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

وقال عزّ من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

إنّ علينا - ونحن نذكر خصائص أمّة الإسلام - أن نذكر الحقيقة الآتية، وهي: أنّ المسلم معرض للزلل في كل زمان ومكان؛ لأنّ هناك عوامل عدة تدفعه إلى الوقوع في المعصية، منها: الشيطان وجنوده .. ومنها الشهوات.. ومنها الهوى .. ومنها قرين السوء.

ولكن المسلم إذا وقع في المعصية سارع إلى التوبة والاستغفار، ويرى أن ذنبه كأنّه جبل يريد أن يقع عليه، فتصفو نفسه ويقبل على الله .. وربما قادته هذه التوبة إلى مستوى رفيع لم يكن بلغه قبل المعصية.(١) أما الفاجر فلا يبالي بما صدر منه من المعاصي، فيستمرّ في طريق الغواية ويكون من الهالكين.

قال سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

«إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا» أي: قال بيده فوق أنفه.(٢)

قال الله تعالى في وصف المتقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟

---

(١) قال ابن عطاء الله: معصية أحدثت ذلاً وافتقاراً خيرٌ من طاعة أحدثت عزاً واستكباراً. ["الحكم" ص٣٢].

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٨)، والترمذي: (٢٤٩٧)، وأحمد ١/ ٣٨٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

وقال تقدست اسماؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

هذه بعض ثمرات بناء الأمة على الإيمان، وهناك ثمرات أخر كثيرة.

ومن خصائص هذه الأمة العظيمة: أمة الإسلام التي جعلها ربنا سبحانه خير أمة أخرجت للناس.

أنها كانت كذلك لأنها قامت على تلك الخصائص المثلى ومن أهمها الإيمان.

- ومن ثمرات بناء الأمة على الإيمان بهذا الدين سيادة الفضيلة، واختفاء الرذيلة، وانتشار الأمن بين الناس بسبب الايمان الذي يملأ صدور النّاس، و«الإيمان قيد الفتك» كما جاء في حديث رواه الإمام أحمد وأبو داود.[١]

وبسبب إقامة الحدود على المجرمين مهما كان وضعهم الاجتماعي أو الاقتصادي أو الفكري. وقد تحقق هذا في العصور التي أعز الله فيها أمّة الإسلام .. يوم أن أقامت حياتها على مبادئ الإسلام، فسادت العالم وقادته إلى سعادة الدنيا والآخرة. والأمثلة على ذلك كثيرة، ومن أشهرها الحادثة التي سجلتها كتب السنة، وذلك في حديث عائشة الذي رواه البخاري ومسلم[٢] وغيرهما: أن قريشًا همهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت. فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟

قالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ؟

---

(١) مسند أحمد ١/ ١٦٦، وأبو داود (٢٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ:

«أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟» ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وهكذا حسم الرسول العظيم الحادثة، فَقُطِعتْ يدُ الشريفة المخزومية، ولم تنفع قريشًا شفاعة أسامة الذي كان حبّ رسول الله ﷺ وابن حبه ..

وهكذا تكون الأمة التي تريد أن تصون نفسها من الهلاك الذي حاق بالأمم المتقدمة.

- لا فرق بين إنسان وإنسان أمام الشرع. ولله در القائل[1]:

هل كان دين ابن عدنان سوى فَلَقٍ ... شقّ الوجود وليل الجهل يغشاه

سل الحضارة ماضيها وحاضرها ... هل كان يتصل العهدان لولاه

هل تطلبون من المختار معجزة ... يكفيه شعب من الأجداث أحياه

وكيف ساس رعاة الابل مملكة ... ما ساسها قيصرٌ من قبل أو شاه

سنوا المساواة لا عرب ولا عجم ... ما لامرئ شرف الا بتقواه

ورحب الناس بالإسلام حين رأوا ... أنّ السلام وأنّ العدل مغزاه

يجب أن يعم هذا المبدأ ويتحقق في أفراد الأمة المؤمنين أيضا، ويجب أن يقفوا في وجه كل باغ خارج على الأمة، وأن يأخذوا على يد الظالم أو المفسد أو المعتدي ولو كان هذا الباغي أو الظالم أو المفسد ولد أحدهم.

وقد وجدنا في سير الحكام العادلين والمحدثين نماذج من ذلك .. فقد نقل عن إمام من أئمة الحديث قوله: (لا تروووا عن ابني فإنه كذاب). ونقل عن آخر أنه

---

(١) هو الأستاذ محمود غنيم. شاعر مصري فحل معاصر، توفي بمصر سنة ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) وانظر "أقوال مأثورة" ٢/ ١٨٣-١٧٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان يثني على أبيه ويدعو له، ولكنه كان ينبه إلى أنه لا تعتمد روايته لأنه كان ضعيف الذاكرة. فالحق أحق أن يقال امتثالاً لأمر الله: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

فلا يجوز أن تحملنا القرابة على المحاباة وقول غير الحق، ولا يجوز أن تحملنا العداوة على الظلم وقول غير الحق.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ومن هذا القبيل الصدق في نصح المستشير في موضوع الزواج أو الشركة أو العمل ونحو ذلك، فإذا سئل رجل أو امرأة عن فتاة أو فتىً فيجب أن يجاب عن سؤاله بقول الحق بأمانه وموضوعية، ولا يجوز أنً يكتم المسؤول ما يعلم، ولا يحسُبُ لغير الحق والأمانة حساباً.

عن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة» ثلاثاً.

قلنا: لمن يا رسول الله؟

قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١).

أعرف رجلاً سئل من قبل ولي الفتاة المخطوبة عن أخيه. فقال للسائل: إنّ أخي فاسق يشرب الخمر ولا يحافظ على الصلاة وهو سيء الخلق. فشكر السائل له صدقه وامتنع عن تزويجه.

وفي هذه الحالة يجب على السائل أن يكتم اسم الناصح، ويتأكد من صحة المعلومات التي سمعها. وكذلك ينبغي أن يكون التصرف فيمن يستشار بإقامة

---

(١) رواه مسلم (٥٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شركة بينه وبين إنسان آخر أو في اختيار إنسان ليكون معلماً أو إماماً أو نحو ذلك. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

ومن ثمرات بناء الأمّة على الإيمان إقامة الأخوة بين أفراد الأمة، وعندما تتحقق هذه الأخوة يكون بناء الأمة متماسكاً لا يستطيع العدو أن يخترق الصف الواحد المرصوص. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».(١)

وهكذا كان حال الصحابة الذين عقد الرسول ﷺ بينهم عقد الأخوة، فكان الأنصاري يعرض على أخيه المهاجر أن يقاسمه ماله ويكرمه غاية الإكرام كما قال سيدنا أبو بكر للأنصار ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال طفيل الغنوي(٢) بذكر جعفراً:

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا، ولو أنّ أمّنا ... تلاقي الذي لا قوه منا لملت
هم اسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأظلت

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٦٤).
(٢) انظر "فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر" ص ٢٣، و"ديوان طفيل" ص ٩٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأمة الإسلام أمة متعاونة متكافلة يصورها الحديث بصورة بليغة معبرة قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».(٣)

وقال ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»(٤).

فقد علق رسول الله الإيمان بالتحاب.

أخوة عمادها الإيمان أولاً وقبل كل شيء، فإذا اجتمع مع الإيمان القرابة كان ذلك خيراً إلى خير، ويحضّ الشرع المطهر على صلة الرحم والقيام بحقها، أما إذا تخلف الإيمان فلا عبرة للقرابة، وفي قصة نوح ولوط تأكيد لهذا المعنى. قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢-٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥-٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٦) بهذا اللفظ، والبخاري (٦٠١١) بنحوه.

(٤) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّ من خصائص أمة الإسلام التي أحدثكن عن دور المرأة في بنائها الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر. وهذه الخاصة من أبرز خصائص هذه الأمة التي تميزها عن غيرها من الأمم السابقة واللاحقة، ولهذا وردت هذه الصفة في أعقاب نعت تلك الأمة بالخيريه في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد ورد ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وصف المؤمنين في مقابلة وصف المنافقين. فقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨].

وقال بعد آيتين من السورة نفسها: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

فأمة الإسلام رجالاً ونساءً مكلفون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل على حسب قدرته وطاقته. وهذا التكليف دلت عليه آيات الكتاب الكريم وأحاديث النبيّ ﷺ. يقول رسول الله ﷺ: «ما من نبيّ بعثه الله في أمته إلّا كان من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».[١]

ويوضح ذلك حديث أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».[٢]

ويفهم من هذا الحديث أنّ الأمر عام يشمل الرجال والنساء والحكّام والمحكومين للفظ العموم في قوله «من رأى منكم منكراً»، وأنّ ذلك مرتبط بالقدرة والاستطاعة لقوله: «فإن لم يستطع»، وأن ذلك أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبط بالإيمان.

فالحكام ورؤساء الدوائر من مدنيين وعسكريين والأزواج والآباء ومديروا المدارس والجامعات هؤلاء يستطيعون الأمر بالمعروف وتغيير المنكر في مناطق ولايتهم، أما إذا لم يكن المرء صاحب سلطة عامة ولا خاصة فيؤمر بأن يستعمل لسانه .. نعم إن علينا أن نستعمل ألسنتنا في الخير. ومعلوم أنه مطلوب من المرء في هذه الحالة أن يستعمل لسانه بالحكمة والأسلوب الحسن الرفيق.

حدثني رجلٌ من أهل العلم أنه دُعي في بلد عربي إلى طعام الغداء عند صديق له في استراحة فيها حديقة، فلما جاء وجد أنّ الداعي دعا أيضاً أقرباءه من الرجال والنساء، وقد جلس النساء في مكان وحدهن، وكان فيهنّ عدد قليل من النساء السافرات الحاسرات، فلما رأى العالم هذا المشهد قال لصاحبه وهو يحاوره: يا أخي إنّ سكوتي غير جائز، فأنا أريد أن أذهب معك إليهن أبلغهن الموقف الشرعي.

---

(١) رواه مسلم (٥٠).

(٢) رواه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، وابن ماجه (٤٠١٣)، والنسائي ٨/ ١١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فرحّب صاحبه بالاقتراح، وذهبا إليهن فتكلم العالم وبيّن لهؤلاء النساء حكم الله في الحجاب وتلا عليهنّ الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وشرحها وقال: هل أنتن قادرات على تحمل العذاب الذي أعده الله لمن يخالف أمره؟ إنّ كلّ لحظة تمضي على إحداكن إن كانت مخالفة أمر الله تكون في معصية، وتسجل على نفسها سيئات ستلقاها يوم القيامة وتتعرض لعذاب الله الشديد وتلا عليهن قول الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال إنّ الحجاب صيانة للمرأة المسلمة وتكريم لها، وما كثرت حوادث الاغتصاب والعدوان على النساء إلا بسبب مخالفة أمر الله في ترك الحجاب وإلا بسبب التبرج الذي حرمه الله، وبسبب إبداء الزينة لغير الأزواج والمحارم. ثم دعا لهن بالهداية والرجوع الى الله والاستقامة على شرعه، وعاد الى حلقة الرجال. وفي اليوم الثاني كلمه صاحب الدعوة قائلا: لقد تحجّب عدد من أولئك النساء اللاتي سمعن كلمتك إذ تأثرن بموعظتك ونصحك فجزاك الله الخير.

إنّ الكلمة إذا قيلت في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب لابُدّ أن تترك أثراً. ونحن مأمورون بالتبليغ. يقول رسول الله ﷺ: «بلغو عني ولو آية».[1]

أيتها الأخوات الفاضلات هذه مهمة يجب ان تكون في اهتمامكن، ولا يجوز التهاون في تطبيقها بحال من الأحوال. فهي الموصلة الى الفلاح يقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).

ووسائل الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير أضحت ميسرة وكثيرة. فمن هذه الوسائل:

- المحاضرات والخطب.
- والاتصالات الهاتفية.
- والرسائل البريدية.
- والشرائط المسموعة والمرئية، وبإمكانكن الاستفادة من البرامج التي تذاع من إذاعة القرآن الكريم وغيرها.
- والأحاديث الشخصية في الزيارات والمناسبات، والتعليق على الأحداث التي تقع في المجتمع، وتقويم الانحراف الذي قد يظهر من أقوال ناس منحرفين وتصرفاتهم.
- ومن الوسائل استخدام الأنترنيت الذي انتشر بين الناس انتشاراً كبيراً، وهو ذو حدين، فيمكن استخدامه للخير ويمكن استخدامه للشر.

إن قول الحق صفة تلازم المسلم والمسلمة باللسان والقلم، وكذلك فيجب أن يكون سلوكهما المستقيم داعياً إلى الحق.

وأحب مرة أخرى أن أذكر أخواتي وبناتي أن ذلك كله ينبغي أن يكون بعيداً عن التشدد والتشنج، لأن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه كما قال سيدنا رسول الله ﷺ، وينال بالرفق مالا ينال بالعنف.

إنّ مهمتكنّ في البناء تقتضي أن تعملن على إنشاء جيلٍ من الناس أبيٍّ يأبى الذلّ، رحيمٍ بالمسلمين، بذولٍ لا يدع الشح يسيطر عليه ويحركه.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

فلا يرضى المسلم بالذلّ وهو من الأعلين بإيمانه يقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأرزاق الناس مقسومة منذ الأزل يقول سبحانه: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق: «إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمّه أربعين يوما نطفه، ثمّ يكون علقة مثل ذلك، ثمّ يكون مضغة مثل ذلك، ثمّ يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد».(١)

والناس متفاوتون في الرزق، فمنهم مَنْ قُدِر عليه رزقه، ومنهم من وسع عليه .. وهذا شأن الناس في كل الأمم. ولله در القائل :

وما مجاهدة الإنسان توصله ... رزقًا ولا دعة الإنسان تقطعه

قد وزع الله بين الخلق رزقهمو ... لم يخلق الله من خلق يضيعه

لكنهم كلفوا حرصًا فلست ترى ... مسترزقا، وسوى الغايات تقنعه

والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت ... بغيٌ ألا إن بغي المرء يصرعه(٢)

وجاء الإسلام فأقام شرائع تضمن للناس الحياة الكريمة، فتراهم متعاونين متكافلين متراحمين متواضعين، لا الغني يطغى، ولا الفقير يذل، ما داما متمسكين بأحكام هذا الدين .

لقد ربى الإسلام نفوس أتباعه على البذل والإيثار والبر سواء كانوا فقراء أم أغنياء.

○ عن عدي بن حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «اتقو النار ولو بشق تمرة».(٣)

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأحمد: ١/ ٣٨٢، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦)، وغيرهم.

(٢) ابن زريق البغدادي. "الوافي بالوفيات" ٢/ ١١٢، و"طبقات الشافعية" ١/ ٣٠٨، و"ثمرات الأحداق" ١٩٢.

(٣) رواه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦- ٦٨).

- وعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «سبق درهم مائة ألف درهم».
قالو: كيف؟
قال: «كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل له مال كثير إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف فتصدق بها».(١)
- وسئل رسول الله ﷺ: أي الصدقة أفضل؟
فقال: «جهد المقل».(٢)
- وعن أم بجيد رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله. إن المسكين ليقوم على بابي فما أجد له شيئًا أعطيه إياه.
فقال لها رسول الله ﷺ: «إن لم تجدي إلا ظلفًا محرّقًا فادفعيه إليه في يده».(٣)

إنّ ترغيب الفقير بأن ينفق ولو كان ما ينفقه شيئًا قليلاً أسلوبٌ تربوي للأمّة كلّها .. إنّ الإسلام بذلك يُعْلِمُ الفقير أنه لم يخسر نفسه إذ خسر المال. ولم يفقد كرامته الإنسانية إذ فقد الثروة، ولذا فإنه يدعوه إلى أن يبذل من ماله ما يستطيع ولو كان المبذول قليلاً. ويرغبه في الإيثار ولو كان هو في حاجة إلى المال الذي يبذله لأخيه المسلم، ليشعر من يعيش معهم بأنه إنسان ذو قلب كبير. ويُعْلِمُ الغني أنه لم يخرج بغناه عن دائرة بني جنسه، ولم يصر بالمال نوعًا آخر حتى ينكر الناس ويتنكر لحاجاتهم، وإنما هو منهم وهم منه، وعليه أن يعاونهم وأن يبادلهم العطف والرحمة والبذل.

---

(١) رواه النسائي ٥/ ٥٩.
(٢) رواه النسائي ٥/ ٥٨.
(٣) رواه أبو داود (١٦٦٧)، والترمذي (٦٦٥)، والنسائي ٥/ ٨٦، وابن خزيمة (٢٤٧٣)، وابن حبان ٨/ ١٦٧. والظلف: للبقر والغنم بمزلة الحافز للفرس.

لنتأمل ثناء النبي ﷺ على الأشعريين الذين حققوا معنى التعاطف والتراحم والبذل على أحسن صورة وذلك بقوله: «هم مني وأنا منهم»، وذلك في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعامهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسويّة، فهم مني وأنا منهم».(١)

أليس هذا الوضع الذي كان عند الأشعريين ترجمة حية للحديث الذي يصور فيه الرسول ﷺ المسلمين كالجسد الواحد.

إن مشاركة الفقير إخوانه المسلمين في العطاء يحفظ عليه كرامته .. فإنه إذا أسهم ولو بالقليل في تفريج كربة غيره ذاق لذة الإحسان، وشعر بكرامته بصفته إنسانًا، وإذا رآه من هم أكثر منه مالاً كانت لهم فيه أسوة حسنة وأحبوه واحترموه.

و لهذا أباح الله للفقير أن يأخذ زكاة الفطر، وطالبه في الوقت نفسه أن يخرج زكاة الفطر عن نفسه وعمّن تلزمه نفقته.

ومن عرف وسائل التربية الصحيحة تبيّن له أن هذا الأسلوب من أعظم الأساليب في انتشال نفوس الفقراء من مواطن الذل والشعور بالنقص. وفي تعويدهم البرّ والإحسان، وفي إصلاح نفوسهم وتكريمها بإشعارها أنها ليست نفوسًا آخذة منتفعة دائمًا، بل هي أيضًا نفوس معطية باذلة نافعة.(٢)

إنَّ الغنى الحقيقي ليس في إحراز المال كما قرر ذلك رسول الله ﷺ: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض ولكن الغنى غنى النفس».(٣)

---

(١) رواه البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).
(٢) انظر كتاب "الربا والقضايا المعاصرة" ص ١١٦- ١١٧ للشيخ محمود شلتوت.
(٣) رواه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا أمرٌ مشاهد في الواقع، فكم من رجال فقراء كان الناس يحسبونهم أغنياء من التعفف لا يسألون ولا يقبلون العطية، فإذا ماتوا تبينّ أنهم كانوا فقراء. لقد كانت تمنعهم العزة الإسلامية أن يبذلوا ماء وجوههم.

إنّنا نتطلع إلى أن ينشأ جيل أبيٌّ، غناه في نفسه، يعتمد على نفسه في أمور الحياة، ولا ينتظر العون والمساعدة من الآخرين .. يصبر على ما يلقى من مصاعب ومتاعب ومصائب .. و يترفع عن السؤال، ولا يتطلع إلى ما في أيدي الناس. فقد قيل: من اتكل على زاد غيره طال جوعه. وإذا كان موسراً أنفق ولم يمنع حقَّ الله أهلَه من إخوانه المسلمين. كما قال بشامة النهشلي:

فرضٌ على مكثريهم نيلُ بذْلِهِم والجودُ والبذلُ في طبع المقلِّينا[1]

و كما قال الرافعي:

في ضميري دائماً صوت النبي آمراً: جاهد وكابد واتعبِ

صائحاً: غالب وطالب وادأب صارخاً: كن أبداً حراً أبي[2]

إننا إن استطعنا أن نجعل من نشرف على تربيتهم جيلاً يتغلبون على نفوسهم وشهواتهم ويتحررون من الحرص والشح، ويحبون العمل، ويبتغون من فضل الله بالكسب الحلال، و يؤثرون ما عند الله، نكون قد حققنا كثيراً مما نريد.

إنّ التربية هي الأساس الذي يقوم عليه بناء الأجيال المقبلة في الأمة، فالتربية السليمة الهادفة الحكيمة تثمر أمة قوية قادرة على نشر الرسالة التي تؤمن بها، ومستعدة الدفاع عن نفسها ولصد عدوان المعتدين، وسعيدة تعيش الحياة الآمنة الهانئة.

---

(١) "أقوال مأثورة" ٢/ ١٤.

(٢) "الحديقة" ١٠/ ٩٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن أجل هذا فإني أرى أنه لا بُدّ من أن نتبيّن معالم التربية الإسلامية التي نجدها في الكتاب الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي السنة المشرّفة، وفي فهم العلماء لما جاء في هذين المصدرين مما يتعلق بالتربية.

يجب أن ندرس مبادئ هذه التربية الإسلامية المتميزة، ولا يجوز أبداً أن نكون عالة على التربية الغربية التي تنطلق من منطلقات غريبة عنا ومجانبات لديننا ومثلنا العليا.

ويجب أيضاً أن نعمل وفق توجيهات هذه التربية في عملنا التربوي لأولادنا وتلامذتنا من الناشئة.

وممّا يؤكد ضرورة الاهتمام بالتربية الإسلامية واقع كثير من فتياننا وفتياتنا الذين تأثروا بالأوضاع الغربية عنا .. إنك لترى كثيراً من الشباب يقفون في الصباح قريباً من باب المدرسة يدخنون قبل أن يدخلوا .. وتراهم وقت الانصراف يركبون سياراتهم وينطلقون بسرعة جنونية، وكثير منهم يرفعون صوت المسجل في السيارة بالموسيقى والأغاني المائعة.. وفي المساء ترى بعض هؤلاء يتسكعون في الطرقات ذهاباً وجيئة.. يعاكسون ويتصرفون تصرفات مؤذية غير لائقة، وهي مخالفة لأحكام الدين و آدابه.

إنّ هذا واقع لا ينكره إلا رجل منطو على نفسه لا يخرج من بيته ولا يمشي في الأسواق، أو مكابر يخدع نفسه والآخرين.

إنّ الإسلام يُربّي أتباعه التربية المثالية التي تحقق الخير والسعادة للفرد وللمجتمع، ويقيم نظرته إلى كل فرد في الأمة على أنه إنساناً والإنسان مكرم. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ومن هنا بسبب هذه النظرة والتربية نبغ رجال أفذاذ من هذه الأمة. قدّموا للإنسانية الفكر الرصين، والابداع المتألق، والخير العميم، ورسموا لها طريق السعادة في الدنيا والآخرة .. وكان بعضهم من الفقراء، وبعضهم من الأغنياء.

ونوّد أن نلمس جانبًا من جوانب هذه التربية الإسلامية في موضوع المال والتعاون الاقتصادي.

لقد أراد الإسلام أن يكون المجتمع الإسلامي الذي يبنيه مجتمعًا متراحمًا متعاونًا، لا تكون قاعدة التعامل فيه أن يستلب القويّ ما في يد الضعيف، وأن تُستغلَّ حاجات المحتاجين استغلالاً دنيئًا، لإرباء ثروة الأغنياء، وتحويل الأموال إلى خزائنهم. وسلك الإسلام في تحقيق ذلك سبيل التربية المعتمدة على الإيمان بالله ومخافته والترغيب والترهيب.

وذلك أن الربا - مثلاً- يكون بين دائنٍ قوي في يده من المال ما هو فوق حاجته، ومدينٍ ضعيف محتاج إلى هذا المال، فيستغل القويّ ضعف الضعيف، وحاجته الملحة، ويجعل ما يقدمه له من المال شبكة يصطاد بها ما لديه. وليس للأول فضل إلّا أنه غني مالك، وليس للثاني إلّا أنه فقير محتاج.

ولا شك أنّ المجتمع الذي يقوم على تمكين القوي القادر من أسباب الحياة السعيدة وتيسير وسائلها له، وحرمان الضعيف المحتاج من المعاونة والرحمة، ومن حقه الإنساني في أن يُنقذ ويُنتشل من وهدة الفقر والحاجة، لا شكّ أن المجتمع الذي يقوم على هذا مجتمعٌ فاسد شبيه بمجتمعات الوحوش في الغاب.

ولو تأملنا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي وردت في موضوع الإنفاق والكسب لرأينا نظامًا محكمًا قائمًا على التراحم، ولرأينا في خلال ذلك صورتين متضادتين للغني، وقد قيل: وبضدها تتميز الأشياء.

- فهناك صورة الغني الذي ينفق ماله في سبيل الله مخلصًا له بعيداً من الرياء، ولا يُتبع ما ينفق منًا ولا أذى .. ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله بالليل والنهار، سراً وعلانية .. ينفق الطيّب من ماله ممّا يحب رغبة في أن ينال البر.. يخفي صدقته إخفاءً شديداً حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.. هذا الغني هو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذي يكون مع الذين أنعم الله عليهم بالنجاة يوم القيامة، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

- وهناك صورة أخرى لغني لم يقنع بما كتب الله له من الرزق الحلال .. فراح يطلب الثروة من كل طريق، لا يبالي إنْ كان حلالاً أو حراماً .. يطلب المال عن طريق الغش .. والرشوة.. والغصب .. والسرقة .. والربا.. وأكل مال اليتيم.. وأكل مال العمال والأجراء. إمتلأ قلبه بالطمع والقسوة .. فلا يشفق على الفقير والمسكين، ولا يعين المحتاجين، ولا يفرج كربات المكروبين .. فكأن قلبه قُدَّ من صخر.. هذا الغني يكون مكروهاً من الناس، مهدداً بأن يمحق الله ما جمع من المال، ولعذاب الآخرة أشدّ لو كانوا يعلمون.

ومما يتصل بهاتين الصورتين الحديث الصحيح الآتي:

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان. فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً. ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكاً تلفاً».(١)

إنّ استحضار هاتين الصورتين اللتين نجد معالمها في الكتاب والسنة أسلوبٌ تربويٌ فعّالٌ، يجعل من يعيهما إنساناً بذولاً منفقاً .. إنساناً فاضلاً في مجتمعٍ فاضل.

هذا جانب .. وما أحوجنا إلى هذه التربية في جوانب حياتنا الأخرى المادية والمعنوية لنَسعد في الدنيا والآخرة ولنُسعد الآخرين .

---

(١) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

إنّ التربية هي الأساسُ المتين الذي يقوم عليه بناء الأمة .. وأعظم تربية عرفها الفكر الإنساني هي التربية الإسلامية المستخلصة من الكتاب والسنة. إنها الدواء الناجع لأمراضنا، وإنها الوسيلة لنكون أمة ناهضة قوية.

إنّ التربية الإسلامية هي الحصن المنيع لأبنائنا وبناتنا.. الحصن الذي يقيهم الانخداع بالشعارات البراقة .. ويحذّرهم مما يُحاك للرجل المسلم والمرأة المسلمة من الكيد المحكم، والمكر الشديد.

ولا يمكن أن يحل محل التربية الإسلامية المواعظ والخطب .. وإن كانت لا تخلو من فائدة .. وهي على أية حال أداة من أدواتها الكثيرة.

أيتها الأخوات هناك في واقعنا ألوان من التربية الخاطئة، وآثارها مضرة، ونتائجها خطيرة جداً: فهناك تربية بالية قائمة على القسوة والعنف، لا يرى الأطفال من مربيهم إلا العبوس والتجهم، والشدة والغلظة .. وهذه التربية تقتل الشخصية، وتطفئ شمعة الإبداع في الناشئة، وتكون سبباً في حدوث أمراض نفسية خطيرة.

وهناك تربية منحرفة قائمة على اللين والدلال، وإهمال الأولاد وتركهم وما يريدون من العبث وطلب المتعة .. وهذه التربية تئد الرجولة، وتُورث الميوعة والضعف، وتكون سبباً في ضعف الأمة وانهيارها.

وهناك تربية خطيرة قائمة على نقل ما عند الكفرة من نظريات وأفكار وأساليب وهذه التربية تقطع صلة الأمة بماضيها وأصولها الفكرية وثوابتها، ويروّج لها أعداء الله من الكفرة بمكر شديد، ويتبعهم في ذلك نفر من المخدوعين المغفلين من أبناء المسلمين.

ولنأخذ مثلاً على هذا المكر الذي يحاك لأمتنا تلك المؤتمرات التي تعقد في موضوع المرأة والأسرة في الصين ومصر وهولاندا وغيرها .. إنها مؤتمرات تريد أن تنشر أنماط الفساد والانحلال القائمة في بقاع عديدة من بلاد الكفار ..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تريد أن تنشرها في بلاد المسلمين مثلما هو قائم في دنياهم اليوم. قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩].

وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال ﷻ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

لا بُدّ أن يكون من مفردات التربية الإسلامية المرجوّ تحقّقها التوعيةُ بالواقع الذي يحياه المسلمون، وبكيد الأعداء الذين لا يكفون عن إيذائنا وإغوائنا حتى يخرجونا عن ديننا إن استطاعوا، ولا بُدّ أن يكون من مفرداتها المعلوماتُ والوسائل التي تحقق حفظ صحة الإنسان، وهذه هي التربية البدنية الصحيحة. والأفكارُ والوسائل التي تحقق تثقيف عقل الإنسان وتسديد تفكيره وهي التربية العقلية، ولا بُدّ أن يكون من مفرداتها تقويمُ لسانه، وترويضه على وسائل الكسب، وإيقاظ شعوره بجمال الكون، وتعريفه بحقوق المجتمع الذي يعيش فيه، وإعداده للمساهمة في إصلاح هذا المجتمع، ولا بُدّ أن يكون من مفرداتها توجيهُ الإنسان المستمرُّ لتكون أعماله وفق ما شرع الله، ولتكون أخلاقه حميدة حسنة، وتذكيره بالغاية التي خُلق من أجلها وهي عبادة الله.

إنّها مسؤوليةٌ عظيمةٌ بن يدي الله تعالى الذي وهبنا الأولاد .. وجعل بين أيدينا تلامذة وتلميذات .. سنسأل: كيف ربيناهم؟ فلنستشعر هذه المسؤولية .. إن ذلك سيُصحّح لنا خطواتنا وييسر وصولنا إلى الهدف المنشود من إعداد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأجيال الإعداد السليم، وبناء الأمّة البناء المحكم.. لنستحضر دائما هذه الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

إنّنا عندما نلتزم بالتربية الإسلامية ونُعنى بتنشئة هؤلاء الأولاد والتلاميذ التنشئة التي يرضى عنها الله نفوز بثواب الله وإسعاد الأمّة.

إنَ الأطفال صفحة ساذجة خالية من كل شائبة، وقابله للخير وقابلة للشر، فإن ملأنا هذه الصفحة بالخير والاستقامة والخوف من الله والرغبة فيما عنده من الثواب سعد هؤلاء الأطفال في الدنيا والاخرة، وكان لنا من الله الأجر الجزيل إنْ خلصت نياتنا.

إنّنا نحرص على المحافظة على صحة أولادنا ووقايتهم من التعرّض إلى أسباب المرض، ونحرص على سلامتهم أشدّ الحرص: فإذا كنّا على شاطئ بحر حرصنا على حمايتهم من الغرق، أو كنّا على مقربة من موقد حرصنا على حمايتهم أن تصيبهم شرارة تؤذيهم، أو كنّا على سطح حرصنا على حمايتهم من السقوط، خشية أن تصيبهم عاهة دائمة أو تزهق أنفسهم.

ونحرص على تعليمهم وإحرازهم الشهادات العليا، وتهيئة المستقبل المترف السعيد لهم.

وهذا كله أمرٌ محمود يجب أن نصنعه ونثاب عليه، ولكن ينبغي أن يكون حرصنا على أن نقيهم عذاب الله ودخول جهنم أشدَّ.

إنَّ إهمال الأطفال والتلامذة يتيح لدعاة السوء أن يكسبوهم وأنْ يملؤوا تلك الصفحة بالشر والفسق والإلحاد، فيكونون من الذين خسروا الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

إنّنا أمّـة مغزوة.. فقد تسلط علينا اليهود والنصارى والمجوس يريدون استئصال شأفتنا، وإبادة مقوماتنا الفكرية .. ولذا فنحن نريد جيـلاً ينهض لمقاومة ذاك العدوان وصدّه عن الأمّـة. فلا ينبغي أن نهمل أولادنا، ولا أنْ نعودهم التنعم، ولا أنْ نغرقهم بأسباب الرفاهية؛ لأنهم إذا كـبروا طلبوا تلك الأسباب، فإن أدركوها قنعوا بها وانصرفوا عن حمل الرسـالة وأداء المهمة التي أشـرنا إليها، وإن لم يدركوها سـعوا في الحصول عليها.

إنّ أمّتنا بحاجة إلى أبطـال يكونون على مستوى عـالٍ من الإخلاص والعلم والنبوغ والدين والغيرة، فقـد يكون من هؤلاء الأطفال الذين نربيهم. أبطـال يغيرون مجرى التـاريخ، ولقد كان الأبطال العظماء في يوم من الأيام أطفالاً.

إنّ الدمار الماحق لكثيرٍ من المعاني السامية والأخلاق الكريمة أضحى خطراً ماثلاً أمام أنظـار المفكرين والمصلحين على اختلاف جنسياتهم ومنطلقاتهم الفكرية، فهم في كتاباتهم يحذرون من وقوعه ويطلبون العمل على درء هذا الخطر.

أيتها الأخـوات الداعيـات إنكـنّ والدعاة مطالبون بـأن تعملوا على إيقـاف هـذا الوبـاء المـاحـق، وليس من عـلاج إلا الاسـتمسـاك بالإسـلام .. وهـذا هـو الأمـل الكبير الذي يتطلـع إليـه كـل غيـور على مستقبل أمّتـه ومستقبل الإنسانية عامـة.

إنّ بنـاء الأمّـة يستلزم من الأخوات الداعيات الاهتمام بالمرأة وفق مخطط مدروسٍ ذلك لأن قيـام المرأة بدعوة النسـاء له جوانب إيجابية كثيرة لا تتحقق بقيام الرجل بالدعوة. ويجب أن نصارح أخواتنا بأنّ الداعيات قليلاتٌ وأن كثيراً من الداعيات مقصرات..

وقـد يحلـو لبعضهنّ أنْ يدافـعن عـن أنفسـهنّ بذكر العقبـات والمعـوّقات: من الغزو الفكري، والكيد اليهوديّ والصليبيّ، وبطش الطغاة، وسوء مناهج

التعليم المدمِّرة، وانحراف وسائل الإعلام المختلفة من مرئيّة ومسموعة ومكتوبة، وبذكر انشغال المرأة الداعية بأعمال البيت وتربية الأولاد، وأعباء الوظيفة أحيانًا، وبصعوبة تحركها فهي ليست كالرجل ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وأنا أعترف بأن هذا كله موجود، ولكنّ المصارحة تقضي بأن نعترف بأنّ هناك تقصيراً منّا جميعًا في إعداد الداعيات، وأنّ هناك تقصيراً في الداعيات الموجودات كما سبق أن ذكرنا. ويجب أن نطرح على أنفسنا هذه الأسئلة:

- هل استنفدت الأخت الداعية كل إمكاناتها وطاقاتها في الدعوة؟
- هل حاولت تغيير الوسيلة التي تنتهجها إن لم تكن مجدية؟
- هل تعاونت مع زميلاتها على وضع خطة للعمل الدعويّ المؤثّر؟

إنّ المسلمة الداعية الواعية يجب أن تعمل في كل ظرف .. فإمكانية العمل قائمة مهما كانت العوائق والعقبات، ولا يجوز أن نعفي أنفسنا من المسؤولية ونكتفي بذكر العقبات وننسى أنفسنا، لنجد في ذلك مسوّغًا لاستمرار تقاعسنا وقعودنا وتقصيرنا.

إن المرأة إنسانة خلقها الله لعبادته ولحمل رسالته إلى كل من تلقاه، فهي في هذا كالرجل سواء بسواء قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ورسول الله ﷺ يقول: «بلغوا عني ولو آية».(١)

إنّ مهمة التبليغ تشمل كل مسلم ومسلمة، فكل من وقف على آية، أو شيءٍ من مبادئ هذا الدين من ذكر أو أنثى مطالب بالتبليغ.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَنْ مِنَ المسلمات تجهل أنّ إقامة الصلاة، وصوم رمضان، وبرَّ الوالدين، وصلة الأرحام واجبات؟ فعلى كل مسلمة أن تأمر بهذه الواجبات من تعلم أنه مقصر بها.

ومَنْ مِنَ المسلمات تجهل أنّ الكذب والغيبة والسرقة وأكل الربا وأكل مال اليتيم محرمات؟ فعلى كل مسلمة أن تنكر على من يفعلها وتنهاه عنها بالأسلوب الحسن إن استطاعت.

وكلما زاد علم الأخت زادت مسؤوليتها. فالدين النصيحة كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح.

عن تميم الداري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة».

قلنا: لمن؟

قال: «لله ولكتبه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتّهم».(١)

وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إنّ علينا أن نفيد من الوسائل الحديثة بالإضافة إلى الوسائل القديمة المجدية .. فهناك وسائل حديثة أصبحت تحت أيدينا لم تكن عند آبائنا .. فالهاتف، والأنترنت، والبريد بأنواعه: العادي والألكتروني، والصحف

---

(١) رواه مسلم (٥٥). ومن أمثلة النصح لكل مسلم ما روى الطبراني أنّ جرير بن عبد الله رضي الله عنه أمر مولاه أن يشتري له فرساً بثلاثمائة درهم، و جاء به و بصاحبه لينقده الثمن . فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله. فقال جرير: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائه وصاحبه يرضى وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم، فاشتراه بها فقيل له في ذلك، فقال: إني بايعت رسول الله على النصح لكل مسلم. "شرح مسلم" للنووى ٢/ ٤٠.

والمجلات والنشرات والشرائط (الكاسيتات) والرسائل الصغيرة والمؤلفات. كل أولئك يمكن أن يستفاد منها في الدعوة إلى الله.

وعلينا -أيضاً- أن نفيد من الأساليب الفعالة التي سلكتها الدعوات المعاصرة المعادية إن كانت مقبولة من الناحية الشرعية.

لا بُدّ من دراسة العمل الدعوي المطلوب دراسة علمية موضوعية ميدانية بمشاركة عدد من العلماء العاملين والدعاة من الرجال والنساء.

ولا بُدّ من النقد الذاتي لتصحيح المسار؛ لأن الإنسان ينبغي أن يتعلم من أخطائه، فكل عامل معرّض للخطأ. أما الجامد الذي لا يعمل ولا يتحرك فلا ينسب إليه خطأ ولا صواب. يجب أن نعترف بهذه الحقيقة.

وستبيّن هذه الدراسة الكيفية المجدية في الدعوة التي تتفق مع أحكام الشرع في الإفادة من هذه الوسائل والأساليب.

إنّ كثيراً من المسلمين المتدينين من العامة لم يكونوا حتى زمن قريب مقتنعين بأهمية أن تقوم المرأة بالدعوة إلى الله .. تبعاً للنظرة العامة الخاطئة للمرأة ..

وهذا الواقع جعل فراغاً في صفوف النساء في مجال الدعوة.

إن غياب الوعي، والفراغ الدعوي، وانتشار الأمّية الفكرية .. إنّ ذلك كله جعل اهتمام كثير من السيدات بالموضة والألبسة ومسلسلات التلفاز السخيفة .. وأضحى ذلك الشغل الشاغل الذي صرفهنّ عن أي شيء آخر .

إنّ الأخت الداعية يجب أن تدرك هذا الواقع وأن تضاعف جهدها في الدعوة لتلافي هذا الوضع، وعليها أن تتكيف مع الظروف التي لا يد للإنسان فيها، تتكيف بالتنظيم والمواءمة، فالتنظيم يحل كثيراً من المشكلات، وعليها أن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تتحمل شيئًا من التعب مقابل ما أعـدَّ الله للدعاة والمجاهدين، وعليها أن تصبر على ما تلقى من الأذى.

إنّ الأخت التي تشكو من ثقل الظروف وشدة وطأتها، وتشكو أنها لا تجد الوقت الكافي للدعوة .. إن هذه الأخت قد تقضي وقتًا طويلاً في محادثة هاتفية غير مهمة، أوفي مشاهدة حلقة في التلفاز ليس فيها شيء من المحظورات .. وقد تمضي وقتـًا بالجلوس والإطراق دون أن تأتي بأي عمل .. إنها كانت بشيء من التنظيم تستطيع أن تفيد فائدة كبيرة من هذه الأوقات الضائعة، وأن تقدّم الأهم على المهم.

إن الأخت الداعية تستفيد من كل لحظة من لحظات يقظتها، فلا تمضي ساعة عليها دون عمل؛ ذلك لأنّ رأس مال المسلم وقته، فالدقيقة في نظر المسلم الواعي ثمينة جداً، لأنها جزء من حياته. وإضاعة الأوقات إهدار للحياة وتضييع للإنسان.

إنّ من أجلّ الأعمال وأكثرها أهمية .. تلك التي ينبغي أن تقمن بها ترسيخ استعمال اللغة الفصحى، والمحافظة عليها، وصدَّ الهجمات الشرسة ضدها، وكشف الخطوات الخفية الماكرة التي تكيد لهذه اللغة الشريفة.

ذلك لأنّ الارتباط بين اللغة العربية والإسلام ارتباط عضوي وثيق، فلا يمكن أنْ نعمل بالكتاب والسنّة وهما المصدران الرئسيان في الإسلام حتى نفهمهما ونعيهما، ولا يمكن أن نفهمهما إلّا بمعرفة هذه اللغة التي اختارها الله تبارك وتعالى لتكون لغة كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال عزَّ من قائل: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢].

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧].

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣].

وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

وقال سبحانه: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [فصلت: ١-٤].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وقال تباركت اسماؤه: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ١-٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٢].

تقرر هذه الآيات الكريمات حقيقة ملموسة وهي أن القرآن نزل بلسان عربي، والقرآن هو عماد شريعة الإسلام، وقد أُمرنا بتدبره والعمل به.

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

قال الحافظ ابن كثير: [يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن، وناهياً لهم عن الاعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة والفاظه البليغة، ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تضاد ولا تعارض، لأنه تنزيل من حكيم حميد، فهو حق من حق].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخبر سبحانه أنّه أنزل هذا الكتاب المبارك ليدبر الناس آياته وليتذكر أصحاب العقول فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]. وأخبر تعالت أسماؤه أن الذين لا يتدبرون القرآن قلوبهم مغلقة مطبقة عليها الأقفال لا يصل إليها شيء من معانيه فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

إذن فنحن مأمورون بتدبر هذا الكتاب، وكيف لنا أن تتدبره إذا كنّا لا نعرف العربية مفردات وتراكيب؟

وبعد التدبر يأتي العمل بما جاء فيه .. إنّنا مأمورون باتباعه والعمل بمقتضاه قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

وجعل سبحانه الفلاح وصفًا لمن يتبع هذا القرآن وأمنّة من الخوف والحزن فقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال ﷻ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وكيف نتبع هذا الكتاب إن لم نفهم آياته؟ إن ذلك متعلق بمعرفة العربية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأهم المؤسسات التي تستطيع تحقيق ذلك وترسيخ استعمال الفصحى هي البيت، والمدرسة، ووسائل الإعلام:

- أما البيت فدوره مهم جداً، إذ أن الملكة اللغوية أول ما تكتسب تكتسب في البيت .. والمسؤولية تقع على الأب والأم .. اللذين ينبغي أن يكون بينهما تنسيق وتخطيط وتعاون على إكساب أولادهما اللغة السليمة، وعليهما أن يحرصا على استعمال المفردات القرآنية في حياتهما اليومية. إننا بذلك نكون قد كسبنا أمرين:
  - أما أولهما فالارتقاء بمستوى لغتنا وأسلوبنا إلى أفق أعلى، ذلك لأنّ [ألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه .. وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم وتثرهم].(١)
  - وثانيهما التقدم خطوة في فهم كتاب الله الذي أنزله إلينا لنفهمه ونعمل به قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ولنضرب على ذلك مثلاً: في كل دار سجاد وكؤوس ووسائد. فلو قالت الأم لابنها: (يا بني احرص على نظافة الزرابي التي في بيتك، واغسل الأكواب التي شربت بها، وارفع النمرقة إلى الفراش) بدلاً من أن تقول له: احرص على نظافة السُّجاد .. واغسل الكؤوس .. وارفع الوسادة .. لكانت قد علمت ابنها كلمات قرآنية حلوة، وساعدته على أن يفهم الآية الكريمة: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٦].

---

(١) من مقدمة الراغب لكتاب "المفردات".

- وأما المدرسة فشأنها عظيم جداً .. وأثرها كبير، والمسؤولية في هذه المؤسسة تشمل جهاز التخطيط في وزارة المعارف ومدير المدرسة ومعلميها والموجهين والمشرفين، ومما يحقق المطلوب أن يلتزم المعلمون والمعلمات في كل مراحل التعليم اللغة الفصحى وألا يستعملوا العامية أبداً لا في قاعة الدرس ولا في ساحة المدرسة .. وعليهم أولاً أن يستخدموا العامي الفصيح، ذلك لأن كثيراً من الكلمات في العامية فصيح، ثم عليهم أن يرتقوا إلى استعمال الألفاظ القرآنية على نحو ما ذكرنا آنفـاً .. وعليهم أن يطلبوا من تلامذتهم أن يتكلموا الفصحى ويرغبوهم في ذلك ويراقبوهم.

إنّ بعض المدارس التبشيرية الأجنبية في البلاد العربية تمنع طلابها العرب من أن يتكلموا بكلمة عربية واحدة في قاعات الدرس أوفي أثناء الفسحة، وتلزمهم باستعمال اللغة الأجنبية. أفلسنا نحن أجدر أن تسلك هذا المسلك بالنسبة للغتنا.

وهناك تجربة تعليمية ناجحة في بلد عربي قام بها فرد غيور فأنشأ مدرسة أهلية خاصة لا يسمع فيها الطالب إلا الفصحى، ولا يُسمح له أن يستعمل العامية .. فوجد أن هـذا الطالب بعد حين يستطيع أن يتكلم الفصحى المعربة دون أن يقع في لحن. وحبذا لو أن هـذه التجربة عمت إذن لجنينا منها الفائدة العظيمة.

إن اللغة العربية من مقومات هوية أمتنا، وهي دعامة وحدتنا، ولغة كتابنا، ولغة آبائنا وأجدادنا .. فعلينا أن نمكن لها وأن نرسخها في مؤسساتنا التعليمية.

وأود ان اتحدث عن دور الإعلام باللغة العربية الفصحى في بناء الأمة ودعم وحدتها، وتقريبها من كتاب الله الكريم؛ ذلك لأن اللغة من مقدمات هوية الأمة، والعربية لنا – نحن المسلمين- لغة كتابنا الذي بالتمسك به سعادتنا في الدنيا والآخرة، وعزنا بين الأمم.

وأهم وسائل الإعلام الصحافة والإذاعة والتلفاز والسينما والمسرح والنشر.

والحق أنّ للإعلام بوسائله المتعددة هذه تأثيراً كبيراً على السامعين والقارئين والمشاهدين، ولذا فمن المؤكد أن يكون له دور مهم جداً في الحفاظ على الفصحى وتعميمها إن هو استقام على الصراط المستقيم.

وإنه ليؤسفني أن أقرر أن أثر الإعلام بواقعه الحالي بشأن هذا الموضوع أثر سلبي خطير خطير. وهذا ما يفزع الغُيُرَ والمصلحين والمفكرين والدعاة والمربين. لقد بدأت العامية تتسلل الى الصحف والإذاعات والتلفاز وكادت تسيطر على هذه الوسائل سيطرة تامة.

أقول هذا وأحب أن تقررنه لمن سمع منكنّ، ليسود الاقتناع بوجود الخلل والمرض، والعمل على الإصلاح .. وخطر الإعلام المنحرف - ولا سيما من الناحية اللغوية - قد يخفى على كثير من الناس .. والخُطوة الأولى في ابتغاء شفاء المريض أن يدرك أنه مريض ويبحث عن الدواء.

وهذا أمر يمكن أن تقوم به الأخوات الداعيات بألسنتهنّ وأقلامهنّ.

من وسائل الإعلام النشر .. ونشر الكتب والرسائل والنشرات سلاح يمكن أن يستعمل في الخير .. ويمكن أن يستعمل في الشر .. ومن الواجب التنبيه على خطر الرسائل والنشرات المنحرفة.

إن القصص الغرامية والبوليسية المكتوبة بالعامية تستهوي عدداً من المراهقين والمراهقات، بل عدداً من الشباب والشابات .. فتراهم يقبلون على قراءتها بشغف .. وتترك فيهم الآثار السلبية الخطيرة من حيث المضمون، ومن حيث الشكل والأسلوب.

لا يجوز أن نهوّن من خطر قراءة ما فيه انحراف .. لأن القراءة لا بُـدّ أن تترك أثراً ما، قد يكون كبيراً، وقد يكون دون ذلك.

فالمعاني في هذه القصص الغرامية والبوليسية هدامة، والأسلوب أسلوب عاميّ يدعم مزاحمة العامية للفصحى ومحاوله دخولها مجال الأدب. وكثير من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه القصص مترجم عن لغات أجنبية، تتحدث عن أوضاع غريبة عنا، وبعقلية بعيدة عن منطلقاتنا الاعتقادية والفكرية.. والعجيب أنّ الترجمة نشطت في هذا المجال .. ولم تنشط في مجال الكتب العلمية التجريبية التي كان المسلمون وما زالوا في أشدّ الحاجة اليها؛ لأنهم يعانون تخلفاً علمياً كبيراً .. نعم ترجمت بعض الكتب العلمية ولكنها تبدو قليلة إذا قيست بالقصص الغرامية والبوليسية والمسرحيات والروايات التي تحطم القيم والتقاليد الإسلامية وتسخر منها.

ويعظم الخطر ويتفاقم عندما تكون هذه النشرات في أيدي الأطفال الذي هم في مرحلة التكوين الفكري واللغوي .. وهناك تقصير من الدعاة والداعيات من الأدباء بشأن أدب الأطفال، فقد تُرك هذا اللون من الأدب حمى مستباحاً لنشرات ومجلات لا تقيم للدين وزناً، ولا يهم أصحابها إلّا الربح الماديّ .. ففي تلك النشرات والمجلات حكايات سخيفة، وأساطير باطلة، ولغة ركيكة. وهذا موضوع يستحق أن يفرد بالبحث العميق القائم على الدراسة الموضوعية المؤيدة بالأمثلة والنماذج.

ومما يؤسف له أن بعض كتّاب القصة الكبار أقدموا على نشر قصص لهم بالعامية، أذكر منهم علي أحمد باكثير (المتوفى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، ومحمود تيمور (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م). وهما كاتبان موهوبان من أكبر أدبائنا المعاصرين في مجال القصة والرواية، ولهما قصص بالفصحى أيضاً.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأمـا الصحف والمجلات فقد أنشئت صحف رصينة التزمت العربية الفصحى، وكان في بعضها مراقبون لغويون لا يوافقون على نشر مقالة إلا إن كانت سليمة من اللحن .. ولكنَّ هذه الصحف والمجلات لم تستطع أن تحافظ على هذا المستوى النقي .. بل تسربت إلى بعض صفحاتها العامية ولاسيما ما يسمى بالزجل في بعض البلاد، وبالشعر النبطي وبالشعر الملحون[1] في بلاد أخرى .. وقد لاحظت أن بعض الكتّاب في الصحف في هـذه الأيـام يمزجون بين العامية والفصحى.

وكان إلى جانب هذه الصحف الرصينة صحف فكاهية تكتب موادها بالعامية، فقد أصدر يعقوب بن صنوع مجلة "أبو نظارة" سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م). وبيّن هدف المجلة في الافتتاحية قائلاً: إن الغرض من نشر مجلته هو ترويح النفوس لتنشيط العقول، واللغة الغالبة على المجلة هي العامية. وأصدر جرجي زنانيري مجلة "الغزالة" سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٦م). وهي مجلة أدبية فكاهية سياسية، وكل موادها بالعـامية، وكان صاحبها يترجم أحيانـًا بعض المقالات من الصحف الرصينة إلى اللغة العامية وينشرها في مجلته.

وأصدر محمد النجار (المتوفى ١٣٢٩هـ-١٩١١م) أحد علماء الأزهر مجلة "الأرغول" سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م). وهكذا فقد قامت مجلات على الكتابة بالعامية.

ثم شرع الإنجليز يحرضون على نبـذ الفصحى واتخـاذ العاميـة لغـة العلم والدولة. ومن الطريف المضحك أن مهنـدس الريّ الإنجليزي (ولكوكس) ألقى

---

(١) الزجل: هو الشعر العامي في الشام ومصر، والنبطي: الشعر العامي في الجزيرة، والملحون: الشعر العامي في تونس والمغرب والجزائر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في نادي الأزبكية سنة ١٣١١هـ (١٨٩٣م) محاضرة عنوانها "لمَ لمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن". وزعم فيها – ولكنَّ أن تضحكن – إن العامل الأكبر في فقد قوة الاختراع لدى المصريين هو استخدام العربية الفصحى في القراءة والكتابة، ونصحهم باستخدام العامية في الكتابة ليصيروا مخترعين، وأنشأ مجلة سمّاها "الأزهر" واستمر يكتب بالعامية ويدعو إلى الكتابة بها.

وكذلك فإن (ولمور) الإنجليزي ألّف في سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) كتاباً بعنوان "العربية المحكية في مصر" واقترح كتابة العامية بالحروف اللاتينية.[١]

إنّ هذا الكيد ليقطعوا صلة المسلمين بالقرآن والسنة. فلنكن على وعي لما يمكر بنا ولنتمسك بالفصحى.

مازلت أتحدث عن دور الإعلام في خدمة اللغة الفصحى التي هي مقوم مهم من مقومات هويتنا، ووسيلة الاتصال والترابط بين شعوبنا الإسلامية، وبها نفهم مصدري ديننا.

إنّ أمم الأرض تبذل الملايين من أجل نشر لغاتها عن طريق المراكز الثقافية في سفاراتها وعن طريق الإذاعة .. وهي لغات قومية لا تحمل سمة دينية، بينما لغتنا الفصحى هي لغة القرآن الذي يدين به أكثر من مليار ونصف من البشر. وإنّ الإذاعة والتلفاز ليستطيعان أن يقدما خدمة لا نظير لها في مجال نشر اللغة وتعميمها.

---

(١) انظر كتاب "تاريخ الدعوة إلى العامية وآثار ها في مصر" للدكتورة نفوسة زكريا سعيد ص ٧٨ و٨٣ و٨٥ و١٠٠ و١٠٩ وما بينها- الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) دار المعارف مصر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد ظهرت الإذاعة في بلادنا من نحو سبعين سنة، وما كانت تستخدم إذاعتنا العربية إلا الفصحى، وأذكر أنه كان في دار الإذاعة[١] – في أول أمرها – مراقب لغوي يسمع نشرة الأخبار، ويسجل ملحوظاته على أداء المذيع، ثم يُبيّن له أخطاءه إن وقع في خطأ.[٢] ولم يكن هناك إذاعات تنطلق من البلاد العربية إلا ثلاث هي إذاعات: (القاهرة، والقدس، والشرق الأدنى) والأخيرتان كانتا تنطلقان من فلسطين التي كانت تحت الإدارة الإنجليزية .. وكانت إذاعات تُبَثُّ من بلاد أجنبية، تصل إلى بلادنا على نسب متفاوتة من القوة والضعف،[٣] وكانت برامجها العربية تُؤدي باللغة الفصحى، ولم يكن للعامية فيها نصيب.

وفي أواخر الخمسينات من القرن الميلادي المنصرم بدأت العامية تتسلل على استحياء إلى الإذاعة عن طريق الأغاني والتمثيليات .. وتوسع الخرق والوباء فلم تقتصر العامية والأغاني، بل جاوزتها إلى برامج أخرى كالندوات وما إلى ذلك، ولم يبق من البرامج محتفظ باللغة الفصحى إلا نشرات الأخبار والأحاديث الدينية والفكرية.

---

(١) بدأت الإذاعة في دمشق عام ١٩٤٠م أيام الإنتداب الفرنسي، وكان مقرها في دار سيد قريش في ساحة النجمة، ثم أغلقت عام ١٩٤٥م. وعند الجلاء أقيمت إذاعة متواضعة في شارع بغداد لكنها أغلقت بعد عام ونيف.
وفي عام ١٩٤٧م صدر قرار بإحداث الإذاعة من جديد .. ثم نقلت من شارع بغداد إلى مقرها الجديد في شارع النصر، ومنه إلى ساحة الأمويين . [أوراق فخري البارودي – تعليق رعد حكيم ٣١٥]

(٢) كان ذلك في إذاعة دمشق في الخمسينات، وكنت أعرف هذا المراقب لأنه كان زميلاً في التدريس.

(٣) وأقوى هذه الإذاعات صوتاً وبرامج (إذاعة لندن)، وكان إلى جانبها (إذاعة برلين)، وكانت هناك إذاعات أخر، ولم تكن كلها مسموعة من الجماهير الناس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وزاد من انتشار العامية ظهور التلفاز الذي عرفناه في أواخر الخمسينات فضعف سلطان الفصحى على وسائل الإعلام.

وكانت خطب الملوك والرؤساء تذاع في وسائل الإعلام باللغة الفصحى، بل إن بعضها كان في مستوى رفيع، إذ كان يُعهد إلى بعض الأدباء والبلغاء تقويم تلك الخطب أو صياغتها .. ثم آل الأمر إلى أن كان بعض الحكام العرب يلقي خطبه بالعامية.(١)

إنّ تأثير الإعلام المسموع والمشاهد تأثير كبير على أبناء الأمّة في الفكر والخلق واللغة، ولو سُخّر في خدمة الخير والحق ونشر الفصحى لكان عاقبة ذلك خيراً على الأمّة وأجيالها.(٢)

لقد سرّني أن يبحث مجمع اللغة العربية في مصر قضية اللغة العربية في وسائل الإعلام، وذلك في دورته السابعة والستين في جلساته التي افتتحت في

---

(١) وهو جمال عبد الناصر.

(٢) وقد اتُخذت الإذاعة أداة في أيدي الحكام لخداع شعوبهم وتصوير الحق باطلاً، والباطل حقًا، وإذا خافوا أن يتسرب إلى الناس القول الصحيح من إذاعات خارجية شوّشوا على تلك الإذاعات، وملؤوا الساحة الأثيرية بإذاعات محلية بحيث لا تصل الكلمة المخالفة.. وشلّ الحكام عن طريق الإذاعة حركات المقاومة، وذلك باستخدام الإذاعة بإعلان منع التجول وتهديد من يخالف التعليمات بالقتل.. وإني لأذكر أن حكومة الانتداب الفرنسي في سورية أفزعها أيام الحرب العامية الثانية أن يسمع الناس إذاعة برلين، فجمعت أجهزة الراديو من أيدي الناس، وهددت من لا يسلّم جهازه بأقصى العقوبات.. وظلت الأجهزة محجوزة عندها حينًا من الدهر إلى أن أفرجت عنها وأعادتها إلى أصحابها.. استطاعت تلك الحكومة أن تفعل ذلك لقلة الأجهزة في تلك الأيام، وإن كان حجم الجهاز الواحد منها كبيراً قد يصعب على رجل واحد أن يحمله.

وهذا يبيّن مدى تأثير الإذاعة. أما الآن فلم يعد ذلك ممكنًا لاسيما بعد أن ظهرت المحطات الفضائية الكثيرة ذات الاتجاهات المختلفة.

وكذلك فإن المؤسسات التنصيرية تتخذ من الإذاعة أداة لنشر ضلالها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٩/٣/٢٠٠١م، واختتمت في ٢/٤/٢٠٠١م. وقد ناشد المجمع وسائل الإعلام العربية استخدام اللغة العربية السليمة؛ لأنها الوسيلة الوحيدة التي تجعل من الشعب العربيّ اتحاداً عالميـاً أمام التكتلات الأجنبية، ودعا رجال الدولة العرب إلى الالتزام بالعربية في خطبهم وبياناتهم الرسمية.

وطالب المجمع وزارات الإعلام العربية بوضع خطة لغوية مشتركة تهدف إلى المحافظة على اللغة الفصحى واستعمالها في مختلف مجالات الحيـاة.

وشدّد المجمع في توصياته على العمل على إلغاء الثنائية بين اللغة العربية واللغات الأجنبية. وقال: إنّ من الضروريّ استخدام اللغة العربية الفصحى في برامج الأطفال حرصـاً على تنشئتهم لغويـاً بطريقة صحيحة. وطالب بتفعيل القوانين الصادرة بشـأن كتابة اللافتات على واجهات المحلات والشركات باللغة العربية.

وكان رئيس المجمع د. شوقي ضيف قد حذّر من أنّ التمادي في استخدام اللهجات العامية في وسائل الإعلام العربية ربما يؤدي لانقطاع الروابط بين شعوب العالم العربي.

وأوضح أنّ الإذاعات المسموعة كانت تذيع في أوائل ظهورها بالعربية الفصحى، وتسلّلت إليها العامية على استحياء، ثم زاحمتها، وتدريجيـاً تمّت لها الغلبة في بعض البرامج فيما عدا الأخبار اليومية. وقال: [لو تمادت الإذاعات العربية في البث بالعاميات لا نفكّت الصلات التي تربط بين شعوب الأمة، وانعزل كل شعب عربي، وعاش وحده، بينما شعوب العرب في أوربا المتعددة اللغات تجمع شملها في تكتلات اقتصادية وسياسة واحدة][1].

---

(١) جريدة الأهرام، وانظر أيضـاً مجلة المجتمع العدد ١٤٤٦ بتاريخ ٢٠/ ١/ ١٤٢٢هـ (١٤/ ٤/ ٢٠٠١م).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما المسرح والسينما- وهما من وسائل تكوين الرأي العام في الأمة- فقد كانا يقومان منذ نشأتهما بدور هدام للغة والخلق والدين. وقد كانا فيما مضى في قاعات محدودة، أما الآن وبعد ظهور القنوات الفضائية. فقد دخلا على الناس في بيوتهم وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

إنَّ من مصلحة الأمّة وهي في معركتها مع اليهود والنصارى أن تتوحد، وحفاظها على الفصحى يسهل تحقيق ذلك.

وإنَّ من مصلحة الأمّة أن تقترب من القرآن الكريم سرّ وجودها وسبب سعادتها والحفاظ على الفصحى يسهل تحقيق ذلك.

وإنَّ من مصلحة كل متكلم أن يكون كلامه مفهوماً لدى أوسع دائرة من المستمعين، ولا يتحقق ذلك إلا باستعمال اللغة الفصحى.

ومن فضل الله أن الفصحى مفهومة من العرب جميعاً مثقفين وأميين، والدليل على ذلك فهم الناس جميعاً لنشرات الأخبار.

فلنحرص على توعية الناس بأهمية الفصحى. ولنكن نحن قدوة لمن حولنا نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يرضيه.

* * *

تمر أمتنا الإسلامية في هذه الأيام بأزمة خانقة متعددة الجوانب، فلقد رماها الكفار من اليهود والنصارى والمجوس عن قوس واحدة، وأعان نفرٌ من أبناء الأمة أولئك الكفرة على تحقيق ما يريدون بعصيانهم لله وفسوقهم ومخالفتهم أوامر ربّهم. فكان ما كان. يقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وإننا لنخشى- إذا استمر التقصير والمخالفة - أن يصيب أبناء الأمّة الإحباط واليأس، ويستكينوا للوضع المؤلم الراهن.

إن طريق الخلاص معروف ميسر، وهو: أن تعود الأمة إلى الله تبارك وتعالى، وتلتزم بأحكام دينه وتعمل بمقتضاها؛ لأنه لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ألا وهو الدين .. ونحن - العرب -قومٌ أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله[1].

لقد أخرجنا الله بهذا الدين من الظلمات إلى النور، ومن الموت المعنويّ إلى الحياة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الذل إلى العزّ. فَسُدْنا العالم، وعلّمنا العالم، وأسعدنا العالم، وكان ذلك كله بالإسلام وباستمساكنا به؛ لقد أصبحت مساجدنا منارات تبثّ العلم، وغدت مدننا عواصم الحضارة.

هل كان دين ابن عدنان سوى فلق ... شقّ الوجود وليل الجهل يغشاه

سل الحضارة ماضيها وحاضرها ... هل كان يتّصل العهدان لولاه

هل تطلبون من المختار معجزةً ... يكفيه شعب من الأجداث أحياه[2]

إنّ الأمم في أزماتها تحتاج إلى من يرفع معنوياتها، وييسر لها سبيل النهوض من كبوتها وتخلّفها .. ومما يلجأ إليه المصلحون لتحقيق هذا الغرض إنهم يذكّرون الأمة بأمجادها السابقة، وبطولاتها الفذّة، ويعرضون ذلك بصورة مشوقة وبطرق متعددة، وقد يخترعون لها أمجاداً يدّعونها إن لم يكن لها أمجاد، يفعلون ذلك ليحفزوا همم الخلف ليعيدوا سيرة السلف.

استرشد الغرب بالماضي فأرشده ... ونحن كان لنا ماضٍ نسيناه

فما بالنا؟ لماذا لا نعرض على أبناء أمتنا وبناتها - وهم على ما نعلم - طرفًا من هذه الأمجاد والبطولات؟

---

(١) كلمة خالدة لسيدنا عمر رضي الله عنه.

(٢) الأبيات لمحمود غنيم انظر "أقوال مأثورة" ٢/ ١٨٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنَّ تاريخ أمتنا الإسلامية مليء بالأمجاد وزاخر بالبطولات .. فعلينا أن ننشر هذه الأمجاد شعراً ونثراً وقصة ورواية ومسرحية، ونذيعها بين الناس كبارهم وصغارهم، وأن نستحث الهمم للعمل والبناء .. إنّنا نحن أحفاد أولئك الرجال، وإنَّ نساءنا حفيدات أمهات أولئك الأبطال العظماء من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وأبي عبيدة وخالد..

إنَّ هؤلاء الأبطال وأمثالهم هم الذين أحلّونا منازل العزّة والسيادة لقد كان في أمتنا عباقرة أفذاذ في العدالة والقيادة، والعلم والتضحية، والإيثار والإقدام .. إنَّ سيَر هؤلاء الأعلام مطوية ومجهولة عند كثير منا.. وإنَّ الاطلاع عليها ليغري بالاقتداء بها إن شاء الله. ولله در القائل:

كُنّا قلادة جيد الدهر وانفرطت ... وفي يمين العلا كنّا رياحينا
كانت منازلنا في العزّ شامخةً ... لا تشرق الشمس إلا في مغانينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا ... شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
حتّى غدونا ولا جاهٌ ولا نشبٌ ... ولا صديق ولا خلٌ يواسينا[1]

أو كما قال الآخر:

أخي! من نحن؟ لا وطنٌ ولا أهلٌ ولا جارُ
إذا نمنا، إذا قمنا، ردانا الخزي والعارُ[2]

ينبغي أن تعلم أجيالنا أن هذا الواقع المؤلم ما كان ليكون لو أننا تمسَّكنا بديننا، وحكّمنا شرع الله في أمورنا الخاصة والعامة.

أإسلامٌ وتغلبهم يهودٌ ... وآسادٌ وتقهرهم ضباعُ
شرعتَ لهم سبيل المجد لكن ... أضاعوا شرعك السامي فضاعوا[3]

---

(١) الأبيات لحافظ إبراهيم. انظر ديوانه ص١٧٢ وانظر "أقوال مأثورة" ١/ ١٥١.
(٢) الأبيات لمخائيل نعيمة. وانظر "أقوال مأثورة" ٢/ ٢٧٧.
(٣) الأبيات لأحمد الصافي النجفي. انظر "أقوال مأثورة" ١/ ١٩٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّ من الواجب علينا أن تشحذ همم أبنائنا وبناتنا، ليستأنفوا المسيرة، وليعملوا كما عمل أجدادهم، ونملأ صدورهم بالأمل بالتغيير إن هم صدقوا الله وأخلصوا النية.

يابن العروبة أنت حرٌ فاستعدْ ... مجد الجدود ولا تعد لمراح
شمّر وكافح في الحياة فهذه ... دنياك دار تناحر وكفاح
وانهلْ مع النهّال من عذب الحيا ... فإذا رقا فامتح مع المتّاح
واذا ألحّ عليك خطب لا تهن ... واضرب على الإلحاح بالإلحاح[1]

لقد حقق أجدادنا أعظم الأمجاد، وبلغوا بجهادهم أعلى درجات العزّ، وحققوا للإنسان أمانيه في الحياة الكريمة ماديًا ومعنويًا، ووفروا له كرامته وحموه من العدوان والمهانة كما قال القائل[1]:

إنّا لقوم أبت أخلاقنا شرفًا ... أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا
بيضٌ صنائعنا، سودٌ وقائعنا ... خضرٌ مرابعنا، حمرٌ مواضينا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى ... ولو رأينا المنايا في أمانينا

إننا بحاجة إلى أن نذكر بهذه الأمجاد لنبعد شبح اليأس عن نفوسنا، ولتحملنا هذه الأمجاد والذكريات على العمل الجاد. ولا يجوز أن نقتصر على التغني بالأمجاد ونقعد ونبقى على حالنا. يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

---

(١) الأبيات لحافظ إبراهيم وانظر "أقوال مأثورة" ١/ ٣١٥.
(٢) الأبيات لصفي الدين الحلي. وانظر "مختارات علي آل ثاني" ١/ ١٧٢-١٧٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تأتي السيرة النبوية العطرة في رأس هذه الأمجاد والبطولات.. لقد حفلت السيرة النبوية بالشمائل الشريفة، والمُثل العليا، والأخلاق الزكية، والسلوك الحسن النقي الطاهر، والبطولة الفذة.

ذلك لأنها سيرة أعظم إنسان عرفته الدنيا، وأفضل خلق الله وأرحمهم وأكرمهم وأشجعهم .. إنها سيرة النبي الكريم؛ والرسول البر الرحيم محمد بن عبد الله، الذي أثنى عليه ربنا تبارك وتعالى فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]. وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أيروم مخلوق ثناءك بعدما ... أثنى عليك الواحد الخلّاق

إنَّ قراءة السيرة أمرٌ مهم في التربية .. ذلك لنغرس في نفوسنا ونفوس أهلينا محبة الرسول ﷺ .. هذه المحبة التي لا يكتمل إيمان المؤمن حتى يتصف بها. قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده والنّاس أجمعين».(١)

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقراءة السيرة ينبغي أن تكون للإقتداء بصاحبها فقد أمرنا بذلك ربنا ﷻ فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولا يتم الاقتداء ما لم تتضح سيرة المقتدى به الوضوح التام، ولا يتحقق الحب إلا بمعرفة المحبوب، وإنه لشرف عظيم لهذه الأمّة أن يكون سيد الخلق وأكمل البشر قدوتها .. ولا يستطيع أحدٌ مهما بحث ونقّب وقلّب نظره في تراجم الرجال العظماء أن يجد مثل رسول الله ﷺ .. ولله در القائل:

وأجمل منك لم تر قطُّ عين ... وأكمل منك لم تلد النساء

ولدت مبرأً من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

إنّنا نستطيع أن نحقق أمنية يعزّ وجودها، وهي أن نتيح لأنفسنا أن ترى الاستقامة والسمو، والارتفاع والإباء، والحق والقوة، والورع والعدالة، والعقل والحكمة، والخلق الحسن، والزهد والعبادة، والإيثار والشجاعة، والبلاغة والبيان، والصبر والإحسان، أن ترى ذلك كله حيًا متحركًا يتمثل في قصة حياة إنسان عظيم.

والسيرة النبوية تمثل التطبيق العملي لمبادئ الإسلام على يد نبيّ الإسلام.. إنّ الكلام النظري المجرّد قد يقنع الفكر عندما يكون حقًا، وعندما يكون عرضه موفقًا، ولكنه لا يولد الحماسة ولا يحدث التعاطف والاندفاع لتحقيق مضمون هذا الكلام. أما عندما يَدْعَمُ هذا الكلامَ النظريَّ واقعٌ حيّ تجسدت منه مبادئ هذا الكلام وبرزت المثل ظاهرة يبصرها الناس ويعايشونها، فان ذلك يكون تأثيره في النفس أشدّ وأكمل، ويدفعها إلى تحقيق الخير وتنحية الشرّ، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّ عرض مبادئ الإسلام العامة والإطلاع على النظرة الإسلامية لجوانب الحياة المختلفة بعيداً عن عالم الواقع يفوت على الناس أن يدركوا سراً من أسرار هذه الشريعة وخاصة من خصائصها، وهي أنها النظام الوحيد الذي جمع بين الواقعية والمثالية، وأنها الحل الوحيد لعلاج مشكلات الإنسان المادية والمعنوية.

إنّ دراسة السيرة وتمثلها واستيعابها يكفل إيضاح الوسط الروحي الذي قامت فيه المبادئ الإسلامية حية متحركة، ونهضت اعتماداً عليها حضارة دولة، وفي ذلك تقويم وتربية، وعون على التأسّي والاقتداء.

ومما يدل على عظيم شأن السيرة أنَّ كتاب الله ﷻ تحدّث في مواضع عدة منه عن سيرة هذا النبي الكريم..

ونستطيع أن نقرر بكل تأكيد وجزم أنه ليس هناك دافع يدفع المسلمين إلى الأمام مثل الدين ومثل شخصية هذا النبي الكريم، وليست هناك صفحة مشرقة تلامس قلوبهم وتحفزهم إلى المثل العليا مثل صفحات سيرة الرسول العظيم ﷺ.

وينبغي أن تكون هناك طرائق مختلفة في دراسة السيرة وعرضها .. هذه الطرائق ينبغي أن تتناسب مع سن الذين تُلقى عليهم.

فيجب أن تكون لعرض السيرة على الأطفال طريقة، وفي عرضها على الكبار من العوام طريقة، وفي عرضها على المثقفين طريقة.

ولا بُدّ من أن يكون إبداع في عرض أحداثها في الإذاعة والتلفاز والصحف والنشرات وفي صالات المدارس وفي رحاب المساجد.

إنّ السيرة النبوية بالنسبة لنا ليست أمجاداً نتغنى بروائعها فحسب.. ولكنها قصة حياة الإنسان النبي الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور. فدخلنا

بسبب اتباعنا دينه التاريخ من أوسع أبوابه، وكانت لنا قيادة الدنيا والسيادة على العالم المعمور.

أيتها الأخوات إنّ أطفالنا ونساءنا وكبارنا ينتظرون جهودكنّ في عرض هذه السيرة المباركة بأسلوب جذاب يقودهم إلى الاقتداء والعمل.

ونحمد الله أن الإقبال على الدين كبير في هذه الأيام .. فلقد أدرك المسلمون أنه لا خلاص لهم ولا إنقاذ إلا بالرجوع الى الله والاستمساك بشريعته بمصدريها الكتاب والسنة.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حفظ اللسان

خلق كريم دعت إليه الشريعة، وتحتاج إليه الأمّة في نطاق الأسرة وأماكن العمل والمجتمع، وهو مضيّع عند كثير من الناس .. ذلكم الخلق هو حفظ اللسان. إنّنا مسؤولون عما تقوله ألسنتنا ويكفينا في الدلالة على ذلك قوله الله ﷻ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]. وقول رسول الله ﷺ في الصحيح: «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».(١)

إنني أريد أن أذكر بضرورة التزام هذا الخلق الكريم وأن نربي أولادنا وتلامذتنا وتلميذاتنا عليه.

إنّ الذي يطلق العنان للسانه دون رقابة ولا قيد سيندم عندما لا ينفعه الندم، وسيجني نتيجة ذلك شقاء في الدنيا وأزمات ومشكلات، وعذاباً أليماً في الآخرة.

إنّ الثرثار لا بُدّ أن يقع في الخطأ وعندئذ يفتضح أمره بين الناس، لأنّ من كثر كلامه كان معرّضاً للوقوع في الخطأ، وقد رُوي عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما قوله: (من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به)(٢).

وقد يقع في الكذب والعياذ بالله تعالى ذلك أن المرء الثرثار قد يستعذب حديث نفسه، ويرى إعجاب السامعين بكلامه فيحمله ذلك على التزيد في عرض الخبر أو النقصان منه، وهذا دائر بين الكذب والخيانة، و«الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)، وأبو داود (٥١٥٤)، والترمذي (٢٥٠٠).

(٢) روي نحو هذا عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه انظر "روضة العقلاء" ص ٣١، وانظر كتابنا "توجيهات قرآنية" ص١٢٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والخيانة من صفات المنافقين.

وقد يقع بسبب الثرثرة بالغيبة والنميمة، والغيبة داء عضال .. يقع فيه كثير من الرجال والنساء، فترى مجالسهم عامرة بالكلام الفارغ وانتقاص فلان واتهام فلانٍ والله ﷻ يقول: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقد حرَّم رسول الله ﷺ دم المسلم وماله وعرضه، والعرض هو موضع المدح والذم من الإنسان فقال: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه».(١) فالمغتاب يقع في عرض من يغتاب.

والنميمة من آفات اللسان المهلكة وكيف لا تكون مهلكة ورسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة نمَّام»(٢). قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١١]. وقال الإمام البخاري: بابٌ النميمة من الكبائر، وأورد في هذا الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال: «يعذبان وما يعذبان في كبيرة وإنه لكبير، كان أحدهما لا يستتر من البول، وكان الآخر يمشي بالنميمة»(٣).

وقد يقود اللسانُ صاحبه- إن أُطلق - إلى الوقوع في النفاق والرياء، رغبةً في الحصول على بعض المنافع الدنيوية العاجلة .. فتراه يقول كلاماً لا يؤمن به، وما يقوله إلا ليكسب ثقة من يخاطبه .. أجل ما أكثر ما نسمع من بعض المتكلمين في العلانية كلاماً يخالف ما يقولونه في مجالسهم الخاصة .. وقد

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٣- ٢٥٦٤).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥)، وأبو داود (٤٨٧١)، والترمذي (٢٠٢٦).
ورواية البخاري: قتات. وهو النمام.

(٣) رواه البخاري (٦٠٥٥) واللفظ له، ومسلم (١٠٥)، وأبو داود (٤٨٧١).

يكتبون ذلك وينشرونه. إنّ هذا لا يليق بالمسلم بحال؛ إنّ ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيهًا .. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن شرّ الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»[(١)].

ربما لا يقوى المرء في بعض الظروف أن يعلن رأيه فليسعْهُ عندئذ السكوت. ما أحرانا يا أيتها الأخوات أنْ نحترس من الوقوع في المهالك التي تكون بسبب اللسان، وعلينا أن نقي أولادنا من بنين وبنات وتلامذتنا وتلميذاتنا أيضًا من الوقوع في ذلك. إن اللسان قد يوقع الإنسان في المهالك، فلا بد من ضبطه بحزم.

ينبغي أن نعود ألسنتنا وألسنة من حولنا على أن تكون رطبة بذكر الله وعلينا أن نجنبها النطق بالكلمات القبيحة القذرة. يقول رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة».[(٢)]

إنّ النار لتتقى بالكلمة الطيبة .. ما أعظم الربحَ كلمة تقولينها طيبة تباعدك من النار وتقيك إياها.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: «والكلمة الطيبة صدقة».[(٣)] إن ألفاظ الفحش وأسماء العورات وسبّ الناس وتشبيههم بالوحوش وأنواع الحيوان ينبغي ألاّ يسمعها منا أحد ممن حولنا.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، إذ كان يلجأ إلى الكناية إن اضطر إلى بيان حكم شرعي يتصل بأمر يستحيا التصريح به.

---

(١) رواه البخاري (٧١٧٩)، ومسلم (٢٥٢٦). ورواه الترمذي (٢٠٢٥) بلفظ: (إن من شر الناس عند الله يوم القيامة ذا الوجهين)، ورواه أيضًا أبو داود (٤٨٧٢).

(٢) رواه مسلم (١٠١٦) الخاص (٦٨).

(٣) رواه البخاري (٢٨٩١)، ومسلم (١٠٠٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّ التزام هذا الخلق وهو تنزيه اللسان عن ذكر هذه الأمور يعود على المرء نفسه صفاء في النفس، وطمأنينة في القلب، وبعداً عن القلق والكراهية للآخرين، ويجعله محبوباً من الناس، خفيف الظل، مسموع الكلمة.

أحب أن أنبه إلى أمر مهم، وهو أن نربي أولادنا ونساءنا وتلاميذنا على ألاّ يزكوا أنفسهم، فهذه آفة من أسوا آفات اللسان .. وقد يطيب للفتيان والفتيات أن يتحدثوا مادحين أنفسهم .. فعلينا أن نحذرهم من الوقوع في هذه الآفة، وقد قيل: أقبح الصدق الثناء على النفس. ولذا فقد نهينا عن تزكية أنفسنا. قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم. الله أعلم بأهل البر منكم».(١)

وقال الحسن البصري: علم الله من كل نفس ما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم، ولا تبرئوها من الآثام، ولا تمدحوها بحسن أعمالها.(٢)

قال الإمام الغزالي: [قيل لبعض الحكماء: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه. فإياك أن تتعود ذلك، وأعلم أنّ ذلك ينقص من قدرك عند الناس، ويوجب مقتك عند الله. فإذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك فانظر إلى أقرانك إذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال، وكيف يستكرهه قلبك، ويستثقله طبعك، وكيف تذمهم عليه إذا فارقتهم، فاعلم أنهم أيضاً في حال تزكيتك لنفسك يذمونك في قلوبهم ناجزاً. وسيظهرونه إذا فارقتهم].(٣)

---

(١) رواه مسلم (٢١٤٢) (١٩).
(٢) تفسير البغوى ٧/ ٤١٣، وتفسير الخازن ٦/ ٢٢٢.
(٣) "بداية الهداية" ص ٣١ طبعة دمشق ١٣٨٩هـ (١٩٦٩م).

إنّ كلام المرء من عمله وهو محاسب عليه. قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]. وسيُقابل كل امرئ بما كان يقول وسيحاسب عليه ولو كان مثقال ذرة. قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وسيولول المجرم عندما يرى الصغائر والكبائر من عمله مسجلة في كتاب لا يفوته قول ولا عمل. قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

وإذا عوّد المرء نفسه عادة وشاب عليها صعب عليه أن يتخلّص منها أو يتخلّى عنها، فلنراقب أنفسنا وأولادنا ومن يتأثر بنا.

إنّ البعد عن الثرثرة يوفّر للمرء الوقار عند الناس، والتفرّغ للفكر فيما بينه وبين نفسه، ويحقق له السلامة من تبعات القول في الدنيا والآخرة ..

أجل .. إنّ المرء إذا استطاع أن يحفظ لسانه من الكذب وقول الزور والغيبة والنميمة والجدال والكلام الفارغ فقد حفظ نفسه من الإثم ومن النار ومن بغض الناس له.

إنَّ على كل عاقل ألاّ يتكلم بما هو مستغن عنه، وبما لا حاجة له إليه؛ لأنه إن تكلم كلاماً مباحاً لا ضرر عليه منه، ولا على مسلم، ضيّع وقته بما لا يفيد ولا يضرّ.. والوقت ثمين وهو رأس مال المسلم ..

ولو أنه صرف زمان الكلام إلى التفكير في نفسه وفي آيات الله لكان خيراً له وأنفع، ولربما قاده هذا التفكير- بتوفيق من الله - إلى أفكار بناءة لم يسبق إليها، تعود على المسلمين بالخير العميم، وتصلح أحوالهم وتنهض بهم من واقع مؤلم يعيشونه.

ولو أنه شغل لسانه في ذاك الوقت الضائع بالذكر من تهليل وتسبيح وتكبير وحمد وتلاوة لكان خيراً له، فكم من كلمة يبنى له بها قصر في الجنة، ومن قدر على أن يأخذ كنزاً من الكنوز، فأخذ مكانه حجراً لا ينتفع به كان خاسراً خسراناً مبيناً، وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه، فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى.

ورأس مال المسلم- كما قلنا- أوقاته، فإن صرفها فيما لا يعنيه ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة، فقد ضيّع رأس ماله. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «مِن حُسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه».(١)

وقال مجاهد: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (خمسٌ لَهُنَّ أحبُّ إليّ من الدُّهم الموقوفة:

- لا تتكلم فيما لا يعنيك؛ فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر (أي فإنه زيادة لا حاجة لك به) ولا آمن عليك الإثم لأنّ المرء قد يتكلم في أمر وهو يظن أنه لا إثم عليه فيه) ويكون محرماً).
- ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً فإنه رب متكلم في أمر يعينه قد وضعه في غير موضعه فَعَنِتَ (أي أخطأ ونالته مشقة).
- ولا تمار حليماً ولا سفيهاً فإنّ الحليم يقليك (أي يبغضك) والسفيه يؤذيك.
- واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به) وأعفه مما تحب أن يُعفيك منه) وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به
- واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازىً بالإحسان مأخوذ بالاحترام.(٢)

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة.
(٢) "إحياء علوم الدين" ٣/ ١٠٩ - ١١٠.

وقال العلماء: معنى (الكلام الذي لا يعنيك) أي أن تتكلم بكلام لو سكتَّ عنه لم تأثم ولم يلحقك بسكوتك ضرر في حال ولا مال.

ولا يقتصر ضرر الكلام الفارغ الذي لا يعنى المتكلم ولا فائدة منه، لا يقتصر ضرره على المتكلم وحده .. بل يجاوزه إلى السامعين. فإذا استطاع المرء أن يتكلم كلاماً خالياً من الزيادة والنقصان وتزكية النفس الغيبة ونحو ذلك فإنه مضيع لوقت من يحدثهم بما لا فائدة لهم فيه، ولو أنه سكت لأتاح لهم المجال للانتفاع من وقتهم.

ومن الآفات التي نجدها في كثيرٍ من مجالس الناس: الرجال والنساء أنّ هناك ناساً يريدون أن يقتلوا أوقاتهم، ويصرحون بهذه العبارة فيقولون: نريد أن نقتل وقتنا، فيتسلون بهذه الأحاديث التي لا تخلو من مخالفة شرعية، وإن خلت وقلما تخلو فهي أحاديث لا فائدة منها.

وأصعب شيء على المسلم الملتزم والمسلمة الملتزمة أن يبتلى بزوار من هذا القبيل. وقد ذكر الإمام ابن الجوزي في كتابه "صيد الخاطر" أنه مبتلى بذلك فقال: [لقد رأيت كثيراً يجرون معي فيما أعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطيلون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يعني وما يتخلله غيبة، وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور وتشوّق إليه واستوحش الوحدة.

فلما رأيت أنّ الزمان أشرف شيء، والواجب انتهازه بفعل الخير كرهت ذلك. وبقيت منهم بين أمرين:

إن أنكرت عليهم وقعت وحشة لموضع قطع المألوف، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان. فصرت أدافع اللقاء جهدي، فإذا غُلبت قصّرت في الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددتُ أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من المستعدّ للقائهم قطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بُدّ منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي].[1]

أيتها الأخوات .. إنّ حفظ اللسان أمرٌ من أهم الأمور التي يجب أن يعني بها التربويون الذين يريدون بناء النفوس المطمئنة وإعداد الجيل الصالح.

إنّ من مهمات الدعاة والداعيات، والمصلحين المصلحات أن ينهضوا بأمتهم إذا تعثرت في يوم من الأيام بالتخلّف، أو حلّت بها الهزيمة، أو نزلت بها جائحة من الجوائح.وإنّ من وسائل النهضة أن تُذكَّر الأمة بأمجادها وبطولاتها.. وقد ذكرنا أنّ أمّة الإسلام هي أمة الأمجاد والبطولات.. وذكرنا أنّ سيرة النبي العظيم هي سجل البطولات الفذة التي لا نظير لها على الإطلاق، والتذكير بها ضروري للتأسي والاقتداء.

إننا لم ندخل التاريخ إلا يوم أن هدانا الله بمحمد ﷺ، الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وكتب الله لنا باتباعه العزة والسيادة على أمم الأرض. فجزاه الله عنا ما هو أهله .. والحديث عن السيرة حديث طويل متشعب الأنحاء.

وتأتي - بعد السيرة - دراسة سير الصحابة الكرام، مصابيح الهدى، ودعاةِ الحق والتوحيد، والرجالِ الذين حقّقوا للإنسان كرامته، وصانوا له إنسانيته من المهانة والظلم فجزاهم الله خير الجزاء.

إنّ هناك تقصيراً في ذكر فضائهم، ونشر تلك الصفحات المشرقة من حياتهم، وإذاعتها وعرضها على أولادنا في المدارس والمساجد والمنتديات ووسائل الإعلام.

---

(١) "صيد الخاطر" ص ٢٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حدثني صديق قال: كنّا في مجلس يضمُّ عدداً من المثقفين الجامعيين، وجرى ذكر صحابي من العشرة المبشرين بالجنة، فسأل هذا الصديق الحاضرين: من هم هؤلاء العشرة المبشرون؟

فلم يستطع أحد منهم أن يذكر أسمائهم. ولو كان السؤال عن أشهر الممثلين أو اللاعبين لأجابه عدد منهم.

إنّ الصحابة الكرام هم خير الخلق بعد الأنبياء، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنّ قرنهم خير القرون. فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ سئل: أي الناس خير؟

فقال: «قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».(١)

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خير هذه الأمّة القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم».(٢)

وأخبرنا صلوات الله وسلامه عليه أنهم حازوا قصب السبق فلن يبلغ أحد ما بلغوه. فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه».(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي . لا تسبوا أصحابي. فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه».(٤)

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وبرقم ٢٥٣٤ عن أبي هريرة بلفظ «خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم ثم الذي يلونهم».

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٣).

(٤) رواه مسلم (٢٥٤٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنهم رجال آمنوا بربهم وزادهم هدى .. لقد حملوا هذا الدين ونشروه في الدنيا، وبذلوا في سبيل ذلك النفس والنفيس، وقطعوا المسافات الطويلة على أرجلهم، يقاتلون فيُقتل منهم ويقتلون حتى مكنوا لهذا الدين فعلا شأنه.

إنّ أخبارهم منارات مضيئة، تملأ من يطلع عليها بالإعجاب، وقد يقوده ذلك إلى الاقتداء إن كان كتب الله له التوفيق.

وقد قلت في أحد كتبي: [لقد خرّجت هذه الدعوة جيلاً من الناس – جيل الصحابة رضوان الله عليهم – جيلاً مميزاً في تاريخ الإسلام كلّه وفي وتاريخ البشرية جميعه، ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى .. نعم وجد أفراد من ذلك الطراز على مدى التاريخ، ولكن لم يحدث قطُّ أن تجمّع مثل ذلك العدد الضخم في مكان واحد كما وقع في الفترة الأولى من حياة هذه الدعوة].[1]

وقلت: [إنّ هؤلاء الأصحاب الكرام لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثقافة والإطلاع، ولا بقصد التذوق والمتاع. لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته. إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحييها هو وجماعته، يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه، كما يتلقى الجندي في الميدان الأمر اليومي ليعمل به فور تلقيه. ومن ثَمَّ لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة، لأنه كان يُحسّ أنه إنما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه، فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها، كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن). وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم

---

(١) انظر كتابنا "بحوث في أصول التفسير" ص١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يستقرئون من النبي فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا].(١)

إنّ هذا الشعور شعور التلقي للتنفيذ كان يفتح لهم من القرآن آفاقًا من المتاع وآفاقًا من المعرفة، لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا إليه بشعور البحث والدراسة والإطلاع، وكان ييسر لهم العمل، ويخفف عنهم ثقل التكاليف، ويخلط القرآن بذواتهم، ويحوله في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي، وإلى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف، إنما تتحول آثاراً وأحداثًا تحوّل خط سير الحياة.

إنّ هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح: روح المعرفة المنشئة للعمل ...].(٢)

إنّ علينا أن نملأ صدور أبنائنا وبناتنا اعتزازاً بتاريخنا الإسلامي العظيم، وبرجالاته الأبطال، وعلينا أن نسلك في إبلاغهم المسالك المتعددة التي تكون مقبولة عند الشباب والشابات، وأن نحضهم على أن يقتدوا بتلك النماذج **الإسلامية** الفريدة التي قلّ نظيرها في تاريخ الأمم الأخرى.

إننا في أشدّ الحاجة إلى أن يكون الجيل القادم سائراً على طريق أولئك الآباء والأجداد، فتكون عزتهم بالإسلام، ويكون هدفهم العمل بالإسلام والدعوة إليه، وإقامة حياتهم الخاصة والعامة على أسسه العظيمة الخالدة.

إن ما يعاني منه المسلمون اليوم إنما هو نتيجة بعدهم عن الإسلام. واعتزازهم ببعض المظاهر البراقة التي عند الكفار وانخداعهم بأقوالهم وشعاراتهم.

---

(١) انظر كتابنا "بحوث في أصول التفسير" ص٩ و ص٨٣.

(٢) انظر كتابنا "بحوث في أصول التفسير" ص ١٤- ١٥.

مازلت أتحدث عن فائدة ذكر بطولات الأمة العظيمة لأبناء الأمّة في مرحلة اليقظة والنهوض من الواقع المؤلم الذي آلت إليه أوضاع الأمّة.

إن الحديث عن تلك البطولات العظيمة يذكي روح الحماسة في أبناء الأمّة، ويحضّهم على العمل الجادّ لرفعة أمتهم، ويوقد شعلة الأمل بالمستقبل الباسم المشرق في نفوسهم، ويقول لهم: أنكم أنتم أحفاد أولئك الأبطال الذين كانوا خير أمة أخرجت للناس، وعليكم أن تستأنفوا المسيرة لتكملوا تحقيق المهمات العليا السامية التي بدأها أجدادكم من الهداية إلى الرشد، والقيادة إلى الخير والسعادة.

وقد سبق أن ذكرنا أهمية التذكير بسيرة سيد الخلق، وأفضل الأنبياء، سيدنا محمدٍ رسولِ الله ﷺ البشير النذير، والسراج المنير، صاحب الخلق العظيم، الرؤوف الرحيم، صلوات الله وسلامه عليه .. ذكرنا أهمية التذكير بتلك السيرة العطرة في تحقيق اليقظة والنهضة.

إنّ الاقتداء برسول الله ﷺ أمر واجب نصّ عليه كتاب الله تعالى ورغّب فيه وحضّ عليه. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد يقول قائل: أنّى لي أن أستطيع الاقتداء برسول الله العظيم، الذي أيّده الله بالعصمة، وحباه أكرم السجايا، وجعله أفضل رسله وخاتمهم؟ إنّ هذا مطلب عسير التحقق.

ونقول لهذا القائل: إنّ ما ذكرته في وصف رسول الله صحيح، فهو سيد العظماء، وهو المؤيد بالعصمة، وهو أفضل الرسل. هذا حق لا شك فيه. ولا يراد بالاقتداء أن يكون المقتدي معصوماً .. بل المطلوب من المسلم في القدوة ما يدخل في طوقه وقدرته، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ولا يطلب من المسلم

أن يقوم بما لا يستطيع .. فطبيعة هذا الدين في كل تكاليفه اليسر .. وهذه خاصة عظيمة من خصائص هذا الدين. قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقال ﷺ: «إن هذا الدين يسراً ولن يشادّ هذا الدين أحدٌ إلا غلبه».

وقد استطاع جيل الصحابة الكرام، وهم ناس من الناس، استطاعوا أن يقتدوا برسول الله ﷺ في جوانب حياتهم المختلفة في عبادتهم وتفكيرهم وأخلاقهم ومعاملتهم الآخرين.

إذن فالقدوة ممكنة وليست مطلبًا عسيراً، وقد تحققت في عصر الصحابة- وتمثلت في جيل كامل من الناس .. كان أفراده حملة هذا الدين وناشريه في العالم المعمور.

وتحققت هذه القدوة أيضًا بعد عصر الصحابة في أفراد على مر الزمان ولم يكن ذلك متحققًا في جيل.

ونود أن نعرض طرفًا من حياة بعض أفراد هذا الجيل العظيم ليحملنا هذا العرض على العمل والاقتداء.

وليس غرضنا أن نمتع أنفسنا والسامعين بعرض هذه البطولات وهو ممتع حقًا .. بل غرضنا أن نقول للمسلم المعاصر وللمسلمة المعاصرة: إنّ الإنسان إذا عزم على أمر وصدق في عزمه استطاع أن يبلغه مهما بدا له في أول الأمر أنه عسير التحقق .. فإلى العمل أيها الأخ المسلم .. وإلى العمل أيتها الأخت المسلمة.

لقد كان هذا الجيل من الصحابة مثلاً أعلى في الإقدام وبذل النفس والمال .. جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم.

وكانوا مثلاً أعلى في حسن التعامل فيما بينهم، وفي حسن التعامل مع المخالفين لهم في الدين.

وكانوا مثلاً أعلى في التربية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي وضع الحزم في موضعه، ووضع الدين في موضعه.

وإذا أردنا أن نفصل القول في فضائل عدد رجالاتهم فمن الطبيعي أن نبدأ بالحديث عن أفضلهم .. بل أفضل الخلق بعد الأنبياء .. ألا وهو سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه .. أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ ، وصديقه الأول، وناصره ومستشاره، ذلك لأنّ حياة سيدنا أبي بكر ليست حياة واحد، ولكنها حياة أمةٍ .. أمة حملت مصباح النور حين عمّ الكونَ الظلام .. وأرشدت العالم التائه في عباب الجهل إلى شاطئ العلم.

إنّ حياة سيدنا أبي بكر العظيم هي الصفحة الأولى من التاريخ الإسلامي، الذي بهر كل تاريخ وبَذّه، والذي لم تَحْوِ تواريخ الأمم مجتمعة بعض ماحوى من الشرف والمجد والنبل والإخلاص.

هذا التاريخ الذي سجل معجزة في أحداثه لم تحصل في الماضي، ولم تتكرر بعد وقوعها. تاريخ أمة كانت بادية جاهلة متفرقة، لا يحسّ بوجودها من عاصرها، ولم تكن شيئًا مذكوراً لمن جاء بعدها .. ثم غدت بفضل الإسلام وقادته الذي تمثلوا مبادئه في حياتهم .. غدت أمّة الحضارة والعلم والتوجيه .. أمة لم يكن لها ولن يكون لها نظير.

إنّ رجال الصحابة ونساءهم رضي الله عنهم تلقوا آيات القرآن من رسول الله فوعوها ثم عملوا بها، ثم حملوها إلى الدنيا .. لقد امتزجت روح الإسلام بأرواحهم .. فلم يعد حب الدنيا مسيطراً على قلوبهم، ولم يعد للطمع والحسد والغش والكذب وجود في نفوسهم ولا في معاملاتهم. وغدوا خلاصة البشر، وغاية ما يبلغه السموّ

الإنساني .. صاعهم الإسلام صياغة جديدة، فهم يغضبون لله ويرضون لله، يصمتون لله وينطقون لله، يحبون في الله ويبغضون لله، يجاهدون لله ويسالمون لله، ماتت في نفوسهم الأهواء، وبادت منها الشهوات ولم يبق إلّا دين يهدي، وعقل يستهدي، صلاتهم ونسكهم ومحياهم ومماتهم لله رب العالمين.

إننا – اليوم – في أشدّ الحاجة إلى إحياء هذه المُثل الكريمة في رجال ونساء يقودون أمتهم إلى العزّة والسيادة، ويخلصونها من المهانة التي أصابتهم بسبب بعدهم عن الدين، وينقذونها من عدوان أعداء الله من اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة، ومن النصارى القتلة المجرمين، ومن المجوس وغيرهم. نسأل الله أن يمن على المسلمين بالرجوع إلى دينه والاستمساك بحبله المتين.

إنّ عليكن أيتها الأخوات الفاضلات وأنتن في مرحلة البناء أن تبرزن صورة أولئك الأبطال لأولادكن من بنين وبنات ولتلميذاتكن ولجاراتكن وصديقاتكن .. الأبطال الذين عاشوا مع رسول الله ﷺ وقاتلوا معه، فنفعهم الله بصحبته، وكانوا القاعدة الصلبة للمجتمع الإسلامي المثالي.

لقد كانوا قوما هداة مهتدين، مستمسكين بهدى سيد المرسلين، يعيشون عيش الزاهدين، لم يمنعهم زهدهم من أن يكونوا أبطال الحروب، ولم يفتنهم ما نالوا من مجد وما بلغوا من جاه، عن دينهم وتقواهم.وقد وصفهم الشاعر بقوله:

علّموا النّاس أفانين العُلا ... وضُروبَ المجدِ من دنيا ودين
إن نزوا رجّت بهم أرجاؤها ... أو دعوا للفخر كانوا الأطولين
طرح الناس لهم تيجانهم بعـ ... ـد أيام شداد مرغمين
قوّموا من عوج الدهر فلم ... يجر صرف بسوى ما يشتهون
طرّز الدهر بهم بردته ... ومضى يخطر تيّاه الجبين[1]

(١) "أقوال مأثورة" ١/ ٤٣٦، و"ديوان محمد البزم" ١/ ١١٣.

إنَّ الصحابة ﷺ ليسوا - بالنسبة للمسلمين - أبطالا قوميين، بل هم أولا أبطال دينيون .. حملوا هذا الدين الذي وصل إلينا عن طريقهم، وكانوا القادة الفاتحين، حرروا أجدادنا من ظلمات الوثنية والشرك بأنواعه، والظلم والشقاء .. لقد كانوا مع الله فكان الله معهم ونصرهم وأيدهم، وأجرى على أيديهم المأثر العظيمة. ولنتحدث عن أبي بكر ﷺ:

* * *

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

لقد كان سيدنا أبو بكر يمثل هذه الأمّة بأخلاقه وموافقه وعدله وزهده وشجاعته.

لقد كان سيدنا أبو بكر أسرع الناس إلى الإيمان برسول الله ﷺ وبما جاء به، ولقي في ذلك العناء الكثير.

كان أبو بكر -كما ذكرنا- صديقاً للنبيّ ﷺ قبل الإسلام، فلما بعث انطلق رجال من قريش إلى أبي بكر فقالوا: يا أبا بكر! إن صاحبك يدعو إلى عبادة إله واحد ويزعم أنه نبي.

قال أبو بكر: ذاك؟

قالوا: نعم.

فأقبل أبو بكر إلى النبيّ ﷺ فطرق عليه الباب وقال: أبا القاسم ما الذي بلغني عنك؟

قال: «وما بلغك عني يا أبا بكر؟».

قال: بلغني أنك تدعو إلى توحيد الله، وزعمت أنك رسول الله؟

قال: «نعم يا أبا بكر إن ربي جعلني بشيراً ونذيراً وأرسلني إلى الناس جميعاً».

قال أبو بكر: والله ما جربت عليك كذباً، وإنك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك وصلتك لرحمك وحسن فعالك. مدّ يدك فإني مبايعك. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.

وقال رسول الله ﷺ: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلّا كانت منه كبوة وتردد إلا ما كان من أبي بكر .. ما تردد فيه». فكان هو وخديجة رضي الله عنهما أول من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسلم. قال حسان بن ثابت[١]:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدّق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاق العدو بهم إذ صعّدا الجبلا

* * *

روى البخاري في صحيحه[٢] أنَّ عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: لم أعقل أبويّ إلّا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية.

فلما ابتلي المسلمون خرج أبوبكر مهاجراً قبل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدّغِنّة[٣] وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟

فقال أبوبكر: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي.

---

(١) "مجمع الزوائد" ٩/ ٤٣، و"ديوان حسان بن ثابت" ص ٢١١، وفي بعضها زيادة عن بعض.

(٢) رواه البخاري (٢٢٩٧).

(٣) جاء في القاموس وشرحه مادة دغن: والدُّغنَّة مثل الدجنة وزناً ومعنى، والدغُنَّه أم ربيعة بن رفيع بن حبان بن ثعلبة السلمي الذي أجار أبا بكر رضي الله عنه وشهد هو حنيناً. وذكر الذهبي في تجريد أسماء الصحابة ١/ ١٧٩ [ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة السلمي الذي يقال له ابن الدغنة، وهي أمه، وشهد حنيناً وقتل دريد بن الصمة يومئذ]. وذكر الفيروز بادي في ضبط (الدُّغُنَّة) قولين آخرين وهما: أن تكون على وزن (كلمة) وعلى وزن (حزمة) ثم قال: والصحيح الأول، والمحدثون يلحنون. وانظر في ترجمتة "الإصابة" لابن حجر ١/ ٤٩٤-٤٩٥ ورقم الترجمة ٢٥٩٨. وقد جاء في صحيح البخاري عن ابن الدغنة: (وهو سيد القارة)، وجاء في شرح العيني ١٢/ ١٢٤: القارة بالقاف وتخفيف الراء قبيلة موصوفة بجودة الرمي .. سموا بذلك لأنهم في بعض حربهم لبني بكر صفوا في قارة. وقال ابن دريد: القارة: أكمة سوداء فيها حجارة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال ابن الدغنة: إنّ مثلك لا يَخرج ولا يُخرج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، فأرجع فاعبد ربك ببلادك.

فارتحل ابن الدغنة، فرجع مع أبو بكر، فطاف في أشراف كفار قريش فقال لهم: إنّ أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكلّ، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟

فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة، وآمنوا أبابكر وقالوا لابن الدغنة: مُرْ أبابكر فليعبد ربه في داره، فليصلّ، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإنا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا.قال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر. فطفق أبوبكر يعبد ربه في داره، ولا يستعلن بالصلاة، ولا القراءة في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وبرز، فكان يصلّي فيه ويقرأ القرآن، فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنّة، فقدم عليهم فقالوا له: إنا كنا أجرنا أبابكر على أن يعبد ربه في داره وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأته، فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلّا أن يعلن ذلك فسله أن يردَّ إليك ذمتك فإنا كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلاء.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنّة أبابكر فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترد إلي ذمتي، فإني لاأحب أن تسمع العرب أني أُخفرت في رجل عقدت له.

قال أبو بكر: فإني أردّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله. رواه البخاري.

وهكذا مضى أبو بكر ﷺ يصلي ويدعو إلى الله ولا يبالي بما يصيبه في سبيل الله ويرضى بجوار الله.

إننا نريد شباباً وشابات ينشؤون على دعوة التوحيد دعوة الحق يمضون في طريق الدعوة لا يصدهم عن ذلك أمر من الأمور.

يجب علينا أن نضع أمام أعين أبنائنا وبناتنا وتلاميذنا وتلميذاتنا نماذج فاضلة من القدوة الصالحة، نسلّط عليها الأضواء، ونكثر من ذكرها في كل مناسبة، بطريقة غير مملة ولا وعظية.

إننا- إن فعلنا ذلك - نكون قد قدمنا لهؤلاء الأولاد الذين ائتمننا الله عليهم القدوة الصالحة التي تنطبع صورتها في نفوسهم، فيحبّونها ويقودهم ذلك إلى الاقتداء بها.

أما إذا لم نفعل ذلك كان هناك فراغ سيسدُّه أهل الشر بنماذج فاسدة من الممثلين والممثلات، والراقصين الماجنين والراقصات الماجنات، والمثقفين المنحرفين والمثقفات المنحرفات، وأصبح هؤلاء يملكون أدوات التأثير من وسائل الإعلام المتقدمة.. فنكون بتقصيرنا قد فتحنا طريق الغوّاية أمام فلذات الأكباد، دون أن نشعر بذلك .. ودون أن نتعمده.

إنّ النماذج الفاضلة من الرجال والنساء في تاريخنا الأغر كثيرة كثيرة.. وإذا عرضت هذه النماذج عن طريق القصة المحبوكة أو التمثيلية الجذابة كان تأثيرها كبيراً.

إنّ الإنسان يحبّ سماع القصص ويستمتع بها أيـًا كان عمره.. وقد استغلّ أهل الشر ذلك، فكتبوا قصصـًا تقوم على دغدغة الغرائر وإثارتها، وتزيين طريق الغواية للشباب والشابات والمراهقين والمراهقات.

كيف يطيب لنا عيش ونحن بتقصيرنا نرى أولادنا يسيرون في طريق الانحراف والغواية؟ إننا يجب أن نشعر بمسؤوليتنا بين يدي الله عنهم. ثم يجب

أن نشعر بمسؤوليتنا أمام هؤلاء الأحبة عندما يدركون تقصيرنا.. وذلك بأن تركنا المجال لدعاة الهدم ونشر الرذيلة.

إنّ الكيد الذي يُكاد لهذه الأمّة شديد، وهذا أمرٌ متوقع أن يكون من الأعداء.. فلا بُدّ من اليقظة أولاً ثم مواجهة هذا الكيد لا بالنقد ولا بالرد ولكن بالعمل الإيجابي الجاد.

أريد أن أشير إلى أمرين يدفعاننا إلى العمل في هذا الصدد: وهو تقديم نماذج ممن هم أهل أن يكونوا قدوة من رجالنا الصالحين المصلحين ونسائنا الصالحات المصلحات.

أما أولهما فهو أنه لا يُحرّك الفرد في أمتنا شيءٌ مثلُ الدين، يشهد على ذلك التاريخ الماضي، والواقع المعاصر.

وأما ثانيهما فهو أن في هذه الأمّة – أمّة الإسلام – خيراً كثيراً، تكشف عنه الأحداث اليومية القائمة. فلقد رأينا من جماهيرنا المسلمة البذل والاهتمام بالمسلمين ومشاركتهم آلامهم ومآسيهم .. أولاً تذكرن يا أيتها الأخوات أنباء البذل والإنفاق في حملات التبرع لإخواننا في البوسنة والهرسك وفي فلسطين.. لقد جاء الرجال والنساء يتسابقون إلى تقديم ما يستطيعون.. بل إنّ بعضهم جاء يتبرع بالبيت الذي يسكن، وبعضهن جاءت تتبرع بالحلي الذي تتزين به وما إلى ذلك، نعم إذا توافرت الثقة بالدعاة وبالذين يجمعون التبرعات بذل الناس الغالي والنفيس.

ألا فلنستفد من هذين الأمرين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لنعرض هاتيك الصور المشرقة لأبطالنا العظماء وما أكثرهم[1]..

أبطالنا من الصحابة ﷺ والتابعين والعلماء العاملين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، ومن الأمراء المجاهدين من أمثال نور الدين الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي.

إنّ ذلك يا أيتها الأخوات يوقظ الإيمان في قلوب الناس ويزيده وينميه، ويذكر بالعزة التي كتبها الله للمؤمنين. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨]. ويلهب العاطفة الدينية التي تعمر صدور أبناء الأمّة، يلهبها بعد أن كانت فاترة .. ذلك لأنّ جذور الخير عميقة في هذه الأمّة.

إنّ إحياء سير أبطالنا الهداة الصالحين المصلحين ليدعوا إلى الاقتداء بهم، وإلى إصلاح واقعنا المؤلم الذي نتطلع إلى إصلاحه.

---

(١) كان (ج.م) معلما يدرسنا في المرحلة الثانوية، وكان مأخوذا بأوربا وأهلها، وكان يقضي إجازاته هناك، ولم يكن متزوجا، وكان يحدثنا دائما بإعجاب متناهٍ عن رقي الأوروبيين وتقدمهم وحسن معاملتهم الآخرين، وصدقهم في المواعيد والأخبار وعن تحصيلهم العلمي .. حتى زل لسانه يوماً فقال: إن كلابهم خير من أبناء بلدنا.. فتألمت لكلامه وقمت واستأذنته لأتكلم، وأنا حينذاك طالب صغير السن، فقلت: هذا كلام نرفضه ونأباه، نحن مسلمون ونحن بإسلامنا خير من هؤلاء الكفرة، ثم لماذا لا تحدثنا عن آبائنا الذين كانوا خلاصة البشرية، وكانوا سادة العالم وقادته وأساتذته ومفكريه؟ فقال لي: بماذا أحدثك يا بني؟ وهل في تاريخنا إلّا بعض الأقاصيص عن عمر بن الخطاب فقلت له: (أقول مع احترامي لك لأنك أستاذي: إذا كنت لا تعلم غير تلك الأقاصيص فارجع إلى كتب التاريخ والسير والتراجم لترى الكثير الكثير.) فأعرض عن كلامي ومضى.
أقول : إنّ أمثال هذا المعلم يهدم بناء الأمة ويحطم نفوس أبنائها.

أجل إننا إذا استطعنا أن نملأ صدور أولادنا بنين وبنات وصدور رجالنا ونسائنا بالإعجاب بأولئك الأبطال، قادهم هذا الإعجاب إلى العمل الصالح .. وهذه حقيقة مقررة أثبتتها دراسات نظرية وميدانية. فلقد ثبت أن الإعجاب بالبطل يقود المعجب إلى تقليده ..

وهناك حوادث واقعية أكدت هذه الحقيقة، فمن ذلك خبر قرأناه في الصحف من زمن بعيد في بعض البلاد العربية، وفحوى هذا الخبر أن فتيانا مراهقين من وسط غني، عمدوا إلى سرقة مال وحلي بعد أن دخلوا إلى الدار التي قصدوها من مدخل ضيق جداً وخرجوا منه.

فعلوا ذلك وهم – كما قلنا – ليسوا بحاجة إلى المال، فهم أغنياء مترفون ولم يسبق لهم قبل ذلك أن امتهنوا السرقة.

ولما ألقي القبض عليهم وجرى التحقيق معهم قالوا: إنما فعلنا ما فعلنا لأننا رأينا فلماً قام فيه أحد الممثلين البارعين بمثل ما قمنا به، وكان بارعاً في الدور الذي قام به، فأعجبنا به وحاولنا تقليده .. وقد نجحنا.

إنّ من مهمّاتكن في بناء الأمّة توفير الوعي لمن تحت أيديكنّ ولمن يتصل بكن، والعمل على إنشاء جيل صالح مصلح معتز بدينه وبأمته، وإنّ مما يعين على تحقيق ذلك عرض مشاهد من سيرة الرسول العظيم ﷺ وصور من حياة الصحابة والدعاة.

يجب أن تبقى شمس الهداية مشرقة على نفوس أفراد أمّتنا ولا سيما الناشئة .. لأنّ من سنن الله أنه إذا غابت الشمس حلّ الظلام.

وشمس الهداية لا بُدّ لها من حملة يحملونها ويتقدمون بها إلى الأمّة .. ألا فلتُعدّ كل واحدة منكنّ نفسها لتكون قائمة بهذه المهمة الشريفة .. وإلا تفعلن كانت الساحة خالية ليعيث تحت جنح الظلام أنصار الضلال ومردة الشياطين من الإنس والجن. والله غالب على أمره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعلمن أن أعظم أبطالنا - نحن المسلمين - بعد رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو عبد الله بن عثمان، وكان له لقبان هما: العتيق، والصدّيق .. لقّبهُ رسول الله ﷺ بالعتيق وذلك في قوله له: «أنت عتيق الله من النار»، ويبدو أنّ لقب الصدّيق هو الأشهر، وقد دعاه بذلك سيدنا رسول الله ﷺ ليلة الإسراء كما سنذكر ذلك مفصلاً.

قال أبو محجن الثقفي:

وسُمّيت صدّيقـاً، وكل مهاجرٍ ... سواك يسمّى باسمه غير منكر

سعيت إلى الإسلام والله شاهدٌ ... وكنت جليساً في العريش المشهر

لقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أسرع الناس إلى الإيمان وبما جاء به، وبذل ماله كُلَّه في سبيل الله، وأصرّ على أن يصحب رسول الله ﷺ في الهجرة مغامراً بحياته، لأن تلك الرحلة كانت محفوفة بالمخاطر، فقد وضعت قريش مكافأة كبيرة لمن يأتي بمحمد ﷺ حيـاً أو ميتـاً، روى البخاري في صحيحه[1] أنّ النبيّ ﷺ قال للمسلمين: «إني أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين، وهما الحرتان». فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهّز أبو بكر قِبَلَ المدينة فقال له رسول الله ﷺ: «على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي».

فقال أبوبكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟

قال: «نعم».

فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عند ورق السَّمُر أربعة أشهر.

---

(١) رواه البخاري (٣٩٠٥).

قالت عائشة: فبينما نحن يومـًا جلوسٌ في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنّعـًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها.

فقال أبو بكر: فدى له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر.

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبيّ ﷺ لأبي بكر: «أخرجْ من عندك».

فقال أبوبكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله.

قال: «فإني قد أذن لي في الخروج».

فقال أبو بكر: الصحابةَ بأبي أنت يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: «نعم».

فقال أبو بكر: فخذ - بأبي أنت يا رسول الله - إحدى راحلتيَّ هاتين.

قال رسول الله ﷺ: «بالثمن».

قالت عائشة: فجهزناهما أحثّ الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سميت ذات النطاقين.

ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليال. يبيت في الغار عبدالله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف[١]، لقن[٢] فيدّلجُ[٣] من عندهم بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة[٤]

---

(١) أي: حاذق.

(٢) أي: سريع الفهم.

(٣) أي: يخرج بسحر إلى مكة.

(٤) اشتراه أبو بكر من الطفيل بن سخبرة، فأسلم، فأعتقه.

مولى أبي بكر منحة من غنم[١]، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما[٢]، حتى يَنْعِقَ بها عامر بن فهيرة بغلس. يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله ﷺ وأبوبكر رجلاً من بني الديل.. هادياً خريتاً - والخريت: الماهر بالهداية - وهو على دين كفّار قريش، فأَمِنَاهُ فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال [فأتاهما][٣] براحلتيهما صبح
ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم طريق السواحل.

ثم أورد البخاري بعد ذلك قصة سراقة بن مالك المدلجي الذي طمع في المكافأة المالية الكبيرة التي وضعتها قريش لمن يأتي بمحمد حياً أو ميتاً، فانطق نحوهما ولما اقترب منهما ظهرت معجزة إلهية صرفته عن مقصده. يقول سراقة: (... ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت: إنّ قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآني، إلا أن قال: «أخف عنا». فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله ﷺ وفي رواية للبخاري[٤] قال الراوي: (فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ وكان آخر النهار مسلمة).

---

(١) أي: الشاة ويريد الغنم التي كانت لأبي بكر، وتحقق بذلك فائدتان أنهما يشربان من لبنها، وتعفى أثر عبد الله وعامر.

(٢) الرضيف: اللبن المرضوف، أي الذي وضعت الحجارة المحماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته.

(٣) ليست هذه الكلمة في نسخة المتن واستدركتها من فتح الباري ٧/ ٣٨.

(٤) رواه البخاري (٣٩١١).

هذه قصة الهجرة النبوية الشريفة كما جاءت في صحيح البخاري، وقد أوردتها لتبرز لنا بعض صفات القدوة في سيدنا أبي بكر ﷺ. وأود أن نتأمل هذه القصة ونقف عند دروسها العديدة:

- فالدرس الأول: حرص سيدنا أبي بكر ﷺ وحرص المسلمين على الهجرة كما يتبيّن من الحديث (فهاجر من هاجر قِبَلَ المدينة وتجهز أبو بكر قِبَلَ المدينة).

والهجرة ليست أمراً هيناً على النفس، ذلك لأنّ ترك الإنسان بلده وأهله وماله وعشيرته صعب جداً. فالمهاجر يمضي إلى أرض لا يعرفها، وقوم لا يرتبط معهم بنسب، ولا يعرف كيف سيكون عيشه

هناك، وموطن الإنسان حبيب إلى قلبه كما قال الشاعر:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

والغريب يشعر بالوحشة، لا يألف ما كان يألفه:

العين بعد فراقها الوطنا ... لا ساكناً ألفت ولا سكنا

ريانة بالدمع أقلقها ... أن لا تحسّ كرى ولا وسنا

كانت ترى في كل سانحةٍ ... حسناً وباتت لا ترى حسنا

إنّ الغريب معذبٌ أبداً ... إن حلّ لم ينعم وإن ظعنا

وهكذا ينبغي أن تكون مواقفنا في الحياة: لا نقدّم على ما يقتضيه الإيمان شيئاً لا من بلد ولا أهل ولا مال، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

إنّنا عندما نستطيع أن نصل بأنفسنا وأولادنا إلى هذا المستوى في أن لا يكون شيء مقدماً على العقيدة نكون قد حققنا كثيراً من الأمور الأساسية في إعداد الأمّة الإعداد المتين.

- والدرس الثاني: الامتثال لأمر النبي ﷺ مع الحبّ التام، فهذا أبوبكر رضي الله عنه بعد أن تجهز للهجرة توقف عن متابعة عزمه عندما قال له رسول الله ﷺ: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي». وانطلق أبوبكر يعدُّ العدة ليكون مع النبيّ ﷺ في هذه الرحلة الخطيرة الشريدة فحبس نفسه، وشرع يعلف راحلتين كانتا عنده أربعة أشهر.
- والدرس الثالث: أنّ سيدنا أبا بكر رضي الله عنه كان يحبُّ رسول الله ﷺ حباً جماً .. يحبه أكثر من أهله وولده ونفسه، يدل على ذلك فرحُه عندما وافق رسول الله ﷺ على أن يصحبه في الهجرة فصار يبكي فرحاً. ويدل على ذلك أنه كان يريد أن يفدي رسول الله ﷺ بنفسه، فقد جاء في أخبار هذه الرحلة أنّه رضي الله عنه كان يمشي أحياناً أمام النبيّ ﷺ إذا توقع أن يكون الطلب من الأمام، ويمشي أحياناً خلف النبيّ ﷺ إذا توقع أن يكون الطلب من الخلف. وأنه دخل الغار قبل النبي ﷺ ليجنب النبيّ ﷺ الأذى من ثعبان أو عقرب إن كان فيه. وحبُّ النبي ﷺ من الإيمان فلا يكتمل إيمان المرء حتى يكون رسول الله ﷺ أحبّ إليه من كل شيء.

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده»[1].

---

(١) رواه البخاري (١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخرج عن أنس ﷺ قال: قال النبيّ ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين».[١]

وأخرج البخاري عن عبد الله بن هشام قال: كنّا مع النبيّ ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنتّ أحبُّ إليَّ من كلّ شيء إلّا من نفسي.

فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك».

فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبّ إليّ من نفسي.

فقال النبيّ ﷺ: «الآن يا عمر».[٢] أي الآن كمل إيمانك يا عمر.

- والدرس الرابع: وجوبُ الأخذ بالأسباب في مواجهة الأعداء، وفي الرزق، وفي طلب العلم، وفي كلّ شيء من أمور الحياة، وهذا لا ينافي التوكل على الله، فرسول الله ﷺ سيدّ المتوكلين، ومع ذلك فقد أخذ بالأسباب التي تضمن له السلامة في رحلة الهجرة:

١- فقد عمل ﷺ بمضمون قوله: «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان» وهو حديث صحيح.[٣] فسلك مسلك السرية في تصرفاته للهجرة، فطلب من أبي بكر عندما جاءه ليخبره بأنه أُذن له في الهجرة طلب منه أن يُخرج مَنْ في البيت ليحدثه، فطمأنه الصدّيق بأن الموجودين في البيت هم أهله؟ وذلك أنه عقد على عائشة قبل الهجرة.

٢- ورَسَمَ ﷺ الخطة بإحكام، وتقضي هذه الخطة أن يختبئ في غار ثور ثلاث ليال حتى ينقطع عنه الطلب .. وكان معه ومع أبي بكر عبدالله بن

---

(١) رواه البخاري (١٥).

(٢) رواه البخاري (٦٣٣٢).

(٣) "مختصر المقاصد الحسنة" برقم: ٩٥.

أبي بكر، وكان عبدالله حاذقـًا سريع الفهم، فكان يبيت معهما في الغار فإذا اقترب الفجر عاد إلى مكة بعين مبصرة وأذن مصغية، يتسقط الأخبار، ويسمع ما تعدّه قريش من المكايد .. ثم يأتي النبيّ بخبر ذلك.

ومن تمام الخطة أنّهما كلّفا عامر بن فهيرة أن يرعى عليهما غنمات لإخفاء الأثر، وليشربا من لبنها، فكان يأتيهما بعد العشاء. فكان هذا اللبن جزءاً من الطعام يضاف إلى ما حملاه من السفرة التي أعدتها عائشة وأسماء وربطتها أسماء بقطعة من نطاقها.

٣- واستأجرا رجلاً هاديًا اتفقا معه أن يأتي بالراحلتين إلى غار ثور في يوم معين وساعة معينة وكان ذلك. ولم يسلكا الطريق المعهود إلى المدينة بل سلكا طريق الساحل.

إنّ هذا كلّه ليدعو المسلم إلى أن يحكم أمره، وأن يكون له مخطط مدروس في كل مشروعاته.

- والدرس الخامس: أنّ على الداعية إلى الله أن يقتدي برسول الله ﷺ الذي كان يملأ قلبه الأمل بنصر الله لعباده المؤمنين، ولم يخالط اليأس قلبه في أشد الحالات حرجًا وشدةً، فالمؤمن لا ييأس أبداً قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]. وقال: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

نستبط ذلك من قصة سراقة، ففي رواية البخاري التي سقناها أنه طلب من النبيّ ﷺ أن يكتب له - وهو في هذه الحالة - كتاب أمن، فكتب له.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة[١] رواية عن الحسن أنّ رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟».

فلما أُتى عمر رضي الله عنه بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه، وكان رجلاً أزب كثير شعر الساعدين فقال له: ارفع يديك وقل: الحمد الله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي.[٢]

وقال علي الطنطاوي في كتابه "أبو بكر الصديق"[٣]:

[رجل واحد يضرب في الأرض ليس معه إلا رفيق له، قد أُخرجا من ديارهما وتركا أهلهما، وحاق بهما الطلب من كل جانب، حتى اختفيا في غار .. ثم لا يثنيه ذلك عن مراده، ولا ينهنهه عن عزمه، ولا يجد هذا الضيق إلى نفسه سبيلاً، بل إنه لينظر إلى المستقبل بنور الله، فيرى وهو في هذه البادية القاحلة مهاجراً من بلدٍ أحبه وأنس به، واطمان إليه، إلى بلد لا يعرفه، ولم يأنس به، في الموقف الذي ييأس فيه الأمل، ويجزع فيه الشجاع، ويحار فيه الحليم، يرى تاج كسرى يسقط على قدميه، وأعلام قيصر تهوي بين يديه، فيقول لهذا الأعرابي من بني مدلج: كيف بك إذا لبست سواري كسرى].

إنّ في ذلك لعبرة لنا في الإصرار على بلوغ الغاية الفاضلة، وعلى الأمل الواسع.

وفي القصة دروس كثيرة نكتفي بما ذكرنا.

* * *

(١) "الإصابة" ٢/ ١٨-١٩.

(٢) انظر "الاستيعاب" ٢/ ١١٩، و"البداية والنهاية" ٦/ ١٩٤.

(٣) "أبو بكر الصديق" لعلي الطنطاوي ص ٨٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي صحيح البخاري أنّ النبيّ ﷺ صعد أُحُداً فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه النبيّ ﷺ برجله وقال: «اثبت أحد فإنما عليك نبيّ وصدّيق وشهيدان».(١)

وهناك نصٌّ طويل رُوي أن بعض الصحابة قاله يوم وفاته وهذا النص ورد في بعض كتب السنة(٢) وفيه وصف دقيق صادق لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه وسأورده لصحة ما ورد فيه من أوصاف، وإن كان في سنده مقال:

[رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غَناءً، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام؛ وأمنَّهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله ﷺ، وأشبههم به هَدياً وخُلقاً وسمتاً، وأوثقهم عنده، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه منزلة، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيراً.

صدّقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وآسيته حين بخلوا، وقمت معه حين عنه قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ... [وكنت] رفيقه في الهجرة ومواطن الكربة، خلفته في أمته بأحسن الخلافة حين ارتدّ الناس، فقمت بدين الله قياماً لم يقمه خليفة نبيّ قطّ، فوثبت حين ضعف أصحابك .. ولزمت منهاج الرسول برغم المنافقين وغيظ الكافرين، فقمت بالأمر.. ومضيت بنور الله إذ وقفوا، كنت أشجعهم قلباً وأشدّهم يقيناً، وأحسنهم عملاً، وأعرفهم بالأمور، كنت للدين يَعْسُوباً وكنت للمؤمنين أباً رحيماً، إذ صاروا عليك

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٥).

(٢) أورده البزار وانظر "مجمع الفوائد" ٩/ ٤٧- ٤٨.

عيالاً، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا .. فنالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذاباً صباً، وللمسلمين غيثاً وخصباً].

ثم مضى الواصف لسيدنا أبي بكر ﷺ فذكر قوة حجته، ونفاذ بصيرته، وثبوته عند الملمات ومساعدته رسول الله ﷺ وطرفاً من أخلاقه وعدله في الرعية وما إلى ذلك فيقول:

[... لم تفلل حجتك،ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجن نفسك، كنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف كنت - كما قال رسول الله ﷺ - أمنَّ النّاس عليه بصحبتك وذات يدك، وكنت - كما قال - ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله متواضعاً، عظيماً عند المسلمين، جليلاً في الأرض. لم يكن لأحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز، ولا فيك مطمع، ولا عندك هوادة لأحد، الضعيف الذليل عندك قويٌّ حتّى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ذليل حتى يؤخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحق، والصدق والرفق قولك ...

واعتدل بك الدين وقوي الإيمان، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فسبقت والله سبقاً بعيداً، وأتعبت من بعدك إتعاباً شديداً، وفزت بالجنة وهدّت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه وسلّمنا لله أمره، فلن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً.

كنت للدين عدة وكهفاً، وللمسلمين حصناً وفيئة وأنساً، وعلى المنافقين غلظة وغيظاً، فألحقك الله بنبيّه، ولا حرمنا الله أجرك ولا أضلّنا بعدك].

هكذا كان سيدنا أبو بكر ﷺ.. لقد قام بأعمال عظيمة في حياة الرسول وقام بعد وفاته بأعمال كان لها الأثر في استمرار انتشار دعوة الإسلام وتثبيت الناس عليها، والتمكين لهذا الدين في جزيرة العرب .. ثم انتشاره في ربوع العالم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد كانت مدة خلافته المباركة رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر، ولكنها كانت في آثارها المباركة ونتائجها العظيمة تعدل قروناً وقرونا.

كان داعية إلى الإسلام بسلوكه في مكة وبإنفاقه على المساكين والمحتاجين، فآمن بسببه عدد من هؤلاء ومن غيرهم، وقد أورد البخاري وصف ابن الدغنّة له[1]، وهو وصف يشبه وصف خديجة للنبي ﷺ الذي ذكرته يوم جاء يبلغها بدء نزول الوحي عليه، وقد ذكرنا وصف ابن الدغنّه فيما مضى. فقال له عندما رآه في طريقه للخروج من مكة يريد أن يسيح في الأرض يعبد ربه، قال له:

إنّ مثلك لا يَخرُج ولا يُخرَج فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتَقري الضيفَ، وتعين على نوائب الحق.

قال ابن الدغنه ما قاله وهو لم يكن أسلم بعد .. إنّ في ذلك لدليلاً على أثر السلوك الشخصي للإنسان في تأثر الناس به وانتصارهم له ودخولهم في الدعوة التي يدعو إليها.

إننا يا أيتها الأخوات مطالبون أن نعامل الناس بمثل هذه السيرة الزكية .. إنهم عندئذ سيحترموننا وسيتأثرون بكلامنا وقد ينتصرون لنا إن كانوا يستطيعون.

ومن أوصافه الكريمة أنه كان غزير الدمعة إذا قرأ القرآن بكى وأثر خشوعه وبكاؤه وصوته في السامعين تأثيراً كبيراً حتى إن قريشاً أفزعهم أن يسمع النساء والصبيان قراءته وحاولوا منعه بكل وسيلة. كما مرّ في قصة ابن الدغنه، وكذلك فقد قررت عائشة رضي الله عنها أنه إذا صلى وقرأ القرآن غلبه البكاء. جاء في صحيح البخاري ومسلم[2] أن عائشة قالت للنبي ﷺ عندما أمر أن يصلي أبو بكر

---

(١) رواه البخاري (٢٢٩٧).

(٢) رواه البخاري (٦٧٨- ٦٧٩)، ومسلم (٤١٨).

بالناس. قالت عائشة: إنّ أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء.

وكان رقيق القلبِ عظيم الرحمة للناسِ شديد الحنان لهمِ ولكنه في ساعات الجد كان حازمًا شديد الشكيمةِ لا تلين له قناة. رضي الله عنه وأرضاه.

إن أبا بكر الصديق ﷺ قمة في الريادة والقيادة وبناء الأمة، ونحن نعرض طرفًا من صفاته الكريمة، وشيئًا من أخلاقه الفاضلة ليكون لنا ولأبنائنا وبناتنا القدوة. وأنا معترف أن هذا الرجل العظيم يصعب أن يبلغ أحدٌ شأوه، ولكن محاولة الاقتداء بهذه القمم قد تبلغ بالإنسان مرحلة من الفضل كبيرة.

ما أحرانا يا أيتها الأخوات أن نحاول الاقتراب من شخصية الرجل العظيم أبي بكر ﷺ. [لقد كان أليفًا ودوداً حسن المعاشرة، وكان مطبوعًا على أفضل الصفات التي تجعل الناس يألفونه ويتعلقون به:

ومن هذه الصفات التواضع ولين الجانب، فلم يتعال على أحد قط لا في جاهليته ولا في إسلامه، وكان في خلافته أظهر تواضعًا منه قبل ولايته الخلافة، فإذا مدحه مادح ..] قال: اللهم إني أعلم بنفسي منهم، وأنت أعلم مني بنفسي، فلا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني خيراً مما يظنون.

وكان يقوم بشؤونه، فقد كان يحمل متاعًا له فرأه رجلٌ أراد أن يحمل عنه فأبى .. وقال: صاحب الحاجة أولى بحمل حاجته. وإذا سقط منه خطام ناقته وهو راكب نزل ليأخذه ولم يقبل أن يناوله أحدٌ إياه .. وكان يبغض الخيلاء ويربّى أولاده بنين وبنات على بغضها .

أقول: وخُلُق التواضع خُلُقٌ لا نجده عند كثير من الناس حتى الذين يدّعون التدين وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إنك لترى بعض الشباب والشابات جالسين لا يكف أحدهم عن الطلب ممن حوله من أخ أو زميل أن يقدم له خدمة ما يقول وهو في تمام الصحة والقوة: أعطني القلم .. ناوليني الدفتر .. أحضر الكاس .. هات الجوارب .. يحمله على ذلك الكسل والترفع والكبر والإعجاب. [والكبر والإعجاب يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاءٌ لنصح، ولا قبولٌ لتأديب، ... فالمتكبر يجلّ نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين.. والكبر خلق مذموم؛ لأنه يجلب المقت، ويُلهي عن التألف، ويوغر صدور الإخوان ..

حكي أن مطرّف بن عبدالله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء. فقال: يا أبا عبدالله. ما هذه المشيةُ التي يبغضها الله ورسوله؟

فقال المهلب: أما تعرفني؟

فقال: بل أعرفك: أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة.

فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعراً فقال:

عجبتُ مِن مُعْجَبٍ بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذره

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذره

وهو على تيهه ونخوته ... ما بين ثوبيه يحمل العذره][1]

وكان سيدنا أبو بكر ﷺ وداداً كريماً لا يضنّ بماله وجاهه على أحد ممن يلجأ إليه، أو يرى هو أنه بحاجة إلى المعونة.

---

(١) "أدب الدنيا" ص ٢١٥.

ولم يكن تألفه النّاس قائماً عنده على المجاملة باللسان، كما هو شأن معظم المشهورين بالتودد والمجاملة.. ولكنه التودّد الصادق الصادر عن فطرة نقية سامية صافية.

وكان ﷺ في جاهليته وإسلامه وقوراً جميل السمت يحرص على نقاء مروءته من أي خدش، فكان يتجنب كل ما يريب، فلم يشرب الخمر لأنها مخلة بوقار مثله، وكان يقول: كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيَّعاً في عقله ومروءته.

وكان لمروءته يتحاشى السقط من الكلام، فلا يتكلم إلا أن يدعوه داع إلى قولة خير، فيقولها إذن ويصدق في مقاله.

وكان يلتزم الصدق في أقواله، والوفاء في وعده، وكانت شجاعته كفاء صدقه ووفائه بوعده .. وقد سبق أن أوردنا مقولة ابن الدغنة فيه كما اخرجها البخاري في صحيحه .. كان شجاعاً في إبداء رأيه لا يبالي ما يصيبه في ذلك، وكان شجاعاً في القتال. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان أول الثابتين في ساعات الشدة.

قال الإمام النووي:(١)

[وكانت له في الإسلام مواقف رفيعة. منها قصته يوم ليلة الإسراء وثباتُه وجوابُه للكفار في ذلك، وهجرتُه مع رسول الله ﷺ وتركُ عياله وأطفاله، وملازمته في الغار وسائر الطريق، ثم كلامُه يوم بدر، ويوم الحديبية حتى اشتبه الأمر على غيره في تأخر دخول مكة، ثم بكاؤه حين قال رسول الله ﷺ: «إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله»، ثم ثباته في وفاة رسول الله ﷺ

(١) "تهذيب الأسماء واللغات" ٢/ ١٨٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخطبته الناس وتسكينهم،[1] ثم قيامُه في قصّة البيعة بمصلحة المسلمين، ثم اهتمامُه وثباتُه في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام، وتصميمه في ذلك، ثم قيامُه في قتال أهل الردة ومناظرتُه للصحابة حتى حجّهم بالدلائل وشرح الله صدورهم لما شرح الله صدره من الحق وهو قتال أهل الردة، ثم تجهيزه الجيوش إلى الشام لفتوحه وامدادهم بالأمداد، ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه وأجلّ فضائله وهو: استخلافه على المسلمين عمر بن الخطاب ﷺ وتفرسه فيه، ووصيته له واستيداعه الله الأمة، وظهر لعمر الذي هو حسنة من حسناته، وواحدة من فعلاته تمهيد الإسلام وإعزاز الدين، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله.

وكم للصديق من مواقف .. ومن يحصي مناقبه ويحيط بفضائله غير الله ﷻ]. انتهى كلامه.

مما يدل على فضل أبي بكر ﷺ وكرمه وحساسيته المرهفة، وتواضعه ورجوعه إلى الحق الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بإسناد حسن جاء في المسند حدثنا عبدالله، قال: حدثني ابي. حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم قال: ثنا المبارك – يعني ابن فضالة – قال: ثنا أبو عمران الجوني عن ربيعة الأسلمي

---

(١) فلقد طاشت أحلام الصحابة لهول المصاب، وحُق لها أن تطيش، وارتجت المدينة وزلزلت قلوب الصحابة، ودخل على الناس أمر ما دخل عليهم مثله قط، فقال عمر مقالته وصار الناس لا يريدون ما هم صانعون. وجاء أبوبكر وخطب الناس وقال: [أيها الناس. إنه مَنْ كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾. قال الراوي: فو الله لكأن النَّاس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر. ("أبو بكر الصديق": ص ١٥١)

قال[١]: إنّ رسول الله ﷺ أعطاني أرضًا، وأعطاني أبو بكر أرضًا، وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق[٢] نخلة فقلت أنا: هي في حدّي.

وقال أبوبكر: هي في حدّي.

فكان بيني وبين أبي بكر، فقال أبو بكر كلمةً كرهها وندم. فقال لي: يا ربيعة رُدَّ علي مثلها، حتى تكون قصاصًا.

قال قلت: لا أفعل.

فال أبوبكر: لتقولَنَّ أو لأستعدي عليك رسول الله ﷺ.

فقلت: ما أنا بفاعل.

فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وانطلقت أتلوه. فجاء ناسٌ من أسلم فقالوا لي: رحم الله أبابكر في أي شيء يستعدي عليك رسولَ الله ﷺ وهو الذي قال ما قال؟

فقلت: أتدرون ما هذا؟ هذا أبوبكر الصديق، هذا ثاني اثنين، هذا ذو شيبة المسلمين. إياكم أن يلتفت فيراكم تنصرونني عليه، فيغضب، فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما، فيهلك ربيعة.

قالوا: ما تأمرنا؟

قلت: ارجعوا.

فانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ، فتبعته وحدي، حتى أتى النبي ﷺ فحدثته الحديث كما كان.

فرفع ﷺ رأسه إليّ فقال: «يا ربيعة مالك وللصديق؟».

---

(١) هذا حديث طويل جميل درسته مفصلا في كتابنا "الحياة الاجتماعية في ضوء السنة" ص ٥٦٣ وما بعدها

(٢) العذق بالفتح: النخلة بحملها، وبالكسر: القنو منها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلت: يا رسول الله كان كذا .. كان كذا .. قال لي كلمة كرهها فقال لي: قل كما قلتُ حتى يكون قصاصاً، فأبيت.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل. فلا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبابكر».(١)

فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر.

قال الحسن: فولّى أبوبكر رضي الله عنه وهو يبكي.

لقد دلّ هذا الحديث الصحيح على فضل أبي بكر وعلى كرمه .. فلقد أعطى ربيعة أرضاً .. وكان جاره في الأرض، وعندما حصل خلاف في نخلة: هل هي في أرض ربيعة أم في أرض أبي بكر، ندت من أبي بكر كلمة وجهها إلى ربيعة، ولم يذكر ربيعة نصّ الكلمة، وأتوقع أن تكون يسيرة هينة، ولكن حساسية أبي بكر جعلته يشعر بأنه أخطأ في حق ربيعة فندم، وطلب من ربيعة أن يردّ عليه بمثلها، فأبى ربيعة وحق له أن يأبى، لأنه يعرف فضل أبي بكر.

ندم أبو بكر على صدور تلك الكلمة التي كرهها.. إنها حساسية مرهفة، ورجوع سريع إلى الحق، ودعوة ملحة لربيعة لأن يقابله بالمثل حتى يكون قصاصاً فتبرأ ذمته.

ولكن ربيعة يعرف من هو أبوبكر . فقال: لا أفعل.

إني لأحسب أنّ سيدنا أبا بكر رضي الله عنه لم يقل تلك الكلمة إلاّ بعد أن كان تصرف مثير، لأنه رضي الله عنه كان من أشدّ الناس مراقبة لنفسه وللسانه.

فقد أخرج مالك في الموطأ وأبو نعيم في الحلية أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يأخذ بلسانه ويقول: (هذا أوردني الموارد).(٢)

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن، انظر "المسند" ٤/ ٥٨-٥٩.

(٢) "الموطأ" ٢/ ٩٨٨، و"الحلية" ١/ ٣٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيتها الأخوات .. إننا لنرجو أن تكون تربيتنا لأنفسنا ولمن حولنا أن تسوؤنا الكلمة التي تصدر منّا مهما كانت يسيرة، وأن نسارع إلى الاعتذار عنها، وأن نعرف لصاحب الفضل فضله، وأن نلزم الأدب معه، وأن يتحمل بعضنا تصرفات بعض.

إنّ روح الأخوة بين المسلمين ينبغي أن نستشعرها دائماً، وعندئذ فلن يَصَعَّد الخلاف ولن يطول التأثر بل سرعان ما يزول وتنتهي كل حالات الخلاف.

لقد كان أبو بكر ﷺ من أعظم الناس فهماً وإدراكاً لما يقول الرسول ﷺ، وكان أعلم الصحابة، ولقد أثنى عليه رسول الله ﷺ ثناءً ما قاله لغيره. أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إنّ الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده. فاختار ذلك العبد ما عند الله».(١)

قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسول الله هو المُخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: «إنّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوةُ الإسلام ومودّته. لا يبقيَن في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر».(٢) فرضي الله عنه وأرضاه.

سبق أن ذكرنا أن سيدنا أبا بكر ﷺ كان رقيق القلب، غزير الدمعة إذا قرأ القرآن بكى، وكان لقراءته وبكائه الأثر الكبير فيمن يسمعه من الرجال والنساء والولدان، وكنا قد ذكرنا أنّ الكفّار أفزعتهم قراءته للقرآن في فِناء بيته، إذ صار

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦).

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٤). وفي رواية برقم: ٣٦٥٧ «... ولكن أخوة الإسلام أفضل». وفي رواية برقم: ٣٦٥٦ «... ولكن أخي وصاحبي».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النساء والأولاد يتوافدون إلى القرب من داره يستمعون ويتأثرون، والحديث في صحيح البخاري.(١)

أيتها الأخوات .. تغمر العالم اليوم نزعه مادية عنيفة، وقد تسربت هذه النزعة إلى بلاد المسلمين فقست القلوب قسوة شديدة، وجفّت موارد الروح، وقامت أزمة روحية، ولا علاج لهذه الأزمة إلّا بالرجوع إلى الله، ومداواة القلوب، وترقيقها بذكر الرقائق وتذوقها، والرقائق باب كبير من أبواب الكتب التي عرفت بالجوامع من كتب الحديث، [لا بُدّ إذن في علاج هذه الأزمة من الإيمان الصادق، والعبودية الخالصة، والمراقبة الدائمة، وأن تكون كل حركة من حركاتنا، وكل طاقة من طاقتنا لله ﷻ، وعندئذ تكون الوسائل الأخرى من المال والعلم والقوة المادية والقوة الاقتصادية نافعة لنا في إرضاء ربنا، وبلوغ أهدافنا، وتحقيق غايتنا، وإصلاح دنيانا وآخرتنا .. بل إننا عندما نسلم لله ﷻ حقًا وصدقًا، وننقاد لما أمرنا في كتابه وسنة رسوله ﷺ لا بُدّ لنا من اتخاذ الأسباب، واستكمال الوسائل، طاعة لله، وامتثالاً لأمره، وإقامة لدينه وحكمه.

ولم يكن السرّ في انتصار المسلمين الأولين ونجاحهم في تحقيق أهداف الإسلام أنهم ملكوا الوسائل، فهم إنما ملكوها بفضل إيمانهم وإتباعهم واستجابتهم لمتطلبات دينهم .. إنما سرّ النجاح والنصر أنهم بإيمانهم الصادق الخالص، وبانصياعهم الكامل لأمر الله ﷻ، ورغبتهم العميقة في مرضاته وثوابه، قد توفر عندهم الاستعداد التام لتلبية كل حاجة من حاجات الإسلام، والنهوض بكل مطلب من مطالبه، مهما كانت المشقة والتضحية].(٢)

---

(١) رواه البخاري (٢٢٩٧).

(٢) "أزمة روحية" ص ٦-٧.

إن الخوف من الله، ومراقبته، وابتغاء ما عنده، والصدق في العمل، والصبر على ما يلقى المسلم، وتحكيم القرآن وتلاوته والعمل به .. إنّ ذلك كله علاج لهذه الأزمة الروحية التي تجتاح العالم كله.

وأما الإصرار على إهمال الخوف من الله، وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة وإتباع هوى النفس فذلك يؤدي إلى بقاء الأزمة وتفاقمها في الدنيا وفي الآخرة. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

إنّ كثيراً من الناس اتخذوا هذا القرآن مهجوراً، فلا يقرؤونه إلا قليلاً، وإذا قرؤوه شغلهم اللحن المطرب، وشغلنهم شؤون الدنيا عن القيام بالواجبات، وأوقعهم ذلك بالمحرمات.

إننا بحاجة إلى القلب الرقيق، الذي يفيض بالرحمة والرغبة بالخير والخشوع .. والأمة التي تنزع الرحمة من قلوب أبنائها أمة أقرب إلى أن تكون من أمم الوحوش لا من البشر.

أود أن أختم حديثي عن سيدنا أبي بكر العظيم ﷺ بإيراد مقتطفات من كلماته، ذلك لأنّ أولياء الله تتفجر ينابيع الحكمة على ألسنتهم، وكلماته ﷺ توجيهات كريمة فاضت عن نفس مؤمنة، وعين بصيرة نافذة، وتجربة غنية، وإن في تدبرها والعمل بها تحقيقاً للاقتداء بهذا الرجل العظيم.

فمن كلماته الحكيمة قوله: (أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإنّ الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]. ثم اعلموا – عباد الله – أنّ الله اشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي)[١].

ونريد أن نقف وقفات سريعة مع هذه الوصية الجامعة النافعة:

- وقد بدأها بالوصية بتقوى الله، وتقوى الله جماع كل خير، وما أكثر ما نجد الوصية بها في كتاب الله وفي سنة رسوله.

وتقوى الله تتحقق في أن يقوم العبد بما أمر الله، وأن يجتنب ما نهى عنه، وأن تكون مخالفة الله حاضرة في قلبه وتصرفاته، وأن يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله. وهذه الوصية رأس الوصايا، فمن اتقى الله وقف عند حدوده، وكان سلوكه وفق ما شرع .. يتقي الله في الخلوة، وفي مجتمعات الناس، ويتقي الله في السراء والضراء.

وعندما نربي أنفسنا وأولادنا على ذلك نبلغ ما نتطلع إليه من بناء الأمة البناء السليم المتماسك.

- ويوصي ﷺ الناس بأن يثنوا على الله بما هو أهله، فليس هناك صفة كمال يمكن أن يوصف بها أحد إلا وهي صفته تبارك وتعالى، فهو سبحانه المستحق للمدح كله .. المستحق للثناء كله. فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا أحد أغير من الله تعالى؛ ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى؛ ولذلك مدح نفسه».[٢]

أيتها الأخوات .. ينبغي أن تكون ألسنتنا رطبة بذكر الله والثناء عليه، وأن نُربي أولادنا وتلاميذنا على ذلك.ولنعلم أننا لو أثنينا عليه سبحانه العمر كله

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ١٣/ ٢٥٨، وأبو نعيم في "الحلية" ١/ ٣٥، والحاكم في "المستدرك" ٢/ ٣٨٣.

(٢) رواه البخاري (٥٢٢٠)، ومسلم (٢٧٦٠)، والترمذي (٣٥٣٠).

لما استطعنا أن نحصي صفاته العلا سبحانه لا نحصي ثناء عليه، ولذا فقد ورد أنه ﷺ كان يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».(١)

وأوصى أبو بكر الناس في هذه الكلمة بأن يجمعوا بين الرغبه والرهبة، وأن يلحوا في الدعاء فالمؤمن كبير الأمل بعفو الله ومغفرته، مهما سلف منه، فعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا بن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي.

يابن آدم! لو بلغت ذنوبك عَنَان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي.

يابن آدم! انك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».(٢)

فرحمته سبحانه سبقت غضبه، وهو سبحان لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء. والمؤمن في الوقت نفسه عظيم الخوف من الله فهو سبحانه شديد العقاب، سريع الحساب، مطلع على أعمال العباد وسرائرهم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا

---

(١) رواه مسلم (٤٨٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. كما جاء في طبعة بشار معروف، وفي الطبعة التي بدأ بنشرها أحمد شاكر: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والعجيب أن المحدث الألباني لم يعلق على ما جاء في رياض الصالحين إذ جاء فيه: قال الترمذي: حديث حسن، وكذا كان موقف شعيب الارناؤوط. فتأمل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

ومن مواعظ سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه[١] قال رضي الله عنه: (وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يُطفأ نوره، فصدقوا قوله، واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة، ووكل بكم الكرام الكاتبين، الذين يعلمون ما تفعلون.

ثم اعلموا- عباد الله- أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّبَ عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا. ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مُهَل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإنّ أقوامًا جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، فالوحاء الوحاء، والنجاء النجاء، فإن وراءكم طالبًا حثيثًا مرُّه سريع)[٢].

يحذر أبو بكر رضي الله عنه من الإهمال حتى يداهم الموت الإنسان، ومن العبارات اللطيفة التي كان يستعملها أحد الخطباء كل جمعة: (إن ملك الموت تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم فخذوا حذركم).

أيتها الأخوات .. وعليكن وأنتن تقمن بعملية التربية والتوجيه والإعداد أن تُعنَينَ بربط قلوب الناس بالمثل العليا وتعليقها بالله سبحانه. وأن تحررنها من العبودية للدنيا .. لأنَّ العبودية للدنيا تقود أصحابها إلى الحرام في جوانب حياتهم المختلفة.

---

(١) "مصنف ابن أبي شيبة" ١٣/ ٢٥٨.

(٢) الوحاء: السرعة، وتستعمل مقصورة وممدودة. وقد أخرجه الحاكم في "المستدرك" ٢/ ٣٨٣، وأبو نعيم في "الحلية" ١/ ٣٥، كلاهما من طريق ابن أبي شيبة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول سيدنا أبو بكر ﷺ: (أين الوضاء[١] الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يُعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور. الوحا الوحا. النجاء النجاء).[٢]

يذكرهم بالموت، وهذا يجعلهم يعيدون النظر في واقعهم.

لا بد من معرفة الحياة على حقيقتها كما عرفها سيدنا أبو بكر ﷺ والسلف الصالح .. إنها لا تستحق أن تكون همنا ولا مبلغ علمنا، فإذا عرفنا ذلك قدرناها قدرها، فلا ننسى نصيبنا منها، ولكن الهمّ الأكبر أن نبتغي مرضاة الله والدار الآخرة، وأن نصدق في عبوديتنا لله، ونربط قلوبنا وفكرنا وجوارحنا وحياتنا بأمره ونهيه، وأن لا نتوجه بالقصد إلا إلى وجهه الكريم.

إننا إذا رجعنا إلى الله هذه الرجعة الصادقة كنا الأعلين، وإذا أردنا الآخرة هانت علينا الدنيا فتحررنا من إسارها. وإذا استشعرنا رابطتنا بربنا وعونه لنا، وأيقنّا أنه معنا، رأينا أنفسنا أقوى من كل قوى الشيطان والطغيان.

لقد كان أصحاب رسول الله على درجة كبيرة من شدة الخوف من الله وعلى درجة كبيرة من الرجاء، كما يتجلى ذلك في قول عمر ﷺ:

(لو نادى منادٍ يوم الموقف: يا أهل الموقف كلكم ناجون إلا واحداً لخفت أن أكون أنا هو. ولو نادى منادٍ يوم الموقف: يا أهل الموقف كلكم هالكون إلا واحداً لرجوت أن أكون أنا هو).

فالمؤمن بين الخوف والرجاء .. بين الرغبة والرهبة .. لا يغلب عليه واحد

---

(١) الوضاء: جمع وضيء وهو حسن الوجه نظيفة.

(٢) "الحلية" ١/ ٣٤، و"صفة الصفوة" ١/ ٢٦١، و"الإحياء" ٤/ ٤٤١، و"أبو بكر" للطنطاوي ص ٣١٣، و"القصاص" ص ٦٣.

منهما؛ لكيلا ييأس من رحمة الله، ولكيلا يتهاون في العمل الصالح .. فما أجدرنا أن نكون كذلك .. نعمل ونحن راجون رحمة الله، خائفون من أن لا تشملنا المشيئة التي أشارت إليها الآية في قوله: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٧].

وقد يحسن أن يغلب العبد الخوف في حال القوة والصحة، وأما في حال الضعف والمرض فليغلب الرجاء .. لقد كان زكريا عليه السلام وأهل بيته يجمعون بين الرغبة والرهبة ويدعون ويسارعون في الخيرات. والإلحاف في الدعاء مطلوب.

لا تسألنّ بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يُسأل يغضب

وللدعاء أثر كبير .. إذ يشعر المظلوم بأن القوة العظمى معه وبأنها ستنتصر له. يقول ﷺ: «وإتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».(١)

- ثم ذكر أبو بكر رضي الله عنه إنّ الله اشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي. والكثير الباقي هو الجنة ونعيمها الدائم الذي لا يزول، وأما القليل الفاني فهو ما ينفقه المسلم في سبيل الله ومرضاته. إنه مهما أنفق فهو قليل بجانب الثواب العظيم الذي أعده الله له في الجنة دار الخلود.

  ينبغي أن نعوّد أنفسنا ومن حولنا على الإنفاق حتى يصبح ذلك عادة، ولقد كان أبوبكر كذلك .. لقد أنفق ماله كله في سبيل الله ولما سئل: ما تركت لأولادك. قال: تركت لهم الله ورسوله.

- ومن كلامه رضي الله عنه: إنّما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً.

---

(١) رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنّما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً[(١)].

إنني لن أستطيع أن أوفي شخصية أبي بكر العظيم حقها مهما كتبت، فما عرفت الإنسانية بعد الأنبياء شخصاً أفضل ولا أعظم منه رضوان الله عليه.

وقد عرضتُ بعض المواقف الرائعة من حياته المباركة ولا أستطيع أن أستقصى هاتيك المواقف ولكني سأشير إشارات عابرة إلى ما يأتي:

- ولا بُدّ من ذكر موقفه يوم الإسراء. لقد كان موقفه يوم الإسراء موقف الرجل المؤمن الذي امتلأ قلبه بالإيمان .. إذ لم يتردد في تصديق الخبر مادام قد جاء عن رسول الله ﷺ. فقد قال لمن جاءه بالخبر: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك. فسمي من ذلك اليوم صديقاً.
- ولا بُدّ من ذكر موقفه يوم وفاة الرسول ﷺ فهو أعظم المواقف التي كان تأثيرها الحسن عظيماً على أمة الإسلام.. لقد كانت وفاة النبي ﷺ حدثاً عظيماً أذهل الصحابة .. حتى ذهب عمر إلى أنه ﷺ يناجي ربه، وهدّد كل من يقول: أنّ رسول الله قد مات.

ولكن أبابكر العظيم يصعد المنبر ويقول: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم قرأ الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

---

(١) "الحلية" ١/ ٣٦، و"المصنف" لابن أبي شيبة ١٣/ ٢٥٩، و"الزهد" لابن المبارك ص ٣١٩.

- ولا بُدّ من ذكر موقفه من إنفاذ أمر الرسول ﷺ في أرسال جيش أسامة رضي الله عنه. فقد كان عمر رضي الله عنه في جيش أسامة، فبعث به أسامة رضي الله عنه إلى أبي بكر وقال له: إنَّ معي وجوه النَّاس، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ، وعلى أهل المدينة أن يتخطفهم المشركون، فاستأذن لي بالرجوع، أو تأجيل السفر. وقالت له الأنصار: بلغ الخليفة إذا أصرّ على توجيه الجيش أننا نطلب قائداً أكبر سنـًا من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة حتى أتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة، وقال له: يا خليفة رسول الله. إنَّ العرب قد ارتدت على أعقابها كفاراً كما قد علمت، وأنت تريد أن تنفذ جيش أسامة، وفي جيش أسامة جماعة العرب وأبطال النَّاس، فلو أبقيته عندك لتقويت به على من ارتدّ من هؤلاء العرب.

فقال أبو بكر: والله لو علمت أنَّ السباع تجر برجلي إن لم أردّه ما رددته، ولا حللت لواء عقده رسول الله.

قال عمر: أنّ الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سنـًا من أسامة.

فوثب أبو بكر وكان جالسـًا فأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الحطاب .. ولّاه رسول الله وتأمرني أن أعزله؟

فرجع عمر إلى الناس فقالوا: ما وراءك؟

قال عمر: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله.

وتوجه الجيش وجعل لا يمرّ بقبيلة تريد الارتداد إلّا قالوا: لولا أنّ لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم.(١)

- ولا بُدّ من ذكر موقفه العظيم من ردة العرب وامتناعهم عن دفع الزكاة. فقد ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكانت الردة على وجهين: فريق كفروا

---

(١) "أبو بكر الصديق" لعلي الطنطاوي ص ١٧٣.

بالدين كله (وهم قلة)، وفريق لبثوا على إيمانهم وإقامة الصلاة والحج وتلاوة القرآن، لكنهم منعوا الزكاة (وهم الأكثر).

فبعد مسير جيش أسامة التفت أبو بكر إلى أهل الردة، وكانوا قد بعثوا بوفد إلى المدينة فقالوا: نؤمن بالله، ونشهد أنّ محمدا رسول الله، ولكننا لا نعطيكم أموالنا. ونزلوا على وجوه النّاس، وتوسلوا بهم إلى أبي بكر، فكلموه، فعزم الله لأبي بكر فقال: والله لو منعوني عقالاً لجاهدنهم عليه. وكانت عُقُل الصدقة على أهل الصدقة.

فقال له عمر: كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإن قالوها فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله.

فقال أبو بكر ﷺ: لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإنّ الزكاة حقّ المال. والله لو منعوني عقالاً (وفي رواية عناقًا) لقاتلتهم على منعها.

قال عمر ﷺ: يا خليفة رسول الله. تألف الناس وارفق بهم.

فقال له أبو بكر ﷺ: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، أجبّار في الجاهلية وخوّار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي، وتمّ الدين، أوَ يُنقص وأنا حيّ.[1] وواجه أبو بكر ﷺ هذا الموقف بإيمان أثبت من الجبال وأعصاب أمتن من الحديد.

- ولا بُدّ من ذكر موقفه العظيم من جمع القرآن الكريم وكتابته. وكان جمع القرآن في موضع واحد في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وذلك بعد معركة اليمامة التي قتل فيها عدد كبير من القراء، فأشار عمر بن الخطاب ﷺ على أبي بكر بجمع القرآن، ويروي القصة زيد بن ثابت ﷺ فيقول:

---

(١) "أبو بكر الصديق" لعلي الطنطاوي ص ١٧٦ - ١٧٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[أرسل إلي أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر عنده، فقال أبو بكر إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن بستحرَّ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن.

فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال عمر: هو والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك. قال أبو بكر يخاطب زيداً:

إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ص فتتبع القرآن فاجمعه.

فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قال زيد: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب، واللخاف وصدور الرجال .. وكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثمّ عند عمر حياته، ثمّ عند حفصة بنت عمر]

* * *

إنّ أبناءنا وبناتنا أمانة في أعناقنا، ونحن مسؤولون عنهم بين يدى الله، وهذا ما تدل عليه النصوص القرآنية والحديثية، من نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. ومن نحو قوله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». متفق عليه.(١)

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

وقد تكون مواهب عظيمة في عدد من هؤلاء الأبناء والبنات، إذا نُمّيت وروعيت كان أثرها في الأمّة عظيماً جداً .. أجل قد يكون صلاح الأمة بل صلاح الإنسانية على يد واحد أو واحدة من هؤلاء الأبناء والبنات.

أيتها الأخوات .. ماذا كان المصلحون العظماء في بدء حياتهم؟

ألم يكونوا أطفالاً مثل أطفالنا؟ والناس معادن - كما قال ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح[1] الذي رواه الإمام مسلم- فمن المعادن ما يكون ذهباً أو فضة ومنها ما يكون دون ذلك.

إنّ أمتنا - على امتداد عصورها - كانت زاخرة بالنوابغ العمالقة، وبالمبدعين والأبطال الذين قدّموا للإنسانية مُثلاً عُليا، ومناهج تحقق لهم السعادة التامة .. فكانوا أبطال في إثر أبطال. فما يدرينا ماذا سيكون هؤلاء الأبناء والبنات، ذلك لأنَّ الله لم يقصر الموهبة على عصر دون عصر، ولا على زمن دون زمن.

والموهوبون يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم، وينمّي ما لَمسَ فيهم من الموهبة، فعلى الآباء والأمهات والأساتذة والأستاذات أن ينتبهوا لأولادهم ومن تحت أيديهم، فإذا بدت لهم مخايل النبوغ والتميّز في ولد ذكراً كان أو أنثى فعليهم العناية به عناية خاصة، وعليهم أن يصرفوا جهدهم لتنمية ما عنده من نبوغ، وأن ينموا شخصيته، وأن يغرسوا فيه مخافة الله ومراقبته، والأخلاق الكريمة من الصدق والوفاء بالوعد، والأمانة، وإغاثة الملهوف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرحمة، والحلم، والصفح عن المسيء، وحفظ

(١) رواه مسلم (٢٦٣٨) ونصه «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا».

اللسان، والرغبة في العلم، والجدّ،وقبول النصيحة، والبعد عن الرياء، والعدل مع الآخرين وإن كانوا أعداء، والصبر على ما يلقى، والتعاون مع الصالحين.

وعليهم أن يبينوا له بأنّ ما أكرمه الله به من موهبة نعمة يجب عليه أن يؤدي شكرها بأن يستعملها فيما يرضي الله وينفع عباده، وأن يقنعوه بأنه يجب عليه أن يهيئ نفسه لينهض بأمته ويصلجها وهو بما حباه الله مؤهل لذلك ويذكّروه بأن السبيل الوحيد الذي يوصل إلى هذه الغاية هو الدين والاستمساك به وتحكيمه في شؤوننا الدينية والدنيوية.

إنّ رعايتنا لهؤلاء الأولاد من بنين وبنات والاهتمام بهم يجب أن يبدأ منذ الصغر .. بل منذ الأيام الأولى لحياة الطفل، ومما يدلنا على ضرورة ذلك أن رسول الله ﷺ سنّ لنا أن نؤذن في أذن المولود اليمنى وأن نقيم في الأذن اليسرى عقب الولادة .. أي ينبغي أن يسمع أول ما يسمع كلمة الحق التي هي شعار المسلمين (الله أكبر – أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله).

وعلى الوالدين مراعاة حفظ اللسان أمام أولادهم حتى ولو كانوا صغاراً فلا ينبغي أن يقال أمام الطفل - ولو في الأيام الأولى في طفولته - الكلام المنحرف، ولا الكلام البذيء، وما إلى ذلك.

إنّ الطفل يعي ويفهم بعض ما يسمع، وإن كان لا يستطيع الكلام والتعبير عمّا في نفسه .. بل قالوا: إن الجنين وهو في بطن أمه يعي شيئًا من ذلك .. وقد ألفّ بعض علماء النفس كتاباً دعوه "علم نفس الجنين".

إذا كان ذلك كذلك فما القول بالطفل الذي درج[1] وصار يمشي ويتكلم.

---

(1) في "المصباح": درج الصبي دروجًا من باب قعد: مشى قليلاً في أول ما يمشي.

إن الطفل إنسان كامل الإنسانية، ويعدّه الشرع المطهّر في الإرث مثل الكبار، وفي الدية أيضاً أو القصاص.

وهو يتملك ولا يتصرف بملكه إلا بعد البلوغ. فعلينا أن ننظر إليه على أنه إنسان يستحق الاحترام، وأن نعامله معاملة الكبار.

وعلينا أن نتيح له أن يعبّر عن رأيه ونناقشه فيما يقول من آراء، ونقبل منه أن يخالفنا.

وعلينا أن نحذر من السخرية به أو كبته ومنعه من الحركة واللعب.

وعلينا أن نجعله يعتمد على نفسه، ولا يجوز أن يبقى معتمداً على والديه في كل شيء، وقد كان أجدادنا في هذا المعنى رواداً .. فقد كانوا يبعثون بأولادهم الرضع إلى البادية لينشؤوا فيها فيكتسبوا اللغة الصافية، والاعتماد على النفس.

أما الآن فإننا نجد عدداً من الأبناء والبنات يبلغ الواحد منهم العشرين والثلاثين ولا يستطيع أن يفعل شيئاً دون مساعدة.

لقد قاد أسامة ﷺ[1] جيشاً أمَّره رسول الله عليه قبل أن يبلغ العشرين فيه أبو بكر وعمر، ومثله في تاريخنا كثير.

كم من الأذكياء الموهوبين أهملهم أهلهم فلم يعلّموهم ولم يوجّهوهم، فضاعوا واستخدموا ذكاءهم في الشر وإيذاء الآخرين، فكان منهم مجرمون يسرقون ويسلبون الناس أموالهم، وكان منهم مجرمون قتلةٌ، يسفكون الدماء وينتهكون الأعراض، ولو أنهم رعوهم لكان منهم علماء ومصلحون.

---

(1) توفي أسامة ﷺ سنة أربع وخمسين للهجرة.

ويأتي في مقدمة الأعمال المطلوبة من الداعيات أن يقمن من أنفسهن قدوة لهؤلاء البنات، وأن يقدمن لهن نماذج من القدوة من رجالاتنا الأفذاذ من الصحابة والتابعين والدعاة والصالحين، ويأتي قبل هؤلاء رسل الله وسيدهم وأفضلهم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى إخوانه من أولئك الأنبياء والرسل وآله وصحبه وسلم.

هنا تبدو مسؤولتينا .. مسؤولتينا عن هذه الخامات والمواهب والقدرات التي يمكن أن تكون في أولادنا وتلامذتنا.

لماذا لم نرعها؟ لماذا لم نكتشفها ونتعهدها بالرعاية والتسديد؟

إن أحوال المسلمين مؤلمة مبكية..

[العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .. فما بالنا نرى المسلمين في كل أرض يذلون ويعتدي عليهم؟ ما بالهم لا يجدون لهم نصيراً؟ إنّ الله وعد المسلمين النصر، فما بالنا لا ينصرنا الله؟

لقد ربط الله نصره إيانا بنصرنا شرعه فقال سبحانه: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد:٧]. فهل نصرناه حتى ينصرنا].

وإذا كان العمل صعباً مع الكبار، وإن كان لا يخلو من فائدة، فلماذا لا نعمل على بناء جيل يقوم بما أوجب الله عليه من الواجبات، وينتهي عما نهى عنه من المحرمات، ويقيم الإسلام في نفسه وأسرته وواقعه، ثم يدعو من يلقى من الناس إلى هذه الدعوة الخيرة.

مرة أخرى نقرر أنّ الإسلام يبرز المواهب، ويصقل العبقرية، ويسخرها نحو الخير والبر والتقوى والصلاح والبناء.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

إن المطلوب منا العمل الدائب، والاستمرار في العمل دون أن ندع لليأس مكانًا في قلوبنا.

أيتها الأخوات .. لقد أمرنا رسول الله ﷺ أمراً صريحًا بأن نتخذ الخلفاء الراشدين قدوة لنا، وذلك في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داوود والترمذي: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ».[1]

إنّ من وسائل إعداد الأمّة إعداداً متينًا أن نسلط الأضواء على من يصلحون أن يكونوا في محل القدوة والأسوة، وقد ذكرنا أن الوقوف على سير هؤلاء الأبطال يقود إلى حبهم، ويغري السامعين بمحاولة تقليدهم

والاقتداء بهم والسير على خطاهم.

إننا لا نعرض هذه النماذج الأفذاذ لنُعجبَ بهذه القمم من رجالاتنا وأمهاتنا، ولا لنستمتع بسرد أحداث حياتهم المباركة، ومواقفهم البطولية النادرة .. بل نعرضها لهذا الغرض التربوي الكبير.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٢)، وابن حبان ١/ ١٧٩، انظر "الاحسان" برقم: ٥، والحاكم ١/ ٩٦، وقال: هذا إسناده صحيح على شرطيهما جميعًا ولا أعرف له علة، وكذا قال الذهبي: ليس له علة.

وقد ذكرنا أنّ سيدنا رسول الله ﷺ هو القدوة المثلى، والأسوة الحسنة. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]. وذكرنا بعد ذلك سيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الخلق بعد الأنبياء، امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ الذي قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالتواجذ».وأوردنا طرفا من أخباره رضي الله عنه.

ونود أن نذكر شيئًا من مناقب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين، العبقري الفذّ، الذي نصر الله به الدين، والذي كان مضرب المثل في العدل، والذي كان الوحي يوافقه في أمور عدّة على ما سنذكره إن شاء الله.

* * *

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إنه عمر بن الخطاب القرشي العدوي. ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قريش، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم، أو بينهم وبين غيرهم، بعثوه سفيراً أي: رسولاً، وارتضوا به أن يمثلهم.

وهذه الشخصية العظيمة هي القمة الثانية في أبطالنا بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

وكان في جاهليته في أول الإسلام شديداً على النبيّ ﷺ وعلى المسلمين. ثم أكرمه الله فأسلم في وقت مبكر، وما إن أسلم حتى ظهر الإسلام بمكة. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر).[1]

قال الحافظ: أي لما كان فيه من الجلد والقوة في أمر الله.

وروى ابن أبي شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (كان إسلام عمر عزّاً، وهجرته نصراً، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر)[2].

وأخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن ابن عمر مرفوعا بلفظ: «اللهم أيّد الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب»[3].

وفي بعض الروايات: «اللهم أعزّ الإسلام بعمر» أخرج هذه الرواية

---

(١) رواه البخاري (٣٦٨٤).

(٢) أنظر تعليقنا في "الأسرار المرفوعة" ص ١٣٣، وانظر "تحفة الأحوذي" ٤/ ٣١٤، و"تهذيب الأسماء واللغات" ٢/ ٤.

(٣) رواه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد ٢/ ٩٥، والحاكم ٣/ ٨٣، و"صحيح الترمذي" للألباني (٢٩٠٧).

الحاكم في "المستدرك" عن ابن عباس رفعه. وقال الحاكم: إنه صحيح الإسناد[١].

إنّ خبر إسلامه مشهور، وقد وردت روايات عدة فيه، وكلها تذكر أنه عندما سمع القرآن وقرأه رقّ قلبه ودخل الإسلام، ومن هذه الروايات[٢] أنّ أخته فاطمة بنت الخطاب ﵄ كانت زوجه سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد أسلمت هي وزوجها، فسمع عمر بذلك، وكان شديداً على المسلمين، فقصدهما ليعاقبهما، وكان عندهما خبّاب ابن الأرت يعلمهما القرآن، فلما دخل عمر اختبأ خباب، فقال عمر: ما هذه الهينمة التي سمعتها قبل أن ألج الدار؟ .. ورأى صحيفة، وكان عمر قارئاً فأراد أن يأخذها ليقرأ ما فيها، فحالت أخته دون وصوله إليها خشية أن يهينها، ولكنه استطاع أن يأخذها، ونظر فيها ، فإذا به يقرأ كلاماً معجزاً لا عهد للبشر به، فلان قلبه وخشع فؤاده، وأوقع الله في قلبه الإسلام فأسلم، ثم جاء إلى النبيّ ﷺ وأصحابه وهم مختفون في دار عند الصفا، فأظهر إسلامه فكبر المسلمون فرحاً بإسلامه.

إنّ هذه الحادثة وأمثالها لتدل على تأثير القرآن في النفس عندما تستوعبه وتفهمه وتتفاعل معه، وهذا يقتضي الدعاة والداعيات أن يعنوا بتقديم القرآن الكريم للناس ولأولادهم بصورة ميسرة واضحة بينة، ولا يتأتى هذا لهم إلّا بأن يعنوا باللغة العربية وتذوقها.

---

(١) "المستدرك" للحاكم ٣/ ٨٣.

(٢) انظرها في "سيرة ابن هشام" ١/ ٣٤٢، و"البداية والنهاية" ٧٩/٣، و"التصوير الفني في القرآن" ص ١١-١٢.

وكان عمر يُسمّى الفاروق، فقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّ الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل». وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمّى رسول الله ﷺ عمر الفاروق.

ومناقبه كثيرة يصعب حصرها. ولنذكر شيئا منها:

- فقد كان أحد السابقين إلى الإسلام، تقدمه بضع وثلاثون رجلاً.
- وكان أحد العشرة المبشرين المشهود لهم بالجنة وهم: الخلفاء الأربعة وسعد وسعيد، وطلحة والزبير، وأبو عبيدة وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم.
- وكان أحد أصهار النبيّ ﷺ زوّجه بنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.
- وكان أحد كبار علماء الصحابة وزهادهم. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حين توفي عمر: (ذهب بتسعة أعشار العلم).
- وكان عظيم الفهم: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «قد كان يكون في الأمم محدَّثون، فإن يك في أمتي أحد فعمر بن الخطاب».(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه».

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر).(٢)

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٩)، ومسلم (٢٣٩٨)، والترمذي (٣٦٩٣)، وانظر "صحيح الترمذي" للألباني (٢٩١٥). قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح. وأخبرني بعض أصحاب أبي عيينة قال: قال سفيان بن عيينة: محدثون يعني مفهمون).

(٢) رواه أبو داود (٢٩٦١) والترمذي (٣٦٨٢)، وانظر "صحيح الترمذي" للألباني (٢٩٠٨)، و"الحلية" ١/ ٤٢.

إنه من القمم الشامخة التي تواجهنا في عصر النبوة.

ويجب أن نعترف بعظمة هذه الشخصية وبعبقرية صاحبها ومقدرته الفذة وإمكانياته الهائلة، ولكننا يجب أن نقرر أيضاً أنّ هذه المزايا الكبيرة ما كان لها أن تظهر على ما ظهرت عليه، وما كان لها أن يكون لها هذا الأثر الكبير في حياة الناس لولا التزامه بالدين الإسلامي العظيم الذي آمن به.

إنّ هذا الدين صقل هاتيك المزايا، وجعل لها ذلك التألق. لقد نقله الإسلام من وادٍ الى وادٍ .. فقد كانت عبقريته مغمورة في الجاهلية، فإذا هي في الإسلام واضحة ظاهرة، تعمّ آثارُها الدنيا المعمورة يومذاك.

إنّ كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) نقلت عمر من ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن حضيض الخمول إلى قمة المجد، ومن مهانه النسيان إلى صدر التاريخ.

والعبقري يمكن أن يكون فظاً غليظ القلب، ويمكن أن يكون لطيفاً رقيق القلب. لقد ذهب عمر الفظّ القاسي الذي كان مطيّة قريش في ظلمها وشركها وجبروتها الزائف، ينصر الباطل على الحق، والشرك على التوحيد، وجاء عمر الفاروق العادل الرؤوف الرحيم، البطل الخالد، المجاهد في نشر دين الله في الأرض، الحاكم الذي أدار الدولة الإسلامية التي كانت تمتد على رقعة واسعة من الأرض خير إدارة.[1]

إنّها لحظة مباركة عندما أكرم الله عمر بالإسلام فارتقى مرّة واحدة من رجل لا يعرفه إلّا قومه إلى عبقريّ سيعرفه التاريخ بأنه حامل الإسلام إلى الدنيا،

(١) بعض هذا الكلام مستفاد مما ذكره الطنطاوي في "قصة حياة عمر" مع تصرف.

وقاهر كسرى وقيصر، وبانى الكوفة والبصرة المدينتين اللتين شعّ منهما نور العلوم، وأنـه أعـدل ملوك زمانه.

إنّ هـذا ليجعلنا نتطلع إلى أن يكون من الدعاة والداعيات والآباء والأمهات من يرعى أصحاب المواهب من الأطفال عسى الله أن يحقق على أيديهم عندما يكبرون ما نرجوه من الإصلاح والإنقـاذ.

إنّ عمر أصبح شخصية عظيمة بالإسلام، فمواهبة الضخمة هي هي، ولكنها صُقلت ونَضجت وأثمرت أطيب الثمرات بسبب إيمانه بالإسلام والتزامه بأحكامه.

وكذلك فإنّ الأمّـة الخيّرة الفاضلة، والقاعدة الصلبة التي ربّاها رسول الله ﷺ أتاحت لشخصية عمر أن تظهر، ولمزاياه أن تثمر بسبب التعاون على البر والتقوى الذي كان يسود أبناء ذاك العصر الأغرّ .. لقد كانت هـذه الأمّـةُ المعاصرةُ لعمر رضي الله عنه – كما شهد لها رسول الله ﷺ – في قـرن هو خيرُ القرون .. قامت بالواجب الملقى على عاتقها خير قيام، وعلى أحسن وجـه ممكن، وعرفت حقوقها التي لها فطالبت بها ونالتهـا، وتأصلت فيها خصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنصحت لله ولكتابـه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم حتى قال قائل منهم لأمير المؤمنين عمر: والله لو وجدنا فيك اعوجاجًا لقوّمناه بسيوفنا.

وهكذا اجتمعت لعمر رضي الله عنه العقيدةُ والموهبةُ والأمّـةُ المثالية فأتاحت لمواهبه أن تظهر وتثمر.

إنّ مناقبـه رضي الله عنه كثيرة كثيرة .. تصعب الإحاطة بها.

- لقد كان رضي الله عنه سديد الرأي:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعن ابن عباس رضي الله عنهما[١] قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر وهزم الله المشركين، فقُتل منهم سبعون، وأُسر منهم سبعون استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليًا فقال لي:

- «ما ترى يا ابن الخطاب؟».
- فقلت: أرى أن تمكنني من فلان – قريب لعمر – فأضرب عنقه وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان فيضرب عنقه، حتى يعلم الله عز وجل أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين. هؤلاء صناديدهم وأئمتهم، وقادتهم!!

فلم يَهْوَ رسول الله ﷺ ما قلت.

وقال أبو بكر: يا رسول الله! هؤلاء أهلك وقومك، قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم، أرى أن تستبقيهم، وتأخذ الفداء منهم، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم بك فيكونوا لك عضدا.[٢]

ففاداهم النبيّ ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨].

قال عمر: غدوت إلى النبيّ ﷺ فإذا هو قاعد يبكي، وأبو بكر، وإذا هما يبكيان.[٣]

فقلت: يا رسول الله! أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما.

---

(١) "الحلية" ١/ ٤٢ -٤٣.

(٢) انظر الخبر في "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين" لمحمد الخضري ص ١٢٦.

(٣) انظر الخبر في "الحلية" ١/ ٤٢.

قال النبيّ ﷺ: الذي عرض عليّ أصحابك من الفداء، ثم قرأ عليَّ الآية التي أنزلت.

هذه حادثة تدل على سداد رأي عمر وأن رأيه كان موافقًا لما نزل من الوحي.

وموافقات عمر كثيرة وسنذكر بعضها.

روى البخاري وغيره عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربّي – أو وافقني ربّي – في ثلاث.

- قلت: يا رسول الله: لو اتّخذت من مقام إبراهيم مصلى. فنزلت الآية: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].
- وقلت: يا رسول الله! يدخل عليك البرّ والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب.
- واجتمع نساء النبيّ في الغيرة عليه، فقلت لهن: إن انتهيتنّ أو ليُبْدِلَنَّ الله رسوله خيراً منكن فأنزل الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥].(١)

قال الحافظ ابن حجر(٢): [وليس في تخصيصه العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها؛ لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه. من مشهورها قصة أسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين، وهما في الصحيح، وصحّح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال: (ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه وقال فيه عمر إلّا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر) وهذا دال على كثرة موافقته]. وذكر أن أكثر ما وقف عليه منها خمسة عشر. هذا وللسيوطي

---

(١) رواه البخاري (٤٠٢- ٤٤٨٣).

(٢) "فتح الباري" ١/ ٥٠٥.

أرجوزة قصيرة جمع فيها الموافقات وعنوانها "قطف الثمر في موافقات عمر"[١] ومطلعها:

الحمد لله، وصلّى الله على نبيّه الذي اجتباه
يا سائلي والحادثات تكثر عن الذي وافق فيه عمرُ

وعدّد هذه الموافقات.

- وكان ﷺ شديد الرفق بالمسلمين، يهتمُّ بمصالحهم، عظيم التواضع لهم.

فقد أخرج ابن أبي شيبة[٢] أنّه لمّا قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين! لو ركبت بِرْذَونًا، يلقاك عظماءُ الناس ووجوهم.

فقال عمر: لا أراكم ههنا، أنما الأمر من هنا، وأشار بيده الى السماء، خلُّوا سبيل جملي.

- وكان وقافًا عند الحق، سرعان ما يتراجع عن الرأي الذي يبدو له غلطه، كما حصل له يوم وفاة النبيّ ﷺ فقد طارت العقول لمّا قُبض رسول الله، وزُلزلَ النّاس زلزالاً شديداً، وأصابتهم حيرة، وعراهم ذهول، فلم يدروا ما يصنعون، وخرج عمر، وهزت الرزيّة نفسه، وغلبه حُبُّهُ رسول الله ﷺ، فلم يستطع أن يتصور أنّه قد مات، ولم يقدر أن يتخيّل الحياة دونه، ولم يطق أن يسمع أنّه قد مات، فوثب مخترطًا سيفه، تُنطقه عاطفتُه وحبُّه رسول الله، يمنع الناس أن يقولوا مات رسول الله .. وقال: إنّه لم يمت، ولكنّه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، وقد غاب عن قومه أربعين ليلة

---

(١) وهي في "الحاوي" ٢/ ٥-٦

(٢) "المصنف" ١٣/ ٢٦٣.

ثم رجع إليهم. والله ليرجعنّ رسول الله كما رجع موسى، فليقطعنّ أيديَ رجال وأرجلهم زعموا أنّ رسول الله مات.

وكان أبو بكر ﷺ غائبًا في السنح[1] حيث منزله هناك، وكان أبو بكر العقل الثابت الذي لا تقلقله الحادثات، ولا تحركه النوائب، فلمّا دخل أبو بكر على رسول الله ﷺ قبّله، ثم خرج، وعمر يتكلم فاستنصته، فلم ينصت ومضى يتكلم .. فصعد أبو بكر المنبر فقال:

أيها الناس! مَنْ كان يعبدُ محمّداً فإن محمّداً قد مات، ومَنْ كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، وتلا قول الله ﷻ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. فلما سمعها عمر علم أنّه كان مخطئًا، وتحقق الرزية وأدرك أنّه لن يرى بعدُ رسول الله ﷺ فخارت قواه ولم تحمله رجلاه فسقط على الأرض مغشيًا عليه. ورجع عن خطئه.

- وكان شديد المتابعة لرسول الله ﷺ يدل على ذلك مواقف عدة منها تقبيله الحجر الأسود.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يقبل الحجر ويقول: أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.[2]

- وكان يُكرم أهل الخير والفضل والعلم، فيجالسهم ويستشيرهم، فقد كان مجالسوه من العلماء سواء كانوا كهولاً أو شبابًا. وإليكنّ هذا الحديث الذي

---

(١) موضع قرب المدينة "القاموس".

(١) رواه البخاري (١٦١٠)، ومسلم (١٢٧٠).

يدل على ذلك ويدل على حلمه وعفوه واحتماله إساءات الآخرين، ويدل على أنه كان وقّافـًا عند كتاب الله تعالى.

فقد روى البخاري عن ابن عباس ﷺ قال:
قدم عُيينه بن حصن المدينة، فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ﷺ، وكان القرّاءُ أصحاب مجلس عمر ﷺ ومشاورته، كهولاً كانوا أو شبابـًا فقال عيينة لابن أخيه: يابن أخي! لك وجـهٌ عند هـذا الأمير فاستأذن لي عليه. فاستأذن، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هِي يابن الخطّاب، فوالله ما تعطينا الجزْل، ولا تحكم فينا بالعدل.
فغضب عمر ﷺ حتّى همّ أن يوقع به. فقال الحرُّ: يا أمير المؤمنين إنّ الله تعالى قال لنبيّه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وإنّ هـذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافـًا عند كتاب الله تعالى.(١)

إنّ أهل الخير من المسلمين أوليـاء الله في سباق في هذه الحياة مع أهل الشر والفساد أولياء الشيطان. ويمـرّ الوقت سريعـًا، والوقت لا ينتظر متباطئـًا ولا مقصراً. وكل من الفريقين يُعدّ العدة لتكون له الغلبة، ومن سَبَقَ وظفر كان الفائز في هذا الصراع.

والمعركة هـذه أزلية منـذ أن كان الشيطان والطاغوت. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٤٢- ٧٢٨٦).

إنّ الله تعالى غني عن العالمين لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين. يحكي ربنا سبحانه قول هود عليه السلام لقومه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧].

ويقول عزّ من قائل مخاطبًا الذين آمنوا: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

ويقول سبحانه في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا».(١)

فلنضاعف العمل، ولنغتنم صحتنا وقدرتنا وفراغنا والفرص التي تتاح لنا، فالفوز للعاملين المتقين، والخسارة على العصاة والكافرين.

إننا مسؤولون يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

إنّ الطفل صفحة بيضاء وهو سلس القياد، لينّ العريكة، يمكن للأم والأب الصالحين أن يغرسا فيه القيم المثلى ويعوداه على السلوك المستقيم.

إنّ التربية البيتية أمرٌ مهم في إعداد أولاد الأمة من بنين وبنات الإعداد المطلوب. ينبغي أن يرى أولادنا فينا نماذج حية متحركة تمثل تلك القيم وذاك السلوك. وعلينا أن نبرز لهم من خلال أحاديثنا وحكاياتنا لهم نماذج من السلف الصالح، ونحببّهم بهم، ومن أجل هذا فنحن نعرض مواقف رائعة من سيرة

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

الرسول العظيم ﷺ، ومواقف من سيرة سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر، ونعرض لقطات من حياة سيدتنا خديجة وسيدتنا عائشة وسيدتنا فاطمة رضي الله عنهن.

إننا نستطيع أن نسامي الأمم الأخرى بهؤلاء الأبطال ونطاولهم. وعلينا أن نغرس في نفوس أولادنا بنين وبنات الرغبة في محاولة السير على خطاهم.

إننا نحتاج إلى جيل متميز قادر على القيام بالإصلاح .. يتمثل هذا الجيل في فتيان وفتيات مؤمنين عاملين أصحاب شخصيات قوية.. إذا اقتنع أحدهم بما يراه حقاً أعلن الحق بقوة وحكمة، وعمل به مهما كانت الظروف، ودعا له. ينظر إلى الأمور بعقلية إسلامية، ويعرضها على الكتاب والسنة، ويكون له رأي فيها متميز، ولا يرتضي لنفسه أن يكون إمعة يقول: أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، وبذلك يلغي ذاته وشخصيته، ويرضى أن يكون فرداً من قطيع. بل يكون مع قومه وأهله ما كانوا على الحق، فإن انحرفوا تميز عنهم ومال إلى الحق.

لقد كان عمر رضي الله عنه نصيراً للحق، ينافح عنه بالقول والفعل، لا يصرفه عن ذلك صارف.

لما كان يوم أُحد كان عمر بطل الدعوة وفتاها وحارسها، ثبت مع النبيّ ﷺ فيمن ثبت ساعة اضطراب الجيش، وانتهت المعركة على ما تعرفون، ووقف زعيم المشركين يوم ذاك، وقد ظنّ أن محمداً قد قتل، وقتل صاحباه، توقف ينادي المسلمين:

أفيكم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تجيبوه».

ثم قال الثانية أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه.

ثم قال الثالثة: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه.

ثم قال أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه. قالها ثلاثا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم قال: أفيكم عمر بن خطاب؟ قالها ثلاثاً فلم يجيبوه.

فقال لقومه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله. أبقي الله عليك ما يحزنك هاهوذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وأنا أحياء، ولك منا يوم سوء.

فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثلةً لم آمر بها ولم تسؤني. وقال: اعلُ هُبَل.

فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه».

قالوا: يا رسول الله وما نقول؟

قال ﷺ: «قولوا الله أعلى وأجل». فقال ذلك عمر.

قال: لنا العزّى ولا عُزّى لكم.

فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه».

قالوا: يا رسول الله وما نقول؟

قال ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم». فقالها عمر يرفع بها صوته.[1]

إنّ إعلان الحق والصدع به صفة لازمت عمر منذ أن دخل في الإسلام .. ذلك أنه لم يرضى أن يكون إسلامه سرّاً، بل أعلن إسلامه بكل قوة. يقول عمر يصف إسلامه:

[... فأتيت دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا، وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله في البيت، فضربت الباب، فاستجمع القوم. فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٣٩- ٤٠٤٣)، وأبو نعيم في "الحلية" ١/ ٣٨-٣٩. وأوردنا الحديث بروايته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه، ثمّ نتره نترة، فما تمالك أن وقع على ركبتيه فقال: «ما أنت بمنتهٍ يا عمر؟».

فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد.

قال عمر: فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟

قال: «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم».

فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجنّ.

وكان الرسول ﷺ - على ما يبدو - قد رأى أنه آن الأوان للإعلان وأن الدعوة التي كانت كالوليد غدت قوية تدرج وتمشي وتستطيع أن تدفع عن نفسها فأذن بالإعلان.

وخرج رسول الله ﷺ ومن أسلم في صفين: عمر في أحدها، وحمزة في الآخر، ولهم كديد ككديد الطحين، أي: كانوا جماعة، وأنّ الغبار كان يثور من مشيهم حتى دخلوا المسجد، فنظرت قريش إلى عمر وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة لم تصبهم قطّ، وسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق.(١)

كان هذا موقف سيدنا عمر رضي الله عنه يوم إسلامه .. موقف الجرأة في إعلان الحق، وموقف العزة بالإسلام .. إذ لم يرضى أن يبقى المسلمون في اختفاء، وعرض على الرسول ﷺ أن يخرجوا معلنين دعوتهم دعوة الحق، ووافق الرسول ﷺ اقتراحه على نحو ما سبق أن ذكرنا، وخرج المسلمون إلى المسجد في صفين، كان على رأس أحدها عمر، وكان على رأس الصف الثاني حمزة.

وكذلك فقد تحدثنا عن ردّ عمر العزيز على زعيم المشركين بعد غزوة أُحد .. أجل لقد كان موقف عمر رضي الله عنه يوم أن أسلم من إعلان كلمة التوحيد

---

(١) "الحلية" ١/ ٤٠، و"أخبار عمر" ص ١٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإغاظة الكفار مثل موقفه يوم أُحد من إعلان بقاء الرسول وصاحبيه على قيد الحياة ليموت أعداء الله غيظاً وحنقاً.

إنّ علينا أن نعتزّ بديننا، وأن نعلن انتسابنا إليه بكل فخر واعتزاز، وأن نبلغ من نلقى عقيدتنا وأحكام ديننا.

وعلينا أن نعوّد أولادنا بنين وبنات على ذلك، ويعيننا على ذلك عرض مثل مواقف سيدنا عمر رضي الله عنه.

ولا ينبغي أن يثنينا عن ذلك خوف ولا خجل، ولا رغبة مزعومة في استرضاء الكافرين.. إن الكفار من أهل الكتاب والمشركين لا يمكن أن يرضوا عنّا مهما بالغنا في استرضائهم.. ولنا عبرة في محاولة بعض السذّج من الطيبين الذين سلكوا هذا الطريق الخاطئ، فلم يجنوا من ورائه إلا الخيبة والمزيد من الحقد عليهم وعلى المسلمين قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ۖ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

وقد ظهر هذا جلياً في عدد من أحداث التاريخ المعاصر، ومن آخرها ما جرى للمسلمين في عدد من البلدان من عدوان النصارى واليهود على المسلمين في البلاد التي يكون فيها المسلمون أقلية.

لقد زلت أقدام بعض المسلمين عندما أرادوا استرضاءهم.. مع ان الله عز وجل قد أيأسنا من رضاهم عنا فقال عز من قائل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهم بكفرهم وعدوانهم شر الخلق كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

إنّ أعداء الله عندما يملكون القوة، ويجدون الفرصة سانحة لهم، ينكلون بالمسلمين أيّ تنكيل، وما أخبار المقابر الجماعية التي تكتشف الآن في البوسنة وكوسوفا عنا ببعيدة.

لقد كان عمر رضي الله عنه قوالاً للحق، لا يخش في الله لومة لائم. فما أجدرنا أن نتخذه قدوة لنا ولأولادنا.

علينا أن نقول ما يوجبه علينا ديننا بالأسلوب الحسن المناسب، ولا علينا أن يرضى من يرضى ويسخط من يسخط، فمن ابتغى رضى النّاس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه النّاس.

عن عائشة قالت: سمعت رسول الله يقول: «من التمس رضاء الله بسخط النّاس كفاه الله مُؤْنة النّاس، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى النّاس».(١)

وكان عمر رضي الله عنه قمة العدل وقمة التواضع وقمة الزهد، يدل على ذلك هذه الحادثة المشهورة وهي أن ملك الفرس أو ملك الروم(٢) أرسل إلى عمر رسولاً، فجاء هذا الرسول إلى المدينة يريد مقابلته، فسأل عن بيته، فدُلّ على كوخ متواضع لا يختلف عن بيوت الناس، وقيل له: خرج إلى ظاهر المدينة فذهب في طلبه، فدله النّاس على رجل نائم على الأرض مشتمل ببردته في ظل شجرة وهو عطل من السلاح، دون جند ولا حراسة، فقال في نفسه: رجل لا يقر للملوك قرار

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٤).

(٢) الذي في "أخبار عمر" ص ٣٢٧ أنه قيصر ملك الروم، وفي قصيدة حافظ أنه ملك الفرس كسرى. والله أعلم.

من هيبته وتكون هذه حاله، ثم خاطبه في سره قائلاً: عدلت فأمنت فنمت. وملكُنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهراً.

وقد سجل الشاعر حافظ إبراهيم[1] هذه الحادثة فقال:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا ... بين الرعية عطلاً وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أنّ لها ... سوراً من الجند والأحراس تحميها
رآه مستغرقاً في نومه فرأى ... فيه الجلالة في أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملاً ... ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان في عيشه ما كان يكبره ... من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلاً ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت نوم قرير العين هانيها

ويحسن أن نختم حديثنا عن عمر العظيم رضي الله عنه بالتذكير بالقصة المشهورة عنه التي يرويها أسلم قال: خرجت مع عمر إلى حرّة واقم حتى إذا كنا بصرار رأينا **امرأةً** معها صبيان وأمامها قدرٌ منصوبة على النار، وصبيانها يتضاغون .. فقال عمر: ما بالكم؟

قالت: قصر بنا الليل والبرد.

قال: وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟

قالت: الجوع.

قال: وأي شيء في هذا القدر؟

قالت: ماءٌ اسكتهم به حتى ينامو، والله بيننا وبين عمر.

قال: رحمك الله وما يُدري عمر بكم؟

قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنّا.

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم ص ٣٤.

قال أسلم: فاقبل علي وقال: انطلق بنا .. فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلاً من دقيق وقبة شحم وقال: احمله علي.

قلت: أنا أحمله عنك.

قال: هل أنت تحمل و زري يوم القيامة؟ لا أم لك.

فحملته عليه، فانطلق يهرول حتى ألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئًا فجعل يقول لها: ذري عليَّ أنا أحر لك، وجعل ينفخ تحت القدر، فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ثم أنزلها.[1]

* * *

(١)"أخبار عمر" ص ٣٤٤- ٣٤٥ نقلا عن "تاريخ الطبري" وابن الجوزي.

الواقـع الأليـم

أيتها الأخوات .. إنّ القيـام بالمهمة العظمى المنوطة بكنّ، وهي بنـاء الأمّـة على أساس الإسلام، يقضي أن تعرفن الواقع الذي تتحركن فيه، ومن ذلك أن تعرفن ما قدّم المجتمع في البـلاد الإسلامية للفتاة الناشئة لتأهيلها لتقوم بدورها في محيطها الذي تعيش فيه.

وقد سألني سائل عن هـذا الموضـوع فأجبتـه قـائلا:

أصارحك القول: إنّ الإجـابة عن هذا السؤال تؤلم كل غيور؛ لأنّها تُنذر بخطر ماحـق، غفل عنه كثيرٌ من النّـاس. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لا نريد أن نخادع أنفسنا ونحاول إقناعها بعرض جانب مشرق ضئيل في مجتمعنا، فهذا التصرف قد يُخفّف علينا من وقع الشعور بالكارثة، ولكنّه غير موضوعي وغير سليم.

أنا أعرف أنّ هناك جانبـًا مشرقـًا يقوم في زوايا بعض البلاد الإسلامية، نجـا من كثير من المـآسي التي عمت البلاد، وهذا الجانب بالنسبة للفتاة وليد ما يزال يحبو، ويترصده أعـداء الله، يريدون تجفيف ينابيعه، وتشويه صورته، والقضاء عليه، ولكنه جانب ضئيل ضئيل إذا قيس بالواقع المؤلم الضخم الذي يحييـاه المسلمون..

لا بُـدّ – يا أخواتي – من تقرير هذه الحقيقة المـرّة إذا أردنا أن نكون صادقين مع أنفسنا.

وقلت للسائل: مدّ بصرك يا أخي وانظر إلى خارطة بلاد المسلمين، وتعرّف الى واقع المجتمع والفتاة المسلمة، فسترى العجب العجاب، ولا تحصر نظرك بواحـد من تلك البـلاد .. إنك سترى أنّ ذاك الجانب المشـرق الـذي أشـرنا إليـه جـانب هزيل يكـاد يختفي ويتـوارى في أكـثر تلك البـلاد.

إنّ المجتمع فتح أمام الفتاة كل أبواب الفساد والفسق والتحلل والفجور، وأغلق في وجهها كل أبواب الخير والاستقامة والسداد.

أيتها الأخوات الفاضلات .. إني لأحسب أنكن قد وقفتنّ على ما يدعي بـ(تجفيف المنابع) ويعنون بهذا الشعار ألّا تكون هناك دراسة شرعية سليمة للكتاب والسنة وعلوم الشريعة، وألّا تكون هناك توعية بواقع المسلمين الأليم .. ومن أجل ذلك فقد أغلقت في بعض البلاد معظم المدارس الدينية للفتيان والفتيات، وما بقي من تلك المدارس تعرضت مناهجها إلى المسخ والإفساد وتشويه أحكام الدين، ثم أدخلوا الضيم على شهادة هذه المدارس، فلم تعد مقبولة في كثير من الجهات.

- إنّ هذا لمكرٌ عظيمٌ، وعدوانٌ أثيم، ولكنَّ الأمر لم يقف عند هذا الحدّ .. بل إنّ المجتمع هذا ألزم الفتاة بالاختلاط بالفتيان في المدارس وهم في سنّ المراهقة .. كان ذلك في معظم العالم الإسلامي.

كان هذا الاختلاط الالزامي في الجامعات في كل العالم الإسلامي ما عدا المملكة، وكان في كثير من البلدان الإسلامية في المدارس المتوسطة والثانوية.ومعلومٌ أنّ الفتى والفتاة في هذه السن يُعانون من هجمة الجنس الشديدة، ويكون كل طرف في حالة تشوق إلى لقاء الطرف الآخر، فإذا كان التوجيه الإسلاميّ ضعيفاً أو معدوماً، ولم تكن مخافة الله مستقرة في أعماق القلوب، وإذا زالت الكلفة بين الفتى والفتاة، يتضاحكون ويمزح بعضهم مع بعض .. كان الجو مهيأً للجريمة والعياذ بالله.. وفي ذلك الفساد الكبير.

- ثم أقدم هذا المجتمع على إلزام الفتاة بخلع حجابها في المدرسة والجامعة والطريق، ألم يأتكم نبأ هذه الفاجعة التي حصلت في بلد من بلاد المسلمين، عندما نزلت قوات لها صلة بحكومة ذلك البلد، وصارت تطوف في الشوارع،

وكلّما رأت امـرأة محجبة نزعت حجابها وصادرتـه بالقـوة .. كان هذا من سنوات وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أولم يأتكم نبـأ المرأة المحجبة التي اختارها شعبها لتكون نائبة عنه في البرلمان، فلما دخلت مجلس النواب وهي محجبة طالبوها بخلع حجابها فأبت، فـأسقطوا عنها عضوية البرلمان وطردوها .. كان هـذا في بلد من بلاد المسلمين وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- ثم قـدّم هـذا المجتمع للفتـاة وسائل الإعلام الممتعة الجذّابة من إذاعـة وتلفـاز، وفي هـذه الوسائل السـمّ الزعـاف والكيـد للعقيدة والخلق الكريم.. وبذلك أضحت هذه الأدوات في أكثر البـلاد أداة من أكـبر أدوات الهدم .. ولاسيما التلفـاز حيث كانت التمثيليات والمسلسلات تزين للفتـاة الخـروج عن طـاعة الوالـدين، وتشجعها على ممارسـة حرّيّتها الطليقـة كـما تهـوى، وعلى الجـرأة على التقـالـيد المتصلـة بالـدين.
- ثم أدخل هـذا المجتمع في بعض بلاد المسلمين عدداً من الفتيات الأوسـاط الفنيـة القـذرة، وجعـل منهن بطـلات في تمثيليـات هـدامـة، وفتـح للفتـاة أبواب دور السينما لتختلط بالرجـال في رؤية تلك التمثيليات، وقـامت صحافة خسيسة تنصر البـاطل، وتهاجـم الحـق بطـرق خفيـة وظـاهـرة، وتشكك بحقـائق الـدين، وتغـرس الإعجـاب بالكفـار وحضارتهم القائمة على استبعاد الدين، وتُشيع الفاحشة عن طريق القصص المـاجن، وعن طريق نشر الأخبـار الشنيعة.

أيتها الأخوات .. إنّ إدراكنا لحقيقة الواقع الذي تعيش فيه الفتاة المسلمة، والكيـد الـذي يُكـاد لها، هو الخطـوة المتقدمـة في طريق العـلاج، ولا يفيـدنا أبـداً أن نُغمض عيوننـا عن هذا الواقـع ونخـادع أنفسـنا .. إنـه يجب أن نعلم أننـا

مقصرون في مواجهة هذا الواقع، وأنّ قوى هائلة تكيد لفتياتنا في الخفاء وفي العلن، وبعض هذه القوى أجنبي، وبعضها الآخر محلي.

ومع ذلك فلا يجوز أن نيأس ولا نتقاعس .. إنّ علينا أن نعمل ما استطعنا إلى العمل سبيلاً، العمل القائم على الإخلاص والتخطيط والصبر والاستمرار.

ونحمد الله ﷻ أنّ البيت المسلم ما يزال في كثير من بلاد المسلمين على الرغم من كل ذلك الكيد ما يزال يقوم بواجبه في التربية والبناء .. ولكن البيت ليس وحده في الميدان، فهناك المدرسة، وهناك المجتمع بمؤسساته المختلفة.

أيتها الأخوات الفاضلات .. إننا نضيع في يومنا ساعات عدة، وفي ذلك خسارة كبيرة، فالوقت أغلى من المال ذلك لأنّ المال إنْ ذهب فقد يُعوّض، فكم من رجل غني افتقر ثم عاد إليه الغنى حتى صار من كبار الأغنياء، أما الوقت فإنه إن ذهب فلن يعود .. إنّه أثمن شيء في الحياة. إنه الثروة الحقيقة للفرد وللأمة.

لو سأل كلٌّ منّا نفسه: هل أستفيد من كلّ لحظة تمرّ علي في يومي؟

لجاء الجواب مبيناً كم من الوقت يضيع علينا دون أن نفيد شيئاً من أمور الدنيا أو الآخرة.

إننا – في الغالب – نكون في يقظة مدة ست عشرة ساعة في اليوم والليلة فلنمض ثماني ساعات في العمل .. يبقى للواحد منا ثماني ساعات، وهذه الساعات هي ما يطلق عليها أنها (الفراغ)، وهي نعمة من نعم الله كما قال ذلك سيدنا رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال:

«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».[1]
ولكننا لا نعرف لهذه قدرها، ولا نؤدي شكرها.

إنّ علينا أن نكون قدوة في الحفاظ على الوقت والإفادة منه، وأن نربي أبناءنا وبناتنا وتلاميذنا على ذلك .. أجل إنّ علينا أن نفيد من هذه الساعات فيما يعود علينا بالفائدة سواء كان من أمور الدين أو من أمور الدنيا.

نفيد منها في ذكر الله والازدياد من العلم، نفيد منها في تحسين أحوالنا المادية، نفيد منها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا يجوز لنا أن نقضيها كلها في اللهو المباح .. فما بالنا بالمحرم والمكروه في الشرع؟

[والفراغ نعمة عظمى؛ لأن الشغل المستمر يوهن الجسم، ويحجب المرء عن مصادر الثقافة، ويحول بينه وبين ارتقاء الروح، ويمنعه من التأمل في الكون وسنن الله في خلقه، ويحرمه الراحة والتمتع بمباهج الحياة وزينتها، ويمنعه من الاستكثار من الطاعات والقربات، ولا يمكنه من مساعدة الآخرين، فلا يغيث ملهوفًا، ولا يفعل معروفًا، ولا ينصر مستجيراً، ولا يدعو إلى الله، ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، بل لا يجد الوقت لبناء بيته وتربية أولاده على ما يريد، ومن هنا كان الفراغ نعمة كبرى لمن يكرمه الله، فإذا وجد الفراغ كان شكره أن يملأه بما يعود عليه وعلى أبناء أمته بالخير والسداد.

والفراغ يعقبه الشغل، كما أنّ الصحة يعقبها المرض، ولو لم يأت المرض جاء الهرم، وهو سَقَمٌ وضعف دائم.

قال محمود الوراق رحمه الله:

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٢) في أول كتاب الرقاق، والترمذي (١٨٧٥)، وابن ماجه (٤١٧٠)، وأحمد ١/ ٢٥٨، والحاكم ٤/ ٣٠٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبادر شبابك أن يهرما ... وصحة جسمك أن يَسْقَما[(١)]
وأيام عيشك قبل الممات ... فما دهر من عاش أن يسلما
ووقت فراغك بادر به ... ليالي شغلك في بعض ما
وقدّم فكل امرئٍ قادم ... على بعض ما كان قد قدّما][(٢)]

ومن الأحاديث الجميلة الواردة في هذا المعنى ما رواه ابن عباس عن النبيّ ﷺ أنه قال: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».[(٣)]

والمرء في سباق مع الأجل وظروف الحياة الصعبة، والعمر يمرّ سريعاً. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال ﷻ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١].

إننا مسؤولون عن كل لحظة في حياتنا، فسيسأل كل إنسان عن عمره فيما أفناه كما جاء ذلك في الحديث الصحيح، وسيحاسب عن هذه الأوقات فإما أن يعتق من النار، وإما أن يكون من المهلكين يقول ﷺ:

«كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها».[(٤)]

إنه لأمر خطير جداً أن يكون قسم كبير من الجيل الصاعد عابثاً يبدد أوقاته بالمعاصي أو بما لا يعود عليه بالفائدة، كمشاهدة المحطات الفضائية أو

---

(١) سَقِمَ يَسقَم من باب طَرِب. والسُّقم والسَّقَم كالُحزن والَحزَن.
(٢) "قضايا في الدين والحياة" ص ٣٢٥.
(٣) رواه الحاكم ٤/ ٣٠٦، والبيهقي في "شعب الإيمان" ، وهو حديث صحيح.
(٤) رواه مسلم (٢٢٣)، وابن ماجه (٢٨٠)، والترمذي (٣٥١٧)، وأحمد ٥/ ٣٤١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رؤيـة الأفلام الخسيسة أو التسكع في الطرقات.

إنّ الوقت - كما قلنا - رأس مال المسلم، إن أحسن المرء التصرف فيه فعمل الأعمال الصالحة كان رابحًا في تجارته، وإن أساء التصرف فيه فعمل السيئات كان خاسراً، وذلك هو الخسران المبين الذي عبرّ عنه بالحديث بالهلاك.

وقوله ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها». يصوّر حقيقة قائمة في دنيا الناس، وهي أنهم في كل يوم يبيعون أنفسهم: فمنهم من يبيعها للرحمن، ومنهم من يبيعها للشيطان.

أما الأولون فهم السعداء المجاهدون الدعـاة الصالحون، وأما الآخرون فهم الأشـقياء العـابثون اللاهون، أولئك الذين هانت عليهم أنفسـهم فباعوها للطاغوت أو لشهوة رخيصة، أو منفعة موقوته.

إنّ الحياة في حركة دائمة، وليس من شأنها الوقوف، وكل يوم يمضي ينقص من عمر الإنسان، ويدنيه من أجله، والمرء خلال هذه الأيام التي تنصرم يبيع نفسه .. فالصفقة إذن غالية جداً، والمبيع ثمين، وأي شيء أغلى وأثمن من نفس الإنسان التي بين جنبيه.

إنّ من مجالات بناء الأمة العناية بالأسرة وعلاج مشكلاتها، فالأسرة هي اللبنة التي يتكون منها ومن أمثالها بناء المجتمع.

والمشكلات التي تقوم في دنيا الأسرة كثيرة، وهي تعكّر صفو الحياة الزوجية، وتوجد النكد، وتذهب السعادة، وتجلب الشقاء. وإن بيتـًا تسوده تلك المشكلات يصعب أن يخرج أولاداً أسـوياء.

فعلى الرجل المسلم الواعي، وعلى المرأة المسلمة الواعيـة أن يتصديا إلى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هـذه المشكلات دراسـة وعـلاجًا. ولكل منها جـانب لا يسـدّه الآخـر.

وقـد تكـون المـرأة في بعض الجـوانب - في كثير من الأحيان – أقـدر على معالجة مشكلات هـذه الجـوانب من الرجل؛ لأنها ربما تكون مرت هي أو إحدى قريباتها بمثل المشكلة التي تريد علاجها، فيكون كلامها مبنيًّا على تجربة حيّة عاشتها، فيكون هذا أدعى للقبول والاقتناع.

أيتها الأخوات .. لا بُـدّ من مواجهة الواقع الذي نحيـاه، ولا بُدّ من مصارحة أنفسنا ومواجهة هذه المشكلات بجرأة وموضوعية وحكمة.. ولن أستطيع إحصاء المشكلات الأسرية كلها، بل هي تحتاج إلى دراسة قائمة على معرفة موثقة للواقع الاجتماعي في قطاعات مختلفة من المجتمع، وعلى إجـراء استبانات في أوساط هذه القطاعات.

ولكني أضرب بعض الأمثلة .. وليكن المثال الأول موضوع الطلاق؛ ذلك أنّ من المشكلات التي بـدأ يعاني منها مجتمعنا كثرة حوادث الطلاق، فلقـد كثر كثـرة مخيفـة.

لم تكن مجتمعاتنـا في كـافـة البـلاد الإسـلامية تعرفها، فلقـد كنّا إلى عهد قريب نفاخر بأن حـوادث الطـلاق في مجتمعاتنا نادرة .. نادرة جداً .. وإني لأتذكر أنني في طفولتي وشبابي لم أسمع بحادثة طلاق واحـدة في الأسر التي أعرفها .. بينما كنّا نقـرأ أنّ حـوادث الطـلاق عنـد الأوربيين وأضرابهم من الكفار كثيرة جـداً، وقد تبلغ النسبة في بعض البـلاد أكثر من الثلث في المتزوجين .. ولكن وضعنا الاجتماعي المتين بـدأ يتضعضع، وصرنا نسمع ونقرأ عن كثرة حوادث الطلاق .. وإننـا لنخشى أن نكون مثل الأوربيين في هذا الأمر في يوم من الأيام، وفي ذلك بلاء كبير، ذلك لأنَّ المطلقة في كثير من بلاد المسلمين يختلف شأنها عن المطلقة في أوربا وأمريكا فتكون الخسارة علينا أكبر، ووقع الكارثة فينـا أشـدّ.

إنّ علينا أن نقي مجتمعنا من هذا البلاء قبل أن يستفحل، وسأذكر بعض الأمور التي يقوى عليها الدعاة والداعيات إن شاء الله تعالى، وما علينا إلا العمل، ويقضي الله لعباده ما يشاء.

إنّ من أسباب كثرة الطلاق ضعف الدعوة إلى الله في صفوف الرجال، وإهمالها إلا قليلاً في صفوف النساء.

فجهل الرجل لأمور دينه ولما أوجب الله عليه، ولحقوق الزوجة .. هذا الجهل يجعله في كثير من الأحيان يظلم نفسه وزوجه ويدمّر حياته الزوجية .. ويندم عندما لا ينفعه الندم، وكثيراً ما تكون المرأة جاهلة بأمور دينها وبالواجبات الدينية، وبحقوق الزوج .. لأنها لم يتح لها سماع الموعظة، ولا معرفة أمور الدين .. بل ربيت تربية بعيدة عن ذلك، تقرأ المجلات والقصص وتشاهد المحطات الفضائية فلا تراقب الله في تصرفاتها ولا تخشاه .. وتدمّر حياتها الزوجية .. وتندم عندما لا ينفعها الندم، وتكون حياة كل من الزوجين نكداً وشقاء وألماً وتعاسة.

إنّ على الدعاة من الرجال أن يقوموا بواجب توعية الشباب وتوجيههم، وإن على الداعيات من النساء أن يقمن بواجب توعية الفتيات وتوجيههنّ.

إن العلم والمعرفة هي الخطوة الأولى التي لا بُدّ منها للعلاج، ولو التزم الزوجان بأحكام الإسلام لقلّت حوادث الطلاق قلة ملحوظة، ولكانت السعادة ترفرف على بيوت هؤلاء الذين شقوا بالزواج.

إنه عندما يكون الزوجان ملتزمين بالإسلام يكون الزواج سبباً للسعادة والهناء والإنتاج والإبداع.

١- ومن الأمور التي ينبغي أن يُلحَّ عليها الدعاة والداعيات التوصية بالقناعة. فالرجل المؤمن ينبغي أن يقنع بما كتب الله له .. إنه هو الذي اختار الزوجة فليرض بها، وليذكر محاسنها إذا وقعت منها زلة، وليذكر قول الرسول العظيم ﷺ: «لا يَفرَك مؤمنٌ مؤمنةً إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر».(١)

ومعنى لا يفرك أي: لا يبغض ولا يطالبها بما لا تستطيع فعله، وفي المثل: إذا أردت أن تطاع فاطلب ما يستطاع.

وليسلك معها ومع نفسه مسلك التدرج حتى تألف هي الحياة الجديدة التي لا بُدّ أن تكون مختلفة عن حياة والديها اختلافًا ما، وليتنازل كلٌ منهما خطوة حتى يلتقيا على خير. مادام الأمر في حدود الشريعة الغراء.

وليس من مصلحته أن يتتبع أحوال زوجته بالنقد وأن يحاسبها على كل صغيرة أو كبيرة من تصرفاتها في البيت، ويجعل من ذلك مشكلة، إذ قد تتفاقم الأمور وتؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وليذكر دائما هذه الحكمة الجميلة:

إذا كنت في كلّ الأمور معاتبًا ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه
ومنذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

والمرأة المؤمنة ينبغي أيضًا أن تقنع بما كتب الله لها .. إنّها رضيت به زوجًا لما سئلت عند العقد .. فلتستمر بالرضى به زوجًا.

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا بدا منه أمر أساءها فلتذكر فوراً مزاياه ومحاسنه. ولتقنع بالأمور المادية التي تجدها في البيت الجديد، فلا يمكن أن تتوافر كل المطالب لكل النّاس، ولتثق أنّها ستدرك تلك المطالب في المستقبل؛ ذلك لأنّ أكثر الشباب في بدء حياتهم الزوجية يكونون فقراء، والقناعة كنز لا يفنى.

٢- ينبغي على الدعاة والداعيات أن يوصوا الزوجين كليهما بالصبر.. الصبرِ على ما يرى كلٌ من صاحبه .. الصبر على ما لا يرضى من المسكن والمركب والملبس والمطعم والتصرف والكلام، ذلك لأنه كما قال الشاعر:

ما كل ما يتمنّى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وينبغي أن ينظر كل من الزوجين في الأمور المادية إلى من هم دونه فيها، فسيرى عندئذ جليل نعم الله عليه ويرضى أتم الرضى، وهذا ما جاء في الحديث الجميل الآتي:

فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ[(١)]: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألّا تزدروا نعمة الله عليكم».[(٢)]

وفي رواية للبخاري[(٣)]: «إذا نظر أحدكم إلى من فُضّل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه».

وإذا سمع أحدهما من الآخر ما يسوؤه، فليصبر وليعف وليصفح، ومَنْ لم يصبر على كلمة سمع كلمات، وليحتسب ذلك عند الله. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر:١٠]. ويقول سبحانه:

---

(١) انظر شرحه في كتابنا "قضايا في الدين والحياة" ص ٢٨٩، وفي كتاب "نظرات في الأسرة المسلمة".

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٣).

(٣) رواه البخاري (٦٤٩٠).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ومن لم يصبر على البلاء الذي يبتلى الله به بعض عباده يُحرمِ الأجر، ويحمل الوزر، ويتضاعفْ عليه الألم، وهو في جزعه لا يفيد شيئًا.

الدهر لا يبقى على حالاته لا الشهد دام ولا يدوم الحنظل

وإني لأعرف سيدات مؤمنات صبرن على القلّة في المطعم والملبس والمسكن .. ثم فرّج الله عنهن، ووسّع عليهن، وأكرمهن بكل وسائل اليسر والرفاهية.

٣- ومما ينبغي أن يقوم به الدعاة والداعيات وصية الأزواج والزوجات بأن يتجاوز كلٌ منهما المعكرات المعتمدة على أعراف بالية يتوارثها الناس وليس لها سندٌ من كتاب ولا سنة ولا منطق سليم.

من هذه الأعراف المعكرة البالية تصوّر الحياة الزوجية معركة حربية فيها الصراع والجدال والنقاش والعتاب المستمر والنقد الدائم اللاذع، فلا تسمع الزوجة أو الزوج إلّا النقد الجارح، واللوم الشديد، واختراع أسباب النكد. كنت مرة ساعيًا في الصلح بين زوجين فسألت كلاً منهما عن شكواه، فبدأ الزوج يشكو تقصير الزوجة في أمر نظافة البيت، وقال لي: أنظر بنفسك فقمت بنفسي في تحري الأمر، وتجولت في البيت، فرأيته على أتم ما يكون من النظافة .. وأسقط في يده .. وتبين لي أنّ هذا الرجل وأمثاله يجلبون النكد لأنفسهم، ويسعون في خراب بيوتهم.

إنّ الحياة الزوجية ليست معركة حربية، وإنّ البيت ليس ميدان المعركة .. إنّ السكن غاية الزواج كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١].

والبيت - يا أيتها الأخوات - سَكنٌ للزوجين، يجدان فيه الهدوء والراحة والبشاشة والمودة والتعاون على الخير. يقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل: ٨٠]. قال أحد المفسرين: [والسكن والطمأنينة في البيوت نعمة لا يقدرها حق قدرها الا المشردون الذين لا بيوت لهم ولا سكن ولا طمأنينة .. هكذا يريد الإسلام البيت مكانًا للسكينة النفسية والاطمئنان الشعوري، هكذا يريده مريحًا تطمئن إليه النفس وتسكن وتأمن، سواء بكفايته المادية للسكنى والراحة، أو باطمئنان مَنْ فيه بعضهم لبعض، ويسكن من فيه كلٌ إلى الآخر.

فليس البيت مكانًا للنزاع والشقاق والخصام، إنما هو مبيت وسكن وأمن وسلام].[1]

٤- وممّا ينبغي التنبيه عليه أنّ الخلاف لا يمكن استبعاده من الحياة الزوجية ولكن يجب أن لا يُصّعّد .. بل تناقش الأمور في حوار معطّر بأريج المودة والحب، وينبغي أن يكون الحوار موجزاً بعيداً عن التشنج والمراء، وعن الرغبة في التغلب على الآخر. وأن يكون التصرف الذي يتصرفه كل منهما نابعًا من ذاته بعيداًعن تدخل الأصدقاء والأقرباء.

إذا روعيت هذه الوصايا سارت الحياة الزوجية سيرها الطبيعي، وسعد كلٌ من الزوجين بصاحبه، واستبعد شبح الطلاق.

إنّ الطلاق من أعظم مزايا هذا الدين إن استُعمل وفق أحكام الشريعة .. إنه حلٌّ لأزمة مستحكمة استعصت على كلّ محاولات العلاج التي قررتها الشريعة. هنا في هذه الحالة يكون الطلاق الحلّ الأمثل.

---

(١) "في ظلال القرآن" ٤/ ٢١٨٦-٢١٨٧.

إذا استحالت الحياة المشتركة كان الطلاق نعمة عظمى لأنه يكون إنقاذاً لوضع متردّ. قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]. فالرجل قد يجد الزوجة التي تنسجم معه وينسجم معها، وكذلك الزوجة فقد تجد الزوج الذي تسعد به ويسعد بها.

ولم يشرع الله الطلاق ليفثأ الرجل غضبه به من تصرف لم يرق له من زوجته. لا فكل بني آدم خطاء والكمال متعذر حصوله من البشر.

وبعد .. إن هذه المشكلة وأمثالها يجب أن يكون علاجها من مهماتكن في بناء الأمة، فلنمض على بركة الله، ولنعمل ولا نيأس، وإنّ الله مع الصادقين.

* * *

الدين بمصدريه حجة على الرجال

حدثتني سيدة بالهاتف ويبدو أنها مثقفة متدينة فاضلة وقالت:

لماذا نرى ونسمع عدداً من الشباب المتدينين يقفون باسم الدين مواقف سلبية من المرأة: ينتقصون قدرها، ويقسون في الحكم عليها، مع أننا نعلم علم اليقين أن الإسلام أنصف المرأة، وصان كرامتها، وأبعد الأذى عنها، وحررها من الظلم والمهانة، ووقف الى جانبها؟

فقلت لها: لقد علّمنا الإسلام العظيم أنّ الدين بمصدريه الأساسيين: الكتاب والسنة حجّة على الرجال، وليس الرجال حجّةً على الدين، وإني لأخشى أن يكون هذا ناتجـاً عن سوء فهم لكلام هؤلاء الشباب، لأنه لا يمكن أن يكون شاب شدا شيئـاً من العلم الشرعي يقف ضد المرأة باسم الإسلام.

قالت: إنّ التي تتحدث إليك امرأة جامعية مضى على تخرجها زمن وهي لا تكفّ عن القراءة والاطلاع، وأؤكّد لك أنها لم تؤت من سوء الفهم .. بل هذا الذي ذكرت لك هو ما نسمعه من هؤلاء الشباب.

فقلت لها: إنْ كان ذلك كذلك فهذا القائل جاهل أو مخطئ، نسأل الله له الهداية والتسديد، واعلمي أيتها الأخت الفاضلة أن الذين يتكلمون عن موقف الإسلام من المرأة أربعة أصناف: علماء، وجهال، ومتشددون، وضالون مضلون.

١- أمّا العلماء فهم بركة الدنيا، ومصابيح الهداية، وينابيع الحكمة، ورياحين الأمة، ولكنهم بشرٌ من البشر، يُصيبون ويخطئون، وهم مثابون على كل حال إن هم بذلوا قصارى جهدهم في معرفة الحق.

وهم – جزاهم الله الخير – قد بيّنوا إنصاف الإسلام للمرأة وإكرامَها واعطاءَها حقوقها الكاملةَ على وجهٍ لم نجده في أمة أخرى قديمة أو معاصرة. نعم ليس

هناك مبدأ ولا نظام أعطى المرأة حقوقها وأنصفها وحفظ عليها شرفها وعفتها كما فعل الإسلام.

ويجب علينا أن نقبل من كلام هؤلاء العلماء ما وافق الكتاب والسنّة وأن نبشّر به وننشره.

٢- وأما الجهال فنوعان:

- النوع الأول جهّال يعترفون بأنهم عوامٌ في معرفة الشريعة، وبأنهم لا يعرفون كثيراً من الأمور الفرعية التي لا يقف عليها ولا يحيط بها إلّا الراسخون في العلم .. ولكنهم مع اعترافهم هذا يردّدون ما يسمعون، وكلامهم فيه الصواب وفيه الخطأ.

وعلينا أن نكون على حذر مما يقولون، وأن نعمل على تصويب الخطأ وذلك سهل ميسور ما داموا يعترفون بأنهم عوامٌ في معرفة الشريعة، وذلك أن تُبيّن لهم الحقيقةُ من أهل العلم، فسينقادون إلى الحق وسيرجعون عما كانوا يقولون من الرأي المجانب للحق.

- والنوع الثاني جهّال مغرورون، لا يعترفون بأنهم جهّال مع أنهم لا يعرفون أصول الدين ولا ما علم من الدين بالضرورة، وهم مع ذلك يتكلمون في موقف الإسلام من المرأة ويخلطون. وهذا الأمر من الطامات التي يعظم خطرها في الأمّة إذ قد يتأثر بأقوالهم فريق من النّاس.

ومبلغُ علمِ أحدِهم أنه يعرف القراءة والكتابة، وقد يكون درس العلوم الطبيعية في مدارس عصرية محلية أو أجنبية، ولم يتحْ له أن درس على علماء الدين، ولا تخرّج في معاهد شرعية موثوقة، وكل بضاعته من العلم ما سمعه من هنا ومن هناك وما قرأه في جريدة أو مجلة، فيحسب نفسه أهلاً لأن يفتي ويصدر الأحكام، فيَضل ويُضل. وهذا ما سيكون في آخر الزمان كما أخبر بذلك سيدنا رسول الله ﷺ وذلك في قوله: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من

النّاس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمـاً اتخذ الناس رؤوسـاً جهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضَلّوا وأضلوا». متفق عليه.(١)

والموقف السليم منهم أن نُعرض عنهم وألّا نلتفت إلى أقوالهم.

٣- وهنـاك قوم ضالون مضلون حـاقدون، يعـادون الإسلام، فيثيرون شبهات باطلة عن موقف الإسلام من المرأة، وهؤلاء والله هم ألـدُّ أعـداء المرأة في الحقيقة.إنهم يريدون أن تكون المـرأة متعة للفسقة والمنحلين، فلا تلتفتي إلى شُبهاتهم. إنهم يقلبون المحاسن إلى مساوئ. ولله در البحتري إذ قـال:

إذا محاسـني اللاتي أدل بهـا كانت عيوبي فقل لي: كيف أعتذر

والموقف السليم منهم الإعراض عنهم كما فعل المؤمنون. قـال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥].

٤- وهناك فريق رابع وهم المتشددون الذين يُلبسون عاداتهم المحلية وتقاليدهم الخاصّة لباس الدين، ويقولون: هذا حلال وهذا حرام.

فهؤلاء ينبغي على أهل العلم أن يُعلّموهم وينصحوهم ويبينوا لهم أن مراعاة العادات والتقاليد إن لم يكن فيها مخالفة للشرع فلا مانع منها، ولكن لا يجـوز أبداً أن نعطيها الصفة الدينية.

إن هؤلاء المتشددين المضيقين على المـرأة منفّرون من الدين، وإنهم ليتحمّلون مسؤولية الصـدّ عن دين الله. إنّ العادات المحليّة والتقاليد الخاصّة منها الحسن ومنها السيئ، ولا بُـدّ من تقويمها بالاحتكام إلى قواعد الدين ومصلحة الأسرة والمجتمع، وهناك عادات وافـدة غربية عن مجتمعاتنا طرأت على قطاعات من مجتمعاتنا وشأنُنـا معها شأنُنـا مع العادات المحليّة،

---

(١) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣) واللفظ له.

ذلك لأنَّ القرن الرابع عشر الهجري حصل فيه تطوّر كبير كبير ربّما يعدل ما جري على أمتنا من تطور خلال القرون السابقة، وتجاهلُ هذا التغيّر وتركُ الحكم على الجديد الوافد مضرٌّ وليس ذلك في مصلحة الفرد ولا الأسرة ولا المجتمع.

أيتها الأخوات .. إنّ من مهماتكنَّ التي تساعد في بناء الأمة أن تبينّ للناس مزايا الإسلام في معالجته لموضوع المرأة؛ لأنّ هذا يتصل في موضوع اتخاذ الإسلام أساسًا للبناء، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إذا كانت الشبهات الباطلة التي تدعي ظلم الدين للمرأة قائمة.

وإني لأحسب أن في ذلك جوابًا عما طرحته السيدة السائلة.

وتقرير هذه الحقيقة منكنّ أيتها الأخوات.. مهمٌّ جداً ذلك لأنّه صادرٌ من المرأة، ففيه إنصاف واعتراف بالحقّ..

* * *

المرأة في الإسلام

أيتها الأخوات الفاضلات ..

- لم يكن للمرأة قبل الإسلام في العالم كلّه شأن يذكر، فلم يكن ينظر إليها إلّا على أنّها أداة للمتعة والخدمة والإنجاب.
- وكان سلطان الأب عليها كبيراً، فلم يكن حقّ الحياة معترفاً به لها، بل كان للأب أن يقتلها وهي صغيرة، لأنها مخلوق مستهلك وليس منتجاً، ولأنها قد تجلب العار لأبيها إنْ زلّت قدمها.

وقد أنكر الإسلام هذا الواقع السيئ. قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨-٩]. وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

إن أبقاها على قيد الحياة كان ذلك هواناً له، وإن دسّها في التراب تخلص من محاذير بقائها عنده .. وهكذا .. قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] .. وهكذا نهى ربّنا تبارك وتعالى عن قتل الأولاد أيّاً كان الدافع إلى هذه الجريمة المنكرة، وقرر للأنثى حقّ الحياة وأوصى بالأولاد بنين وبنات وخصّ الأنثى بمزيد من الوصية.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ امرأة، ومعها ابنتان لها، تسأل. فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة. فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل

منها شيئاً. ثم قامت فخرجت، فدخل النبيّ ﷺ علينا، فأخبرته فقال: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهنّ كنّ له ستراً من النار».[١]

وعنها رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «إنّ الله قد أوجب لها بهما الجنة أو أعتقها بهما من النار».[٢]

وعن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه. رواه مسلم واللفظ له، والترمذي ولفظه: «من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين» وأشار بأصبعيه: السبابة والتي تليها.[٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له انثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده – يعني الذكور – عليها أدخله الله الجنة».[٤]

- وقرر الإسلام لها حق التملك والكسب. قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].
- وقرر لها حق اختيار الزوج.
- وكانت في الجاهلية تورث كما يورث المتاع، فقد كانوا في الجاهلية اذا مات الرجل وخلّف امرأة، جاء ابنُه من غيرها أو قريبُه من ذوي عصبته، فألقى ثوبه

---

(١) رواه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩)، والترمذي (١٩١٥).
(٢) رواه مسلم (٢٦٣٠).
(٣) رواه مسلم (٢٦٣١) واللفظ له، والترمذي (١٩١٤).
(٤) رواه أبو داود (٥١٤٦).

على تلك المرأة أو على خبائها، فصار أحقَّ بها من نفسها ومن غيره.

إذا شاء تزوجها بغير صداق، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها، وإن شاء عضلها ومنعها من الزواج يضارّها لتفتدي منه بما ورثته أو ينتظر حتى تموت فيرثها.

وإن ذهبت إلى أهلها قبل أن يُلقي عليها ولي زوجها ثوبه فهي أحق بنفسها، فكانوا على ذلك حتى أنزل الله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

إنّ المرأة - كما ذكرنا - كانت تورث كما يورث المتاع، وكانت لذلك كارهة، ولكنها لم تكن تملك من أمر نفسها شيئًا .. إنها كالأمة.. وكانت تمنع من الزواج حتى يرضى هذا الذي يستعبدها ويتحكم في شؤونها بعد موت زوجها، ولا يرضى إلّا إذا أعطي ما يطلب.

فحرّم الإسلام العظيم هذا التصرف، وذلك في آية سورة النساء التي ذكرنا قبل قليل.

ثم أمر بمعاشرة الزوجات بالمعروف حتى ولو كان الرجل يكره زوجته فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾.

وقد أوصى الرسول ﷺ كثيراً بحسن معاملة النساء وقال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».[1]

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥).

وعن عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم».[١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «خياركم خياركم لنسائهم».[٢]

أي إنصاف للمرأة يعدل هذا الإنصاف .. وأي إكرام للمرأة يعدل هذا الإكرام.

أيتها الأخوات الفاضلات .. إنّ المرأة في الجاهلية كان ينظر إليها على أنها سلعة، فقد ذكر الإمام الطبري في تفسيره[٣] عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١]. ذكر عن قتادة قال: [كان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله...]

وكان الزنى موجوداً، إذ كان من العادات القبيحة أن يتخذ الرجل خليلات له دون عقد، وكانوا يُكرهون إماءهم على الزنى ويأخذون أجورهن فأنزل الله قوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣].

قال ابن كثير في تفسيره[٤]: [كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليهاضريبة يأخذها منها كل وقت. فلما جاء الإسلام نهى الله المسلمين عن ذلك].

---

(١) رواه أحمد ٥/ ٧٢، والترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١).

(٢) رواه الترمذي (١١٦٢).

(٣) تفسير الطبري ١٠/ ٥٧٣.

(٤) تفسير ابن كثير عند تفسير الآية المذكورة.

ومن الإساءة إلى المرأة والأسرة والمجتمع وجود أنواع من النكاح من فاسدة سيئة. أخرج البخاري في صحيحه: [أنّ عائشة زوج النبيّ ﷺ أخبرت عروة بن الزبير: أنّ النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء:

- فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها.
- ونكاح الآخَر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبيّن حملها أصابها زوجها إذا أحب. وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.
- ونكاح آخر: يجتمع الرهط وهو ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومرّت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد وَلَدْتُ فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبّت باسمه، فيلحق به ولدُها، لا يستطع أن يمتنع به الرجل.
- ونكاح الرابع: يجتمع الناسُ الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهنّ البغايا كنّ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً لمن أرادهن، فمن أرادهنّ دخل عليهنّ، فإذا حملت إحداهنّ ووضعت حملها جُمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطه، أي: فاستلحقه به. وأصل اللوط اللصوق به ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك.

فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كلّه إلّا نكاح الناس اليوم].[1]

---

(١) رواه البخاري (١١١٣ - ٥١٢٧)، وأبو داود (٢٢٧٢)، وانظر فتح الباري ٩/ ١٨٢.

وكذلك فإن الأنثى كما سبق أن ذكرنا كانت معرضة للقتل. ذكر الألوسي في كتابه "بلوغ الأرب في أحوال العرب" أنّ الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب، فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة .. وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد البنات[1]:

- منهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن.
- ومنهم من كان يئد من البنات من كانت سوداء أو برصاء أو كسحاء تشاؤماً منهم بهذه الصفات.
- ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر. قال صعصعة ابن ناجية رضي الله عنه: جاء الإسلام وقد فديتُ ثلاثمائة موؤدة.

وصعصعة هذا من أشراف مجاشع في الجاهلية والإسلام، وهو أول من قام في تميم بإنقاذ بناتهم من الوأد، كان يأخذهن من آبائهن لئلا يؤدن، وهو نظير زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي الذي لم يدرك الإسلام المتوفى سنة ١٧ ق.هـ. لا يعلم ببنت يُراد وأدها إلا قصد أباها وكفاه مؤونتها.[2]

وأما صعصعة فقد وفد على النبي وأسلم وتوفي بعد سنة ٩ هجرية

وهو جد الفرزدق الشاعر القائل :

وجدي الذي منع الوائدات وأحيا الوئيد فلم يوأد

هكذا كان وضع المرأة العربية في الجاهلية فجاء الإسلام فحررها من تلك المظالم وأكرمها ولم يكن الوضع السيئ للمرأة قائماً في منطقة دون منطقة .. بل كانت المرأة مضطهدة قبل الإسلام في كل مكان من هذا العالم.

لقد كان وضعها عند الرومان وضعاً مزرياً .

---

(١) والوأد : دفن البنت حية.

(٢) انظر ترجمته في "الأعلام" للزركلي.

أما المرأة في أوربا ولاسيما في الشمال فكان وضعها في غاية السوء، لأنّ أوربا كانت في ظلام الجهل المطبق والوحشية الشنيعة.

وأما بلاد الفرس فكانت الحركات الهدامة فيها عاملة في الإساءة إلى المرأة حتى إنّ يزدجرد الثاني الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها، وإنّ بهرام جوبين الذي تملك في القرن السادس كان متزوجاً أخته.

وظهر ماني في القرن الثالث الميلادي فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد والشر من العالم .. فحرم النكاح استعجالاً للفناء وانتصاراً للنور على الظلمة بقطع النسل، وقتله بهرام سنة ٢٧٦م ولكن تعاليمه لم تمت بموته بل تبناها كثيرون.

ثم جاء مزدك المولود سنة ٤٨٧ فأحلّ النساء – كما يقول الشهرستاني في "الملل والنحل"[١] – وأباح الأموال وجعل النَّاس شركة في النساء كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ.

وحظيت هذه الدعوة بتأييد أولي الأمر هناك، فأخذ قباذ يناصرها ونشط في نشرها. قال الطبري في تاريخه[٢]: [وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه ولا يستطيع الامتناع منهم].

وأما في الهند فقد كان الرجل يخسر امرأته في القمار، وإذا مات زوج المرأة صارت كالموؤدة لا تتزوج وتكون هدف الإهانات والتجريح وتبقى خادمة في

---

(١) "الملل والنحل" ١/ ٨٦ .

(٢) "تاريخ الطبري" ٢/ ٨٨.

بيت زوجها المتوفى وعند الأحماء، وقد تحرق نفسها بعد وفاة زوجها لتتخلص من العذاب والشقاء الذي ينتظرها.

وجاء الإسلام فاعترف لها بحق الحياة والتملك، واحترم إرادتها، وجعل لها نصيبا من الميراث إلى غير ذلك مما ذكرناه آنفـًا. فكيف يتصور أن يكون منه انتقاص لها.

تحدثنا عن جوانب من إنصاف الإسلام العظيم للمرأة بعد أن كانت في وضع بائس تعيس في كل أصقاع الدنيا، وذكرنا نماذج من ذاك الوضع، وجاء الإسلام الرحيم فأنصفها وكرمها وحررها من كل تلك المظالم قال الله تعالى مخاطبـًا رسوله محمد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

- لقد قرّر الإسلام أنّ الله تبارك وتعالى الذي خلق الرجل هو الذي خلق المرأة، فكان لها من الشرف أنّ الله سبحانه خلقها ما كان للرجل من الشرف فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]. وإنه لتكريم عظيم.
- وقرّر أنها مسؤولة كما أنّ الرجل مسؤول، وأنها مثابة إن هي أحسنت، ومعاقبة إن هي أساءت كالرجل سواء فقال سبحانه: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

وقال تباركت اسماؤه: ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [غافر: ٤٠].

والرجل راع في بيته والمرأة راعية فيه قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الأمير راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهل بيته وهو مسؤول

عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عن رعينها، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».[١]

ومما يدل على المكانة السامية التي رفعها إليها الإسلام قوله ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال».[٢]

قال الإمام الخطابي في "معالم السنن" معلقًا على هذا الحديث: [إنّ الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطابًا للنساء أيضًا إلّا مواضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها].[٣]

وقال الإمام ابن القيم في "إعلام الموقعين": [وقد استقر في عرف الشارع أنّ الأحكام المذكورة بصيغة المذكرين إذا أطلقت ولم تقترن بالمؤنث فإنها تتناول الرجال والنساء].[٤]

فقوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. موجه إلى الرجال والنساء.

وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. موجه إلى الرجال والنساء.

وقوله ﷺ: «العلم فريضة على كل مسلم».[٥] موجه إلى الرجال والنساء.

قال الإمام ابن حزم في كتابه"الإحكام"[٦]:

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٨)، ومسلم (١٨٢٩).
(٢) رواه أبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وأحمد ٦/ ٢٥٥.
(٣) "معالم السنن" ١/ ١٦١.
(٤) "أعلام الموقعين" ١/ ٩٢.
(٥) حديث صحيح رواه ابن ماجه (٢٢٤).
(٦) "الإحكام" ٣/ ٨٠.

[ولا خلاف بين أحد من العرب ولا من حاملي لغتهم، أوّلِهم عن آخرهم في أنّ الرجال والنساء، وأن الذكور والإناث إذا اجتمعوا وخوطبوا أو أخبر عنهم أنّ الخطاب والخبر يردان بلفظ الخطابِ والخبرِ عن الذكور إذا انفردوا، ولا فرق، وأنّ هذا أمر مطرد أبداً على حالة واحدة، فصحّ بذلك أنه ليس لخطاب الذكور – خاصةً – لفظ مجرّد في اللغة العربية غيرُ اللفظ الجامع لهم وللإناث، إلّا أنْ يأتي بيانٌ زائد بأنّ المرادَ الذكورُ دون الإناث.

فلما صحّ ذلك لم يجز حمل الخطاب على بعض ما يقتضيه دون بعض إلّا بنصّ أو إجماع. فلما كانت لفظة (افعلوا) والجمع بالواو والنون، وجمع التكسير يقع على الذكور والإناث معًا، وكان رسول الله ﷺ مبعوثًا إلى الرجال والنساء بعثًا مستويًا، وكان خطاب الله تعالى وخطاب نبيه ﷺ للرجال والنساء خطابًا واحداً لم يَجُزْ أن يُخصَّ بشيء من ذلك الرجال دون النساء، إلّا بنصّ جليّ أو إجماع].

ثم ذكر ابن حزم أزواج النبي ﷺ. وعدداً من الصحابيات رضي الله عنهن وقال: [ولا خلاف بين أحد من المسلمين قاطبة في أنهن مخاطبات بقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [المزمل: ٢٠].

وبقوله: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]... وسائر أوامر القران].[1]

وقال ابن حزم: [وقد سأل عمرو بن العاص رسول الله ﷺ: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟

فقال: «عائشة».

قال: ومن الرجال؟

---

(١) "الإحكام" ٣/ ٨٢.

قال: «أبوها».[١]

ورسول الله ﷺ أعلم الناس باللغة التي بُعث بها، فحَملَ اللفظ على عمومه في دخول النساءمع الرجال].[٢]

ثم روى ابن حزم بسنده عن مسلم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: كنت أسمع الناس يذكرون الحوض، ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوماً[٣] من ذلك والجارية تمشطني، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها الناس».

فقلت للجارية: استأخري عني.

قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء.

فقلت: إني من الناس.. ثم ذكرت الحديث.

ثم قال ابن حزم: [في هذا بيان دخول النساء مع الرجال في الخطاب الوارد بصيغة خطاب الذكور].[٤]

إلى أن قال: [قد تيقنّا أنّ رسول الله ﷺ مبعوث إليهنّ كما هو إلى الرجال، وأنّ الشريعة التي هي الإسلام لازمة لهنّ كلزومها للرجال، وأيقنّا أنّ الخطاب بالعبادات والأحكام متوجه إليهنّ كتوجهه إلى الرجال إلا ما خصّهنّ أو خصّ الرجال منهن دليل، وكل هذا يوجب أن لا يفرد الرجل دونهنّ بشيء قد صح اشتراك الجميع فيه إلّا بنصّ أو إجماع].[٥]

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٢) "الإحكام" ٣/ ٨٣.

(٣) رواه مسلم (٢٢٩٥).

(٤) "الإحكام" ٣/ ٨٥.

(٥) "الإحكام" ٣/ ٨٦.

إنّ ما تقدم يدل على تكريم المرأة ورعايتها على وجه لا نجده في نظام آخر غير الإسلام العظيم.

لقد ذكر سيدنا عمر بن خطاب ﷺ - وهو الشاهد العدل - فضل الإسلام على المرأة وذلك عندما أكرمها، وصان لها شخصيتها من الضياع والذوبان، وعرّف الناس حقوقها وحفظها لها. ذكر ذلك سيدنا عمر عندما وازن بين حال المرأة في الجاهلية وحالها في الإسلام .. ذكر ﷺ أنهم كانوا في الجاهلية لا يرون المرأة شيئًا حتى جاء الإسلام، وأنزل الله في النساء ما أنزل، وقسم لهن من الحقوق ما قسم، وقرر سيدنا عمر ﷺ أن المرأة لم تكن تستطيع أن تراجع زوجها في شيء أبداً .. بل ما عليها إلا أن تنفذ ما يأمر به الزوج.

وتغير الأمر بعد أن شرّف الله بالهدى والحق أمّة العرب ومن استجاب لدعوة الله من أبناء الدنيا كلها.

لقد أصبحت لها مكانة مرموقة تتفق مع تكريم الله لبني آدم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

والنساء - كما قال سيدنا رسول الله ﷺ - شقائق الرجال، فكانت للمرأة الشخصية المستقلة، تبدي رأيها بجرأة، وتعرضه بقوة، وتناقش وتراجع من يخالفها، فإما أن تُقنع وإما أن تقتنع.

وذكر سيدنا عمر بن خطاب ﷺ أنّ زوجته راجعته يومًا .. وهذا أمرٌ لم يكن يعهده منها فأنكر عليها، فقالت: ولم تنكر علي .. إنّ زوجات النبيّ يراجعن رسول الله ﷺ ومنهن بنتك حفصة. وإليكنَّ طرفًا من هذا الحديث الجميل الطويل الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما. وقد ورد هذا الحديث بروايات متعددة يكمل بعضها بعضًا.

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: [والله إن كنا (أي ما كنا) في الجاهلية ما نعدّ للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهنّ ما قسم].[١]

وفي رواية للبخاري[٢] قال: [كنا في الجاهلية لا نعدّ النساء شيئًا، فلما جاء الإسلام وذكرهنّ الله رأينا لهن بذلك علينا حقًا من غير أن ندخلهنّ في شيء من أمورنا.

قال عمر رضي الله عنه فبينما أنا في أمر أتأمره - أي أشاور فيه نفسي وأفكر - إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا.

فقلت لها: مالك ولما ههنا؟ فيم تكلفك في أمر أريده.

فقالت: عجبًا لله يا ابن الخطّاب، ما تريد أن تُراجع أنت، وإنّ ابنتك (أي حفصة أم المؤمنين) لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظلَّ يَومَهُ غضبان.

فقام عمر، فأخذ رداءه مكانه حتّى دخل على حفصة فقال لها: يا بنية ! إنّك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟

فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه.

فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ ..

قال: ثم خرجت حتّى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها، فكلمتها فقالت أم سلمة: عجبًا لك يا ابن الخطّاب، دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟!

فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها..

---

(١) رواه البخاري (٥٨٤٣).

(٢) رواه البخاري (٤٩١٣).

هذاحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وأحمد[1] وغيرهم وفيه هذه الموازنة بين حالين للمرأة في جاهليتها وإسلامها.

والذي أقام هذه الموازنة رجل عبقري عظيم .. إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الشجاع الحازم الفاروق، وقد بيّن رضي الله عنه كيف أن الإسلام صاغ المرأة صياغة جديدة تختلف عما كانت عليه في الجاهلية، وغيرَّ نظرة الرجال إليها.

وقد بيّن في هذه الموازنة القائمة على الحوار الجميل كيف أن زوجته التي تأثرت برسالة الإسلام راجعته وأنكرت عليه صدّه إياها عن إبداءِ رأيها ومشاركتها له فيما كان يفكر فيه، وذكرت له خلال حديثها ما أدهشه وأنساه أمر الواقعة معها، وذلك عندما ذكرت أن ابنته حفصة أم المؤمنين زوج النبيّ ﷺ تراجعه حتى يظل غضبان منها يومه كلَّه، فسارع عمر إلى بيت النبيِّ يبتغي أموراً عدة، أهمها أمران اثنان:

١) أولها وقوفه إلى جانب النبيّ ﷺ وتأديب ابنته حفصة وتوجيهه إياها ونصحها.

٢) وثانيهما سعيه إلى الحفاظ على استمرار الحياة الزوجية لبنته؛ لأنه خشي إن استمرت في سلوكها الذي بلغه أن يغضب رسول الله ﷺ فيطلقها ويغضب عليها فيغضب الله جل جلاله لغضبه.

- ولم يقتصر سيدنا عمر على ذلك، بل أراد أن يعظ زوجات النبيّ ﷺ حرصاً منه على إدخال السرور على الرسول ﷺ وحرصاً منه على صيانة الحياة الزوجية للرسول من أن تتصدع، فذهب إلى أم سلمة رضي الله عنها لأنها قريبة له،

---

(١) رواه البخاري (٢٤٦٨-٤٩١٣-٥١٩١-٥٨٤٣)، ومسلم (١٤٧٩)، وأحمد ١/ ٣٣.

وشرع يحذرها من إغضاب رسول الله ومراجعته، فردّت عليه ردّاً شديداً، يبين المدى الذي بلغته صياغة الإسلام الجديدة للمرأة.

في هذا الحديث فوائد كثيرة .. لا يتسع المقام لإيرادها، والشاهد فيه في موضوعنا هذا تقرير أنّ الإسلام أنصف المرأة وأكرمها إكراماً عظيماً.

- وفيه ما يدل على حسن خلق النبيّ ﷺ وقبوله تصرف زوجاته الذي لم يقبله عمر وصدق الله العظيم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

إننا نذكر أبناءنا المتشددين بهذه الحقيقة الثابتة في أصح كتب الحديث عند أهل السنة والجماعة.

إنّ الإسلام العظيم عندما منح المرأة هذه الحقوق الكثيرة العادلة إنما أراد إعدادها لتكون مشاركة للرجل في حمل رسالة الإسلام العظيم والدعوة إليه، لتحقق للإنسانية إن استجابت لها السعادة والخير والأمن والاستقرار.

* * *

العقيدة أساس بناء الأمة

إنّ من الأسس التي يقوم عليها بناءُ الأمة العقيدة .. العقيدة السليمة الصافية الواضحة في أذهان الناس .. وهذا الأساس مهم غاية الأهمية في عملية بناء الأمّة. أجل .. إنّ كيان الأمّة يقوم على العقيدة التي تميزها عن الأمم الأخرى، وهي ركن من أركان هوية الأمة.

وتقرير العقيدة الإسلامية في صفوف الناشئات واجب من واجبات الأخوات الداعيات، ولا بُدّ - يا أيتها الأخوات - من أن تبحثن عن الطرق والوسائل المجدية في الدعوة حتى يتحقق لكنّ القبول عند من تخاطبن وتدعين.

وكلامي هذا ليس موجهاً لأخوات قطر دون قطر .. بل هو موجّه إلى الأخوات الفاضلات في كل مكان.

ليست الدعوة عبئاً نتخفّف منه بأن تقول الأخت الداعية ما يخطر ببالها دون أن تنظر في وقعه على السامعات والمخاطبات .. لا .. ليست الدعوة الناجحة كذلك.

إنّ عليك - أيتها الأخت الفاضلة - وأنت تقررين الحق في دعوتك أن تتجنبي إثارة المدعوّات، وأن لا تضعي العقبات في طريق استجابتهنّ.

عليك أن لا تشتدي في الرد على الأفكار الخاطئة التي تستمسك بها المخاطبات. لا تجاملي في الحق، ولا تقولي إلا الحق .. ولكن هذا لا يعني أن نثير من نتحدث إليهنّ ضدنا، وتأملي معي قول الله تبارك تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فلا ينبغي أن يكون أسلوبنا في الدعوة حاملاً النّاس على الإصرار على الانحراف والمبالغة فيه.

إنّ خرافات وأباطيل كثيرة تنتشر في بعض المجتمعات الإسلامية، والمطلوب منّا أن نحرر الناس من ذلك كله، فعلينا أن نحسن التأتي ونختار الطريقة الموصلة إلى الهدف.

أيتها الأخت الداعية .. لو أنك قرّعت المقصرات ممن تخاطبين لنَفَرنَ منك ومن الخير الذي تقررين، وتكونين أنت التي أغلقت أبواب النجاح في وجهك، وأنت التي سددت سبل الوصول إلى قلوبهنّ.

لا .. ليس هذا هذا السبيل الموصل إلى الهدف المنشود.

قرري لهنَّ العقيدة الصحيحة بتواضع وتحبب لا باستعلاء وأستاذية.. وانظري في كتاب الله طرق الرسل عليهم السلام في دعوة أقوامهم.

فسيدنا نوح عليه السلام قال لقومه، كما جاء في سورة الأعراف: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ناداهم أولاً بقوله: (يا قومي)[1] يا أهلي .. يا جماعتي ليثير فيهم دواعي الاستجابة لما يدعوهم إليه؛ فالمرء لا يغش قومه، ولا يكذب أهله، بل ينصح لهم ويصدقهم ويريد لهم السداد والمجد والفلاح.

ثم دعاهم إلى التوحيد الذي أرسل به: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾.

ثم قال لهم: إني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة وإنه لعذاب عظيم في يوم عظيم ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. نعم .. وكيف لا أخاف عليكم وأنتم قومي؟

---

(١) وكان عدد من الأنبياء ينادون أقوامهم بهذا النداء. انظر ذلك في سورة الأعراف الآيات (٥٩- ٦١- ٦٧- ٧٣- ٧٩- ٨٥- ٩٣).

فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ما حكى الله لنا: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

وتلقى نوح عليه السلام مقولتهم الباطلة بصدر رحب، وصبر على أذاهم، ورد عيهم رداً رقيقاً، وناداهم مرة أخرى بقوله: (يا قومي): ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. لقد اتهموه بالضلال المبين، وهم الضالون، فلم يرد عليهم بعنف .. بل قال: ياقوم ليس بي ضلاله، ثم ذكر لهم أنه مرسل من عند الله، وهو الآن يبلغهم الرسالة وينصح لهم، وهذا شأن الأنبياء جميعاً عليهم صلوات الله وسلامه.

وقال تعالى عن خاتمهم عبده ورسوله محمد: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [هود: ١-٣].

كذلك رسول الله يخاف على قومه العذاب إن هم تولوا.

وانظري أيتها الأخت الفاضلة إلى هذا الحديث الصحيح الجميل الذي أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" ومسلم[1] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهنّ عنها وأنا آخذ بحُجَزِكم عن النار تفلتون من يدي».[2]

فرسول الله ﷺ يشفق على قومه أن يقعوا في النار، فهو يحجزهم عن النار وهم يفلتون من يده.

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨٥)، وأحمد ٣/ ٣٦١-٣٩٢.

(٢) والجنادب: نحو الجراد والفراش. والحجز: جمع حُجزة وهي معقد الإزار والسراويل.

والحديث صورة فنية رائعة تعتمد على مشهد يتكرر في حياة القوم، ويرونه كثيراً وهو في عمقه ودقته فاق حدّ التصور، فالمعاصي، والشرك، ومخالفة أمر الله، نارٌ محرقة، والمقبلون عليها فراش لا تعي، والرسول العظيم ﷺ يدفع النّاس ويذبهم عن الوقوع في الهلاك، وهم ماضون في تقحم النار والوقوع فيها.

إنّ علينا أنْ لا نُواجِهَهُنّ رأساً بالتخطئة والتقريع والتضليل؛ لأنّ ذلك سيثير فيهنّ غريزة الدفاع عن النفس، وربما قادهنّ ذلك إلى الإصرار على الخطأ والتماس المسوغات له.

بل يجب علينا أن نقرر لهنّ الرأي السليم معروضاً بالحجج الدامغة المقنعة، ونسلك في إنكار واقعهن سبيل التعريض والتلميح.

ومن الأساليب المفيدة أن نعرض أحوال بعض الأمم السابقة، ونسلط الأضواء على انحرافاتها، ونحذّر من سلوك طريقهم لأنهم هلكوا وبادوا كما أخبرنا القرآن الكريم عنهم، ونعرض أحوال بعض العصاة من المعاصرين، دون أن نسميهم، الذين جنوا ثمرة وقوعهم في المعاصي الخسارة والخزي والندامة والإفلاس والضياع، وليس من المصلحة أن نوجه كلامنا لمن نخاطب.

وعلينا – يا أيتها الأخوات – أن نؤكد على وجوب الرجوع إلى حكم القرآن والسنة في كل أمورنا سواء كان ذلك في العقيدة أو العبادة أو المعاملات.

ويجب أن نعرض آراءنا وتصرفاتنا على هذا المقياس الذي لا يزيغ، فما أقره هذا المقياس أخذنا به وما رده تركناه.

ونؤكد في الوقت نفسه على الاستفادة من آراء الأئمة والعلماء، ولكن مع ملاحظة التفريق بين اجتهاد البشر الذي ليس بملزم وبين النصّ الشرعي الملزم؛ لأنّ كلّ إنسانٍ غير معصوم معرض ليقع في الغلط، وهذا المعنى قرره الأئمة رحمهم الله أنفسُهم، فقد رُوي عن الأئمة الأربعة أقوال فحواها ما تدل عليه

العبارة الآتية التي نُقلت عن أكثر من واحد منهم وهي: (إذا صحّ الحديث فهو مذهبي واضربوا بقولي عرض الحائط).

أيتها الأخت الفاضلة! اجعلي هؤلاء المخاطبات اللاتي توجهين الكلام إليهن .. اجعليهنّ يدركن بأنفسهنّ الحقيقة ويعرفن واقعهن .. ويصلنّ إلى الفكرة التي كنت تريدين تقريرها، وكأنها نابعة من عندهن.

ومن الأساليب النافعة أن لا تنسبي لهن أمراً غير محمود، وتأملي قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٤-٢٦].

وانظري أيتها الأخت إلى قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. ولم يبين من هم على الضلال المبين.

وانظري أيضا إلى قوله: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. فقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقول: (عما أجرمنا) فعبر عن العمل بالإجرام، ولم يأمره أن يقول لهم، ولا تسأل عما تجرمون، مع أن المشركين مجرمون.

إنّ أدب الخطاب هذا له الأثر الكبير على المخاطبين.

وقد يفيد أن تحاسبي نفسك أمامهنّ خلال شرحك لآية أو حديث.

فمثلاً لو أنك شرحت لهنّ قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]. فقد يفيد أن تقولي: حاسبت نفسي فوجدت أني وقعت مرة في غيبة فتبت إلى الله واستغفرته. إنّ هذا سيحمل المخاطبات على أن يجرين مثل هذه المحاسبة التي تعقبها التوبة النصوح.

قال ابن رجب: [كان السلف يجتهدون في أعمال الخير ويَعدون أنفسهم من المقصرين المفرطين المذنبين، ونحن مع إساءتنا نعُدّ أنفسنا من المحسنين.

كان مالك بن دينار يقول: إذا ذكر الصالحون (أف، أف لي وتف).

وقال أيوب: (إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل).

وقال يونس بن عبيدة: (أعد مائة خصلة من خصال الخير ليس فيَّ منها واحدة).

وقال محمَّد بن واسع: (لو أن للذنوب رائحةً لم يستطع أحدٌ أنْ يجلس إليَّ)].[1]

وهؤلاء قمم في التقوى والورع.

والتدرج أسلوب حكيم لا بُدّ من اتباعه؛ ذلك لأنّ التحول المطلوب لا يمكن أن يتم في لحظة ولا في يوم ولا في أسبوع .. إنه يحتاج إلى تفاعل مع القيم الجديدة بالنسبة لهؤلاء المخاطبات.

أيتها الأخت الفاضلة .. إذا سلكت هذا المسلك فإني أرجو أن تمهد الطريق أمام دعوتك الخيرة لتصلي إلى قلوب من تخاطبين.

واعلمي- بارك الله فيك - أنّ الرفق بالمخاطبين والمخاطبات هو السبيل الذي كان يسلكه الأنبياء صلوات الله عليهم والدعاة أيضا.

قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».[2]

وقال أيضا: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله».[3]

---

(١) "الحكم الجديرة بالإذاعة" بتحقيقنا ص ١٠٩.

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٣) رواه البخاري (٦٢٥٦- ٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه».[1]

إن الداعية الناجحة هي التي تريد هداية الناس، وتستبعد حظ نفسها من عملها، ويسرّها أن يتحقق المراد على يد غيرها كما لو كان على يدها، وتبحث عن الوسائل المجدية في الدعوة، وتدأب وتصبر وتستمر في دعوتها ولو لقيت ما لقيت.

إنها تقابل الإساءة بالإحسان، وتتحمل ما تلقى في سبيل الله. وهذا المعنى يفهم من قول لقمان لابنه الذي حكاه ربنا تبارك وتعالى في كتابه ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

لقد قوبل أنبياء الله من اقوامهم بالتكذيب والإيذاء والاتهام بالضلالة. فقد اتهم نوح بالضلالة: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٠-٦١].

واتهم هود بالسفاهة والكذب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦-٦٧].

واتهم سيدنا رسول الله بالجنون: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وللداعيات أسوة بالأنبياء والدعاة إلى الله. وإنّ الله مع الصابرين.

إنّ للكلمة شأنًا وأيّ شأن في إصلاح أوضاع الأمّة لاسيما إن قيلت في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب الودود، فلا نزهد في إلقائها.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤).

إنّ الرفق والتلطف في مواجهة المخالفين وعدم مصادمتهم يوصل إلى المطلوب غالبًا، أو يجعل هؤلاء المخالفين يفكرون في آرائهم ومواقفهم، ويراجعون أنفسهم.

أما العنف والسبّ والاستهزاء بالآخرين والتعالي على المخاطبين، فهذا مما ينفّر من قبول الحق، وقد يجعل هؤلاء المخاطبين يصرون على ما هم فيه من الانحراف. ولنا أسوة في رُسُل الله في دعوتهم أقوامهم، فلقد قصّ الله علينا نماذج رائعة منها في الكتاب الكريم. ولنا أيضًا في سيرة نبينا وسيدنا محمد رسول الله ﷺ وخاتم الرسل الأسوة الحسنة، فلقد عرضت لنا السيرة المطهرة حياته الدعوية الشريفة في خطابه للمشركين، فقد كان يترفق في دعوتهم، فيقابلونه بالإيذاء والتكذيب، فلا يزيد على أن يقول: «اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون»، وفي خطابه لأتباعه المؤمنين، فما كان يوجه اللوم صريحًا لمن يستحق اللوم منهم، بل كان يعرّض ويقول: ما بال أقوام فعلوا كذا .. أو قالوا كذا. ممتثلاً في ذلك كله قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

لقد كان خطاب الأنبياء لأقوامهم قائمًا على اللين والتحبب واحتمال الأذى والصبر على الإعراض والاتهام. ولنتأمل معًا هذا الحوار الذي جرى بين سيدنا إبراهيم ﷺ وبين أبيه والذي قصّه علينا ربنا في سورة مريم، لقد كان خطاب إبراهيم لأبيه مملوءاً بالرفق والتودد والحرص على نجاته وسلامته .. وكان الرد من الأب عنيفًا شديداً قاسيًا. يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ

﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤١-٤٨].

لقد كان إبراهيم ينادي أباه بنداء الأبوة فيقول: يا أبت، أربع مرات يستثير فيه عاطفة الأبوة. وقد بدأحواره بتقرير أن المعبود يجب أن يكون سميعاً بصيراً قادراً على النفع والضرر، وبيّن له أن الصنم الذي يعبده ليس كذلك فقال له: لم تعبد صنماً لا يسمع ولا يبصر ولا يكفيك شيئاً من نفع أو ضر؟ إنه حجر من الحجر لا يليق بالعاقل أن يعبده. وأنت أبي، ولا أحب لك أن تتصرف تصرفاً بعيداً عمّا يفعل العقلاء. ثم أخبره بأن هذا الذي يقرره ليس ممّا يمليه العقل السليم فقط، بل هو وحي من الله فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾ ولئن انتهيت عما أنهاك عنه وينهاك العقل السليم، واتبعتني فستكون على الصراط المستقيم ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾. ثم بين له أن متابعة الشيطان عبادة له وهو عدو مبين للإنسان وهو عاص للرحمن ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ وكأنه يقول له: وأنا في هذا النصح إنما يدفعني إلى ذلك الخوف عليك، فأنت أبي .. إني أخاف إن أصررت على سلوك طريق الغواية أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون مع الشيطان في مصيره الأسود التعيس. ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾.

كلام يخاطب العقل والوجدان.. ويستثير العاطفة.. مع الرفق والتودد، ولكنّ الكافر لا يسمع ولا يبصر ولا يفكر ولا يتأمل ولا يناقش ما يسمع .. وليس عنده إلا الإصرار على ما هو عليه من الضلال. ولذلك ما كان منه إلّا أن ردّ على ابنه النبيّ الودود الرؤوف قائلاً: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾. فاحتمل إبراهيم هذا التهديد وقال: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾.

وقد فعل ﷺ فقال مخاطباً ربّه كما جاء في سورة الشعراء: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]. وهذا قبل أن يتبيّن له أنّه عدوّ لله قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤].

وكذلك كان المؤمنون من أتباع الرسل يسيرون على نهجهم في التلطف واللين والرفق في الدعوة.

ولنتأمل هذا المقطع من خطاب المؤمن من آل فرعون لقومه: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر:٢٨].

كان هذا الرجل من آل فرعون يكتم إيمانه عن قومه القبط، ولم يظهر إلاّ في اليوم الذي قال فيه فرعون: ﴿ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ فأخذت الرجلَ غضبةٌ لله ﷻ فقام وقال مقولته هذه، أي كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربي الله، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق، ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ يعني إذا لم يظهر لكم صحة ما جاء به فمن العقل والرأي والحزم أن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه، فإن يك كاذباً فإن الله سبحانه سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقاً يصبكم بعض ما توعدكم إن خالفتموه .. فينبغي على هذا ألّا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه، ويبدو أنّ فرعون انفعل لكلامه واستمع إليه وكفّ عن قتل موسى كما قرر ذلك ابن كثير وغيره.

ومثل هذا الموقف جرى مع سيدنا أبي بكر ﷺ فقد أخرج البخاري أنَّ عروة بن الزبير قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي

معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديداً، فأقبل أبو بكر ﷺ فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾.(١)

ولقد أمرنا الله أن تكون عادلين حتى مع الذين نبغضهم فقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]. وأن تكون عادلين حتى على أنفسنا وأقاربنا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥]. فالمسلم يشهد ولو على نفسه ووالديه، ولا يحمله هواه على ألاّ يعدل. وهذا ما نجده في سير الصحابة ﷺ وفي علماء الجرح والتعديل إذ يقفون موقف العدل مع آبائهم وأبنائهم.(٢)

وأمرنا ربنا أن نكون عادلين مع الذين نبغضهم بسبب إساءتهم إلينا بأن صدونا عن العبادة فلا يجوز أن يحملنا هذا على أن تعتدى عليهم. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢].

أيتها الأخوات .. إننا عندما ندعو المخالفين لنا من الكفار أوعصاة المسلمين، ونحن ملتزمون بما ذكرنا من الأمل الواسع، والخلق الزكي، والمعاملة الحسنة، والرفق والتودد، والبشاشة والابتسام، والعدل مع الخصم والقريب، سنلقي - إن شاء الله - نجاحًا مطرداً، وسيقود هذا الوضع المخالفين لنا إلى مراجعة أنفسهم، وقد يدخل بعضهم في الإسلام، وقد يكف الآخرون عن المعاصي.

فإلى ذلك ندعوكنّ وفّقكُنَّ الله ورعاكن.

---

(١) رواه البخاري (٤٨١٥).

(٢) فقد جرح بعضهم أباه، وجرح بعضهم ابنه. بأن قال: ضعيف أو ليس بثقة فيما ينقل.

ويجب على الأخوات الداعيات المصلحات أن يقمن بعملهنّ ونُصحهنّ وهنّ مملوءات بالأمل الواسع في أنّ المستقبل للإسلام، وبالأمل بأنّ هؤلاء المخاطبات سيستجبن لهنّ؛ لأنّ مَن يدعو، وهو يائس من أول الطريق، معرّضٌ للإخفاق في عمله، فقد يحمله يأسه على أن يأتي بتصّرفات منفّرة ليست في مصلحة الدعوة في شيء.

* * *

أيتها الأخوات!

إنّ الأمل بغدٍ مشرقٍ للإسلام أمرٌ محتم، قضاه الله تبارك وتعالى وأخبرنا بذلك سيّدنا رسول الله ﷺ. وإليكنّ بعض الأدلة الثابتة على ذلك:

- يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].
- ويقول سبحانه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩].
- ويقول عزَّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

والكفّار يمكرون ويخططّون، وقد يحققون شيئًا مما يريدون، ولكنَّ العاقبة للمتقين، وأعمار الأمم لا تُقاس بعشرات السنين. يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين:

[يريد هؤلاء الكفّار من المشركين وأهل الكتاب أن يطفئوا نور الله. أي: ما بُعث به رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل به رسول الله ﷺ لا بُدّ أن يتمّ ويظهر، ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما راموه وأرادوه: ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ .. ثم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾. فالهدى هو ما جاء به من الأخبار الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع، ودين الحق هو الأعمال الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة].

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّ الله زوى - أي جمع - لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أمّتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها».[1]

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «إنه ستُفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها وإنّ عمالها في النار إلا من اتقى الله وأدّى الأمانة».[2]

وعن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَيبلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا دخله هذا الدين، يعز عزيزاً، ويذل ذليلاً، عزاً يعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر». فكان تميمٌ الداريُّ يقول: (قد عرفت ذلك في أهل بيتي: لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية).[3]

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وأحمد ٤/ ١٢١.
(٢) رواه أحمد ٥/ ٣٦٥.
(٣) رواه أحمد ٢/ ١٠٢.

وعن المقداد بن الأسود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على وجه الأرض بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلّا دخلته كلمة الإسلام يُعز عزيزاً ويُذلّ ذليلاً، إما يُعزهم الله فيجعلهم من أهلها، وإما يُذلّهم فيدينون لها».(١)

أيتها الأخوات! إنّ الأيام دول كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. فلا ينبغي أن نغتر بالقوة الظالمة التي تستولي حيناً من الوقت على أفكار طائفة منا أو بلاد ناس منّا. يقول الله ﷻ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]. إنه متاعٌ قليل والعاقبة لمن إتقى. ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦].

أيتها الأخوات! إنّ هذه المبشرات المفرحة والوعود الصادقة يجب أن تبعد عنا اليأس، فالمؤمن لا ييأس مهما كانت الظروف. إنّ الأخت الداعية التي تريد أن تعمل على بناء أمتها وَفْقَ ما يريد الله ورسوله يجب أن تكون واثقة بموعود الله، مخلصة في عملها لا تريد منه إلا وجه الله، صابرة على ما تلقى من الإعراض والإيذاء والسخرية، سالكة سبيل التودد والرفق .. إنها – إن وفقت إلى ذلك – ستلاقي بإذن الله نجاحاً على مدى الأيام.

إنّ الأمل بنصر الله والإخلاص والصبر والرفق والوجه البشوش والكلمة الطيبة .. كل أولئك يسهل على الأخت عملها، وإنّ إلقاء الحجة المقنعة الموضحة بأمثلة من الواقع الذي تعيشه المخاطبات دون جدال ولا مراء يحقق – كما قلنا – كثيراً مما تريد.

---

(١) "المستدرك" ٤/ ٤٣٠ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وعلى الأخت أن تفتح قلبها وبيتها للمدعوات، وأن تكون على استعداد للعمل على حلّ مشكلاتهن بما تستطيع، ذلك لأنّ النفوس جبلت على حب من أحسن إليها.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

أيتها الأخوات الفاضلات .. إنّ علينا أن نعمل بإخلاص ونخطط لعملنا، وأن نسلك أسلوب الحكمة والرفق والتودد، وأن نصبر على ما نلقى، ولنا أسوة في رسل الله صلوات الله عليهم والدعاة الصادقين..

يحكى لنا ربنا الحوار الذي جرى بين الرسل وأقوامهم المكذبين لهم الذين ردّوا دعواتهم. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ٩-١٢].

وقد أخبرنا ربنا أنّ المؤمنين معرّضون إلى الابتلاء والاتهامات.. والمطلوب منهم أن يصبروا. قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

أيتها الأخوات .. إنّ علينا أن نبذل جهدنا في الإصلاح والبناء، فإن استجيب لنا فالحمدلله، وإن لم يستجب لنا فلا نحزن؛ فهناك أنبياء مؤيدون بالوحي يأتون يوم القيامة وليس معهم إلا الرهط، وهناك من الأنبياء من يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، كما جاء في الحديث المتفق عليه.(١)

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

- إنّ أعداءنا يُلحقون الأوضاع المنحرفة الظالمة للمرأة الموجودة في بعض بيئات العالم الإسلامي يُلحقونها بالإسلام دين الله الخالد، وهو منها برئ.
- ويأتون إلى المحاسن العظيمة التي قررها الإسلام للمرأة لأول مرّة فرفعها وصانها بها، يأتون إلى هذه المحاسن فيقلبونها إلى عيوب ومآخذ، وهذه الخصلة إحدى الكِبَر.(٢)
- ويُشوّهون صورة الدين في أذهان أولادهم وفي أذهان أولاد المسلمين، وذلك عندما يفسّرون نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة على غير حقيقتها.

أيتها الأخوات .. وهذه الأمور الثلاثة بعض عدوانهم علينا في المجال الفكري، وهناك طامات أخر في المجالات المختلفة. يجب أن نعالجها.

ومهمّتكن – يا أيتها الأخوات – بيان الحقيقة في هذه الأمور الثلاثة.. بيان الحقيقة عن طريق الكتابة والمحاضرة والمحادثة الفردية للرجال والنساء بالوسائل المتاحة اليوم وما أكثرها.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠). وقال الألباني في تعليق على الحديث في رياض الصالحين (باب اليقين والتوكل): [ولفظ مسلم شاذ سنداً ومتناً].

(٢) الكِبَر: البلايا العظام.

ولنعرض الأمر الأول، ونبين التدليس المغرض، الذي يدفع إليه الحقد الدفين.

أيتها الأخوات .. لا ننكر أنّ بعض المسلمين يقعون في مخالفة أوامر الله ونواهيه، ويكون من نتيجة هذه المخالفة ظلم للمرأة..

إنّ هذه المظالم التي تتعرض لها المرأة والتي نجدها في بعض البيئات من العالم الإسلامي مظالم ينكرها الإسلام، وليس مسؤولاً عنها .. بل المسؤول عنها هم المسلمون الذين خالفوا أمر الله ورسوله. وسأورد أمثلة توضح هذا الأمر.

١- يقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وهذا أمر من الله تبارك وتعالى أن نعاشر نساءنا بالمعروف واللين، لا بالغلاظة والعنف، ومع ذلك فإننا نجد بعض الرجال يعاملون نساءهن بالغلظة والعنف ويهينون المرأة ولا يعطونها حقوقها التي أعطاها الله.

إنّ هؤلاء الرجال عاصون لأنهم خالفوا ما أمرهم الله به. فهل يجوز أن نلحق هذا الوضع الظالم بالدين وننسب هذا الظلم للإسلام؟

معاذ الله أن يكون ذلك.

٢- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تنكح البكر حتى تستأذن، ولا الثيب حتى تستأمر». فقيل: يا رسول الله كيف اذنها؟ قال: «إذا سكتت».[١]

○ وعن عائشة ﷺ أنها قالت: يا رسول الله إن البكر تستحي. قال: «رضاها صمتها».[٢]

---

(١) رواه البخاري (٥١٣٦- ٦٩٦٨)، وغيره.

(٢) رواه البخاري (٥١٣٧).

○ وعن خنساء بنت خِدَام الأنصارية أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها.(١)

إذن لا بُدّ من أن يؤخذ رأي الفتاة في الخاطب الذي يطلب الزواج منها ولا يجوز للولي تزويجها بغير رضاها.

ويعمد ناس فيخالفون أمر رسول الله ﷺ ويزوجون بناتهم بغير موافقتهن، وهذا أمر لا يجيزه الشرع كما تقدم بيانه في الحديث الصحيح، فهؤلاء عُصاة وليس من المقبول ولا المعقول أن تنسب هذه المظالم إلى الدين.

٣- يقول تبارك وتعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]. وقد بين الله تبارك وتعالى هذا النصيب في آيات المواريث.

ويعمد بعض المسلمين العصاة فيحرمون الأنثى من الإرث، ويظلمون قريباتهم ويكونون عصاة لله ظالمين لأنفسهم.

فكيف نلحق هذا الواقع المنحرف المخالف للدين بالدين؟ إنّ هذا لشيء عجاب.

٤- يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]. والمرأة داخلة في بني آدم.

---

(١) رواه البخاري (٥١٣٨).

فلا يجوز أن يسخر أحد من أحد سواء كان ذكراً أم أنثى، ومن فعل ولم يتب فهو الظالم حقاً.

ويعمد بعض المسلمين إلى السخرية من المرأة وازدرائها والإساءة إليها مباشرة، وقد تكون الإساءة إليها في غيبتها .. وهذه مخالفة صريحة للآية الكريمة.

فهل يليق أن تلصق هذه المخالفة بالإسلام؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

٥- يقول رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».[1] ويدخل في مدلول الحديث المسلمات كما سبق أن بينا.

فالمسلم يصلي والمسلمة تصلي ويجب أن يتعلما كلاهما أحكام الصلاة التي لا تصح إلا بمراعاتها، والمسلم إن كان ذا مال يزكي والمسلمة إن كانت ذات مال تزكي ويجب أن يتعلما أحكام الزكاة، والمسلم يصوم والمسلمة تصوم ويجب أن يتعلما أحكام الصيام .. وهكذا.

فيأتي ناسٌ ويَحْرمون الأنثى من العلم بمختلف أنواعه الشرعي وغيره، وهذا أمرٌ لا يجوز .. وقد كان في تاريخنا عالمات راويات للحديث واللغة مشهورات.

فهل يصح أن نلصق تصرف هؤلاء المخطئين المخالفين بالإسلام؟

سبحانك ربي هذا ظلم عظيم.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٤).

أيتها الأخوات .. من البديهيات التي لا ينتطح فيها عنزان أنّ هناك فرقًا بينًا واضحًا بين الإسلام والمسلمين. ذهب مرة طالب علم إلى مكتبة ليشتري كتابًا عنوانه "العدالة الاجتماعية في الاسلام". فلما سأل البائع: هل عندكم العدالة الاجتماعية في الإسلام؟ ويبدو أنه لم يكن عنده الكتاب ففهم: هل هناك عدالة في المسلمين فأشار إلى المظالم التي يئن منها المسلمون . فنبه هذا الطالب على الفرق بينهما.

من الكلمات الجميلة التي وقفت عليها لبعض أهل العلم من المتأخرين قوله: (الإسلام محجوبٌ بأهله) أي: أنّ الإسلام كالجوهرة المحجوبة عن أعين النّاس بما علاها من الغبار والأوساخ، فالإسلام محجوب بالمسلمين الذين حجبوا جماله وحقيقته بمعاصيهم ومخالفاتهم.

أيتها الأخوات .. فلا ترضين أن تنسب هذه المظالم التي تعاني منها المرأة في بعض البلاد إلى الإسلام. وعليكن أن تقمن بالبيان وضرب الأمثلة.

* * *

أيتها الأخوات الفاضلات ..

إنّ من نعم الله التي منَّ بها علينا أن جعل لكل منا أسرة متماسكة متحابّة، نجد فيها السكن والعون. يقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل:٨٠].

وتحقق لنا الأنس والسرور والامتداد في الذراري والحفدة الذين يحملون أسماءنا، ويكون عملهم الصالح ذخراً لنا. يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

لقد أحسّ أعداؤنا من اليهود والنصارى بالخطر من ارتفاع نسبة الولادات بين المسلمين في الوقت الذي تتناقص فيه نسبة الولادات عندهم، فبدؤوا ينشرون فينا أفكاراً خطيرة تحث على منع النسل أو تحديد النسل أو تنظيم النسل؛ ذلك لأنّ ديارهم مهدّدة بالدمار بسبب ذاك التناقص الذي أشرنا إليه، حتى أصبحت بلدانهم بلدان شيوخ، والشباب فيها قليل، ومعلوم أنّ الشباب والشابات هم قوة الأمّة.

وقد اطلعت على ترجمة[١] مقال نشر مؤخراً في صحيفة من صحفهم[٢] لكاتب حقود[٣] يقرر في هذا المقال أن الخطر من الإسلام كامن في زيادة عدد المواليد وارتفاع نسبة الولادات.

---

(١) رد على هذا المقال الأستاذ الدكتور محمد سليم العوا في مجلة الأسبوع بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٤٢٢هـ (٤/ ٢/ ٢٠٠٢م).

(٢) واسمها (نيوز ويك) العدد السنوي لعام ٢٠٠٢م.

(٣) واسمه صموئيل هنتيجون.

يقول: إنّ زيادة معدلات الولادة أدّى إلى انتعاش الانبعاث الإسلامي في معظم الدول الإسلامية. وذكر أنّ الشباب بين ١٦ و٣٠ سنة يشكلون النسبة العظمى في تلك البلاد، وأنهم صاروا يتمتعون بمستوى ثقافي تقني وهم في مرحلة الدراسة الثانوية ومرحلة الجامعة عرفوا التقنية وأتقنوها، ويدّعى أنّ هذا أضحى يشكل خطراً على الحضارة الغربية.

وقد قال هذا الكاتب الحقود:

العنف الإسلامي قد يتحول إلى صدام كبير بين الحضارات يأخذ صورة صدام بين الإسلام والغرب، أو بين الإسلام وبقية العالم.

ويرى أنّ زيادة معدلات الولادة أدّت إلى انتعاش الانبعاث الإسلامي في معظم دول العالم الإسلامي.

وقال: وتعكس المؤشرات الديمغرافيه (السكانية) صورةً أكثر تفاؤلاً، فقد كانت معدلات الولادة في عدد كبير من البلدان الإسلامية آخذة في

الهبوط بشكل كبير، لاسيما في البلقان، إلاّ أنها تبقى مرتفعة في بعض البلدان مثل المملكة العربية السعودية.

إلاّ أنه بحلول عام ٢٠٢٠م سيتقلّص عدد الشباب المسلم، وعندها سيكون من المنطقي أن يضمحل زمن حروب المسلمين ليخلفه عصر جديد.

يقول د. محمد العوا[1]: سألت كاتبة عربية معروفة كانت تشارك في ندوة عن حوار الحضارات (المزعوم) كيف نواجه هذه المقترحات العجيبة، وكيف

نردّ على هذه المقولات المغلوطة فأجابتني بهدوء:

---

(١) من مقال الدكتور محمد سليم العوا نشره في محلة الأسبوع المصرية بتاريخ ٢١/ ١١/ ١٤٢٢هـ (٤/ ٢/ ٢٠٠٢م).

[زوجوا البنين والبنات مبكراً، وتخلصوا من المغالاة في المهور وفي متطلبات مساكنهم البرجوازية السخيفة، وحسنوا مستوى التعليم الأساسي ووجهوا الأولاد إلى العمل الحر ولو في التجارات الصغيرة والصناعات البسيطة، وكفوا عن تقليد الحضارة التي يفكر كبار المخططين لها في أسرع الطرق وأكثرها أمناً للقضاء على شباب المسلمين والعرب في شتى دول المعمورة].

من هنا فإني أرى أنّ من الواجب على الأخوات الداعيات العاملات على بناء أمتهنّ على أساس الإسلام العظيم أن ينبهنّ أخواتهن على الحذرِ من الوقوع في كيد الأعداء، فيعزمن على تحديد النسل.

أيتها الأخوات الفاضلات

أعرف أسرةً من زوجين مثقفين خُدعت بهذه المقولة الباطلة، واتفق الزوجان على أن يكتفيا بولد واحد، يبذلان جهدهما ومالهما في تربيته وإعداده الصالح ليكون لهما قرة عين، يرجوان منه النفع والعون عندما يبلغان الكبر. ولما جاء المولود فرحا به فرحًا شديداً، وانطلقا ينفذان ما اتفقا عليه: كانا يعملان ليلاً ونهاراً للاهتمام به ويسهران للعناية بغذائه ودوائه ومنامه ويقظته .. وأجريت للأمّ عملية جراحية تمنع من الحمل .. ودرج الفتى يغدو ويروح .. وتعلقت آمال الأبوين به يأملان أن يكون في مقبل الأيام عالمًا كبيراً أو طبيبًا ناجحًا أو مهندسًا موفقًا، وكانا يخافان عليه من مرّ النسيم، إذا شكا لم يستطيعا النوم قلقًا عليه، فأفسده (الدلال)، فأخفق في الدراسة ثم تركها، وسلك مسلك السفهاء، وأسرف على نفسه، فأصابته بسبب ذلك علل، فقضى نحبه، وهنا تحطّم الأبوان وأصبح كل منهما يقلب كفيه على ما فعل، وندما ولات ساعة مندم.

هذا وبلغني أن زوجة لعامل فقير أمي أنجبت خمسة عشر ولداً .. وكان منهم الطبيب والمهندس والمعلم والتاجر.

إنّ المربّي هو الله، وإنّ الرزاق هو الله، والشكّ في هذا لا يليق بالمؤمن الصادق. وعلينا أن نأخذ بأسباب التربية والكسب الحلال، ولكن كم من عالم بالتربية أخفق في تربية أولاده، وكم من رجل ذكي نشيط أخفق في أعماله التجارية.

إنّ حفظ النسل مقصد من مقاصد الشريعة الخمسة التي تدور أحكام الشريعة كلها لحفظها ورعايتها. وهي حفظ الدين والعقل والنفس والمال والنسل.

ومحاربة النسل لا تقرها شريعة الله سبحانه، ولنعترف بالواقع، ذلك لأنّ إغماض أعيننا عن الواقع لا يغيّر من الأمر شيئًا .. لنعترف أنّ محاربة النسل هذه حققت شيئًا ما من الانتشار – وا أسفاه – بين نفرٍ قليل من المسلمين والمسلمات هداهم الله، وهذا بعض ما حققه الأعداء فينا في القرن الرابع عشر المنصرم، فقد قضوا على الخلافة، وفرّقوا المسلمين، وقسّموا بلادهم، وتقاسموا استعمارها أو الانتداب عليها، أو جعلها مناطق نفوذ لهم، وتدخلوا في أنظمة المحاكم فأزاحوا الحكم بالشريعة في بعض البلاد، وأحلوا محلها قوانينهم، ثم صاغوا مناهج للتعليم لبعض البلاد على أساس علماني، عملوا ذلك كله على مراحل وببطء، ولكنهم عندما وجدوا أنّ نسل المسلمين يتكاثر، وأنّ الوعي بدأ ينتشر بينهم عمدوا إلى إقامة دولة لليهود عميلة لهم تحقق مصالحهم، وتوقف التقدم التقني بالقوة للمسلمين، [وسلكوا في تحقيق ذلك مسلك العنف بجنود عملائهم وجنودهم]. ونشروا بينهم فكرة تحديد النسل .. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقالوا: لقد جربنا خططنا في تقسيم المسلمين واستعمار بعض بلادهم، ووضع بعضها تحت الانتداب، وأفسدنا مناهج تعليمهم، ولكننا فوجئنا بأنه يخرج من أصلابهم بعد ذلك مَنْ يؤمن بالإسلام نظام حياة ويلتزم بمبادئه

وأحكامه، فلم يبق أمامنا إلّا أن نعمل على الحدّ من نسلهم، وكانت خطتهم قائمة على طريقتين:

- أما الأولى فهي فكرية، نخوفهم من متاعب الأولاد الذين يزعجون ويذهبون بمتع الحياة ولذاتها ويكلفون أهليهم العناء بترتيبهم.
- وأما الثانية فهي أن نشغلهم بتحصيل الرزق، ونشر الفقر في أوساطهم وذلك عن طرق عدة: [منها إقامة نظم اشتراكية تذهب بالطبقة الوسطى، وتجعل أكثر المسلمين من الطبقة الفقيرة، بل تجعلهم تحت خط الفقر، وتقمع الدعاة بالقتل والسجن والتشديد والإفقار].

أيتها الأخوات .. وهناك أمران لا بُـدّ من الإشارة إليهما في هذا الموضوع:

١- نحن نعتقد أنّ الرزّاق هو الله. يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

ويقول: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣].

ويقول رسول الله ﷺ: «إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتب أربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد ...».(١)

٢- ثم إنّ هذا المولود ليس مخلوقًا مستهلكا دائمًا .. بل سرعان ما يشبّ ويغدو كاسبًا، وقد يحقق الله على يده السعة في الرزق لأبويه وأسرته، فكم من ناس فقراء كان الناس يتصدقون عليهم رزقوا بأولاد عملوا فأصبحوا من كبار الأثرياء، فتغيرت حياة ذويهم إذ أسكنوهم القصور بعد أن كانوا في

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

أكـواخ، وجلبـوا لهم أنـواع النعيم الممكنة، وأصبحوا يتصدقون على الآخرين.

إنّ الإنسان طاقة ضخمة، طاقة فعـالة، طاقة منتجة، طاقة بنـاءة، لاسيما إن تعلّم ووَعَى عصره ومجتمعه وعالمـه. إنّ من هؤلاء الأطفال اليوم المفكرين والمبدعين والمخترعين والقـادة والمصلحين في الغـد، وإنّ غـداً لنـاظره قريب.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

مقدمة ٥
دور المرأة في بناء الأمة ٧
دور المثقفات في دحر خطر المؤتمرات الهدامة ١١
دور الأم في غرس العقيدة الصحيحة ١٥
على المرأة تثقيف نفسها ١٩
عناية الداعيات المثقفات بغيرهن من البنات ٢٣
المرأة عامل أساسي من عوامل الإصلاح ٣١
يجب أنتكون حياة الأمة مبنية على القرآن ٣٥
ينبغي أن تكون حياة الأمة قائمة على السنة ٤٢
القرآن مرة أخرى ٥٣
العلم وبناء الأمة ٧٠
أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٧٩
زينة المرأة ٩٧
إسهام المرأة في البناء يقتضي اهتمامها بالجانب الفكري ١٠٤
إسهام المرأة في البناء يقتضي اهتمامها بالجانب التربوي ١٠٨
الأخلاق ١١٢
المرأة والتعليم ١٣٣
الأسئلة ١٤٨
القدوة ١٥١
خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ١٥٥
حرص الصحابيات على مشاركة الرجال ١٧٣
المعلمة والبناء ١٧٧
المرأة والدعوة ١٨١
الرفق والحكمة ١٨٨
ضرورة الإفادة من الآلات الحديثة ١٩٢
العناية بالناشئة ٢٠٠
الاهتمام بالعناية الصحية ٢١٤
العناية بالصحة ٢٢١

الغـــذاء ٢٢١
العنـاية بالنظـافـة ٢٣٤
العنـاية بالأطفـال ٢٤٩
أم ســليم رضي الله عنها ٢٧٤
الوعي بنا يحيكه الأعـداء ٢٨٦
العــزة الإســلاميـة ٢٩٠
الغـزو الفكـري ٢٩٨
نماذج من المستشرقين ٣٠١
مراجـع عن المستشرقين ٣٠٦
وســائل المبشـرين ٣١١
أهميـــة القـراءة ٣١٨
طريـق الخـــلاص ٣٢٣
الهجوم على اللغــة العربيــة ٣٢٧
خصـائص هـذه الأمّـــة ٣٣١
حســن الخلــق ٣٤٤
حفظ اللســان ٣٨٩
أبو بكـر الصـديق رضي الله عنه ٤٠٥
عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه ٤٤٧
الواقع الأليـم ٤٦٥
الدين بمصدريه حجة على الرجال ٤٧٩
المرأة في الإسـلام ٤٨٣
العقيدة أسـاس بنـاء الأمّـة ٤٩٨
الفهرس ٥٢٥

دور المرأة في بناء الأمة